

عذب الملافظ

في جمع ما يسره الله من المواعظ

لإسماعيل بن عبد الباقي اليازجي
ت ١١٢١ هـ

تحقيق
أ/ خديجة محمد كامل

مراجعة
أ.د. أحمد محمد لطفي



الجزء الثاني

عذب الملافظ

في جمع ما يسره الله من المواعظ

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

أ.د. أسامة طلعت
رئيس مجلس الإدارة

ابن اليازجي، إسماعيل بن عبدالباقي اليازجي، ۰۰۰ - ۱۷۰۹م.
عذب الملافظ في جمع ما يسره الله من المواعظ/
لإسماعيل بن عبدالباقي اليازجي؛ تحقيق خديجة محمد كامل؛
مراجعة أحمد محمد لطفي. ـ القاهرة: دار الكتب والوثائق
القومية، الإدارة المركزية للمراكز العلمية، مركز تحقيق التراث،
۲۰۲٤.

مج ۲ ؛ ۲٤ سم.
تدمك 6 - 1584 - 18 - 977 - 978
۱ - الوعظ والإرشاد.
۲ - الأخلاق الإسلامية
أ - كامل، خديجة محمد، ۱۹٤۷ - ۰۰۰ (محقق)
ب - لطفي، أحمد محمد (مراجع)
جـ - العنوان

۲۱۳

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ۲۱٥٦۰/ ۲۰۲٤

I.S.B.N. 978 - 977 - 18 - 1584 - 6



عذب الملافظ
في جمع ما يسره الله من المواعظ

لإسماعيل بن عبد الباقي اليازجي
ت ١١٢١ هـ

تحقيق
أ/ خديجة محمد كامل

مراجعة
أ.د. أحمد محمد لطفي
أستاذ الفقه المقارن ـ عميد كلية الشريعة والقانون
بتفهنا الأشراف بالدقهلية

الجزء الثاني

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م)

شارك في تحقيق هذا الجزء

أ. منى معوض محمد

أ. صباح عباس محمد	أ. هناء حسن أحمد
أ. زينب علي البنداري	أ. علياء إبراهيم شاهين

بسم الله الرحمن الرحيم

على سبيل التقديم

الحمد لله رب العالمين ، نحمد الله أن أسبغ علينا بعظيم آلائه ، وفيوضات نعمائه ، ونقدم للقراء الجزء الثاني والأخير من كتاب عذب الملافظ في جمع ما يسره الله من المواعظ ، تأليف إسماعيل بن عبدالباقي اليازجي ، الدمشقي ، الحنفي ، المتوفى سنة ١١٢١هـ . وقد تم التعريف بالمؤلف وعصره ، والكتاب وموضوعه في الجزء الأول .

وقد أشار فضيلة الدكتور/ عبدالحميد مدكور - مراجع الجزء الأول من الكتاب - إلى أن الكتاب يغلب عليه العناية بالجوانب الأخلاقية التي تسرى في عروق الكتاب كله ، وهو يهتم بالفضائل والرذائل معًا . وقد قدَّم الدكتور نماذج مما ورد في الجزء الأول .

وسوف نعرض لبعض الفضائل والرذائل التي وردت في الجزء الثاني . ونمثل لها بالواردات الآتية ومنها : ما ورد عند تفسير المؤلف للآية ٢٥ من سورة البقرة ، قوله تعالى ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ . . . ﴾ فقد ذكر المؤلف عدة تفاسير لكلمة : الصالحات . فقال : الصالحات هي : الصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصوم . وتكلم في كل منها عن أركانها وشروط صحتها . وأيضًا قال : الصالحات هي : العلم ، والإخلاص ، والنية ، والصبر . وفي كل يوثق كلامه بأدلة من الكتاب والسنة والآثار .

وأيضًا قال : الصالحات هي : الأعمال الباطنة والظاهرة ، وعرّف الباطنة بأنها صفات القلب ، وهي : التوكل واليقين ، والرضا ، والشكر .

وأيضًا قال : الصالحت ، هي : الأعمال التي بين العباد : كأداء الأمانة ، والوفاء بالعهود ، وقضاء الحقوق ، وصلة الرحم .

والصالحات أيضًا لزوم السنة والجماعة ، والتوبة عن الزلات .

كما اهتم المؤلف أيضًا بالعلاقات الاجتماعية ، وقد أبان هذا عند تفسيره للآية ٤٤ من سورة البقرة ، قوله تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ . . .﴾ حيث بدأ ببر الوالدين ، وثواب البارّ ، ومصير العاقّ . وتكلم عن الدّين أثناء تفسيره للآية ١٩٩ من سورة الأعراف ، قوله تعالى ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

وفي شرحه لحديث : احفظ الله يحفظك . . . ذكر ما يجب على الإنسان حفظه وهي : أوامر الله ونواهيه ، الصلاة ، اللسان والفرج ، السمع والبصر ، والأيمان الباطلة .

وتحدث أثناء تفسيره لسورة الضحى عن تفاخر الليل على النهار ، وتفاخر النهار على الليل .

كما ذكر معانيّ كلمة «القضاء» في القرآن ، وهي الفراغ من الشيء ، ومعنى التمام ، ومعنى الفصل ، ومعنى وجوب العذاب ، ومعنى الحتم ، ومعنى الخبر ، ومعنى الأمر ، ومعنى الفعل ، ومعنى الخلق ، ومعنى الموت .

أما عن الرذائل فقد تكلم عن عدد كثير من الذنوب التي اعتبرها من الكبائر ، مثل : الدّين ، مَطلُ الغني ، إنفاق المال في المحرمات : كشراء آلات اللهو ، والتعالي في البناء ، وأن تسأل المرأة طلاقها من غير إضرار الرجل بها ، ومنع نفقة الزوجة والأقارب التي تجب نفقاتهم ، ومن ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم ، وأن تُدْخل المرأة في نسب القوم من ليس منهم ، ترك الختان ، الفرار من الطاعون ، إفساد زوجة إنسان عليه ، الحِلْف بالأمانة ، إفشاد السر الذي بين الرجل وزوجته ، الغش ، البيع على البيع ، الشراء على الشراء ، منع الفحل من الضراب ، قص اللحية ، إعفاء الشارب ، سَبُّ الدهر ، الدياثة والقيادة ، التهاون في صلاة الجمعة ، إيذاء المسلمين في طرقهم ، عدم

التنزه عن البول في البدن أو الثواب ، المحلل والمحلل له ، الرياء .

هذا فضلا عن الكبائر الأخرى ، وهي : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقول الزور ، وقذف المحصنات ، والارتداد .

وهو في هذا كله يوثق كلامه بأدلة من الكتاب والسنة ، والأقوالٍ .

وبعد أن عرضنا لبعض الفضائل والرذائل التي ذكرها المؤلف ، نجد أن هذا أحوج ما نحتاج إليه في عصرنا الحاضر الذي أصبحت فيه فضائل الأعمال نادرة ، ورذائل الأعمال منتشرة ، وربما كادت تصل إلى الأعراف المتعارف عليها بين الناس . وأن ما يُحزن أفئدة القائمين على هذا التراث ؛ بل ويجعل قلوبهم مُلتاعة ألما ، هي كثرة العاملين على هدم هذا التراث .

ومع هذه القيمة العالية لموضوع هذا الكتاب ، غير أن هناك بعضا من المآخذ التي يمكن توجيهها إلى المؤلف ، وهذه المآخذ لاتنال من القيمة الأخلاقية والاجتماعية لهذا الكتاب .

ومن المآخذ : الاستطراد في أحايين كثيرة ، فيتجاوز الفكرة التي يتكلم عنها إلى فكرة أخرى ، ويسهب في الكلام عنها ثم يعود إلى الفكرة الأولى . ولاريب أن هذا يسبب تشتيتا ذهنيا للقارئ بين الانتقال من فكرة إلى أخرى ثم العَوْد إلى الأولى .

وختامًا لهذه التقدمة أتقديم بجزيل شكري وتقديري لكل من أسهم في إخراج هذا الكتاب ، وأخص بالشكر الأستاذ الدكتور/ عبدالحميد مدكور - مراجع الجزء الأول - رغم اعتذاره عن مراجعة الجزء الثاني ، وذلك لانشغاله بأعمال أخرى لا تقل أهمية عن هذا العمل بل في الحقيقة هي أهم من هذا العمل ، وبذلك تكون أكثر احتياجًا إلى من ثُقِّلوا بالعلم والخبرة المجسدة في شخص الدكتور/ عبدالحميد مدكور .

كما أتقدم بشكري لأعضاء لجنة الدراسات الإسلامية اللواتي شاركن في تحقيق هذا الكتاب وهم : أ . منى معوض ، أ . هناء حسن ، أ . صباح عباس ، أ . زينب البنداري ، أ . علياء شاهين .

وأيضًا أتقدم بوافر شكري إلى الأستاذ الدكتور/ أحمد لطفي ، والذي وافق على مراجعة الجزء الثاني من الكتاب جزاه الله عنا خير الجزاء .

وختامًا أحمد الله تعالى على أن هداني ووفقني لهذا العمل ، وأستغفره وأتوب إليه عن كل خطأ وزلل أو تقصير في هذا العمل .

﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ آل عمران : ٨

محققة الكتاب

خديجة محمد كامل عبد الفتاح

منهج التحقيق

التزمنا في تحقيق النَّص بما يأتي :

ـ عزو الآيات القرآنية إلى أول ورود لها في كتاب الله العزيز .

ـ عزو الأحاديث النبوية والآثار إلى مصادرها ، واكتفينا بذكر أهم المصادر ؛ نظراً لاحتواء الكتاب على كثير من الأحاديث والآثار .

ـ بذل الجهد في تخريج الأقوال والحكايات وعزوها إلى مصادرها .

ـ التعريف بالأعلام والأماكن والكتب الواردة في الكتاب .

ـ شرح المبهم من المفردات اللغوية شرحًا موجزًا .

ـ أغفلنا كتابة الجزء والصفحة من المصادر والمراجع المرتبة هجائيًا كالقواميس . وفيما يتعلق بالتفاسير أحلنا إلى رقم الآية وسورتها .

ـ مناقشة الأقوال التي تنبو عن الصواب في العقائد والأحكام بالأدلة القرآنية والسّنة النبوية .

ـ التعليق على الحكايات المُبالغ فيها ، والتي قد تصل إلى حدّ الخرافة وعدم المعقولية في بعض الأحيان .

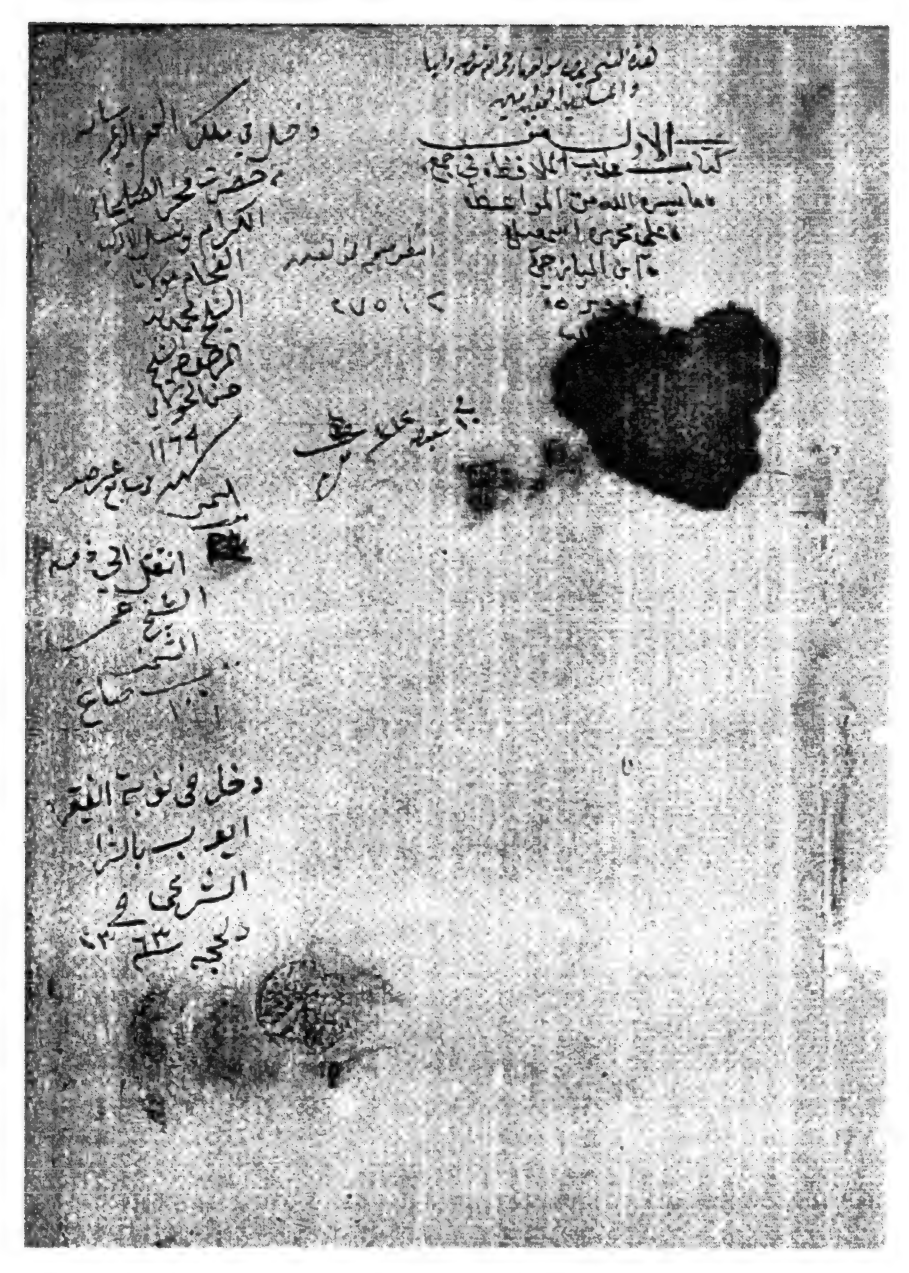
ـ إثبات أرقام صفحات المخطوط بين معقوفتين .

ـ وضع عدد من الكشافات - للجزأين معًا - التي تُعين القارئ على الاستفادة من النَّص ؛ وهي في هذا الجزء .

المحققة

خديجة محمد كامل

نماذج من لوحات المخطوط


الأول من
كتاب عذب الملافظ في جمع
ما يسره الله من المواعظ

وجه اللوحة الأولى من المخطوط

القمر ويرتفع الحياء ويقل العقول ولا يعرف المعروف ولا ينكر المنكر ويسير الرجل بوالدته
او اخته او محرمه ولا يعيره بها احد ومن اشراطها كثرة الحلف بالطلاق وكثرة الحلف بالامانة
الفاجرة ويقدم الفاجر ويؤخر المنصف ويتخذ الستور للنساء والاماء وتقصير الصلوة
ومنع الزكوة مغرما والامانة مغنما وتولي المناصب غير اهلها اخرج الترمذي من
حديث حسن عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا
هل تنتظرون الا فقرا منسيا او غنى مطغيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا
او موتا مجهزا او الدجال فشر غائب ينتظر او الساعة فالساعة ادهى وامر والنبي صلى الله
عليه وسلم من اشراطها قال صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين وجمع السبابة
مع الوسطى وقال صلى الله عليه وسلم للمشركين لقد جئتكم بالذبح وبعثت بالحصاد ولم
ابعث بالزراعة وقال تعالى في قوله تعالى وان الساعة لاتية سيفتح الله كثيرها [illegible]
ومن اشراطها انشقاق القمر لنبيه صلى الله عليه وسلم قال تعالى اقتربت الساعة وانشق
القمر اخرج البغوي في المصابيح عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان من اشراط الساعة ان يرفع العلم ويكثر الزنا ويكثر شرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء
حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد اي القائم بمصالحهن لا ان يكون زوجا لهن بل بعضهن
زوجاته والباقي امهاته واخواته وجواريه ومحارمه وخدمه وفي رواية يقل العلم ويفشو
الزنا ان يطلق الرجل زوجته ويقيم معها بالحرام ولا يفرق بينهما فانه الفضيحة فكيف هو
بالفضيحة في الآخرة يوم تقوم الاشهاد بين يدي القاضي يوم المعاد فمن كان يطلق
زوجته ثلاثا ويراجعها ممن لا يؤمن بالله واليوم الآخر وكل مكان ظهر فيه الزنا ابتلي
اهله بالطاعون عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال انما يهرق الدماء اذا اضيع حكم
الله فينتقم الله لبعضهم من بعض وانما يقل المطر وانما يمنع الزكوة وانما ينزل الطاعون
بالقوم اذا فشا فيهم الزنا فتستروا عباد الله ولا تغتروا بعبادتكم وحسبكم فانت الدنيا زائلة
وايامكم معدودة والمسافة بعيدة والسفر طويل والحمل ثقيل والمنادي اسرافيل
والناظر والحاكم رب العالمين فارحموا انفسكم فقد حذركم الله نفسه انه عزيز ذو انتقام
اخرج البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال السموات السبع والارضون السبع
ليلعن الزاني وان فروج الزناة لتؤذي اهل النار بريحها اخزى الحسنة زنا الشيخ اقبح
من زنا الشاب وزنا الحر اقبح من زنا الرقيق وزنا العالم اقبح من زنا الجاهل وزنا الشاب اقبح
من زنا البكر ومن الزنا ان يطأ الرجل امة مشتركة بينه وبين شريكه او يشتريها
ويلحق كل منهما ان الله يهلك الدين في الحديث قال صلى الله عليه وسلم اربعة يبغضهم
الله الشيخ الزاني والفقير المختال والامام الجائر والسلطان والتاجر الحلاف
اشد من الزنا اواتي اللواط اللواط بمملوكه فمن ظن انه حل له بملك اليمين فقد كفر

بسم الله الرحمن الرحيم

/[١١١و] فصل[١] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[٢] عن عمر وعلي رضي الله عنهما: هي فاتحة الكتاب[٣] سُمِّيت بذلك لأنها تُثَنَّي في الصلاة[٤]؛ أيْ تُكَرَّرُ، وتَكْرَارُهَا في كل ركعة واحدة يُكْرَهُ كَتَكْرَارِ سورة من السور إلا فيما ورد التَّكْرَارُ فيه من النوافل.

ويقال: سُمِّيَتْ به لأنها نصفان اثنان: نصفها لنا ونصفها دعاء.

ويقال: سُمِّيت به لأنها نزلت مرتين: مرة بمكة ومرة بالمدينة، كل مرة نزل معها سبعون ألف ملك، ويقال: سُمِّيت به؛ لأنها اسْتُثْنِيَتْ من الكتب السالفة، وَادُّخِرَتْ لهذه الأمة[٥]؛ فهي من خصوصيات هذه الأمة. ويقال: سُمِّيت به لِتَكْرَارِ إياك في ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وَلِتَكْرَارِ لفظ الصراط في ﴿إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾، ويقال: سُمِّيت به لأن أولها ثناء، ويقال: سُمِّيت به لتكرار الرحمن الرحيم[٦].

وهذا يوافق مذهب الإمام الشافعي في جعله البسملة من الفاتحة، وأما مذهبنا: فإن البسملة آية من القرآن أُنْزِلَتْ للفصل بين السور، وليست من الفاتحة، ولا من كل السور.

فعنده إذا قَرَأَ الْمُصَلِّي الفاتحة دون البسملة تَبْطُلُ صلاته، وعندنا لا تبطل لأنها سنة مؤكدة؛ بل لو ترك الفاتحة عندنا لا تبطل صلاته؛ لأن قراءة الفاتحة واجبة،

---

(١) ورد في هامش هذا الموضع: الكُراس الثاني عشر من عذب الملافظ في المواعظ.

(٢) الآية رقم ٨٧ من سورة الحجر. وسيبدأ المؤلف في شرحها حتى آخر السورة.

(٣) الأثر عن علي رضي الله عنه أخرجه الطبري في التفسير (سورة الحجر ٨٧).

(٤) الأثر عن أبي العالية وقتادة أخرجه الطبري (سورة الحجر ٨٧).

(٥) الأثر عن ابن عباس ذكره الطبري (سورة الحجر ٨٧).

(٦) القول غير منسوب ذكره الطبري في التفسير (الحجر: ٨٧).

والواجب عندنا لا تَبْطُلُ بتركه الصلاة ؛ ولكن يَحْرُمُ ، وعليه أن يعيد الصلاة ما دام الوقت باقيًا ؛ فإن خرج تاب إلى الله ، وإن لم يتب عُوْقِبَ بالنار[١] .

ويقال : سُميت به لأنها تُثْنِي صاحبها عن الشر ، ألا تري كثيراً من الناس يطلب الفاتحة عند المشاجرة فترتفع عنهم . ويقال : كل القرآن مثاني[٢] ؛ فالمعني حينئذ : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ أي : وهي القرآن العظيم .

يُقَالُ : إن يهوديًا كان يحب يهودية حبًا شديداً حتى ترك الأكل والشرب ، فشكا حاله لأحد المشايخ الكبار ؛ فكتب له البسملة في ورقة وأمره ببَلْعِهَا ؛ ففعل فحصل له السَلْوُّ ؛ فأخبر الشيخ قائلاً : طلع في قلبي نور به نسيت المرأة ، وَمِلْتُ إلى الإسلام ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فبلغ المرأة إسلام الرجل ؛ فجاءت إلى الشيخ وأخبرته بأنها هي المرأة المعشوقة ، وقالت : رأيت في نومي قائلاً يقول : يا هذه ؛ إن أَرَدْتِ الجنة ؛ فاذهبي إلى الشيخ [وقولي له] ، وها أنا قد جِئْتُكَ يا سيدي ، فقال لها : قولي بسم الله الرحمن الرحيم ، فلما أَجْرَتْها علي لسانها قالت : يا سيدي قد تَنَوَّرَ قلبي حتى رَأَيْتُ الملك الأعلى عرض عَلَيَّ الإسلام ؛ فَأَسْلَمْتُ . فلما نامت تلك الليلة رأت الجنة وقصورها ، ومكتوب علي تلك القصور البسملة ، فنوديت : يا قارئة بسم الله الرحمن الرحيم أعطاك الله ما رَأَيْتِيه ؛ فانتبهت فقالت : يا رب ؛ أدخلتني الجنة ، ثم أخرجتني منها ، أسالك بحق بسم الله الرحمن الرحيم أن تُدخلني إليها ، فسقطت ميتة[٣]

---

(١) التسمية عند الحنفية والحنابلة سُنَّة ؛ أما الشافعية فيقولون إنها فرض ، والمالكية يقولون : إنها مكروهة . انظر : الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري (كتاب الصلاة ، باب التسمية في الصلاة)١/٢٠٠ .
وقراءة الفاتحة في جميع ركعات الصلاة فرض عند ثلاثة من الأئمة ، وخالف الحنفية ذلك في الصلاة الجهرية ؛ فقالوا : إن قراءة الفاتحة في الصلاة ليست فرضًا ، وإنما هي واجب . والمفروض عندهم مطلق القراءة ؛ لا قراءة الفاتحة بخصوصها . أنظر : الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري (كتاب الصلاة ، الفرض الرابع من فرائض الصلاة قراءة الفاتحة) ١/١٧٩ - ١٨٠ .

(٢) الأثر عن مجاهد وابن طاووس عن أبيه ذكره الطبري في التفسير (سورة الحجر ٨٧) .

(٣)انظر الحكاية في : نزهة المجالس للصفوري (فضل بسم الله الرحمن الرحيم) ١/٢٩ .

ونحن نقول : اللهم إنا نسألك بحق بسم الله الرحمن الرحيم وبحرمة مَنْ أُنزِلَتْ عليه أن تُدخلنا بأجمعنا الجنة .

/ [111ظ] ويقال : إن عمر بن عبد العزيز أَرْسَلَ من مصر إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول له : إن برأسي صداعًا لا يَسْكُن ، فَأَرْسِلْ لي شيئًا يُسْكِنُهُ ، فأرسل له قُلُنْسُوَةً ، كان إذا وضعها على رأسه سكن صداعه ، وإن رفعها عاد ؛ فعجب لذلك إلى أن بَدَا منها طرف بطاقة ؛ فأخرجها فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم[١] .

وفي الحديث القدسي [الذي] [٢] نزل به جبريل علي نبينا عليهما الصلاة والسلام : يقول الله تعالي : يا محمد ؛ أَكْرَمْتُ أمتك بسورة ليست في الكتب ، من قرأها حَرَّمْتُ جسده علي النار[٣] ؛ والمراد بها الفاتحة . وعن النبي ﷺ : « إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتمًا مقضيًا ؛ فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتب : الحمد لله رب العالمين ؛ فَيُرْفَعُ العذاب عنهم بسببه أربعين سنة »[٤] .

يقال : ليس في الفاتحة حرف الثاء ؛ فَيُسْمِعُهُ الله لقارئها بأنه لا يُنَادَاَ بالويل والثُّبُورِ ؛ وهو الهلاك ، ولا حرف الجيم إشارة إلى أنه نجا من جهنم ، ولا حرف الزاي إشارة إلي أنه يُعَاذُ من زفير جهنم ، ولا حرف الشين إشارة إلى أنه وُقِيَ من الشهيق في جهنم ، ولا حرف الظاء إشارة إلى أنه يُعَافَي من ذات لَظَى ، ولا حرف الفاء إشارة إلى أنه لا يُفَرَّقُ بينه وبين أهل الجنة ، ولا حرف الخاء إشارة إلى أنه لا يحصل الخزي

---

(١)الحكاية ذكرها السفيري في شرح البخاري ؛ وفيه أن قيصر الروم هو الذي أرسل إلى عمر بن الخطاب يشكو صداعًا برأسه . وهذا هو الصواب ، لأن عمر بن عبدالعزيز لم يعش في زمن عمر بن الخطاب ، حيث إن عمر بن الخطاب مات سنة ٢٣هـ وعمر بن عبدالعزيز ولد سنة ٦١هـ (كتاب بَدْءِ الوحي ، باب كيف كان بَدْءُ الوحي إلى رسول الله ﷺ) ١/٦٧ .

(٢) إضافة اقتضاها السياق .

(٣) الحديث دون سند ذكره الصفوري في نزهة المجالس (فضل بسم الله الرحمن الرحيم) ١/٣٧ .

(٤) هذا حديث موضوع ذَكَرهُ العجلوني في كشف الخفاء ١/١٩٨ - ١٩٩ .

لصاحبها في الدنيا والآخرة ؛ وإنما ستر الله عليه ببركتها[١] .

وهي سَبْعُ آيات وأعضاء السجود سبعًا ؛ فكل آية تدفع العذاب عن عضو ؛ وإنها عدد كلمات : لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ فكل كلمة من كلمتي الشهادة تُغْلِقُ بابًا من أبواب جهنم عن قائلها . قيل : جاء اللعين أبا جهل سبع قوافل ، فَوَدَّ النبي ﷺ أن تكون لأصحابه رضي الله عنهم ، فأوحى الله إليه ﷺ : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا من المثاني﴾[٢] في مكان القوافل السبع .

عن أنس ﷺ قال : قال ﷺ : «يا بُني ؛ أكثر من الدعاء ؛ فإنه يَرُدُّ القضاء الْمُبْرَمَ ؛ أي بلفظه ؛ يا بُني ؛ أَكْثِرْ من قول لا إله إلا الله ؛ فإنها أثقل - أي في الميزان- من سبع سموات ، وَسَبْعِ أَرَضِين وما فيهن ، يا بُنَيَّ ، لا تَغْفَلْ عن قراءة القرآن إذا أصبحت وإذا أمسيت ؛ فإن القرآن يحيي القلب الميت وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغى ، وبالقرآن تُسَيَّرُ الجبال ، يا بنى ؛ أَكْثِرْ من ذكر الموت ؛ فإنك إذا أكثرت من ذكر الموت زهدت فى الدنيا ورغبت في الآخرة ، وإن الآخرة هى دار القرار ، والدنيا غَرَّارَةٌ لأهلها والمغرور من يغتر بها»[٣] .

ومر الحديث عن أبان بن أبى عياش ﷺ أنه قال : من قال لا إله إلا الله مائتى مرة بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر[٤] .

---

(١) القول غير منسوب ذكره النيسابوري في تفسيره للقرآن المسمى : غرائب القرآن ورغائب الفرقان (سورة الفاتحة) ٨٤/١ ، والصفوري في نزهة المجالس (فضل بسم الله الرحمن الرحيم) ٣٨/١ .

(٢) جزء من الآية رقم ٨٧ من سورة الحجر ، والحكاية ذكرها إسماعيل حقي في روح البيان (الفاتحة) ، والصفوري في نزهة المجالس (الموضع السابق) ٣٨/١ .

(٣) الحديث عن أنس أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترغيب في قراءة القرآن وثواب قاريء القرآن) ١٦٩/٣ .

(٤) الأثرعن أبان بن أبي عياش أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترغيب في قول لا إله إلا الله) ٢٧٢/٣ .

وعن مجاهد : ما شيء أكسر لظهر إبليس من لا إله إلا الله[١]

وعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال : قال ﷺ : من قال لا إله إلا الله ، قال الله تعالى : يا ملائكتي ؛ اكتبوا لعبدي رحمتي كثيراً[٢] .

وعن عُبَادَةَ بن الصامت ﷺ قال : كنا عند النبى ﷺ فقال : هل فيكم غريب؟ - يعنى أهل الكتاب- ، فقلنا : لا يا رسول الله ، فأمر بغلق الباب ، ثم قال : ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله ؛ فرفعنا أيدينا [١١٢و] ساعة فقلناها ، ثم وضع ﷺ يده . ثم قال : الحمد لله ، اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمة ، وأمرتني بها ، ووعدتني عليها الجنة ، وإنك لا تُخلف الميعاد ، ثم قال : أبشروا ، فإن الله قد غفر لكم[٣] .

وقوله تعالى : ﴿لا تمدن عينيك﴾ يا محمد ﴿إلى ما متعنا به أزواجًا منهم﴾[٤] أى أصنافاً منهم من الكفار ، متمنيًا ذلك .

سبب نزولها أنه وافي بنى قريظة ، وبنى النضير من اليهود فى يوم واحد سبع قوافل من بُصْرَى[٥] وأَذْرِعَات[٦] ، فيها البُرُّ ، والطِيْبُ ، والجَوْهَرِ ، وأمتعة البحر ، فقال

(١) الأثر عن مجاهد أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترغيب في قوله لا إله آلا الله) ٢٧٢/٣ .

(٢) الحديث عن أبي سعيد الخدري أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترغيب في قول لا إله إلا الله) ٢٧٢/٣ .

(٣) الحديث عن أبي شداد بن أوس وعبادة بن الصامت حاضراً يُصَدِّقه -أخرجه أحمد في المسند ٣٤٨/٢٨ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الدعاء والتكبير) قال الذهبي : راشد ضَعَّفَه الدار قطني وغيره ووثَّقه دحيم ٤٠٧/٢ ، والطبراني في الكبير ٢٨٩/٧ - ٢٨٠ .

(٤) تتمة شرح آيات سورة الحجر .

(٥) بُصْرَى : في موضعين ، بالضم والقصر . إحداهما بالشام من أعمال دمشق ، وبُصْرَى أيضًا من قُرَى بغداد . انظر : معجم البلدان لياقوت ٤٥٤/١ - ٤٥٥ .

(٦) أذرعات : بالفتح ، ثم السكون ، وكسر الراء ، وعين مهملة ، وألف وتاء . كأنه جمع أذْرِعَة جمع ذراع ، جمع قلة ، بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمَّان . انظر معجم البلدان : ١٣٠/١ .

المسلمون : لو كانت هذه القوافل لنا لَتَقَوَّيْنَا بها ، ولأنفقناها في سبيل الله ؛ فَنَزَلَتْ بخطاب رسول الله ﷺ ، والمراد أصحابه ، وهي أيضًا سبب لنزول ، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي﴾[١] كأن الله يقول لنبيه : هذه خير لأصحابك من هذه القوافل[٢] .

فإنَّ ما مُتِعُوا به محتقر بالنسبة لما أُوتِيْتَهُ مع أصحابك ، والذي مُتعوا به إنما متعناهم به على جهة الا ستدراج ؛ فإنهم صائرون إلى العذاب ؛ فقد قال ﷺ : لا تَغْبِطَنَّ فاجراً بنعمته ، فإنك لا تدرى ما هو لاقٍ بعد موته ، إن له عند الله قاتلاً لا يموت[٣] . قيل : القاتل الذي لا يموت : المَلَكُ والنارُ ؛ فلا يُغْبطُ المُرَابُونَ والظَلَمَةِ بما بين أيديهم ؛ فإنه محوق ، وتَمَنِي مثله من الحرام لا يجوز . ومن المُجَرَّبَاتِ أنه إن بقى ولا بد ألا يزيد على أربعين سنة ، كما أفاد شيخ الإسلام[٤] فى دروسه العامة .

قيل : هذه الآية ليست قاضية بالزجر عن التَشَوُّفِ إلى متاع الدنيا على الدوام ، مع أن النبى ﷺ قال :حُببَ إلى من دنياكم ثلاث : الطِيْبُ والنساء ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة[٥] . فَعُلِمَ أن الآية ليست قاضية بالزجر عن ذلك على الدوام ، وَأَمَّا الطيب فإنَّ شَمَّهُ يُزِيْدُ فى العقل ، وبقدر العقل يقوم الدين .

---

(١) جزء من الآية رقم٨٧ من سورة الحجر .

(٢) انظر الحكاية في : تفسير القرطبي (الحجر : ٨٧) .

(٣) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الطبراني في الأوسط ٤٧/٥ .

(٤) هو محمد بن علي بن محمد الحصني ، المعروف بعلاء الدين الحصكفي ، الحنفي ، مفتي الشام ، شيخ المؤلف ، كما ذكر هو نفسه في ثنايا الكتاب . تُوفِيَ سنة ١٠٨٨هـ . له : الدر المختار في شرح تنوير الأبصار جامع البحار ، للشيخ محمد بن عبد الله بن أحمد بن تمرتاش الغزي الحنفي ، المتوفي سنة ١٠٠٤هـ . انظر : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون للبغدادي ٤٤٧/٣ .

(٥) الحديث عن أنس أخرجه أحمد في المسند ٣٠٧/١٩ ، والنسائي (كتاب عشرة النساء ، باب حب النساء) ص ٦٠٨ – ٦٠٩ ، والحاكم في المستدرك (كتاب النكاح) قال الذهبي : على شرط مسلم ١٠٠٨/٣ .

عن الشافعي رضي الله عنه : من طاب رِيحُهُ ، زاد عقله ، وَمَنْ نَظُفَ ثَوْبَهُ قَلَّ هَمُّهُ(١) .

وَشَمُّ الطيب نافع للدماغ والقلب ، وَيَزِيدُ في القوة ، وكان إمامنا الإمام الأعظم(٢) . من كثرة محبته في الطيب إذا كان مقبلا يُشَمُّ ريحه من مسافة رَمْيَة سهم ، وكان من شم طِيْبًا في الزُّقَاقِ يقول : الإمام الأعظم مُقْبِلٌ .

ونُقِلَ من كتب الشافعية أنه إذا عُرِضَ عليه طِيْبٌ أو رَيْحَانٌ يُكْرَهُ رَدُّهُ .

أي ما لم يكن من مُحَمِّرِي الوجوه الذين اتخذوه حِرْفَةً ؛ لأجل جمع الدراهم .

وأما محبة النساء ؛ فلأنهن سبب للعفة ، وَقَمْعِ الشهوة ، وبهن يَكْثُرُ العباد بإنتاج الأولاد .

وَمِنْ قَمْعِ الشهوة تحصل العبادة ، وقد أباح [الله] (٣) لنا من النساء أربعة ، وَاخْتُلِفَ هل أُبِيْحَ لنبينا ﷺ زيادة على التِسْعِ؟ منعه بعضهم ، وأجازه آخرون ، وقالوا : إنه جمع بين أحد عشر امرأة ومات عن تسع ، حتى إنه ﷺ إذا وقع بصره على امرأة وَرَغِبَ في نكاحها ؛ وَجَبَ على الزوج أن يطلقها لينكحها النبي ﷺ ، وذلك من خصائصه(٤) .

وقوله ﷺ : وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة ، قيل : المراد ذات الركوع والسجود ، وقيل الصلاة عليه من أمته ، وقيل الصلاة على أمته منه ، بدلالة/ [١١٢ظ] قوله

---

(١) الأثر عن الشافعي ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (ترجمة الشافعي) ٢/١٤٥ .

(٢) هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، الكوفي . صاحب المذهب . أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، رأى أنس بن مالك بالكوفة لَـمَّا قَدِمَهَا أنس . وُلِدَ سنة ثمانين من الهجرة ، وتوفي سنة خمسين ومئة . انظر عنه : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٥/٤٤٤ - ٥٨٦ .

(٣) إضافة اقتضاها السياق .

(٤) هذا كلام ينبو عن الصواب . ومرده ما ورد في سورة الأحزاب الآية ٥٠ .."و امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين" .

تعالى : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾[١] المعنى : ادع لأمتك ، إن دعاءك رحمة لهم . لما سمع أبو بكر -رضي الله عنه- قوله ﷺ : «حُبِبَ إليَّ من دنياكم ثلاث» ، قال : وأنا يا رسول الله ؛ حُبِبَ إليَّ من الدنيا ثلاث : الجلوس بين يديك ، وإنفاق مالي عليك ، والصلاة والسلام عليك[٢] .

قوله تعالى : ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾[٣] : بمعنى تَوَاضَعْ . (للمؤمنين) لأن الله يحب المتواضعين ، ويبغض المتكبرين ؛ فمن تَوَاضُعه ﷺ أنه كان يجيب من دعاه ولو إلى خُبْزِ الشعير[٤] ، وكان يحلب الشاة بنفسه ، ويَعْقِلُ البعير ، وكان يَرْدُفُ خَلْفَهُ ، ويركب الحَمِيْر ، وكان يحمل حاجة بيته من السوق ، ويَرْقعُ ثوبه ، ويَخصِفُ نعله ، ويَكْنُسُ بيته ، ويخدم أهله[٥] ، ويقوم بخدمة القادم ، ويأكل مع الخادم ، ويتوكأ على العصى ، ويَضْطَجع على الرمل والحصى ، وكان يَتْبَعُ الجنائز ، وأكثر ما يعمل فى بيته الخياطة[٦] .

---

(١) جزء من الآية رقم ١٠٣من سورة التوبة .

(٢) الأثر عن أبي بكر أخرجه القسطلاني في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (النوع الثالث في سيرته ﷺ في نكاحه) ٢/٢٢٢ .

(٣) تتمة تفسير آيات من سورة الحجر .

(٤) الحديث بلفظ : إن كان الرجل من أهل العوالي ليدعو رسول الله ﷺ بنصف الليل على خبز الشعير ، فيجيب . عن ابن عباس أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ويشهد له ما جاء عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : لو دُعيت إلى كراع لأجبت ، ولو أُهدي إلي كراع لقبلت ، أخرجه البخاري (كتاب النكاح ، باب من أجاب إلى كراع) ٥/ ١٩٨٥ .
الكراع : من الإنسان ما دون الركبة إلى الكعب . ومن الدواب : ما دون الكعب . لسان العرب (مادة : كرع) .

(٥) روى الإمام أحمد بسنده قال : سأل رجل عائشة (أم المؤمنين) هل كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته شيئًا؟ قالت : نعم ، كان رسول الله ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَه ، ويَخِيْطُ ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته . أخرجه أحمد في المسند ٤٢/٢٠٩ ، وعبد الرزاق في المصنَّف (باب عمل النبي ﷺ) ١١/٢٦٠ ، وعبد بن حميد في مسنده ص ٤٣١ .

(٦) القول عن أبي سعيد الخُدري في الرسالة القشيرية (باب الخشوع والتواضع) ص ٨٣ .

وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول : قال ﷺ : ما على الأرض من رجل يموت وفى قلبه من الكبر مثقال حبة إلا جعله الله فى النار . فلما سمع ذلك عبد الله بن قيس الأنصاري بكى ؛ فقال له النبي ﷺ : «مَايُبْكيكَ ياعبد الله ؟ فأخبره بما قال ؛ فقال له : أَبْشِرْ فإنك فى الجنة ؛ فَبَعَثَ رسول الله ﷺ بَعْثًا وهو فيهم ؛ فَقُتِلَ شهيداً»(١) .

وَيُحْكَى أن عبد الله بن سلام(٢) رضي الله عنه [كان] (٣) يسير وعلى رأسه حزمة حطب فقيل له : ما يَحْمِلُكَ على هذا وقد أغناك الله عنه ؟ قال : أردتُ أن أدفع الكِبْرَ ؛ فإني سمعت البنى ﷺ يقول : لا يدخل الجنة عبد فى قلبه مثقال ذرة من كبر(٤) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال ﷺ : ثلاث هن أصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن ، وثلاث إذا ذُكِرْنَ فأمسكوا : إياكم والكبر ، فإن إبليس إنما منعه الكبر أن يسجد لآدم ، وإياكم والحرص ؛ فإن آدم إنما حَمَلَهُ الحرص على أن يأكل من الشجرة ، وإياكم والحسد ؛ فإن ابني آدم إنما قَتَلَ أحدهما صاحبه حسداً ، فهن أصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن . والثلاث الأخرى : إذا ذُكِرَ القدر فأمسكوا ، وإذا ذُكِرَ النجوم فأمسكوا ، وإذا ذُكِرَ أصحابى فأمسكوا(٥) .

---

(١) جزء من حديث طويل عن ابن عباس أخرجه عبد بن حُمَيد في المسند (مسند ابن عباس) ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٢) عبد الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف من ذرية يوسف النبي عليه السلام ، من الخزرج الإسرائيلي ثم الأنصاري ، كان اسمه الحُصَين ؛ فسماه النبي ﷺ عبد الله . أسلم أول ما قَدِمَ النبي ﷺ المدينة ، وقيل تأخر إسلامه على سنة ثمان وهذا مرسل ، مات بالمدينة ٤٣هـ . انظر عنه : الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ٣١٢/٢ - ٣١٣ .

(٣) إضافة اقتضاها السياق .

(٤) الحديث عن عبد الله بن مسعود أخرجه مسلم (كتاب الإيمان ، باب تحريم الكِبْر وبيانه) ٩٢/٢ ، والترمذي (كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الكِبْر) قال أبو عيسى : هذا حديث حَسَنٌ صحيح ٣١٧/٤ ، وأبو داود (كتاب اللباس ، باب ما جاء في الكبر) ٢٢٧/٤ .

(٥) الحديث بلفظه عن ابن مسعود أخرجه السيوطي في الجامع الصحيح ، وقال : ذكره ابن عساكر في التاريخ ٥١٢/٢٠ ، الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترهيب من الكِبْرِ) ٢٠٧/٣ ، إسماعيل حقي في روح البيان (آل عمران ٧٧) : ٥٠/٢ .

ويقال : إن الله يبغض ثلاثة ويحب ثلاثة : فيبغض الفاسق ، وبُغْضُهُ للشيخ الفاسق أشد ، ويبغض البخيل ، وبغضة للغني البخيل أشد ، وَيَبْغَضُ المتكبرين ، وبغضه للفقير المتكبر أشد ، ويحب المتقي ، وحبه للشاب التقي أشد ، ويحب السخي وحبه للفقير السخي أشد ، ويحب المتواضع وحبه المغنى المتواضع أشد[١]

ويقال إنَّ مُطْرَفْ[٢] مر على المُهَلَّب[٣] ، وهو يتبختر في مشيته ، وقال له : هذه مشية يبغضها الله تعالى . فقال له : أو ما تعرفني؟ فقال : نعم أعرفك حق المعرفة ، أَوَّلُكَ نطفة مذرة[٤] وآخرك جيفة قذرة وأنت فيما بين ذلك تحمل العَذَرَة . فترك المهلب تلك المشية .

وجاء : من لبس الصوف وَانْتَعَلَ المَخْصُوفَ ، وركب الحمار ، وحلب الشاة بنفسه ، وأكل مع عياله ، وجالس المساكين ؛ فقد محا الله عنه الكبر[٥] .

قال بعض الحكماء : افتخار المؤمن بربه ، وعزه بدينه ، وافتخار المنافق بحسبه ، وعزه بماله .

وفي الحديث : إذا رأيتم المتواضعين فتواضعوا لهم ، وإذا رأيتم [١١٣و]

---

(١) القول ذكره السمرقندي في التنبيه دون سند (باب الكبر) ١٤٨ .

(٢) هو مُطْرَف بن عبد الله بن الشخير الحرش ، العامري ، أبو عبد الله . زاهد من كبار التابعين ، ثقة فيما رواه من الحديث . وُلِدَ في حياة النبي ، ثم كانت إقامته ووفاته في البصرة . مات سنة ٨٧هـ . انظر عنه : حلية الأولياء لأبي نعيم ١٩٨/٢ - ٢١٢ ، والقول ذكره الغزالي في الإحياء (باب ذم الاختيال وإظهار آثار الكبر في المشي وجر الثوب) ٢٩٣/٣ .

(٣) هو المُهَلَّبُ بن أبي صُفْرَةَ أبو سعيد ، قال فيه عبد الله بن الزبير : هذا سيد أهل العراق . وَلِيَ إمارة البصرة ، ثم ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان . مات سنة ٨٣هـ وقيل سنة ٨٢ . انظر عنه . وفيات الأعيان لابن خلكان ١٤٥/٢ .

(٤) مَذرة : قذرة . لسان العرب (مادة : مذر) .

(٥) الحديث عن جابر أخرجه البيهقي في شعب الإيمان - مع اختلاف في اللفظ - (باب في الملابس والأواني ، فصل في التواضع في اللباس) ١٥٣/٥ ، والمخصوف : خَصَفَ الشيء : وصله وألزقه . لسان العرب (مادة : خصف) .

المتكبرين ؛ فتكبروا عليهم ؛ فإن ذلك لهم صغار وذلة[١] .

وَذُكِرَ أن عمر بن عبد العزيز قد أتاه ضيف ذات ليلة ؛ فلما صلى العشاء وكان يكتب كاد المصباح أن ينطفيء ، فقال الضيف : أقوم يا أمير المؤمنين لأُصْلِحَ المصباح ؛ فقال : ليس من مروءة الإنسان أن يستعمل ضيفه . قال : أُنبه الغلام؟ قال : لا تنبهه فإنه في أول نومة نامها ؛ فقام عمر بنفسه وأخذ يَصُبُّ الزيت ؛ فملأ المصباح ؛ فقال الضيف : بنفسك يا أمير المؤمنين؟ قال : ذهبت وأنا عمر ، ورجعت وأنا عمر ، ولم أنقص شيئًا . وخير الناس من كان متواضعًا[٢] .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا ركب الناقة ، والغلام أَخذٌ بِنَاصيَتهَا بعد أن يسير فرسخًا ، ينزل ويَرْكِبَ الغلام ، وهلم جرا ، كانا يَتَنَاوَبَانِ حتى إنه مَرَّ بماء مُخَاضَةٍ[٣] ولم يُنْزِلِ الغلام . وكان سائرًا إلى الشام ، فقال له أبو عبيدة بن الجراح - أمير الشام - لما خرج إلى ملاقاته : يا أمير المؤمنين ؛ إن عظماء الشام يخرجون إليك ؛ فلا ينبغي أن يَرَوْكَ على هذه الحالة ؛ فقال عمر رضي الله عنه : إنا قوم أعزنا الله تعالى بالإسلام ؛ فلا نبالي من كلام الناس[٤] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : من فَارَقَتْ روحه جسده وهو بريء من ثلاث دخل الجنه : من الكبر والخيانه والدّين[٥] .

---

(١) الحديث دون سند أخرجه الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة . وقال عنه : غريب (كتاب الأدب والزهد والطب وعيادة المريض)٢٥٣ .

(٢) الأثر عن عمر بن عبد العزيز ذكره الغزالي في الإحياء (باب أخلاق المتواضعين . . .) ٣٠٦/٣ .

(٣) الخَوض : المشي في الماء ، والموضع : مخاضة وهي ما حاز الناس فيها مُشَاةً وركبانًا . لسان العرب (مادة : خوض) .

(٤) الأثر عن عمر بن الخطاب ذكره الغزالي في الإحياء (الموضع السابق) ٣٠٨/٣ .

(٥) الحديث بلفظ : الغلول بدلاً من الخيانة . عن ثوبان أخرجه أحمد في المسند ١٠٩/٣٧ ، والترمذي (كتاب السير ، باب ما جاء في الغَلول) وسكت عنه أبو عيسى ، ١١٧/٤ - ١١٨ ، والدارمي (كتاب البيوع ، باب ما جاء في التشديد في الدين) ص ٨٤٧ - ٨٤٨ .

قوله تعالى : (وَقُلْ) : لهم يا محمد . ﴿إنِّي أنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾[١] أُنذِرُكُم أن عذاب الله واقع بمن كفر بالله تعالى : وأُحَذِرْكُمْ منه ، فاحذروه بالإيمان بالله ، وبما جئت به من عند الله ، وأنا المبين الذي أُبيِّنُ الأشياء على جَلِيَّتِهَا علي مراد الله تعالى .

قوله تعالى : ﴿كَمَا أنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ أي أنذركم عذابًا ﴿الذِيْنَ جَعَلُوا القُرآنَ عِضِين﴾ قَسَّمُوا ما أُنْزِلَ عليهم ، فَآمنوا ببعض وكفروا ببعض ، وهم النصارى واليهود .

وَقَسَّمُوا القرآن العظيم المنَزَّل على نبينا ؛ فجعلوا بعضه سحراً ، وبعضه شعراً ، وبعضه كذبًا ، وبعضه أساطير الأولين ؛ أي أكاذيب الأولين وحكاياتهم ؛ وجعلوا المُنَزَّلَ عليه ساحراً ، وشاعراً ، وكاهنًا ، ومجنونًا . تَنَزَّهَ كلام رب العالمين ، وتمجد الحبيب الصادق الأمين عما قالوه ؛ فهم الكاذبون . وفي ذلك قال مقاتل[٢] : وكانوا ستة عشر رجلًا ، بعثهم الوليد بن المغيرة المخزومي أيام الموسم ؛ فجلسوا على طرق مكة المشرفة ، وجلس هو على باب المسجد الحرام ، فكان كل مَنْ مر بأولئك ممن قصد مكة يقولون له : إياك لا تغتر بهذا الذي ظهر- المسمى بمحمد- فإنه يَدَّعِيْ النبوة ، وأَنَّه ساحر ، مجنون ، كاهن ، شاعر ، على حسب ما عَلَّمَهُم رئيسهم : الشيطان الوليد ، فإذا وصَلُّوه إلى مكة وسئل يقول : ما سمعته من أولئك الذين مررت بهم حق وصدق ؛ فأماتهم الله بهلاك قَدَّرَهُ عليهم شرَّ ميْتَة ، فإن نبينا محمد ﷺ نبى صادق واجب علينا تصديقه ، مرسل من عند الله يَنْزِلُ عليه الوحي ، مُبَّرأ مما قالوه .

ثم أقسم الله تعالى بالإخبار عما يُفْعَل بهم يوم القيامة ؛ فقال تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿أجْمَعِينَ﴾: أولهم وآخرهم ، حُرَّهُم وعبدهم ، ذَكَرِهِمْ وأُنْثَاهُم ، عَالِيهِمْ ووضيعهم ﴿عَمَّ كَانُوا يَعْمَلُون﴾ في الدنيا من الفساد ؛ فيقال

(١) تتمة شرح آيات سورة الحجر .

(٢) انظر تفسير مقاتل (الحجر : ٩٠) ، وتفسير الطبري (الحجر :٩٠) .

لهم : لم عملتم وقلتم كذا؟ ، وسؤالهم مع أنه عليم بما قالوه وفعلوه ، توبيخًا لهم ، وإظهارًا لقبيح فعلهم على رءوس الأشهاد يوم التَنَاد ، ونظير الآية قوله تعالى : ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾(١) وقوله تعالى : ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾(٢) والسؤال حتى للكافر على الظاهر ؛ لأن سياق الآيه يقتضية .

[١١٣ظ] وقوله تعالى : ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾(٣) قاضٍ بعدم السؤال ، أُجِيْبَ عنه بأن السؤال الذي للتقريع ثابت ، والمنفي : السؤال للاستعلام ، أو يقال : إن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف كثيرة يُسْأَلُونَ في بعضها ، وَلَا يُسْأَلُونَ في بعضها ، وعلى تلك المواقف تُحْمَلُ الآيات ، بذلك يحصل الجمع . أول من يُسْأَلُ : اللَّوحُ ، ماذا أُخِذَ منه ، ثم إسرافيل ما الذي أخذه من اللَّوْحِ لأهل السماء؟ وما الذى أَخَذَهُ لأهل الأرض؟ ثم جبرائيل :عَمَّ بَلَّغَهُ من الوحي للأنبياء والمرسلين؟ . وكم الذى بلغه لكل منهم؟ ثم ميكائيل : عن أرزاق المخلوقات من إنس وجن ، وطير ، ووحش ، وبهائم؟ وكم رزق كُلٍ؟ وفي أي وقت؟ ثم عزرائيل : عن قبض الأرواح جملتها ، فى أي مكان وفي أي وقت؟ فى سهل أو وَعْرٍ؟ أو بر أو بحر؟ والأنبياء والمرسلين مسئولون عمن بَلَّغَهُم ولمن بَلَّغُوهُ؟ فإذا أنْكَرَت أمةً من الأمم تبليغ نبيها جِيءَ بالأمة المحمدية للشهادة عليهم ، وكلما خَلَصَ مسئول من هؤلاء من السؤال يقول : الحمد لله [الذي] (٤) نجانى من سوء الحساب .

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة أن

(١) الآية رقم ٢٤من سورة الصافات .
(٢) الآيتان٢٥ ، ٢٦من سورة الغاشية .
(٣) الآية رقم ٣٩ من سورة الرحمن .
(٤) إضافة اقتضاها السياق .

يقال له : أَلَمْ نُصِحَّ جسمك وَنَرْوِيَكَ من الماء البارد[١] ومر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال ﷺ : «نعمتان مَغْبُونٌ فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ»[٢] . دخل النبي ﷺ بستانًا لبعض الأنصار فقال لصاحبه : أَطْعِمْنَا بُسرًا[٣] ، فلما أكل مع أصحابه ، رضى الله عنهم دعا بماء بارد فشرب وشربوا ، ثم قال : لَتُسْأَلُنَّ عن هذا يوم القيامة . فأخذ عمر رضي الله عنه العرق فَضَرَبَ به الأرض حتى تَنَاثَرَ منه البُسْر ، فقال : يا رسول الله ، أَئِنَّا لمسئولون عن هذا يوم القيامة؟ فقال : نعم ، إلا بِكَسْرة تَسُدُّ بها جوعتك ، وَخِرْقَة تَلُفُّ بها عورتك ، وحجرة تدخل فيها لتأويك من الحر والبرد[٤] ، وأما غير ذلك فليس لك به علم من حاجة .

يا أخي ؛ قوله تعالى : ﴿إِنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ والفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[٥] يقال : لَمَّا نَزَلَ قوله تعالى : ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَعِيْمِ﴾[٦] ، جاء الصحابة إلى النبي ﷺ فقالوا ما النعيم المسئول عنه؟ قال : التمر والماء البارد[٧] ،

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن ، باب من سورة التكاثر) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ٤١٨/٥ ، والطبراني في الأوسط ٧٤/١ ، والبزار في مسنده ٢٣٩/١٦ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في تعديد نِعَم الله عز وجل وشكرها) ١٤٧/٤ .

(٢) الحديث عن ابن عباس أخرجه البخاري (كتاب الرقاق ، باب ما جاء في الصحة والفراغ) ٢٣٥٧/٥ ، والترمذي (كتاب الزهد ، باب الصحة والفراغ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس) قال أبو عيسى : هذا حديث حَسَنٌ صحيح ٤٧٧/٤ ، وأحمد في المسند ٢٧٧/٥ - ٢٧٨ ،

(٣) البُسْرُ : التمر قبل أن يُرَطِّبَ لغضاضته ، واحدته بُسْرَةٌ . لسان العرب (مادة : بسر) .

(٤) الحديث عن أبي عَسِيْب أخرجه أحمد في المسند -مع اختلاف في اللفظ- ٣٦٧/٣٤ ، البيهقي في شعب الإيمان (باب في تعديد نعم الله عزوجل وشكرها) ١٤٣/٤ - ١٤٤ ، والحديث عن أبي هريرة -حتى لفظ لتُسألن عن هذا النعيم -أخرجه مسلم (كتاب الأشربة ، باب جواز استتباعه غيره إلى دار مَنْ يَثِقُ برضاه بذلك . .) ٢١٥/١٣ .

(٥) جزء من الآية رقم ٣٦ من سورة الإسراء .

(٦) الآية رقم ٨ من سورة التكاثر .

(٧) لفظ الحديث : . . . لما نزلت (ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يومئذ عَنِ النَعِيم) . قال الزبير : يا رسول الله ؛ فأي النعيم نُسْأَلُ عنه ، وإنما هما الأسودان التمر والماء . قال : أَمَا إنه سَيكون ، الحديث عن الزبير أخرجه الترمذي (كتاب تفسير القرآن ، باب من سورة التكاثر) قال أبوعيسى : هذا حديث حَسَنٌ . ٤١٧/٥ ، وأحمد =

ويقال : الأمن والصحة(١) ، ويقال : الخبز والماء والمِلْحُ(٢) . وكانوا يعدون من نعيم الدنيا أن يتغذّى الرجل ويتعشى ، ويقال على خبز البُروالماء البارد ، ويقال : علي خبز الشعير والماء العذب ، ويقال : العافية من بلاء الدنيا . قال النخعي(٣) رحمه الله : من سَمَّى الله تعالى على الطعام حين يأكل ، ويحمده حين يَفْرَغْ ؛ فقد أدى شكره . ومن مراراً : لن تَزُول قَدما عبد يوم القيامة حتى يُسْئَلُ عن أربع : عن عمره فِيمَ أفناه ، وعن جسمه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين أكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به(٤)؟

يقال : دخل عمر رضي الله عنه المسجد ؛ فوجد كعب الأحبار يُحدِّثُ الناس ، فقال له عمر : خَوِّفْنَا ، فقال : والله إن لله ملائكة قياماً من منذ ما خُلِقُوا ما حَنَوا أصلابهم ، وآخرين ساجدين ما رفعوا رءوسهم ، ولا يرفعونها حتى يُنْفَخُ في الصُورِ ، فيقولون يومئذ : سبحانك اللهم وبحمدك ماعبدناك حق عبادتك ، ثم قال : والذي نفس كعب بيده إن جهنم لَتَقْرُبُ يوم القيامة ولها زفير وشهيق ، فإذا قَرُبَتْ وزفرت لم يبق مخلوق إلا جَثَا على ركبتيه حتى الأنبياء والشهداء ، فيقول كلٌّ : يا رب ؛ لا أسألك إلا نفسي ، ثم قال عمر رضي الله عنه :يا كعب ؛ بَشِرنا ، فقال : أبشر فإن لله ثلاث مئة/

= في المُسْنَد ٢٥/٣ ، وابن ماجه (كتاب الزهد ، باب معيشة أصحاب النبي ﷺ ٦٨٥/٤ - ٦٨٦ ، ولم أَقِفْ على الحديث بالألفاظ التي ذَكَرَهَا المؤلف .

(١) القول لابن مسعود ذكره الطبري في التفسير (سورة التكاثر٨) .

(٢) القول لمجاهد ذكره الطبري في التفسير (سورة التكاثر٨) .

(٣) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود ، أبو عمران النخعي ،من أكابر التابعين صلاحًا وصدقًا ، ورواية وحفظًا للحديث . من أهل الكوفة ، فقيه العراق ، وشيخ أبي حنيفة ، كان إمامًا مجتهداً له مذهب ، مات ٩٦هـ . انظر عنه : طبقات ابن سعد١٨٨/٦ - ١٨٨ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٢١٩٨/٤ - ٢٤٠ ، والقول ذكره ابن الجوزي في بستان الواعظين ورياض السامعين (حكاية في الخوف من الله) ١٨٦/١ .

(٤) الحديث عن أبي برزة الأسلمي أخرجه الترمذي (كتاب صفة القيامة ، باب في القيامة) قال أبوعيسى : هذا حديث حسن صحيح ٥٢٩/٤ ، والدارمي (المقدمة ، باب مَنْ كَرِهَ الشهرة والمعرفة) ص ١٥٤ .

[١١٤و] وثلاث عشرة شريعة ، لا يأتي العبد يوم القيامة بواحدة منها مع كلمة الإخلاص إلا أدخله الله الجنة ، والله لو تعلمون كُنْهَ رحمة الله لأبطأتم بالعمل(١) قوله : شريعة ؛ أي طريقة من طرق الخير .

أخي ، كل من مات قامت قيامته ؛ لأنه يرى مكانه في الجنه أو النار ؛ فيتحسر المُقَصِّرونَ ولا ينفع الندم ؛ فطوبي لِمَنْ يُخْتَم له بخير .

عن أبي بكر الواسطي : الدول ثلاث : دولة الحياة بأن يعيش الإنسان في طاعة الله ، ودولة النَّشْرِ حين يخرج من قبره ؛ فَيَأْتِيَهُ البشير يبشره بالجنة ، ودولة عند الموت بأن تخرج روحه مع لا إله إلا الله(٢) ، أخي ، لا سعادة إلا سعادة الآخرة . قال مقاتل بن سليمان : إن الخَلْقَ يوم القيامة يبقون مئة سنة فى العرق مُلْجمين ، ومئة سنة في ظلمة المحشر متحيرين ، ومئة سنة يَمُوجُ بعضهم في بعض بين يَدَيْ ربهم يختصمون(٣) . ويقال : إنَّ يوم القيامة مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون(٤) ، وإنه

(١) الأثر عن شريح بن عبيد الحضرمي ذكره أبو نعيم في الحلية (ترجمة كعب الأحبار) ٣٦٨/٥ . والسمرقندي في التنبيه (باب أهوال القيامة وأفزاعها) ص٤٢ .

(٢) قول أبي بكر الواسطي ذكره السمرقندي في التنبيه (باب أهوال القيامة وأفزاعها) ص ٤٣ .
واسمه : محمد بن موسى ، خرج من العراق وهو شاب ، ودخل خراسان ، صحب الجنيد والثوري ، وكان يُعْرَفُ بابن الفرغاني . كان عالمًا بالأصول ، وعلوم الظاهر . مات بعد سنة ٣٢٠هـ . انظر عنه : طبقات الصوفية للسلمي ٣٠٢ - ٣٠٦ حلية الأولياء لأبي نعيم ٣٤٩/١٠ - ٣٥٠ ، الرسالة القشيرية ص ٣٠ - ٣١ .

(٣) قول مقاتل ذكره السمرقندي في التنبيه (الموضع السابق) ص ٤٤.
وهو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي ، البلخي ، أبو الحسن . صاحب التفسير الكبير . انتقل إلى البصرة ودخل بغداد ؛ فَحَدَّث بها . وكان متروك الحديث . من كتبه : نوادر التفسير ، والرد على القَدَرِيَّة ، متشابه القرآن ، الناسخ والمنسوخ ، والقراءات ، والوجوه والنظائر . توفي بالبصرة سنة ١٥٠هـ . انظرعنه : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٦٠/١٣ .

(٤) لم نجد قولاً يحدد مقدار يوم القيامة على النحو الذي ذَكَرَهُ المُصَنِّفُ ، وما ذَكَره يَخُصُّ عروج الملائكة إلى الله عزوجل في قوله تعالى : ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ سورة المعارج الآية رقم ٤ .

لَيَمْضِي على المخلص كما تمضي لحظة واحدة . فعليك بالصبر على شدائد الدنيا في الطاعة ؛ لتسهل شدائد يوم القيامة[١] بفضل الله وكرمه وبإكرام صاحب الشفاعة محمد ﷺ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال ﷺ : « ليس على أهل لا إله إلا الله وَحْشَةٌ في قبورهم ولا مَنْشَرِهِمْ ، وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رءوسهم ، ويقولون : الحمد لله الذي أذهب عنّا الحَزَنَ»[٢] .

قوله تعالى : ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[٣] بالذى تُؤْمَرُ به ؛ أي بَلِّغْ رسالة الله لجميع خلق الله إلى توحيد الله ، وَعَبَّر بِالصَّدْعِ إشارة منه تعالى إلى أنه ﷺ يفعل معهم ذلك ولو شق عليهم .

وفيه أن الأمر بالمعروف شاق على المأمور . ولْيُعْلَمَ أنه لمّا أسلم الصديق أسلم على يديه جماعة من الصحابة الكرام ، منهم : عثمان بن عفان ، وعامر بن الجراح ، وعثمان بن مظعون ، وطلحة ، والزبير ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص رضي الله عنهم أجمعين .

قال ابن إسحاق : فهؤلاء الذين سَبَقُوا إسلامًا[٤] ، ولم يَذْكُر علي ، وزيد ، وخديجة ، لأن المراد الرجال البالغون ، ثم تتابع الإسلام رجالاً ونساء أفواجًا أفواجًا حتى فَشَا الإسلام بمكة المشرفة ، فحينئذ أُمِرَ ﷺ بأن يُبَلِّغَ ما أمره الله به بعد ثلاث

(١) القول غير منسوب ذكره السمرقندي في التنبيه (الموضع السابق) ص ٤٤ .

(٢) الحديث عن ابن عمر أخرجه الطبراني في الأوسط ٢١٦/١٠ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في الإيمان بالله عز وجل) ١١١/١ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب ما جاء في فضل لا إله إلا الله) ٨٢/١٠ - ٨٣ .

(٣) تتمة شرح آيات سورة الحجر الآية .

(٤) انظر : البداية والنهاية لابن كثير(كتاب : سيرة رسول الله ﷺ فصل أول من أسلم من متقدمي الإسلام والصحابة وغيرهم) ٣١/٣ .

سنوات من مَبْعَثِه ﷺ فصادمهم، وجادلهم، وجالدهم.

قال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ أي لا تُبَال بهم، وإن لم يَرْضَوا عنك، ولا تخف من أحد منهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ وهم خمسة من رؤساء قريش: الوَلِيْدَ بنِ المُغيْرَةَ المخزومي، والعاص بن وائل السَهْمي، والأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزي عُرِفًا بالجَورِ معه، والأسود بن عبد يغوثٌ بن وَهْبٍ بن عبد مناف بن زهرة، والحارث بن قيس بن الطُلاطلَة[١].

نَزَلَ يومًا جبريل عليه السلام على النبي ﷺ والنبي بالمسجد الحرام، وهؤلاء المستهزئون يطوفون بالبيت؛ فمر الوليد بن المغيرة عليهما، فقال جبريل: يا محمد كيف تجد هذا؟ قال: أسوأ الناس. قال جبريل: كُفيْتَهُ يا محمد، وَأَوْمَأَ إلى ساقه، فمر برجل نبَّال[٢] وعليه بُرْدٌ يماني؛ فتعلقت به نَبْلَةٌ فمَنَعَه الكِبْر أن يُطَأْطِيءَ لينزعها، فخدشته[٣] في ساقه فمات منها.

ومرَّ بهما العاص بن وائل السَهمى/[١١٤ظ] فقال جبريل: يا محمد؛ كيف تجد هذا؟ قال: أسوأ الناس، قال: كُفيْتَهُ يا محمد؛ فأشار إلى أسفل رجله؛ فخرج على راحلته ومعه ابنان له ليتنزه؛ فنزل شِعْبًا من الشِعابِ؛ فَوَطِيءَ شَوْكَةً دخلت أسفل رجله؛ فقال: لُذِعْتُ لُذِعْتُ[٤]؛ ففتشوا أسفل رجله؛ فلم يجدوا شيئًا، فانتفخت رجله حتى صارت مثل عُنُقِ البعير؛ فمات مكانه.

ومرَّ بهما الأسود بن المُطَّلب؛ فقال جبريل: كيف تجد هذا يا محمد؛ قال:

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير(الحجر: ٩٤ – ٩٥).

(٢) النبَّال: الذي يعمل النَّبل، والنَّبل: السهام. لسان العرب (مادة: نبل).

(٣) الخدش: مزق الجلد كثر أو قل. لسان العرب (مادة: خدش).

(٤) اللَّذعُ: التذع فلان احترق وجعًا حُرقةً كحرقة النار، وقيل هو مس النار وحدتها، والتذاع القرحة احتراقها وجعًا، ولَذَعَ الحُبُّ قلبه؛ أي آلَمَهُ، والجمع اللَّذعات، لسان العرب (مادة: لَذَعَ). وانظر معجم لغة الشريعة (مادة لذع).

عبد سوء ؛ فقال : كُفِيْتَهُ يا محمد ، وكان ﷺ دعا عليه ؛ فقال : اللهمَّ أَعْمِ بصره ، وأَمِتْ ولده . قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما : أشار جبريل بورقة خضراء إلى عينه ؛ فَوَجِعَتْ وَعَمِيَتْ ، وجعل يضرب رأسه على الجدار حتى هلك .

ويُرْوَى أنَّ جبريل عليه السلام وهو جالس تحت ظل شجرة ، ومعه غلامٌ له ؛ فجعل يَنْطَحُ رأسه بالشجرة ، ويضرب وجهه بالشَّوْك بعد أن أشار جبريل إلى رأسه وعينه ؛ فاستغاث بغلامه ؛ فقال له غلامه : لا أجدُ أحدًا يصنع بك شيئًا غير نفسك ، وجعل يقول : أَقِمْ هذا الرجل عني ، ويقول : قتلني ربُّ محمد .

ومرَّ بهما الأسود بن عبد يغوث ، فقال جبريل : يا محمد كيف تجد هذا؟ قال : عبد سوء إلا أنه خَالي ، قال : يا محمد كُفِيْتَهُ ؛ فأشار إلى بطنه ؛ فاسْتَسْقَى[1] فمات ، ويُقال : إنه خرج من أهله ؛ فأصابه السَّمُومُ حتى اسْوَدَّ فصار حبشيًا ؛ فلما عاد إلى أهله لم يعرفوه فطردوه ، وأغلقوا دونه الأبواب حتى مات وهو يقول : قتلني ربُّ محمد .

ومرَّ بهما الحارث بن قيس ، فقال جبريل : كيف تجد هذا يا محمد؟ قال : عبد سوء ؛ فقال : كفيته يا محمد ؛ فأَوْمَأَ برأسه إليه فجعل يَمْتَخط[2] قَيْحًا[3] ؛ فقتله[4] .

ويُرْوَى عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما أنه- أي الحارث- أكل سمكةً مالحةً ؛ فأصابه العطش فلا زال يشرب من الماء حتى انْفَتَقَ [5] بطنه ؛ فمات .

---

(١) السَّقْيُ : ماء أصفر يقع في البطن ، واسْتَسْقَى بطنه استسقاء ؛ أي اجتمع فيه ماء أصفر ، لسان العرب (مادة : سقى) .

(٢) المَخْطُ : السيلان والخروج . لسان العرب (مادة : مخط) .

(٣) القيح : المِدَّة الخالصة لا يخالطها دم ، وقيل هو الصديد الذي كأنه الماء ، وفيه شُكْلَة دم . لسان العرب (مادة : قيح) .

(٤) الأثر عن سعيد بن جبير ذكره الطبري في تفسيره مع اختلاف في اللفظ (سورة الحجر : آية رقم ٩٥) .

(٥) في الأصل : انفقر ، والصواب ما أثبتناه نقلًا عن تفسير الطبري (الموضع السابق) ، والفَتْقُ : علة أو نتوء في مَرَاقِ البطن ، لسان العرب (مادة : فتق) .

(الذين) ؛ يعني ﴿المستهزئين﴾ ﴿يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَر﴾ مع أنه إله واحد لا إله إلا هو ، لا شريك له ، ولا مُعين ، ولا نصير ، ولا زوجة ، ولا ولد ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾(١) .

قال مولانا سراج الدين الأَوْشي(٢) : [بحر الوافر]

ومُسْتَغْنٍ إلهي عن نساءٍ	وأولاد إنَاثٍ أَوْ رجَالِ
كَذَا عَنْ كلِ ذِي عَوْنٍ وَنَصْرٍ	تَفَرَّدَ ذُو الجَلالِ وَذُو المَعَالِي(٣)

﴿فسوف يعلمون﴾ ما أَبطَلُوهُ بين يَدَيِ الله تعالى ، وأنَّ محمداً وما جاء به حق وصدق .

قال الأَوْشِيُ رحمه الله : [بحر الوافر]

وَفَرْضٌ لازمٌ تَصْدِيقُ رُسْلٍ	وَأمْلاكٍ كِرَامٍ بالتوالي
وَخَتَمَ الرُّسْلَ بِالصَّدْرِ المُعَلَّى	نَبيٌّ هَاشِمِيٌّ ذو جمالِ(٤)

فإنه ﷺ كان أحسن الناس خَلْقًا . حتى قال البَرَاءُ بن عازبٍ -رضي الله عنه :- رأيته -ﷺ في حُلَةٍ حمراء ما رأيت شيئًا أحسن منه(٥) . إمام الأنبياء بلا اختلافٍ ،

(١) الأثر عن ابن عباس ذكره الطبري (سورة الحجر ، آية ٩٥) .

(٢) الأَوْشِي : نسبة إلى أُوْش ، بضم الهمزة ، من بلاد فرغانة ، وهي بالقرب من تخوم الصين ، وهو علي ابن عثمان بن محمد بن سليمان ، أبو محمد التيمي ، الحنفي ، ناظم قصيدة " بَدْءِ الأمالي" في العقائد ، والمعروفة باللامية .

وله من التصانيف : الفتاوى السراجية ، ونِصَاب الأخبار لتذكرة الأخبار ؛ وهو اختصار لكتابه : غرر الأخبار ودرر الأخبار ، توفي بعد سنة ٥٦٩هـ . انظر عنه : هدية العارفين للبغدادي ٧٠٠/١ .

(٣) انظر الأبيات في : ضوء اللآلي شرح بدء الأمالي لليازجي ، ص ١٤ ، ١٥ .

(٤) المرجع السابق : ص ص ٢١ ، ٢٢ .

(٥) لفظ الحديث : كان رسول الله ﷺ رجلًا مَرْبُوعًا ... عليه حُلَّة حمراء ... عن البَرَاء بن عازب أخرجه البخاري (كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ) ١٣٠٢/٣ - ١٣٠٤ ، ومسلم (كتاب الفضائل ، باب في صفة النبي ﷺ ، وأنه كان أحسن الناس وجهًا) ٩٦/١٥ .

وتاج الأصفياء بلا اختلال . بلا اختلاف ؛ أي بين المؤمنين ، ولااعتبار بمخالفة الكافرين ، والأصفياء الأنبياءُ المُرْسَلُونَ ؛ فإنَّ نوره خُلِقَ قبلهم ، ويدخل الجنة قبل كل أحد ، واشترط الله عليهم إن بُعِثَ وأحدهم حي أن يَتْبَعَهُ[١] ، وإن مات ولم يُبْعَثْ محمد ﷺ أنْ يُوصِيْ أهله وأمته باتباعه . [بحر الوافر]

وَبَــاقٍ شَــرْعُهُ فِيْ كُلِّ وَقْتٍ إِلَى يَومِ الـقِيَـامَـةِ وَارْتِـحَـالِ[٢]

[١١٥و] وَسُمِّيَ هؤلاء الكَفَرَةُ الأشقياء بالمستهزئين ؛ لأنهم كانوا يستهزءون برسول الله ﷺ ، وكانوا يَقْتَسِمُونَ القرآن ؛ فيقولون : هذا لسورة البقرة ، وهذا لسورة النحل ، وهذا لسورة العنكبوت استهزاءً ؛ فضاق لذلك صدر النبي ﷺ ؛ فنزل قوله عزَّ وجلَّ ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيْقُ صَدْرُكَ بما يَقُولونَ﴾ فلا تَشْتَغِلْ بهم ﴿ فَسَبِّحْ بحَمْدِ ربك﴾ .قل :﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العزَّة عَمَّا يَصِفُونَ﴾ مما لا يليق بجلاله ، وقل سبحان الله وبحمده ﴿ وَكُنْ مِنَ السَاجِدِيْنَ﴾ المصلين المطيعين له تعالى ، ﴿وَاعْبُدْ رَبَكَ﴾ بأنواع العبادات ﴿ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِيْنُ﴾ أي الموت .

كان ﷺ إذا نَابَهُ[٣] شيءٌ انْكَبَّ على الصلاة[٤] ، خَرَّجَ البَغَوِيُّ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : ما أَوْحَى الله إليَّ أنْ أجمع الأموال وأكُون من التاجرين ؛ ولكن أُوحى إليَّ أنْ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِكَ وَكُنْ مِنَ السَاجِدِيْن وَاعْبُد رَبَكَ حتى يَأتِيَكَ اليَقِينْ[٥]

---

(١) وذلك في قوله تعالى : " وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين" آل عمران : ٨١ .

(٢) انظر الأبيات للأوشي في : ضوء اللآلي شرح بدء الأمالي لليازجي ، ص ٢٣ .

(٣) نَابَهُ : النائبة هي ما ينوب الإنسان ؛ أي ينزل به من المهمات والحوادث . لسان العرب (مادة : نَوَبَ) .

(٤) الحديث بلفظ : كان النبي ﷺ إذا حَزَبَهُ أمرٌ صلّى . عن حُذَيْفَةَ ، أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة ، باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل) ٢/٥٤ ، وأحمد في المُسْنَد ٣٨/٣٣٠ .
حَزَبَهُ : أي إذا نَزَلَ به مهم أو أصابه غَمٌّ . لسان العرب (مادة : حزب) .

(٥) الحديث عن جُبَيْر بن نُفَير أخرجه البغوي في تفسيره (سورة الحجر ٩٧ – ٩٩) ، الخازن في تفسيره (سورة الحَجْرِ : ٩٧ – ٩٩) .

- الموت- يُميتُ الخَلْقَ قَهْرًا ثم يُحْيي ؛ فيجزيهم على طِبْقِ الخِصَالِ لأهل الخير جناتٌ ونُعْمَى ، وللكفار إدراكُ النَّكَالِ .

وعن كعب الأحبارِ : «مَنْ قال ثلاث مرات سبحان الله وبحمده ؛ بنى الله له ثلاث مدائن في الجنة في كل مدينة ما لا عين ، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[1] .

﴿وإن من شيءٍ إلا يسبح بحمده﴾[2] : فالورقة تسبح ما دامت على الشجرة ، والماء الجاري لا الواقف ، والثوب النظيف إلى أن يتسخَ ، والجمادات كلها بلسان القَال ، بدليل تسبيح الطعام بين يديه[3] ، والحصى في كفيْهِ[4] . حتى إنَّ بعضهم أراد الاستِجْمَارِ[5] بالأحجار ؛ فكشف الله له عن سمعه ؛ فسمع تسبيحها ؛ فدعى الله تعالى أن يستر تسبيحها عليه حتى يتمكن من إزالة النجاسة ؛ فأخفى ذلك تعالى عنه ، وفي إخفاء ذلك عن بقية خَلْقِ اللّهِ حكمة بالغة .

وَقَدَّمَ الحسن البصري خوانًا عليه طعام لأصحابه ؛ فقيلَ له : أيسبح هذا الخِوان؟ ، فقال : كان يسبح لَمَّا كان أخضر أمَّا الآن فلا[6] . ومن ثَمَّةَ سنٌّ أن يوضعَ

---

(١) الأثر عن كعب الأحبار ذكره الصفوري في نُزهة المجالس (باب قوله تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبْده ليلاً من المسجد الحرام﴾ . . . الإسراء : ١) ٨٩/٢ .

(٢) الآية رقم ٤٤ من سورة الإسراء .

(٣) لفظ الحديث : عن عبد الله قال : كنا نعدُّ الآيات بَركة . . . ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل . أخرجه البخاري (كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام) ١٣١٢/٣ .

(٤) لفظ الحديث : . . . . عن أبي ذر قال : . . . فتناول النبي ﷺ سبع حصيات أو تسع حصيات ؛ فَسَبَّحْنَ في يده حتى سمعت لهن حنينًا كحنين النحل . . . . أخرجه البزار في مسنده ٤٣١/٩ ، والطبراني في الأوسط ٦٢/٥ - ٦٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب تسبيح الحصى) ٢٩٨/٨ - ٢٩٩ .

(٥) الاستجمار عند الفقهاء هو إزالة النجاسة الخارجة من القُبُل أو الدُّبر عنهما بالحجارة أو نحوها ، والجِمَار الحجارة الصغيرة ، والاستجمار الاستنجاء بالحجارة . انظر : التعريفات للجرجاني ، ص ٨٧ .

(٦) الأثر عن الحسن البصري ذكره القرطبي في التفسير (سورة الإسراء :٤٤) .

على القبور الجريد[١] ، والآسْ الأخضر[٢] . فقد خرَّج البخاري أنَّ النبي ﷺ مرَّ بقبرين ، وقال : إنهما يُعذبان في كَبِيْرٍ- أي في زعمهما- أمَّا أحدهما فكان لا يستتر من البول- ؛ أي عند إرادة البول يكشف عورته ، ويَبُولُ كما يفعله كثير من الجهلة ، وفي رواية لا يستنزه من البَوْلِ ؛ أي لا يتقي البَوْل ، وفي رواية لا يَسْتَبْرِيء من البَول ؛ فإنه واجب إما بتنحنحٍ أو عجزٍ ما بين الخِصْيَتَيْنِ ، أو بميلٍ إلى الجانب الأيسر ، أو بنقل قدمه والمشي خطوات ، أو بضرب رجليه على الضرب ، أو يهزُّ نفسه على حَسَبِ الطباع ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ، ثم أخذ النبي ﷺ جريدتَيْنِ فوضعهما عليهما ، وقال : لعله يخفف عنهما ما لم يَيْبَسَا[٣] .

وخرَّج أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتانِ في الميزان : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم»[٤] .

---

(١) الجريد : سَعْفَة طويلة رَطبَة . لسان العرب (مادة : جرد) .

(٢) الآس : شجرة ورقها عَطِرٌ . لسان العرب (مادة : أوس) .

(٣) الحديث عن ابن عباس أخرجه البخاري (كتاب الوضوء ، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله) ١/ ٨٨ ، ومسلم (كتاب الطهارة ، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه) ٣/٢٠٤ .

(٤) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب التوحيد ، باب وضع الموازين القسط ليوم القيامة) ٦/٢٧٤٩ ، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء . . . ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء) ١٧/٢٢ .

فصل

في تفسيرِ قوله تعالى «وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ» ؛ يعني لا تستوي كلمة الحسنة وكلمة السيئة . وقال تعالى ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1] ؛ يعني ادفع الكلمة القبيحة بالكلمة التي هي أحسن . ومن الكلمة السيئة الغيبة ؛ فإنَّ موجب الحسنة الثواب ؛ ككلمة حقٍ عند جائرٍ ، وموجب الثانية الإثم ككلمة الغَوَانْ[2] . عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ - : «الغَيْبَةُ أشد من الزنا . قيل : وكيفَ يا رسول الله؟ . قال : إن الرجل يزني ثم يتوب ؛ فيتوب الله عليه ، وإنَّ صاحب الغيبة لا يُغْفَرْ له حتى يغفر له صاحبه[3] . يريد به المنافقين الذين كانوا يغتابون الصحابة رضي الله عنهم[4] .

وعن أبي بَرْزَةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يا معشر من آمنَ بلسانه ، ولم يدخل الإيمان في قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تطلبوا عَثَرَاتِهم ؛ فإنه مَنْ تَتَبع عورة المسلمين تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه [في بيته][5] ؛ فالواجب أن يتتبع الإنسان عَثَرَاتِ نَفْسه ؛ فيمتنع عنها .

والعَثَرَاتِ : السَقَطَات التي تَصْدُرُ من الإنسان فينبغي سترها ؛ فإن من سَتَرَ سُتِرَ ، ما لم يترتب على السَّتْرِ مفْسَدَة .

[١١٥ظ] وعن المستورد قال : قال ﷺ : من أكل برجلٍ مسلمٍ أكلةً في الدنيا

(١) جزء من الآية رقم ٣٤ من سورة فصلت .

(٢) كذا في الأصل ، ولم أجد لها معنى يتفق مع العبارة .

(٣) الحديث عن جابر بن عبد الله ، وأبي سعيد الخدري أخرجه الطبراني في الأوسط ٧/ ٣٠٦ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في تحريم أعراض الناس) ٥/ ٣٠٦ .

(٤) هذا رأي خطأ ؛ فالغَيبة ذنب لا يَنْحَصِرُ في المنافقين ، ولا ينحصر في اغتياب الصحابة رضي الله عنهم .

(٥) الحديث عن أبي بَرْزَةَ الأسلمي أخرجه أبو داود (كتاب الأدب ، باب في الغيبة) ٥/ ١٢٤ ، وأحمد في المسند ٣٣/ ٢٠ .

أطعمه الله مثلها من جهنم[١] ؛ والمراد : اغتيابه . وبالغ مجاهد حيث قال : إنَّ الغيبة تنقض الوضوء[٢] ، وقال : إنها تحبط العمل ، والمذاهب- الآن- استقرت على عدم الناقضية ؛ إلا أنها من الكبائر .

وعن أبي أُمَامَةَ الباهلي - ﷺ - قال : قال - ﷺ - : «إنَّ الرجل ليُؤْتَى كتابه منشوراً ؛ فيقول : يا رب ؛ حسنات كذا وكذا عملتها ليست في صحيفتي ؛ فيقول له : مُحِيَتْ باغتيابك الناس»[٣] .

وعن أبي سعيد الخُدْري - رضي الله عنه- : مَنْ قلَّ ماله ، وكثُرَ عياله ، وحَسُنَتْ صلواته ، ولم يَغْتَبِ المسلمين جاء يوم القيامة وهو معي كهاتين[٤] .

وعن جابر ﷺ - قال : كنت أمشي مع النبي ﷺ فارتفعت رِيْحُ جِيْفَةٍ ؛ فقال : هذه رِيْحُ الذين يغتابون المؤمنين[٥] .

كانت رائحة الغيبة توجدُ أوَّلَ الزمانِ لقلتها ، وأمَّا الآن فلمَّا كثُرَتْ واشتغل

---

(١) جزء من حديث عن المستورد أخرجه أبو داود (كتاب الأدب ، باب في الغيبة) ٥/ ١٢٤-١٢٥ ، والطبراني في الكبير ٢٠/ ٢٥٣- ٢٥٤ ، الحاكم في المستدرك (كتاب الأطعمة) قال الذهبي : صحيح ٧/ ٢٥٥٨ ، وأحمد في المسند ٢٩/ ٥٣٩ .

(٢) أورد السمرقندي حديثًا نصه : رَوَى أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال : أربع يُفْطِرنَ الصائم ، وينقضن الوضوء ، ويَهْدِمنَ العمل : الغيبة ، والنميمة ، والكذب ، والنظر إلى محاسن المرأة التي لا يحل له النظر إليها .

انظر تنبيه الغافلين (باب الغيبة) ص١٣١ . ولم نجد الأثر عن مجاهد فيما بين أيدينا من كتب .

(٣) الحديث عن أبي أُمامة الباهلي أخرجه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب الأدب ، باب الترهيب من الغيبة) وقال عنه : موضوع ، رواه الأصبهاني ٢/ ٢٣٣ .

(٤) الحديث مرفوعًا عن أبي سعيد الخدري أخرجه أبو يَعْلَى في مسنده ٢/ ٢٧٦ ، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (فصل في ترك الغَيْبَة) ٢/ ١٤٢ .

(٥) الحديث عن جابر بن عبد الله أخرجه أحمد في المسند ٢٣/ ٩٧ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في تحريم أعراض الناس) ٥/ ٣٠٣ ، والحديث بنحوه عن جابر أخرجه عبد بن حُمَيد في مُسنده ، ص ٣١٥ .

النـاس بـهـا صـارت صـنـاعـتـهم ، فـاعـتـادوا على رائحتها ؛ فلم يَشْتَمُّوها كَمُعزِلي الكُنُف[١] ، ومن في الدباغة ، بخلاف غيرهم إذا مرَّ بهم . والله أعلم .

وعنه قال : كنا مع النبي ﷺ - فهبت رِيْحٌ مُنْتِنَة ؛ فقال رسول الله ﷺ : «إن ناسًا من المنافقين اغتابوا أناسًا من المؤمنين ؛ فلذلك هبت هذه الريح»[٢] .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «من اغْتِيْبَ عنده أخوه ؛ فاستطاع نُصْرَتَهُ ؛ فنَصَرهُ ؛ نَصرَه الله في الدنيا والآخرة ، أي من عُهْدَته ، بالاستحلال في الدنيا أو بالعفو في الآخرة ، وإن لم ينصره أدركه الله في الدنيا والآخرة[٣] ؛ أي بالهلاك .

وعن معاذ بنَ أَنسِ الجَهْنِيٍّ عن أبيه ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : مَنْ حَمَى مؤمنًا من منافقٍ بغيبته بعث الله مَلَكًا يحمي لَحْمَهُ يوم القيامة من نَارِ جهنم ، وَمَنْ قَفَا مؤمنًا بشيء يريد به شَيْنَهُ حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال[٤] . قَفَا مؤمنًا أي قال خَلْفَهُ ما يَكْرَهُهُ . وعن الحسن البصري أنه قيل له : إنَّ فلانًا اغتابك ؛ فبعث إليه طبقًا من الرُطَبِ ، وقال : بلغني أنك أهديت إليّ حسناتك ؛ فأردت أن أكَافِئَكَ عليها فاعذرني ؛ فإني لا أقدر أن أكافئك بها على التمام[٥] .

---

(١) تعزيل المكان : رفع ما فيه من أنقاض وركام وتراب وغير ذلك . انظر تكملة المعاجم العربية لدوذي ٧/٢٠١ - ٢٠٢ .

(٢) الحديث بهذا اللفظ عن جابر أخرجه عبد بن حميد في مسنده ص ٣١٥ .

(٣) الحديث عن أنس أخرجه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب الأدب ، باب الترهيب من الغيبة والبُهت) قال عنه : ضعيف جداً ٢/ ٢٣٥ .

(٤) الحديث عن معاذ بن أسد الجهني عن أبيه أخرجه أبو داود (كتاب الأدب ، باب من ردَّ عن مسلم غيبة) ٥/ ١٢٥ ، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب الأدب ، باب الترهيب من الغيبة والبهت) وقال عنه : ضعيف : ٢/ ٢٣٤ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في التعاون على البر والتقوى) ٦/ ١٠٩ .

(٥) الأثر عن الحسن البصري ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين (باب الغَيْبة) ص ١٣٠ ، والغزالي في الإحياء (باب كفارة الغيبة) ٣/ ١٣٤ .

وعن أبي أُمَامَةَ الباهلي- رضي الله عنه - : إن العبد لَيُعْطَى كتابه يوم القيامة ؛ فيرى فيه حسنات لم يكُن عملها ؛ فيقول : يارب ؛ من أين لي هذا؟ فيقول تعالى : هذا مما اغتابك الناس ، وأنت لا تشعر[1] . وعن حاتم الزاهد أنه قال : ثلاثٌ إذا كُنَّ في مجلسٍ فالرحمة عن أهله مصروفَةٌ : ذِكْرُ الدنيا ، والضَّحِكُ ، والوقِيْعَةُ في الناس[2] .

وعن يَحْيَى بن معاذ : ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال : إن لم تَنْفَعْهُ فلا تضره ، وإن لم تسره فلا تغمه ، وإن لم تمدحه فلا تَذُمُّه[3] . وقال بعض الحكماء : إن ضعفت عن ثلاث فعليك بثلاث : إن ضعفت عن الخير فأمسك عن الشر ، وإن كُنْتَ لا تستطيع أن تنفعَ الناس ؛ فأمْسِك عنهم ضرك ، وإن كنت لا تستطيع أن تصوم فلا تأكل لحوم الناس[4] .

(١) الأثر عن أبي أمامة الباهلي ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين (باب الغِيْبة) ص ١٣٠-١٣١ .
(٢) الأثر عن حاتم الزاهد ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين (باب الغيبة) ص ١٣٢ .
(٣) الأثر عن يحيى بن معاذ ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين (باب الغيبة) ص ١٣٢ .
(٤) القول غير منسوب ذكره السمرقندي (الموضع السابق) ص١٣٢ .

فصلٌ

في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[١] .

اللام : للقسم ، وقد : للتحقيق من الله على المؤمنين أَنْ أنعم عليهم ، والمَانُّ هو الله .

/[١١٦و] ومن أسمائهِ : المَنَّانُ ؛ وهو الذي يُعطي الشيءَ من غيرِ طَلَبٍ جزاءً على ما أعطى .

والمَنُّ : عبادة عند تعداد النعم على المُنْعَمِ عليه ، وهو جائزٌ في حقه تعالى ، ولا يجوز صدوره من بعضنا .

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى ﴾[٢] .

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾[٣] .

وقال بعض الأكابر لواحد من الناس : سَلْ حاجتك ؛ فقال : مَنْ وضع قدمه على بِسَاطِ المعرفة لم يحسن أن يكون لغير الله عليه منَّةٌ[٤] .

ولذا قال السيد الخليل لَمَّا أُلقي إلى النار بالمَنْجَنِيْق ، لَمَّا قال له جبريل عليه السلام : أَلَكَ من حاجةٍ ، ويُرْوَى : سَلْ حاجتك ؛ فقال : أمَّا إليك ؛ فلا ، عِلمه بحالي يُغْنِي عن سُؤَالي[٥] .

﴿إذ بعث فيهم رسولاً ﴾ ؛ فنحن نفتخر بهذه النعمة الجليلة ؛ لأنه أشرفُ خَلْقِ

---

(١) الآية رقم ١٦٤ من سورة آل عمران . وسيبدأ المؤلف في شرحها .

(٢) جزء من الآية رقم ٢٦٤ من سورة البقرة .

(٣) جزء من الآية ١١ من سورة إبراهيم .

(٤) الأثر عن بعض الصالحين ذكره القرطبي في : الزاهر في بيان ما يُجْتَنَبُ من الخبائث الصغائر والكبائر ص٣٣ .

(٥) انظر الأثر عن إبراهيم عليه السلام في تفسير البغوي (سورة الأنبياء ، الآية رقم٦٨) .

الله على الإطلاق ، وشرفُنا بشرفه ، ولذا كُنَّا خير الأمم كما أخبر تعالى حيث قال : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(١) .

ومن جُمْلَةِ فخرنا به [أي برسول الله ﷺ](٢) أنَّ السيد عيسى عليه السلام من جُمْلَةِ أُمَّته ؛ فإنه ينزل فيحكم بشريعته(٣) . ولا يُقَالُ : إنَّه لا يأخذ الجزْيَة من الذمي ؛ فلم يكن عاملاً بشريعتنا من كل وجه ؛ لأنَّا نقول إنَّ أخذها في شرعنا مُلْغىً بنزوله -عليه السلام- ؛ فيكون عدم أخذه للجزية عينُ شريعتنا .

ومن فخرنا به قوله ﷺ : لو كان موسى حيًا ما وسعَهُ إلا الاتباع(٤)

قُرِيءَ ﴿من أنفُسِهِم﴾ بضم الفاءِ أي من جنسهم ، وقُرِيءَ بفتح الفاء(٥) ؛ أي من أحسبهم ، وأفضلهم ، وأشرفهم ؛ فمنازل العزِ والسرور مكة والمدينة ، وبيت المقدس ؛ لكونها كانت موطئًا لرسول الله ﷺ .

ومما يُنْقَل عن الصدِّيق - رضي الله عنه - أنه رأى قبل بعثة النبي - ﷺ - كأن القمرسقط على الكعبة فتكسَّر قطَعًا قطَعًا ؛ فلم تَبْقَ بمكة حجرة إلا دخلتها قطعة ، ثم اجتمعت القطَع ، فرجع القمر كما كان ؛ فدخل الصديق حجرته ؛ فوجد القطعة التي دخلتها باقيةً ؛ فكتم الرؤيا إلى أنْ جاء الشام فَقَصَّها على بعض الرهبان ؛ فقال له : إنه قُرْبَ ظهور نبي آخر الزمان ، وتكون يا أبابَكْرٍ وزيره في حياته .

---

(١) جزءٌ من الآية رقم ١١٠ من سورة آل عمران .

(٢) إضافة اقتضاها السياق .

(٣) أخرج أحمد في مسنده عن أبي هريرة : أن النبي - ﷺ - قال : الأنبياء إخوة لعلَّات ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد ، وإني أولى الناس بعيسى بن مريم ؛ لأنه لم يكن بيني وبينه نَبي ، وأنه نازل ... فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويدعو الناس إلى الإسلام .... الحديث . أحمد في المسند ١٥/ ١٥٣-١٥٤ .

(٤) جزء من حديث عن جابر بن عبد الله أوله : قال رسول الله ﷺ : لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء .... الحديث . انظر أحمد في المسند ٢٢/ ٤٦٨ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في الإيمان بالقرآن وسائر الكتب المُنَزلة) ١/ ٢٠٠ ، وأبو يَعْلَى في مسنده ٤/ ١٠٢ .

(٥) أنفسهم : بفتح الفاء ، عن فاطمة ، وعائشة ، والضحاك ، وأبو الجوزاء . انظر : معجم القراءات القرآنية ١/ ٤٥٨ .

فلما بُعِثَ حَبَاهُ[١] -أبو بكرٍ رضي الله عنه- وقال له : يا محمد ، بلغني عنك أمر ، وإني أريد تحقيقه ؛ فما الذي تريد من الناس؟ فقال ﷺ : إني رسول الله إليهم وإلى الخَلْقِ أجمعين ، أدعوكم إلى توحيده وعبادته ؛ فقال له الصدِّيق : وما الدليل على ذلك ؛ قال : رؤياكَ التي رأيت[٢] .

[مجزوء الكامل]

نِـعَمُ الإلَه كَـثِيْـرَةٌ ... وَمُحَمَّدٌ خَيْرُ النِّعَمْ

مَلَكَ المَحَاسِنَ كُلَّهَا ... وَلَهُ التَّفَضُّلُ والكَرَمْ

صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا ... مَا انْشَقَّ صُبْحٌ وابْتَسَمْ[٣]

قال تعالى : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾[٤] وقال تعالى : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[٥] قيل : النِّعَم الظاهرة : الإسلام والقرآن ، والباطنة : ما ستره الله علينا من الذنوب ولم يُعَجِّلْ بالعُقوبَة[٦] ، وقيل الظاهرة : تسوية الخَلْقِ والرِزْقِ مع الإسلام ، والباطنة : مَا سُتِرَ من الذنوبِ ، وقيلَ الظاهرة : حُسْنُ الصوت ، وتسوية الأعضاء ، والباطنة : معرفة الله تعالى ، وقيل الظاهرة : الجوارح ، والباطنة : القلب[٧] ؛ فالواجب شكرها بصرف القلبِ والأعضاء إلى مَا خُلِقَا من أجله . وقيل الظاهرة : إقرار اللسان بوحدانية الله تعالى ، ورسالة نبيه محمد ﷺ - والباطنة : ربط القلبِ على ذلك ، وقيل الظاهرة : تمامُ الرزْقِ ، والباطنة : حُسْنُ الخُلُقِ .

---

(١) حبا الشيء : دنا . وحباه ؛ أي أدناهُ إليه . لسان العرب (مادة : حبا) .

(٢) انظر الحكاية في كتاب بهجة النفوس والأسرار في تاريخ هجرة النبي المختار ، لأبي محمد عبد الله بن عبد الملك القرشي البكري القرطبي (الباب الثامن في ابتداء خلقه وشرف نسبه وطهارة مولده) ، ص ٣٢٨ .

(٣) لم نقف على هذه الأبيات فيما بين أيدينا من داووين شعرية ، ومَظَانُّ الترجيح أنها من إنشاء المُصَنِّف .

(٤) جزء مِنَ الآية رقم ٣٤ من سورة إبراهيم .

(٥) جزء من الآية رقم ٢٠ من سورة لقمان .

(٦) ذكر القرطبي في تفسيره : قال النبي - ﷺ - لابن عباس وقد سأله عن هذه الآية : الظاهرة الإسلام وما حَسُنَ من خُلُقِكَ ، والباطنة ما ستر عليك من سيء عملك . انظر تفسيرالقرطبي (لقمان :٢٠) .

(٧) انظر تفسير الطبري ، والقول له . (لقمان :٢٠) .

[فصل في حسن الخُلُق]

[١١٦/ظ] عن أبي الدرداء- رضي الله عنه - قال : قال النبي ﷺ - : من أفضل ما يُوضَعُ في الميزان يوم القيامة حُسْنُ الخُلقِ(١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : كان النبي - ﷺ - إذا نظر في المرآة قال : الحمدُ لله الذي حَسَّنَ خَلْقِي وَخُلُقِيْ ، وَزَانَ مِنِي مَا شَانَ من غَيْرِيْ(٢) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : «أَوْحَى الله عزّ وجلّ إلى إبراهيم عليه السلام : إنَّكَ خَليلِيْ ، حَسِّنْ خُلُقَكَ ولو مع الكفار تدخل مدخل الأبرارِ ؛ فإن كلمتي سبقت لمن حَسَّنَ خُلُقَهُ : أن أُظِلّه تحت عرشي ، وأُسْكِنُهُ حَضِيْرَةَ قدسي ، وأُدْنِيْه مِنْ جِوَارِي»(٣) .

وعنه أنَّ النبي ﷺ سُئِلَ فقيل : يا رسول الله ؛ ما أكثر مايَلِجَ به الناسُ الجنةَ؟ قال : تقْوَى اللّهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ ؛ قيل : يارسول الله ؛ فما أكثر ما يَدخل به الناس النار؟

(١) الحديث بهذا اللفظ عن أبي الدرداء أخرجه أحمد في المسند ٤٥/ ٤٨٧ .

والحديث عن أبي الدرداء أخرجه الترمذي - بألفاظ أطول - (كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حُسْن الخُلُق) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٤/ ٣١٩ ، وأبو داود (كتاب الأدب ، باب في حُسْن الخُلُق) ٥/ ٩٧ .

(٢) الحديث عن أنس أخرجه البزار في مسنده ١٣/ ٥٠٠ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب ما يقول إذا نظر في المرآة) ١٠/ ١٣٨-١٣٩ . وابن السُني في عمل اليوم والليلة (باب ما يقول إذا نظر في المرآة) ص ٧٤ .

(٣) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب ، (كتاب الأدب ، الترغيب في الخُلُق الحسن) قال عنه : ضعيف جداً ٢/ ١٨٨ ، والحديث أخرجه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ، وقال عنه : لم يروِ هذا الحديث عن سعيد المقبري إلا أبو أمية بن يعلى ، وقد انفرد به مؤمل ابن عبد الرحمن ٧/ ٢٦١-٢٦٢ .

قال : الأَجْوَفَانِ : الفَمُ والفَرْجُ[١] . وَسُئِلَ : ما خير ما أُعْطِيَ الإِنْسانُ؟ ؛ قال : خُلُقٌ حَسَنٌ[٢] .

وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال : خرج النَّبِيُّ على أصحابه ؛ فقال : رأيت الليلة عَجَبًا : رجلاً جاثيًا على رُكْبَتَيْهِ قد حُجِبَ عن النورِ ؛ فاسْتَنْقَذَهُ حُسْنُ خُلُقِهِ[٣] .

وعن بعض الحكماء أنه قال لابنه : يا بُنَيَّ ؛ الأدب خير ميراث ، وحسن الخُلُقُ خير قرين ، والتوفيق خير قائد ، والاجتهاد أربح تجارَة ، ولامال أَعْوَدُ[٤] من العقلِ ، ولا ظهيرًا أوثقُ من المشورة ، ولا وَحْدَةَ أوحشُ من العُجْبِ ، ولا فقرٌ أشدُ من الجهل ، ولا عَدَمٌ أَعْدَمُ من قلة العقل[٥] .

ومن الحكمة : ليكن وجهكَ بَسْطًا وكلمتُكَ طيبةً ؛ تكن أحب إلى الناس من الذي يعطيهم العطاء[٦] .

ويُقَالُ : البرُّ شيءٌ هَيِّنٌ : وجْهٌ طليقٌ ، وكلام لين[٧] .

---

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الترمذي (كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حُسن الخلق) قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح غريب ٤/ ٣١٩ ، وابن ماجه (كتاب الزهد ، باب ذكر الذنوب) ٤/ ٧١١ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الرقائق) قال الذهبي : صحيح ٨/ ٢٨٢ .

(٢) جزء من حديث عن أسامة بن شريك أخرجه أحمد في المسند ٣٠/ ٣٩٤-٣٩٥ .

(٣) الحديث عن عبد الرحمن بن سمرة أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في فضل حسْن الخُلُق والترغيب في تحسينه) ٢/ ٨٤ .

(٤) أعود : أنفع . لسان العرب (مادة : عود) .

(٥) القول غير منسوب ذكره الأصبهاني في الترغيب والترهيب (الموضع السابق) ٢/ ٨٨ .

(٦) القول ذكره الأصبهاني في الترغيب والترهيب عن هشام بن عروة عن أبيه قال : مكتوب في الحكمة : ليكن وجهك بَسْطًا .... (الموضع السابق) ٢/ ٨٨ .

(٧) القول ذكره الأصبهاني في الترغيب والترهيب منسوبًا لابن عيينة قال : أُبَنَيَّ ،إن البر شيء هين : وجه طليق وكلام لين . (باب في فضل حسن الخلق والترغيب في تحسينه) ٢/ ٨٢ .

ويُقَالُ : البَشَاشَةُ مصيدة المودة[١] .

ويُقالُ : مَنْ لانَتْ كلمته وجَبَتْ محبته[٢] .

وما أحسن ما قال : [بحر الكامل]

لَوْ أَنني خُيِّرتُ كُلَّ مَحَبَةٍ ما ... اخْتَرْتُ غَيْرَ مَحَاسِنِ الأَخْلاق[٣]

وَسُئِلَ الإمامُ أحمد عن حُسْنِ الخُلُقِ فقال : هو أنْ تحْتَمِلَ ما يكُونُ من الناسِ[٤] .

وسُئِلَ النبي ﷺ - : ما الشؤم؟ قال : سوءُ الخُلُق[٥] .

وقال : ما من ذَنْب أعظَمُ عند الله من سوءِ الخُلُقِ ، وذلكَ أنَّ صاحبه لا يخْرُجُ من ذَنْب . إلا وقعَ في ذَنْبٍ[٦] .

ومرَّ هذا كَما مَرَّ قوله ﷺ : خَصْلَتَانِ لا تجتمِعانِ في مُؤمِنٍ : البُخْلُ وسوء الخُلُقِ[٧] .

(١) القول ذكره الصنعاني في التنوير شرح الجامع الصغير منسوبًا لابن عيينة (فصل في التاء مع الباء الموحدة) ٤/ ٥٩٩ .

(٢) القول غير منسوب ذكره الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في فضل حسن الخُلُق والترغيب في تحسينه) ٢/ ٨٨ .

(٣) البيت منسوبًا لأبي جعفر القرشي . أنظر ديوان الإنشاء لأحمد الهاشمي ص٤١٨ .

(٤) الأثر عن الإمام أحمد ذكره البيهقي في شعب الإيمان(باب في حُسْن الخلق ، فصل في التجاوز والعفو وترك المكافأة) ٦/ ٢٦١ .

(٥) الحديث بلفظ : قال رسول الله ﷺ : الشؤم سوء الخلق . عن عائشة أم المؤمنين ، أخرجه أحمد في المُسْنَد ٤١/ ٩٩ ، والطبراني في الأوسط ٥/ ١٨٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الأدب ، باب ماجاء في حسن الخلق) ٨/ ٢٥ .

والحديث ذكره الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب الأدب ، باب الترغيب في الخُلُق الحسن) وقال عنه : ضعيف ٢/ ١٩١ .

(٦) الحديث عن ميمون بن مهران أخرجه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب ، وقال عنه : موضوع (كتاب الأدب ، باب الترغيب في الخُلُق الحسن) ٢/ ١٩٢ .

(٧) الحديث عن أبي سعيد الخدري أخرجه الترمذي (كتاب البر ، باب ما جاء في البخيل) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ٤/ ٣٠٢ ، وعبد بن حميد في مسنده ص ٣٠٧ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في حسن الخلق) ٦/ ٢٤٣ .

قال جعفر الصادق في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)] : لا يتم المعروف إلا بثلاثة أشياء : تعجيلُهُ ، وتصغيره ، وترك المَن به ؛ فإن عَجَّلْتَهُ طَيَّبْتَهُ ، وإنْ صَغَّرْتَهُ عَظَّمْتَهُ ، وإن تركتَ المنَّ به أتممته ، وإن مننت به على أخيك أبطلته[(٢)] .

وعن الزبير ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه : أتدْرُونَ ماذا قال ربكم حينَ استوى على عرشه ، ونظر إلى خَلْقه ، قال : عبادي ، أنتم خلقي وأنا ربكم ، أرزاقكم بيدي ؛ فلا تتعبوا فيما تَكَفَّلْتُ لَكم ؛ فاطلبوا مني أرزاقكم ، وإليَّ فارفعوا أحْواجَكُم ، انْصَبُّوا إليَّ أنفسكم أَصُبُّ عليكم أرزاقكم صبًّا ، أتَدْرونَ ماذا قال ربكم ؛ قال : عبدي انْفِقْ أُنْفِقْ عليك ، ووسِّعْ أُوْسِعْ عليك ، ولاتضيق فأُضَيِّق عليك ، إنَّ باب الرزق مفتوحٌ من فوقِ سَبْعِ سماوات متواصلٌ إلى العرشِ لا يُغْلَقُ في ليلٍ ولا نهار . /[١١٧و] يُنَزِّلُ الله فيها الرزق على كُلِّ امْرِىءٍ بِقَدْرِ نيته وعَطيَته ونفقته ، مَنْ أَكْثَرَ كَثَّرَ الله له ، ومَنْ قَلَّلَ قَلَّلَ الله عليه ، يازُبَيْر ؛ إنَّ الله يُحبُّ الإِنْفَاقَ ويَبْغضُ الإقتار ، إنَّ السخاءَ من اليقين ، والبخلُ من الشك ؛ أي من اليقين فيما عند الله والشك فيما عنده ، ولايدخل النار مَنْ أَيْقَنَ ، ولايدخل الجنة مَنْ شَكَّ ، يا زُبيرْ ؛ إنَّ الله يُحبُّ السخاءَ ولو بِفِلْقٍ[(٣)] تمرة ، ويحب الشجاعة ، ولو بقَتل حية وعقرب[(٤)] .

خرَّجَ الإمام أحمد من حديث قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ قَتَلَ حيةً فله سَبْعُ حَسَنَات ، ومَنْ تَرَكَ حيةً مخافَةَ عاقبتها فليس منا ، ومن قتل وَزَغَةً فله حسنة[(٥)] ، الوَزَغَةُ : سام أبرص المُشْتَهِر على الألسنة بأبي بُرَيْصٍ ، وإنما قال تعالى :

(١) تتمة شرح الآية رقم ١٦٤ من سورة آل عمران .

(٢) الأثر منسوبًا لابن عباس ذكره القرطبي (سورة البقرة : ٢٧١) .

(٣) الفِلْقَةُ : الكِسْرَةُ من الجَفْنَةِ أو من الخبز ، ويقال : أعطني فِلْقَةَ الجَفْنَةِ ، وضِفِلْقَ الجَفْنَةِ وهو نصفها . لسان العرب (مادة : فلق) .

(٤) الحديث عن الزبير ذكره الصفوري في نزهة المجالس (باب الكرم والفتوة ورد السلام) ١/ ٢٤٨ .

(٥) الحديث بهذا اللفظ عن ابن مسعود أخرجه أحمد في المسند ٧/ ٩١ ، والطبراني في الكبير ١٠/ ٢٠٩-٢١٠ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب قتل الحيات والحشرات)٤/ ٤٥ .

﴿مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾[١] دَفْعًا لِلوحْشَةِ ؛ لأنَّ الجِنْسَ يَسْتَوْحِشُ مَنْ [كان] [مِنْ] غير جنسه[٢] ؛ فهذه منةٌ أُخْرَى .

﴿يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ القُرآنية التي هي أعظم معجزةٍ للنبي ﷺ - وهي مستمرة إلى يوم الحشر والقيام ، وفي القرآن ستون ألف معجزة .

قال بعض العلماء- رحمه الله تعالى- وعندي أنَّ الحصر غير ممكن .

﴿ويزكيهم﴾ قيل معناه : يرشدهم إلى الطهارة من الشرْك بكلمة التوحيد ، أو إلى إقامة الصلاة كما قال تعالى : ﴿أَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[٣] .

أو إلى إيتاء الزكاة ، قال تعالى : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[٤] .

والخطاب لنبينا محمد ﷺ ففي الزكاة فوائد منها : الصلاح في الدنيا والنجاح في الأخرى ، ومنها زيادة الخير لمؤتيها[٥] .

﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾[٦] قيل : الكتاب القرآن المُنَزَّلُ عليه ﷺ - وقيل : (أل) فيه للجنس ، والمعنى : ويعلمهم ما في جميع الكتب المُنَزَّلَةِ ، وما نُسِخَ منها ، وما لم يُنْسَخْ[٧] .

---

(١) تتمة شرح الآية رقم ١٦٤ من سورة آل عمران .
(٢) في متن الكتاب : لأن الجنس يُسْتَوحش من غير الجنس ، والصواب ما أثبتناه .
(٣) الآية رقم ١١٤ من سورة هود .
(٤) جزء من الآية رقم ١٠٣ من سورة التوبة .
(٥) انظر تفسير البغوي (التوبة ١٠٣) ٣/ ١٨٣
(٦) تتمة شرح الآية رقم ١٦٤ من سورة آل عمران .
(٧) انظر تفسير القرطبي (البقرة ١٢٩) .

والحكمة : أحاديث النبي ﷺ الواردة عنه ؛ وقيل : الكتاب نفس القرآن ، والحكمة فَهْمُهُ . وقيل الحكمة : العلم مع العمل ؛ فإن الإنسان لا يُسَمَّى حكيماً حتى يجمع بينهما ؛ وقيل : الحكمة كل كلمة فيها وعظ متضمن للزجر ؛ وقيل : الحكمة وضع كل شيء في موضعه ؛ وقيل الحكمة : الفَصْلُ بين الحقِ والباطِل[1] .

﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ مَبْعَثِكَ ، وإيتاء الكتاب والحكمة ﴿لفي ضلال مبين﴾ [أي][2] بَين ، مرأن شَرَفَ الأمة بشرف نبيها لقوله تعالى : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[3] من الأمم ، كنتم : خُلقْتُمْ أو صرتُم ، والأول أتم ، وَخَيْرِيَتُهَا بكونها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ومقام الآمر والناهي فَخِيْمٌ ؛ لقوله ﷺ : مَنْ أمر بالمعروف ونَهْى عن المُنْكَر كان خليفة الله في أرضه ، وخليفة رسوله ، وخليفة كتابه[4] . وخيريتها من أَوْجُه أُخْرَى ، منها ما تَضَمَنَهُ قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾[5] ومن المَعلوم أنَّ صلاة الله رحمة ، وصلاة الملائكة استغفار لها [أي للأمة][6] ، أمَّا في حقيقتها ؛ فَيُكْتَبُ ثواب الاستغفار لهم ، وأمَّا في حق عُصَاتها ؛ فدعاء بالمغفرة لذنوبهم ، ومن المعلوم أنَّ دعاء المعصومينَ مقبول -وهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام- لا يُرَد ؛ ففيه بشارة عظيمة لعصاة المؤمنين .

جاء في بعض الأخبار : إنَّ الله خلق للعرش ثلاث مئة بروجٍ ، طول كل برج ألف عامٍ ، وبين البرج والبرج ألف عامٍ ، وخلق بين ذلك ملائكة كالجن والإنس

(١) انظر تفسير البحر المحيط للغرناطي (البقرة الآيات : ١٢٤-١٣١) .

(٢) إضافة اقتضاها السياق .

(٣) جزء من الآية رقم ١١٠ من سورة آل عمران .

(٤) الحديث عن ثَوبان أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار ٢/ ٢٩٨ .

والحديث غير مسند أورده الرازي في تفسيره (سورة آل عمران ، الآية ١١٠) .

(٥) جزء من الآية رقم ٤٣ من سورة الأحزاب .

(٦) إضافة اقتضاها السياق .

يقولون : اللهمَّ اغفر لعُصاة أمة محمد[١] . وتقرر أنَّ نبينا ﷺ - مُرْسَلٌ للجن فهم أمته ؛ فتكون /[١١٧ظ] الملائكة المذكورة من الداعية لعُصاتهم بالاستغفار ؛ وهو مُرْسَلٌ للملائكة أيضًا في أصح القولين لمزيد شرفه ، ولغير ذوي العقول حتى للجمادات تشريفًا لها ، وعرض عليه ما هو كائن من أمر أمته إلى يوم القيامة[٢] .

وجاء أنه قال : اللهم اغفر لأمتي ، اللهم اغفر لأمتي- قالها مرتين- ثمَّ قال : وَأَخَّرْتُ الثالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ الخَلْقُ إِلَيَّ حَتَّى إبراهيم عليه السلام[٣] .

ومن شَرَفها [أي أمة محمد][٤] أنه قال تعالى لموسى [عليه السلام][٥] ﴿إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى﴾[٦] .

وقال لها [أي لأمة محمد ﷺ] ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾[٧] .

وقال لإبراهيم : ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾[٨] .

وقال لها : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[٩] .

---

(١) الخبر غير مسند ذكره الصفوري في نزهة المجالس (باب فضائل هذه الأمة . . .) . ٢/ ٢١٤ .

(٢) القول منسوبًا لابن عباس ذكره النبهاني في البحر الزخّار في فضائل النبي المختار ١/ ٧١ .

(٣) جزء من حديث عن أُبَي بن كعب أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه) ٦/ ١٠٥-١٠٦ ، وأحمدٍ في المسند ٣٥/ ١٠٢ ، وابن حبان في صحيحه (كتاب الرقاق ، باب تفضل الله جل وعلا على صَفِيه صلى الله عليه وسلم) ٢/ ٦٠-٦١ .

(٤) إضافة اقتضاها السياق .

(٥) إضافة اقتضاها السياق .

(٦) أول الآية : ﴿ لاَ تَخَفْ﴾ سورة طه ٦٨ .

(٧) تتمة الآية : ﴿ إن كنتم تعلمون﴾ آل عمران ١٣٩ .

(٨) جزء من الآية رقم ١٢٥ من سورة النساء .

(٩) جزء من الآية رقم ٥٤ من سورة المائدة .

وقال لموسى أيضاً ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾[١] .

وقال لها : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[٢] .

وقال لعيسى : ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾[٣] .

وقال لها : ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾[٤] .

وقال لنبينا : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[٥] .

وقال لأمته : ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾[٦]

وأَوْحَى الله إلى شعيب ؛ قل لبني إسرائيل : إني سميتكم أحبابي ، وَسَأُوْثِرُ بهذا أمة محمد : إنْ أُغْضِبُوا هللوني ، وإن فرحوا كَبَّرُوني ، وإن تنازعوا سبحوني[٧] .

قال الطُوْسِي[٨] : ومن رحمته تعالى بهذه الأمة أنه جعلها آخر الأمم ، وجعل أعمارها قصيرةً مع مضاعفة الثواب ، ويؤيد هذا ما رُوِيَ عن النبي ﷺ - أنه قال : اللهم اعْطِ أمتي وأكثر من طاعاتهم ؛ فإنَّ أعمارهم قصيرةً ؛ فنزل : ﴿يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾[٩] . فقال : يارب زِدْهُمْ ؛ فنزل : ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ

---

(١) جزء من الآية ١٦٤ من سورة النساء .

(٢) جزء من الآية ١٥٢ من سورة البقرة .

(٣) جزء من الآية ٢٥٣ من سورة البقرة .

(٤) جزء من الآية ٢٢ من سورة المجادلة .

(٥) الآية رقم ٥ من سورة الضحى .

(٦) جزء من الآية رقم ١١٩ من سورة المائدة .

(٧) جزء من حديث أخرجه السيوطي في الدر المنثور (الأعراف : ١٥٦) .

(٨) هو علي بن محمد الطوسي ، من فقهاء الحنفية ، من أهل سمرقند ، من كتبه : الذخيرة ، وحاشية على التلويح للتفتازاني ، وحواشي على شرح المواقف ، والبداية في المحاكمة بين الحكماء ، والذخيرة في تهافت الفلاسفة ، وشرح مطالع الأنوار . توفي ٨٨٧هـ . انظر عنه : هدية العارفين للبغدادي ١/ ٧٣٧ .

(٩) جزء من الآية رقم ٥٤ من سورة القصص .

أَمْثَالِهَا ﴾[١] .

فقال : يارب زِدْهُمْ ؛ فنزل : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[٢] .

وفي كتاب (البركة)[٣] : نزل جبريل - عليه السلام - على محمد ﷺ - سَبْعَ مرات ، الأولى : قال يا محمد ؛ يقول تعالى : مَنْ أطاعني من أُمَتكَ كما ينبغي جازيته كما ينبغي .

الثانية : يقول تعالى لملائكته : انظروا إلى جوارح كل واحدٍ منهم ؛ فإن عصاني بستة ، وأطاعني بواحدة ؛ وَهَبْتُ السِتَّةَ له .

الثالثة : يقول تعالى : مَنْ تاب منهم من المعصية أخرجته من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

الرابعة : من أَصَرَّ منهم على ذنبه ابتليته بالأسقام حتى أطهره من ذلك .

الخامسة : مَنْ أذنب ذنبًا وهو يعلم أنه قد أساء غفرت له ولا أُبالي .

السادسة : أفتح عليهم الهاوية أربعين يومًا في الصيف ، وأربعين يومًا في الزَّمْهَرِيرِ[٤] ؛ ليكون ذلك حظهم من النار ؛ فلايُعَذَّبون بها يوم القيامة .

السابعة : إذا قامْت القيامة أحاسبهم حساب المَوْلَى الكريم للعبد الضعيف[٥] .

---

(١) جزء من الآية رقم ١٦٠ من سورة الأنعام .

(٢) جزء من الآية رقم ١٠ من سورة الزمر .

والحديث غير مسند ذكره الصفوري في نزهة المجالس (باب فضائل هذه الأمة) ٢/ ٢١٥ .

(٣) كتاب البركة في فضل السعي والحركة . لمحمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد ، أبو حامد ، جمال الدين الحُبَيْشي الوصَّابي ، فقيه شافعي ، يماني . من تصانيفه : كتاب النورين في إصلاح الدارين ، وعمدة الطالب في الاعتقاد الواجب ، وغيرها .توفي سنة ٧٨٦هـ . انظر عنه : هدية العارفين للبغدادي ١/ ١٧١ ، وكَشْف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٢٤٠ .

(٤) الزمهرير : شدة البرد ، لسان العرب مادة (زمهر) .

(٥) القول ذكره الصفوري في نزهة المجالس (باب فضائل هذه الأمة المرحومة) ٢/ ٢١٥ .

فصلٌ في قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ صيام شهر رمضان ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1] .

[تتقون] الله بصيامه . وللصيام فضيلة انفرد بها من بين سائر العبادات - وهي إضافته إلى الله تعالى .

كما قال تعالى [في الحديث القدسي] : الصوم لي وأنا أجزي به .

خرَّجَ الشيخان عن أبي هريرة ﷺ قال : قال ﷺ : كل عمل ابن آدم يُضاعفُ الحسنة عشر أمثالها إلى سبع مئة ضعْف إلى ما شاء اللّه ، يقول الله عزَّ وجلَّ : إلا الصوم ، فإنه لي وأنا أجزي به ، يَدَعُ طعامه وشهوته من أجلي ، وللصائم فرحتان : فرحة عند فطْرِه ، وفرحة عند لقاء ربه ، وَلَخَلُوفُ فيْه أطيب عند الله مِنْ رِيْحِ المِسْك . الصوم جُنَّة /[١١٨و][2] ؛ الفرحة عند فِطْرِه بإتمام العبادة ؛ والفرحة عند لقاء ربه بالمغفرة ، الخَلُوفُ : تغير رائحة الفم ؛ بسبب ترك الأكل ، والصوم جُنَّة : أي حماية من النارِ .

كما في حديث عن أنس ﷺ قال : قال ﷺ : الحسد يأكل الحسناتِ كما تأكل النار الحطب ، والصدقة تُطْفىء الخطيْئَةَ كما يُطْفِىء الماء النار ، والصلاة نور المؤمن ؛ والصيام جُنَّة من النار[3] . والصلاة نور المؤمن ؛ أي في قبره ومحشره وصراطه .

(١) الآية رقم ١٨٣ من سورة البقرة .

(٢) الحديث حتى مُنْتَهى عبارة : رِيْحُ المسك ، عن أبي هريرة أخرجه مسلم (كتاب الصيام ، باب فضل الصيام) ٨/ ٣٢ ، وحديث : الصيامُ جُنَّة : أخرجه مسلم عن أبي هُرَيرة (الموضع السابق) ٨/ ٣٢ وابن ماجه (كتاب الصيام ، باب ما جاء في فضل الصيام) ٢/ ٥٢٥ ، وأحمد في المسند ١٣/ ٤٩ . والحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري - مع اختلاف في اللفظ - (كتاب الصوم ، باب فضل الصوم) ٢/ ٦٧٠ .

(٣) الحديث عن انس أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد ، باب الحسد) ٤/ ٧٠٠-٧٠١ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في الحث على ترك الغل والحسد) ٥/ ٢٦٧ ، وابن أبي شيبة في المُصَنَّف (كتاب الأدب ، باب ما جاء في الحسد) ٥/ ٣٣١ .

﴿أيامًا معدودات﴾ [أي][1] ثلاثين يومًا[2] ، وفائدة كونه ثلاثين لمَا قالوا : إنَّ الموقف على الصراط بقدرِ ثلثين سنةً ؛ فببركة صوم الثلاثين [يومًا] يَجُوزُ الإنسان الصراط بالسلامة .

وكان : إذا دخل شهر رمضان ؛ قال : مرحبًا بالمُطَهِر ؛ فقيل : يا رسول الله ؛ ومن أي شيء يطهر؟ ؛ قال : من الذنوب[3] ، ونحن نقول اقتداءً بما فهمناه من كلام الرسول : اللهم اكتب لنا فيه براءةً من النارِ وشريْعَةً من الإيمان .

وفي بعض الأخبار : لكل شيء باب ، وباب العبادة الصيام[4] .

وفي الحديث : لو يعلم الناس ما في رمضان ؛ لتَمَنَوا أن يكون السنة كلها[5] .

جاء : إنَّ أوَّل ليلة من رمضان تهب رِيْحٌ من تحت العرش يُقالُ لها المثيرة ، تُصَفِّقُ[6] منها أوراق أشجار الجنة ، وَحِلَقُ أبوابها ؛ فيكون لها طَنِيْنًا[7] لم يسمع

---

(١) إضافة اقتضاها السياق .

(٢) هذا كلام يَنْبُو عن جِدَّة الصواب ؛ لأن الشهر أحيانا يكون (٢٩) يومًا . ولم نَجِد قولَ : إنَّ المَوقف على الصراط بقدر ثلاثين سَنَة .

(٣) الحديث غير مسند أخرجه ابن الجوزي في بستان الواعظين ورياض السامعين (باب فضل الصيام) ص٢٣٧ .

(٤) الحديث غير مسند ذكره الغزالي في الإحياء (كتاب أسرار الصوم) ١/ ٢٠٧ .

(٥) جزء من حديث طويل عن عبد الله بن مسعود أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد .وقال عنه : فيه جرير بن أيوب وهو ضعيف . (باب في شهود البركة وفضل شهر رمضان) ٣/ ١٤١ ، والحديث رواه ابن الجوزي في الموضوعات ؛ وقال عنه : هذا حديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمتهم به جرير بن أيوب (كتاب الصيام) ٢/ ١٨٩ .

(٦) صَفَّقت الريح الشيء إذا قلبته يمينًا وشمالًا ورددته ، والريح تُصَفق الأشجار ؛ فتصْطَفِق ؛ أي تضرب . لسان العرب (مادة : صفق) .

(٧) الطنين : هو صوت الشيء الصلب ، وصوت القطع ، و صوت الأذن ، لسان العرب (مادة : طنن) .

السامعون بمثله . فتقف الحور على شُرُف الجنة ، ويَقُلْنَ : هل من خاطب[١]؟ ثم يَقُلْنَ لرضوان ، خازن الجنَان : ما هذه الليلة؟ فيقول : هذه أول ليلة من رمضان فُتِّحَتْ فيها أبواب الجنة للصائمين والقائمين من أمة محمد لا تُغْلَقْ حتى ينقضي الشَّهر[٢] .

وفي اليوم الثاني يأمر الله مالكًا خازن النار أن يُغْلِقَ أبواب النيران عنهم ؛ فلا تُفْتَحْ حتى ينقضي .

وفي اليوم الثالث يأمر الله تعالى جبريل عليه السلام أن يهبط إلى الأرض ؛ ليُصَفِّدَ مَرَدَةَ الشياطين ، ويضعهم في الأغلال ، ويقذفهم في لُجَجِ البحار ؛ كَيْ لا يُفْسِدوا على أمة محمد ﷺ - صيامهم وعباداتهم .

وأحسن العبادات فيه الإكثار من تلاوة القرآن .

فقد رُوِيَ عن النبي ﷺ - أنه قال : الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، يقول الصيام : يارب ؛ عبدك منعته الطعام والشراب ، ومنعته الشهوات بالنهار فشَفِّعْنِي فيه . ويقول القرآن : يارب عبدك منعته النوم بالليل[٣] . وهو مشغول بتلاوتي ؛ فشَفِّعْنِي فيه ؛ فيَشْفَعَان له[٤] .

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال ﷺ : إنما سُمِّيَ رمضان ؛ لأنَّ رمضانَ

---

(١) جزء من حديث أوله : إنَّ الجنة تُزَخْرَف لرمضان ... عن ابن عمر أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٧/ ٤١٠ .

(٢) ورد هذا الجزء من الحديث - بعبارة أخرى - في الفوائد المجموعة للشوكاني ، وقال عنه : موضوع ؛ وفي إسناده : أصرم بن حَوْشَب : كذاب . (كتاب الصيام)ص ٨٧-٨٨ .

(٣) في المتن : بالليل النوم ، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه .

(٤) الحديث عن عبد الله بن عمر أخرجه أحمد في المسند ١١/ ١٩٩ ، والحاكم في المستدرك (كتاب فضائل القرآن) قال الذهبي : على شرط مسلم ٢/ ٧٧٣ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في تعظيم القرآن ، فصل في إدمان تلاوته) ٢/ ٣٤٦ .

يَرْمِضُ الذنوب(١) ؛ أي يحرقها ؛ لأنه من الرَمَضِ وهو الاحتراق ، وهو خمسة أَحْرُفٍ :

أوله : راء ، إشارةٍ إلى أنَّ الصائم تنزل عليه رحمة الله ، وينْغَمِرُ في رضي الله تعالى .

وثانيه : ميمُ ، إشارَةَ إلى أنَّه مغفور له وَمُعَان .

وثالثه : ضاد ، إشارةٍ إلى أنَّه في ضمان الله ثوابه .

ورابعه : ألِفُ ، إشارةٍ إلى أنَّه في أمانٍ من النارِ .

وخامسه : نون ، إشارةٍ إلى أنَّه يمشي/[١١٨ظ] يوم القيامة في النور ، والناس في ظُلْمَةِ المَحْشَرَ .

ويجب أنْ يُصَوِّم(٢) لسانه عن الكذب ، والغِيْبَةِ والنميمة ، وعيْنَيْهِ عن النَظَرِ إلى ما لا يَحِلُ ، وأذنيه عن سماع ما لا يَحِل ، ويديه عَن البَطْشِ الحرام ، وعن الغش في البيع والشراء ، والأخذ والعطاء ، والبطن عن المَأْكَلِ الحرام ، والمَشْرَبِ الحرام ، والفَرْجِ عن تعاطي ما حُرِّمَ عليه ، ورجليه من المشي إلى المحرمات ، ونيته من السوء ، وأعماله من الرياء ، وإلا كان صومه مردوداً عليه ، وكان رمضان خَصْمَهُ يوم القيامة .

يُقال : إنَّ رجلاً يوم القيامة يُؤْمَرُ به إلى النار ، والملائكة تضربه ؛ فيتعلق بالنبْيِ فيريد أن يشفع له ؛ فتقول الملائكة : يا رسول الله ، هذا رجلٌ خَصْمه رمضان ؛ فيقول

---

(١) الحديث عن أنس ذكره السيوطي في الدر المنثور (البقرة : ١٨٥) .
والحديث غير منسوب ذكره الرازي في التفسير (البقرة : ١٨٥) ٥/ ٢٥١ .

(٢) استخدم القرآن الكريم الفعل (صام) الذي يدل على معنى الإمساك عن الطعام والشراب ، كما يدل على معنى الصمت وعدم الكلام . فاستخدم للمعنى الأول كلمة (صيام) كما في قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون" البقرة ١٨٣ ، واستخدم للمعنى الثاني كلمة (صوم) كما في قوله تعالى "فإما ترينّ من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً" مريم ٢٦ . انظر : معجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم ، محمد محمود داود ص ٤٣٢ .

النبي ﷺ أنا بريء مِمَّن خصمه رمضان[1] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يقول : من صام يومًا من رمضان ؛ فسَلِمَ من ثلاث ضَمَنَتْ له الجنة : لسانه ، وبطنه ، وفَرْجَه[2] ؛ وَخُصَّتْ لأنها أَعْظَمُ ما يُوْقِعُ الإنسان في الحرام ، ولأنَّ إثمها أعظم من غيرها .

قال المُعَلا بن الفضل : كان السَّلَفُ يَدْعون ستة أشْهُرٍ أنْ يُبلِغَهُمُ الله شهر رمضان ، ويدعون ستة أشهر أن يتقبله منهم[3] .

وعن أبي سليمان[4] قال : جاءني أبو عليٍ الأصَم بأحسن حديث سمعته في الدنيا قال : يوضع للصُوَّامِ مائدة يأكلون منها ، والناس في الحساب ؛ فيقولون : ياربِ هؤلاءِ يأكلون ، ونحنُ نُحاسَب ؛ فيأتي النداء من قِبَلِ اللّٰه : ياعبادي ؛ طالما صاموا وأفطرتم ، وقاموا ونمتم .

جاء إنه مَنْ قال عند إفطاره : استغفر الله العظيم من الذنب العظيم ، يا عظيم ؛ فإنه لا يغفر الذنب العظيم إلا الرب العظيم ؛ غُفِرَتْ ذنوبه ، وإنْ كانت مثل

---

(١) الحديث غير منسوب ذكره الصفوري في نزهة المجالس (باب فضل رمضان . . .) ١/ ١٨٩ ، والحديث - بألفاظ أطول - ذكره ابن الجوزي في بستان الواعظين (رمضان في القيامة) ص ٢٣٢ .

(٢) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (فصل في فضل رمضان وصيام رمضان) ٢/ ٣٥٤ ، والسيوطي في الدر المنثور (سورة البقرة الآية ١٨٥) .

(٣) انظر لطائف المعارف لابن رجب (في صيام آخر شعبان) ١/ ١٤٨ .

(٤) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العبسي الداراني ، وهو من أهل : داريا : قرية من قرى دمشق . وفي الرسالة القشيرية : من داران ؛ وهي قرية من قرى دمشق .الزاهد ، الورع ، المتكلم . أسند الحديث . مات ٢١٥ هـ . انظر عنه طبقات الصوفية للسلمي ص ٧٥-٨٢ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٩/ ٢٥٤-٢٨٠ ، والرسالة القشيرية ص١٩ . وانظرالقول في نثر الدر للسيوطي (البقرة الآية ١٨٤) ١/ ٤٤٢ . والقول أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب عن أبي علي الأحمر (باب الترغيب في الصوم) ٢/ ٣٤٩ .

زَبَدِ البحر[١] .

ويا إخواني ؛ يحتاج صوم كل يومٍ إلى النية ؛ ومَنْ قال من الحنفية ، أو قال أحد إنَّ الحنفية يُجوِّزُنَ صيام شهر رمضان بنيةٍ واحدة من أوَّل ليلةٍ من الشَّهْرِ ؛ فهو جاهلٌ بمذهب الحنفية ، غير أنَّ النية عندنَا لا تحتاج إلى التبييت ؛ فيصح الصوم بنيةٍ من النهار قُبَيْلَ الضَّحْوَةِ[٢] الكُبْرَى ، ولا يحتاج إلى تعيينِ أنَّه يصوم عنْ رمضان ؛ فيصح بقولِه : أصوم غدًا ، وبقوله : أصوم لله تعالى ؛ والأفْضَلُ هو التَّبْييتُ واليقين ليكون صومه مُجْمَعًا عليه ؛ فإنَّ الأئمَةَ الثلاثة - رضي الله عنهم- شَرَطُوا التَّبْيِيْتَ والتعيين[٣] .

وينبغي فيه الإكْثارُ من التسبيح والتهليل ، وذِكْرُ الله تعالى .

قال الزهري : تسبيحة في رمضان خير من ألف تسبيحة في غيره[٤] .

وعن عمر بن الخطَّابِ رضي الله عنه قال : سمعتُ النبي ﷺ يقول : ذاكرُ اللهَ في رمضانٍ مغفور له ، وسائل الله عزَّوجلَّ فيه لا يَخِيْبُ[٥] في إثراءِ أمرٍ يدعوه .

---

(١) الحديث غير مسند ذكره الفتني في تذكرة الموضوعات (باب فضل الذكر خفية) ١/ ٥٥٥

(٢) الضَّحْوَة : ارتفاع النهار وامتداده إلى أن ينتصف،، والضحى من طلوع الشمس إلى أن يرتفع النهار وتبيض الشمس جداً ، ثم بعد ذلك الضَّحاء إلى قريب من نصف النهار ، لسان العرب (مادة : ضحا) .

(٣) من شروط الصيام عند الحنفية : النية ، ووقتها كل يوم بعد غروب الشمس إلى ما قبل نصف النهار . وشرط الشافعية ، والمالكية ، والحنابلة في النية التبييت والتعيين . انظر : الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري (كتاب الصيام ، شروط الصيام) ١/ ٤١٧ -٤٢١ .

(٤) القول منسوبًا للزهري أخرجه الترمذي (كتاب الدعوات ، باب ٦٢) ٥/ ٤٨٠ ، وابن أبي شيبة في مُصَنَّفه (باب ما جاء في التسبيح في رمضان) ٦/ ١٠٧ .

(٥) الحديثَ عن عمر بن الخطاب أخرجه الطبراني في الأوسط ٨/ ١٦٧ ، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب الصوم ، باب الترغيب في صيام رمضان احتسابًا) وقال عنه : ضعيف ١/ ٣٠٦ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في الصيام ، فضائل شهر رمضان) ٣/ ٣١١ .

مرَّ مَعَنَا : عبدي ، إذا سألْتَ فَسَلْني ؛ فإني غَنيٌّ ، عبدي ، إذا طَلَبْتَ النُصْرَةَ ؛ فاطْلُبْها مني فإني قويٌّ ، عبدي ، إذا اقترضتَ ؛ فاقْتَرِضْ مني ؛ فإني عَطيٌّ ، عبدي ، إذا أفْشَيْتَ سرَّك ؛ فَافْشِه لي فإني وَفِيٌّ ، عبدي ، إذا دعوت فَادْعُني فإنّي حَفِيٌّ[1] .

(١) انظر المستطرف من كل فن مستَظْرَفْ للأبشيهي (الفصل الثاني في الأدعية وما جاء فيها) ١/ ٤٨١ .

/[١١٩و] فصلٌ

في قوْلِهِ تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾[١]

أي قالوا ذلك عارفين لمعنى الربوبية ؛ فمعرفة -الله تعالى- رأس الفرائض الدينية . في الحديث : كنتُ كَنْزًا مخفيًا ؛ فأحببتُ أن أُعْرَف : فخلَقْتُ الخَلْقَ لأُعْرَفَ[٢] . وفي الحديثَ أيضًا : مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ ؛ فقد عَرَفَ ربَّه[٣] .

قيل في معناهُ : منْ عَرَفَ نفْسَهُ بالفنَاء ؛ فقد عَرَفَ ربَّهُ بالبقاء ، ومن عرف نفسه بالحُدُوْث ؛ فقد عَرَفَ ربَّهُ بالقدَمِ ، ومن عرف نفسه بالعبودية فقد عَرَفَ ربَّهُ بالمعبودية ، ومَنْ عرف نفسه بالتحقير ؛ فقد عرف ربَّه بالتوقْيرِ ؛ فلا قديم ولا باقي إلا الله ، قديمٌ بلا بدايَة ، باق بلا نهايةٍ ؛ فالحادث يجوزُ في حقه الفناء ، والباقي يستحيل في حقه الفَناء ، ولَا معْبود بحَقٍ في الوجود إلا الله ؛ فالآية شاملة لكلمة الإخْلاصِ ؛ وهيَ قَوْلُ : لا إله إلا الله ؛ فعنَ محمد عليه الصلاة والسلام : من قال لا إله إلا الله خرجَ من فَمه طائر أخضر له جناحانَ أبيضان مُكَللان بالدر والياقوت يَصْعَدُ إلى السماء ؛ فَيُسْمَعُ له دَوِيٌ كدَوِي النَّحْلِ حتى ينتهي إلى العرش ؛ فَيُقَالُ له : اسكن ؛ فيقول : لا ، وعزة الربوبية لا أسكن حتى يُغْفَرُ لقائلها ؛ فيجيء النداء من قُبَلِ الله تعالى : اسكن ؛ فقد غفرتِ له ، ثم يخلق الله تعالى للطائرِ سبْعين لسانًا يستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة ؛ فإذا كان يوم القيامة جاء ذلك الطائر ؛ فأخذ بيد صاحبه ؛ فيقوده إلى الجنة[٤] .

---

(١) جزء من الآية رقم ٣٠ من سورة فُصِّلَت ، وسيبدأ المؤلف في شرحها حتى الآية رقم ٣٥ من السورة نفسها .

(٢) الحديث ذكره العجلوني في كشف الخفاء وقال عنه : هو من المشهور على الألسنة ، وهو كثير الوقوع في كلام الصوفية ، واعتمدوه وبنوا عليه أصولاً لهم ٢/ ١٢١ .

(٣) الحديث موضوع ، ذكره القاري في الموضوعات الكبرى ص ٣٧٠ ، وانظر كشف الخفاء للعجلوني ٢/ ٢٣٤ .

(٤) الحديث غير مسند ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين (باب ما جاء في فضل لا إله إلا الله) ص ٣٤٩ .

وعن مُجاهد - رحمة الله عليه- ثلاثة أشياء لا يحجبهنَّ شيء عند الله : شهادة أنْ لا إله إلاَّ الله ، ودعوة الوالد لولده ، وكذلكَ دعوة الوالد على ولده ، ودعوة المظلومِ على الظالم[١] .

وعن بعضِ السَّلَف : مَنْ قال لا إله إلا الله من قلبه ومدَّها بالتعظيم ؛ غفر الله له أربعة آلاف ذنبٍ من الكبائرِ ، وأمَّا شرْعًا فلا بُدَّ للكبائرِ من التوبة ، ويفعل الله ما يشاء ، (حَدِّثْ عن البحر ولا حَرَجْ) فإن لم يكن له أربعة آلاف ذنب غُفِرت من ذنوبِ أهله وجيرانه ، محمول على محض الفضل ، وفي الأثر إشارة إلى اشتراط الإخلاص فيها ؛ لأنه قال : من قلبه ؛ فيشترط مطابقة اللسان القلب ، وإلا كان الإنسان منافقًا .

قال رسول الله ﷺ مَنْ قال لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة[٢] ؛ فإن أتى بها مخلصًا مَنَعتْهُ عن إتيان الذنوب ، وهذه من أعظم الفوائد ؛ فإنَّ مَنْ أرادَ أنْ يحْفَظْ نفسَهُ من الوقوع في الذنوبِ ؛ فَلْيَقُلْ لا إله إلا الله بإخلاص ؛ وإخلاصها دليلٌ على قوةِ الإيمانِ .

والإيمانُ مُنْقَسِمٌ إلى قسمينِ : إيمانُ عطاءٍ وفضلٍ ، وإيمانٌ عَارِيَةٌ[٣] ؛ فَعلامة الأول

---

(١) الأثر عن مجاهد ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين (باب ما جاء في فضل لا إله إلا الله) ص ٣٤٩ .

(٢) الحديث عن معاذ بن جبل أخرجه أحمد في المسند مع اختلاف في اللفظ ٣٦/ ٣٨١-٣٨٢ ، والطبراني في الكبير ٢٠/ ٣٦ ، وابن حبان في الصحيح (كتاب الإيمان ، ذكر البيان بأن الجنة إنما تجب لمن شهد لله جل وعلا بالوحدانية) ١/ ٢١١ ، وعبد بن حُميد في المسند ص ٧٠ .

(٣) عروٌ منه : خِلْوٌ (ج) أعراء . انظر معجم لغة الشريعة لسعدي أبو جيب . و قد قَسَّمَ الإمام علي رضي الله عنه الإيمان إلى ثلاثة أقسام : أحدها الإيمان الحقيقي ، وهو الثابت المستقر في القلوب بالبرهان اليقيني . والثاني : ما ليس ثابتًا بالبرهان اليقيني ؛ بل بالدليل الجدلي كإيمان كثير ممن لم يحقق العلوم العقلية ، ويعتقد ما يعتقده عن أقيسة جدلية لا تبلغ درجة البرهان ، وقد سمى عليه السلام هذا القسم باسم مفرد : فقال : إنه عَوَارِيٍ في القلوب . والعواري جمع عارية ؛ أي هو وإن كان في القلب وفي محل الإيمان الحقيقي إلا أنَّ حكمه حكم العارية في البيت ؛ فإنها بِعُرضة للخروج منه ؛ لأنها =

الامتناع من الذنوب، والرغبة في الطاعات، والندم على ما فات، والاستدراك بالتوبة، وعلامة الثاني: عدم الإخلاص بلا إله إلا الله، والانْكبَابُ على المعاصي؛ خصوصًا في الأيامِ والليالي الفاضلة؛ لأنه دليل الاسْتخْفَاف بها؛ فيُخْشَى أنْ يُمْكَرَ به؛ بأن يستردَّ منه ما هو عَاريه[1] عنده -والعيَاذُ بالله-؛ فعلَى المَرْءِ أنْ يسْعَى لِمَا فيه نفعه في الدنيا والآخرة، والعمل على الدنيا فإنَّها مزرعة الآخرة.

وعن نوحٍ -عليه السلام- أنَّه قال لابنه: يا بُنَيَّ آمُرُكَ بأمرين، وأنهاكَ عن أمرين: آمُرُكَ أنْ تَقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فإن السماوات والأرض لو جُعِلَتْ في كفَّة، وجُعِلَت هذه الكلمة في كفة لَوَزَنَتْهَا، وآمركَ أن تقول سبحان [١١٩ظ] الله وبحمده؛ فإنها صلاة الملائكة، ودُعاءُ الخَلْقِ، وبها يُرْزَقُوْن[2]؛ أي أنَّها سببٌ لجلب الرزق؛ فإنَّ مَنْ أرادَ أنْ يتسعَ عليه الرزق؛ فليُلازِم قول سبحان اللَّه وبحمده، ويُزِيْدُ سبحانَ اللَّه العظيمِ، كما مرَّ فيها من حديث خرَّجه الشيْخَان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: كلمتانِ خفيفتانِ علَى اللسانِ ثقيلتانِ في الميزانِ حبيبتانِ إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم[3].

ثمَّ قال نوحٌ -عليه السلام- لابنه: وأنهَاكَ عن أنْ تُشْرِك بالله؛ فإنَّ مَنْ أشْرَكَ باللَّه حَرَّمَ الله عليه الجنة، وأنهاك عن الكِبْرِ؛ فإنَّ أحدًا لا يدخل الجنة وفي قلبه وزن خردلة من كِبْر.

﴿ثمَّ اسْتَقَامُوا﴾[4] في أَمْرِ الدين، والتوحيد، والأعمال الصالحة.

= ليست أصليةً كائنة في بيت صاحبها. والثالث: ما ليس مستندًا إلى برهان ولا إلى قياس جدلي؛ بل على سبيل التقليد وحسن الظن بالأسلاف، وبم يَحْسُنُ ظن الإنسان فيه من عابد أو زاهد، أو ذي ورع، وقد جعله عليه السلام عواري بين القلوب والصدور؛ لأنه دون الثاني، فلم يجعله مالاً في القلب وجعله مع كونه عارية بين القلب والصدر؛ فيكون أضعف منه. انظر نهج البلاغة: ١٣/٦٠.

(١) أي استعاره.

(٢) جزء من حديث عن جابر بن عبد الله أخرجه عبد بن حُمَيد في مُسْنَدِه، ص٣٤٨، والسمرقندي في تنبيه الغافلين (باب ما جاء في فضل لا إله إلا الله) ص ٢٥١.

(٣) الحديث سَلَفَ ذِكْرُهُ، ص١١٥و.

(٤) تتمة شرح الآية رقم ٣٠ من صورة فصلت.

فعن أبي بكرٍ - رضي الله عنه - الاستقامة عدمُ الإشْرَاكِ باللَّه تعالى[١] .

وعن عمر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - الاستقامة : أنْ يسْتَقيمَ الإنسانُ على أوامر الله تعالى ، وأنْ يَنْتَهِيَ عن الذي ينْهَى - الله تعالى عنه - ولا يَروْغ رَوَغَانَ الثعلب[٢] .

وعن عثمان بن عفَّانٍ - رضي الله عنه - : الاستقامة هي الإخلاص في الأعمال[٣] .

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : اتقوا الشرْكَ الأصغر ، قيل : يا رسول الله ؛ وما الشرك الأصغر؟ قال : الرياء ، يوم يُجَازِيْ الله العباد بأعمالهم ، يقول : اذهبوا إلى الذين كنتم تُرَاءُوْنَ في الدنيا ، انظروا هل تُصِيْبُوْنَ عندهم خيراً؟[٤] .

وعن عليٍ - رضي الله عنه - : استقيموا على الأوامر ، وتَرْكِ المَنَاهِيْ[٥] .

وقيل : استقاموا على كلمة التوحيد واعتقادها مدة حياتهم وإلى مماتهم ، وكان الحسن البصري إذا تَلَى هذه الآية يقول : اللهمَّ ربنا ارزقنا الاستقَامَةَ .

وقال بعض الناس : الاستقامة خير من ألفِ كَرَامة .

وعن علي وابن عبَّاس - رضي الله عنهم - : الاستقامة أداء فرائض الله تعالى ؛ فجزاؤهم ما قال تعالى ﴿تتنزلُ عليهمُ الملائكة﴾[٦] ملائكة الرحمن عند الموت يبشرونهم بالجنة ، ويقولون لهم ﴿أنْ لا تخافوا﴾ من الموت وما تُقْدِمُوْنَ عليه من اليومْ الآخر ، ولا من ذنوبكم فإنها مغفورة ، ﴿ولا تحزنوا﴾ على الدنيا وما فيها ، ولا على

---

(١) انظر تفسير القرطبي (فُصِّلَت :٣٠) .
(٢) انظر تفسير القرطبي (فصلت :٣٠) .
(٣) انظر تفسير القرطبي (فصلت : ٣٠) .
(٤) أول الحديث : إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . . . عن محمود بن لبيد أخرجه أحمد في المسند ٣٩/٣٩ ، والطبراني في الكبير ٤/ ٢٥٣ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في إخلاص العمل لله وترك الرياء) ٥/ ٣٣٣ .
(٥) انظر : تفسير القرطبي (فصلت : ٣٠) .
(٦) الآية رقم ٣٠ من سورة فصلت .

مَنْ تحبون ؛ فإنهم لاحقون بكم تجتمعون معهم في جنَّاتِ النَّعيمِ ، ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ؛ فإنَّ الله لا يُخْلِفُ وعده حيث إنكم لم تنقضوا عهده ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ﴾ حافظون لكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[(١)]

﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ﴾ من الكرامات والللذات ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ تتمنون ،﴿ نُزُلاً ﴾ رزقًا وَمُنَزَّلاً فيه رزق ﴿من غفور رحيم﴾ .

قال تعالى :﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾[(٢)] ثم ليعلم أنَّه قيل في قوله تعالى : ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ﴾[(٣)]

قيل : في قبورهم للسؤال ؛ وهما منكر ونكير ، وقيل : عند قيامهم من قبورهم يقودونهم إلى الجنة ، وقيل : تتنزَّل عليهم الملائكة ليلة القدر ، وقيل : ليلة النصْف من شعبان[(٤)] يُسَلِّمُونَ على كل مسلمٍ ومسلمة ؛ فَمَنِ اقشعرَّ جسده ؛ دلَّ على أنَّ الملائكة الكرام صافحوه ، يستمرون يَدْعُونَ ويستغفرون /[١٢٠و] لأمة محمد ﷺ للفجر .

عن عائشة : - رضي الله عنها- قالت : قمتُ ليلة النصف أَلْتَمِسُ النبي ﷺ فوجدته ساجداً وهو يقول في سجوده : اللهم سجد لك سَوَادي[(٥)] وخيالي ، وآمَنَ بك قلبيْ ، أبُوءُ لَكَ بالنعَمِ وأعْتَرِفُ لك بالذنب ، ظلمت نفسي فاغفر لي ، إنَّهُ لا يغفر الذنوب إلا أنتَ ، أَعُوذُ بعفوك من عقوبتك ، وأعوذ برحمتك من نقمتك ، وأعوذ برضاكَ من سَخَطِكَ ، وأعوذ بك منك ، لا أُحْصِيْ ثناءً عليك أنتَ كما أَثْنَيْتَ على نفسك .

---

(١) جزء من الآية رقم ٢٥٧ من سورة البقرة .

(٢) الآية رقم ١٠٧ من سورة الكهف .

(٣) انظر تفسير ابن كثير (فصلت :٣٠) .

(٤) انظرحاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي ٤/ ٢١٢ .

(٥) السَوَادُ : عند العرب : الشخص لسان العرب : (مادة : سود) .

قالت : فما زالَ يركع ويسجد حتّى أصْبَحَ ؛ وقد اصْفَرَّت قَدَمَاهُ ؛ فقلت له : يا رسول الله ، أليس الله قد غفر لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر؟ قال : يا عائشة ؛ أفلا أكون عبدًا شكورًا ، هل تدرين ما في هذه الليلة؟ قلت : يا رسول الله ؛ وما فيها ؟ قال : فيها يُكْتَبُ كل مولود في هذه السنة ، وفيها يُكْتَبُ كل ميت ، وفيها تَنْزِلُ أرزاقهم ، وفيها تُرْفَع أعمالهم ، قلت : يا رسول الله ؛ ما أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى؟ قال : بلى ، قلتُ : ولا أنت يارسول الله ، قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني منه برحمة ، ومسح على هامته إلى وجهه[١] .

قيل في قوله تعالى : ﴿فيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكيْمٍ﴾[٢] ؛ هي ليلة النصْف يُدَبرُ الله فيها أمر السنة ؛ فَيَنْسَخُ الأَحياء من الأموات ، وَيَكْتُبُ فيها حُجَاجَ بيتِ اللَّهِ ؛ فلا يُزَادُ فيهم أحد ، ولا يُنْقَصُ منهم أحد .

عن عليٍ بن أبي طالب - ﷺ - : ينزل الله ليلة النصف من شعبان ؛ فيغفر لكل مسلمٍ إلاَّ لمشرك ، أو مشَاحِنٍ ، أو قاطع رَحِمٍ أو امرأة بَغِيٍّ بِفَرْجِهَا[٣] ، واختلف في المُشَاحِنِ ؛ فقيل : البغضاء ، والضغينة في القلب للمسلم ، وقيل التارك لسنة رسول الله ﷺ الطاعن على أمته بالكلمات المُحَرَّمَة ، السافك لدمائهم .

وعنهْ عن النبي ﷺ أنه قال : إذا كانت ليلة النصف من شعبان ؛ فقوموا ليلها وصوموا نهارها ؛ فإنَّ -الله تعالى- ينزل فيها من غروب الشمس إلى السماء ؛ فيقول :

---

(١) الحديث بهذا اللفظ عن عائشة أم المؤمنين أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (فصل في فضل صيام شعبان) ٢/ ٣٩٤ - ٣٩٥ .

(٢) الآية رقم ٤ من سورة الدخان والمقصود ليلة القدر وليس ليلة النصف من شعبان .

(٣) الحديث مرفوعًا عن علي بن أبي طالب أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (ليلة البراءة ، فصل في فضل صيام شعبان) ٢/ ١٤٥ ، ٢/ ٣٩٧ . والمُشاحن : المُعادي . وقال الأوزاعي : أراد بالمُشاحِن صاحب البدعة والمفارق لجماعة الأمة . لسان العرب (مادة : شحن) .

أَلَا من مُسْتَغْفِرٍ فأغفر له ، ألا [من] مُسْتَرْزِقٍ فأرزقه ، حتى يَطْلُعَ الفجرْ[(١)] .

وعن أسامة بن زيد - رضي الله عنه - قال : قلت : يا رسول الله ؛ لم أرَكَ تصوم شهراً من الشهور مثل شهر شعبان ؟ قال : ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان ، وهو شهر تُرْفَعُ فيه الأعمال إلى رب العالمين ؛ فأحب أن يُرْفَعَ عملي وأنا صائم[(٢)] ، والنزول في الأحاديث : نزول الرحمة لا نزول الذات ؛ فإنَّ ذلك من صفات الأجسام .

وقوله تعالى ﴿ وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[(٣)] . البُشْرَى تكون في ثلاثة مواضع : عند الموت ، وفي القبر ، وعند البعث .

فَصْلٌ في قَوْلِهِ تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ ﴾[(٤)] ؛ أي ؛ إلى طاعة الله ، وهو رسول الله ﷺ ومَنْ قام مقامه من عالمٍ ومُحَدِّث ، ويُقالُ : المؤذنون ؛ فإنهم داعون إلى طاعة الله ؛ وهي الصلاة بالأذان والإقامة ؛ وهما سُنَّتَانِ للصلوات الخَمْس ، والجمعة فقط ، والإقامة عندنا أفضل من الأذان ؛ لأنها أقربُ إلى الصلاة[(٥)] .

---

(١) الحديث عن علي بن أبي طالب أخرجه ابن ماجه (كتاب الصلاة ، باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان) ٢/ ٤٤٧ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في الصيام ، ما جاء في ليلة النصف من شعبان) ٣/ ٣٧٨- ٣٧٩ .

(٢) الحديث عن أسامة بن زيد أخرجه أحمد في المسند ٣٦/ ٨٥-٨٦ ، والنسائي (كتاب الصيام ، باب صوم النبي ﷺ وذكر اختلاف الناقلين للخبر في ذلك) ص ٣٦٧ .

(٣) تتمة شرح الآية رقم ٣٠ من سورة فصلت .

(٤) تتمة شرح الآية رقم ٣٣ من سورة فصلت .

(٥) اتفق الأئمة الأربعة على أن الأذان سنة مؤكدة : ما عدا الحنابلة ؛ فإنهم قالوا : إنه فرض كفاية . انظر : الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري (كتاب الصلاة ، حكم الأذان) ١/ ٢٤٣ ، والإقامة حكمها كالأذان : وخالف المالكية فقالوا : هي سنة عين لذكر بالغ ، وسنة كفاية لجماعة الذكور البالغين ، ومندوبة عينًا لصبي وامرأة ، إلا إذا كانا مع ذكر بالغ فأكثر ؛ فلا تُندب لهما اكتفاء بإقامة الذكر البالغ انظر : المرجع السابق ١/ ٢٥١ .

خرَّج أبو داود والترمذي من حديث حَسَنٍ عن أَنَسٍ – ﷺ – قال : قال النبي ﷺ : الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرَد[(١)] .

عن أبي سعيد الخُدْرِي – ﷺ – قال : قال ﷺ : المؤذن داعي الله ، والإمام نور الله ، والصفوف أركان الله ، والقرآن كلام الله ؛ فأجيبوا داعيَ الله ، واقتبسوا من نور الله /[١٢٠ظ] وكونوا أركان الله ، وتعلموا كلام الله ؛ لأنَّ الأئمة والمؤذنين يُفْزِعُ النَّاس ولا يفزعون ، ويُرْعِبُ النَّاس ولا يُرْعَبُون ، هم الآمنون من عذاب الله تعالى[(٢)] .

وعن زيد بن أَرْقَمِ – ﷺ – قال : قال ﷺ : نِعْمَ المرء بلال سيد المؤذنين يوم القيامة ، والمؤذنون أطول النَّاس أعناقًا يوم القيامة[(٣)] .

عن عائشة رضي الله عنها ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ قولاً : قال حي على الصلاة ، وإذا صلَّى فقد عمل صالحًا ، وإذا قال أشهد أن لا إله إلا الله ، وقال إنني من المسلمين ؛ أي مع اعتقاد القلب ؛ فهو من المسلمين[(٤)] .

---

(١) الحديث عن أنس بن مالك أخرجه الترمذي (كتاب الصلاة ، باب ما جاء أن الدعاء لا يُرد بين الأذان والإقامة) قال أبو عيسى : حديث أنس ، حديث حسن صحيح ١/ ٤١٥-٤١٦ ، وأبو داود (كتاب الصلاة ، باب ما جاء في أن الدعاء لا يُرد بين الأذان والإقامة) ١/ ٢٥٥ ، وأحمد في المسند ١٩/ ٢٣٤ .

(٢) الحديث عن أبي سعيد الخدري أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترغيب في الأذان وفضل المؤذنين) ١/ ١٩٦ .

(٣) الحديث بتمامه عن زيد بن أرقم أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب معرفة الصحابة) ٥/ ١٩٤٨ ، والطبراني في الكبير ٥/ ٢٠٩ ، وابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الأذان والإقامة ، باب في فضل الأذان وثوابه) ١/ ٢٠٤ ، وحديث : المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة عن معاوية بن أبي سفيان أخرجه مسلم (كتاب الصلاة ، باب فضل الأذان ، وهرب الشيطان عن سماعه) ٤/ ٩٤ . وعن أبي هريرة أخرجه عبد الرزاق في المصنف (كتاب الصلاة ، باب فضل الأذان) ١/ ٤٨٣ ، وابن حبان في صحيحه (ذكر تأمل المؤذنين طول الثواب في القيامة بأذانهم في الدنيا) ٣/ ٩٠ .

(٤) انظر تفسير ابن كثير (فُصلت آية ٣٣) وفيه : قالت عائشة أم المؤمنين : فهو المؤذن إذا قال حي على الصلاة ، فقد دعا إلى الله .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال ﷺ : المُؤَذِنُونَ يَفْضُلُونَ الناس يوم القيامة بطولِ أعناقهم[(١)] .

[فضل المؤذن]

وعن أبي هريرة الدَّوْسِيِّ رضي الله عنه قال : قال ﷺ : للمؤذن فضل على مَنْ صلَّى معه عشرون ومئة حسنة ؛ فإن أقام فأربعون ومائتا حسنة ، إلا مَنْ قال مثل ذلك[(٢)] ؛ أي ويحصل ذلك لِمَنْ أجابها بالقَوْلِ ؛ إلا أنَّه يقول المُجِيْبُ عند حيٍّ على الصلاة وحي على الفلاح : لا حَوْلَ ولا قوة إلا بالله .

وفي الحديث : مَنْ قال مِثْلَ ما يقول المؤذن وحَوْقَلَ عند الحَيَّعَلَتَيْنِ ، وقال الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله من قلبه : دخل الجنة[(٣)] .

وعن سعد بن أبي وَقَّاص- رضي الله عنه - قال : قال ﷺ : مَنْ قال حينَ يسْمَعُ المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله رضيت بالله ربًا وبمحمد رسولًا وبالإسلام دِيْنًا ، غُفِرَ له ذَنْبُه[(٤)] .

وعن أبي أُمَامَة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : إذا نادى المؤذن فُتِّحَتْ أبواب السماء ، واسْتُجِيْبَ الدعاء[(٥)] ؛ فَمَن نَزلَ به كرب أو شدة ؛ فليتَحَرَّ المنادي إذا نادى ؛ فليقل

---

(١) حديث أنس أخرجه أحمد في المسند ٢٠/ ١٤٥ .

(٢) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترغيب والأذان وفضل المؤذنين) ١/ ١٩٩ .

(٣) الحديث عن عمربن الخطاب أخرجه مسلم -بألفاظ أطول - (كتاب الصلاة ، باب استحباب القول مثل ما يقول المؤذن ....) ٤/ ٩٠ ، وأبو داود (كتاب الصلاة ، باب ما يقول إذا سمع المؤذن) ١/ ٢٥٧ . حوقل : قال : لا حول ولا قوة إلا بالله . الحيعلتين : حي على الصلاة ، حي على الفلاح

(٤) الحديث عن سعد بن أبي وقاص أخرجه مسلم (الموضع السابق) ٤/ ٩٠ ، والترمذي (كتاب الصلاة ، باب ما جاء ما يقول الرجل إذا أذَّن المؤذن من الدعاء) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ١/ ٤١١-٤١٢ .

(٥) الحديث عن أنس أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الدعاء ، الساعة التي يُستجاب فيها الدعاء) ٦/ ٣١ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الصلاة ، الدعاء بين الأذان والإقامة) ١/ ٣٣٤ ، وأبو يعلى في المسند ٣/ ٥٢٧ .

مثل مقالته ؛ ثم ليقل : اللهمَّ رب هذه الدعوة التامة الصادقة الحق المُسْتَجابُ لأهلها ، دعوة الحقِ وكلمة التقوى أَحْيِنَا عليها ، وَأَمِتْنَا عليها ، واجعلنا من خِيَارِ أهلها مَحْيًا ومماتًا ، ثم يسأل حاجته .

وعن أبي هريرة ﵁ قال : قال ﷺ : مَنْ سمع المؤذن يؤذن فقال كما يقول ، ثمَّ يقول : رَضِيْتُ بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا ، وبالقرآن إمامًا ، وبالكعبة قِبْلَةً ، أشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ، ثُمَّ يقول : اللهمَّ اكتب شهادتي هذه في عِلِّيين ، وأَشْهِدْ عليها ملائكتك المقربين وأنبياءَكَ والمرسلين وعبادك الصالحين ، واختم عليه بآمين ، واجعل لي عندك عهداً تُوَفِّينَهُ يوم القيامة "إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ" .بَدَرَتْ له بطاقة من تحت العرش فيها مكتوب : عُتِقَتْ من النار[١] .

البطاقة : الرقعة الصغيرة ، وهذه تُسَمَّى : عَهْد نَامَه[٢] ، قال شيخي علاء الدين أفندي المُفْتَى في : شرح التنوير[٣] : كُتِبَ على جبهة الميت أو عمامته أو كفنه : عهد نامه ، يُرْجَى أن يغفر الله له .

وفيه أَوْصَى بعضهم أن يُكْتَبَ على جبهته وصدره : بسم الله الرحمن الرحيم ، ففعل . ثُمَّ رُؤِيَ في المنام ؛ فَسُئِلَ ، فقال : لَمَّا وُضِعْتُ في القبر جاءتني ملائكة العذاب ؛ فلمَّا رأوا مكتوبًا على جبهتي بسم الله قالوا : أَمِنْتَ من عذاب الله .

---

(١) الحديث بهذا اللفظ عن أبي هريرة أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (فصل في الترغيب في إجابة المؤذن) ١/ ٢٠٦ ، والبيهقي في الدعوات الكبير (باب الدعاء والقول عند الأذان) ص٥١ .

(٢) عهد نامه : هي كلمة فارسية تعني الورقة التي يكتبون فيها شروط التعاقد ، ويوقعون عليها ويختمونها وهي تقوم مقام الوثيقة ، انظر : دكتر محمد معين ، فرهنك فارسي معين ، ٢/ ٢٣٦٦ .

(٣) كتاب تنوير الأبصار وجامع البحار ، في الفروع ، للشيخ شمس الدين محمد بن عبد الله بن أحمد بن تمرتاس الغزي ، الحنفي . انتهى من تصنيفه ٩٩٥هـ ، ثم شرحه في مجلدين ضخمين وسماه : مِنَحُ الغفار . توفي ١٠٠٤هـ انظر عنه كشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٥٠١ . وسبق ترجمة الشيخ علاء الدين .

عن أنس ﷺ قال: قال ﷺ إنّ المؤذن إذا قال الله أكبر؛ فُتّحتْ أبواب السماء، وإذا قال أشهدُ إنّ لا إله إلا الله تزيّنتْ أبكار الجنة، وإذا قال أشهد أنّ محمدًا /[١٢١و] رسول الله قالت الملائكة: ارفع حوائجكَ إلى الله عزّوجل، إنّ الله عزّوجل يقضي لك الحوائج(١).

مرّ أنّ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليّ؛ فإنّ مَنْ صلّى عليّ صلّى الله - عزّوجل- عليه بها عشرًا، ثم سَلُوا الله ليَ الوسيلة؛ فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو؛ فَمَنْ سألَ ليَ الوسيلة حلّتْ عليه الشفاعة(٢).

ومرّ أيضًا عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال ﷺ: مَنْ سمع المؤذن؛ فقال: اللهمّ ربّ هذه الدعوة التّامة، والصلاة القائمة آت محمدًا الوسيلة والفضيلَةَ، والرِفْعَةَ، وابْعَثْهُ مقامًا محمودًا؛ حلّتْ له شفاعتي يوم القيامة(٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: مَنْ أذّنَ خَمْسَ صلوات إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تَقَدّم من ذنبه(٤)؛ وهذا على مَنْ أذّنَ لها ولو لنفسه، وعلى خمسة مرة واحدة في عمره.

---

(١) الحديث عن أنس أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترغيب في الأذان وفضل المؤذنين) ١/ ٢٠١، والصفوري في نزهة المجالس (باب فضل الصلوات ليلًا ونهارًا) ١/ ١٢٩. وفي هذا الموضع كُتِبَ: الكراس الثالث عشر من عذب الملافظ في جمع المواعظ.

(٢) (الحديث عن عبد الله بن عمرو أخرجه مسلم (كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه...) ٤/ ٩٠، والترمذي (كتاب المناقب، باب في فضل النبي ﷺ) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح ٥ / ٥٤٧، وأبو داود (كتاب الصلاة، باب ما يقول إذا سمع المؤذن) ١/ ٢٥٦.

(٣) الحديث عن جابر بن عبد الله أخرجه البخاري (كتاب الأذان، باب الدعاء عند النداء) ١/ ٢٢٢، وأبو داود (كتاب الصلاة، باب ما جاء في الدعاء عند الأذان) ١/ ٢٥٨، والترمذي (أبواب الصلاة، باب ما جاء ما يقول الرجل إذا أذّن المؤذن من الدعاء) قال أبو عيسى: حديث جابر حديث صحيح ١/ ٤١٣-٤١٤.

(٤) الحديث بلفظ: من أذّن خمس صلوات، وأمّهم إيمانًا .... عن أبي هريرة أخرجه البيهقي في السنن (كتاب الصلاة، باب الترغيب في الأذان) ١/ ٦٣٦، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترغيب في الأذان وفضل المؤذنين) ١/ ٢٠٧.

وعن ابن عُمَر رضي الله عنهما قال : لمَّا وقف بلال لأوَّل أذان أَذَّنَهُ حين نزل به الروح الأمين على الصادق الأمين ؛ فقال : الله أكبر الله أكبر ؛ قال إبليس : أَمْرٌ حَدَثٌ ؛ فلمَّا قال : أشهد أنَّ لا إله إلا الله . قال إبليس : عُبِدَ الرَّبُّ ؛ فلمَّا قال : أشهد أنَّ محمداً رسول الله ؛ قال : نبيٌّ بُعِثَ ؛ فلمَّا قال : حيٌّ على الصلاة حيٌّ على الصلاة ؛ قال إبليس : فريضة نزلت ، فلمَّا قال : حيٌّ على الفلاح حيٌّ على الفلاح ؛ قال : قد أفلح مَنْ أجاب ، فلمَّا أنْ قال : الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله ، ولَّى إبليس وله هَرَجٌ[1] ودَرَجٌ[2] إلى لُجَّة البحر[3] ، قال جبريل : يا محمد ؛ إذا انتهى الأذان يُقَالُ للمؤذن ادخل الجنة[4] . ونقل ابن عرَاق[5] في رسالة له : مَنْ قال بعد دعاء الوسيلة : اللهمَّ أكْرِم هذه الأمة بجميل عوائدك في الدارين إكرامًا لمن خلقتها من أمته ﷺ وعلى آله ، وأزواجه ، وذريته أبدًا ؛ أُسْرِعَتْ إجابته و رأى قبل مماته مقعده في الجنة أو أُرِيَ له وأُخْبِرَ به .

وفي القَهَسْتَاني[6] مَنْ قال بعد تمام الأذان : اللهمَّ مَتعْني بالسَمْعِ والبصر ، بعد وَضْعِ ظُفُرِ إبْهَامَي يَدَيْهِ على عينيه ؛ فإنَّ النبي ﷺ يكون قائدًا له إلى الجنة .

(١) الهَرج : الكثرة في المشي والاتساع . لسان العرب (مادة : هرج) .

(٢) الدَّرج : الطريق ، درج الشيخ والصبي يَدْرُجُ دَرْجًا ودَرَجَانًا ؛ فهو درَّاج : مشيًا مشيًا ضعيفًا ودبًا . لسان العرب (مادة : درج) .

(٣) لُجَّة البحر : حيث لا يُدْرَك قعره . لسان العرب (مادة : ولج) .

(٤) والحديث عن ابن عمر أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترغيب في الأذان وفضل المؤذنين) ١/ ٢٠١ .

(٥) هو محمد بن علي بن عبد الرحمن الكناني ، شمس الدين أبو علي الدمشقي ، نزيل الحرمين ، المعروف بابن عرَّاق الصوفي ، له من التصانيف : سفينة النجا لمن إلى الله التجا ، وعقيدة ابن عرَّاق ، والغيث المدرار في سحائب الاستغفار . ومواهب الرحمن في كشف عورات الشيطان . وغيرها . توفي بمكة ٩٣٣هـ . انظر عنه : هدية العارفين للبغدادي ٦/ ٢٣٢ .

(٦) هو محمد بن حسام الدين الخراساني ثم القهستاني ، شمس الدين ، فقيه حنفي ، كان مرجع الفتوى ببخارى ، له كتب منها : شرح النقاية مختصر الوقاية لصدر الشريعة عبيد الله بن مسعود ، وسماه : جامع الرموز . مات ٩٥٣ هـ وقيل ٩٦٢هـ . انظر عنه : شذرات الذهب لابن العماد ٨/ ٣٠٠ ، وهدية العارفين للبغدادي ٦/ ٢٤٤ . والقول : ذكره إسماعيل حقي في روح البيان (الأحزاب :٥٦) .

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾[(١)] يعني الصبر والغضب[(٢)].

عن أبي هريرة ﷺ قال: سُئِلَ النبي ﷺ هل من رجل يدخل الجنة بغير حساب؟ قال: نعم، كل رحيم صبور[(٣)].

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: سُئِلَ النبي ﷺ عن الإيمان؛ فقال: الصبر والسماحة[(٤)].

قيل للحسن: ما الصبر والسماحة؟ فقال: السماحة بفرائض الله، والصبر عن محارم الله[(٥)].

وَأَوْحَى الله تعالى إلى داود ﷺ: يا داود؛ اصبر على المُؤْنة تَأْتِكَ المعونة[(٦)]. وعليه فلا يهتم الإنسان بأمر الرزق، ولْيَكِلْ أمره إلى مَنْ الرِزْقُ عليه.

عن علي ﷺ خذوا عني هذه الكلمات يحصل لكم كل خير: لا يرجو العبد إلا ربه، ولا يخشى إلا ذنبه، ولا يَسْتَحْيِ إذا كان لا يعلم أن يتعلم، ولا يَسْتَحْيِ إذا سُئِلَ عمَّا لا يعلم أن يقول لا أعلم، واعلموا أنَّ الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد[(٧)]. ولا خير في جسد لا رأس له. وعن الحسن البصري: الصبر صَبْرَانِ

---

(١) تتمة شرح الآية ٣٤ من سورة فصلت.

(٢) انظر تفسير البغوي (فصلت :٣٤) ٧/ ١٧٤.

(٣) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب الترغيب في الصبر) ٢/ ٢٨٦.

(٤) الحديث عن جابر أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب الصبر على المصائب) ٧/ ١٢٢.
والحديث جزء من حديث طويل عن عمرو بن عبسة أخرجه أحمد في المسند ٣٢/ ٥٤، ١٧٧-١٨٠، وعبد بن حميد في مسنده ص ١٢٤-١٢٦، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب في الإسلام والإيمان) ١/ ٥٤.

(٥) انظر: الحلية لأبي نعيم (ترجمة الحسن البصري) ٢/ ١٥٦.

(٦) الأثر عن عبد العزيز بن عمر أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في الصبر على المصائب، فصل في ذكر ما في الأوجاع والأمراض ...) ٧/ ١٩١.

(٧) انظر الحلية لأبي نعيم (ترجمة علي بن أبي طالب) ١/ ٧٥-٧٦.

[١٢١ظ] أحدهما أفضل من الآخر : الصبر عند المصيبة حَسَنٌ ، وأفضل منه الصبر عمَّا نهى الله عنه ، والذكْرُ ذكْرَان : أحدهما أفضل من الآخر : الذكْرُ باللسان حَسَنٌ ، وأفضل منه ؛ الذِكْرُ عند ما نهى الله عنه[١] ؛ أي فإنه يُشْغِلُ صاحب الذِكْرِ عنه ، ويُشغل فاعليه عن الفعل .

قال سهل بن عبد الله : لا معين إلا الله ، ولا دليل إلا رسول الله ، ولا زاد إلا التقْوَى ، ولا عمل إلا بالصبر ، وما الصبر إلا بالله[٢] ، قال الله ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾[٣] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال : قال النبي ﷺ : لا يَسْتَكْمِل العبد الإيمان حتَّى يَحْسُنَ خُلُقُه ، ولا يشفي غيظه[٤] . وعنه قال : قال ﷺ : مَنْ كَفَّ غضبه عن الناس كفَّ الله عنه عذابه[٥] .

والآن لا يشفي غيظه ولا ينطفيء غضبه حتَّى يُطَلِّقَ زوجته ، أو يضرب ولده أو خادمه ؛ فيقع في الندم والمآثم .

قال عثمان بن أبي العاص للنبي ﷺ : مُرْني يا رسول الله بأمر لا أسْأل عنه أحدًا بعدك ، قال : لا تغضب ، وعاوده مرات ؛ فقال : لا تغضب ، قال عثمان ﷺ : فنظرتُ فإذا رأس كل شر الغضب[١] .

---

(١) انظر الترغيب والترهيب للأصبهاني (باب فيما أعد الله للصابرين) ٢/ ٢٩٤ .

(٢) انظر الرسالة القشيرية (باب التقوى) ص٦٣ .

(٣) جزء من الآية رقم ١٢٧ من سورة النحل .

(٤) جزء من حديث عن أنس أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في حُسْن الخُلُق ، فصل في التجاوز والعفو) ٦/ ٢٦٣ .

(٥) جزء من حديث عن أنس أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في حُسْن الخُلُق ، فصل في ترك الغضب) ٦/ ٣١٥ ، والترغيب والترهيب للأصبهاني (باب في الترغيب في كف الغضب وكظم الغيظ) ٣/ ١٤٧ .

(٢) الحديث عن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب النبي ﷺ مع اختلاف في اللفظ أخرجه أحمد في المسند ٣٨/ ٢٣٦-٢٣٧ ، وعبد الرزاق في المصنف (الغضب والغيظ وما جاء فيه) ١١/ ١٨٧ .

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: ليس الشديد مَنْ غَلَبَ النَّاس؛ ولكنَّ الشديد مَنْ غَلَبَ نفسه[١].

وعن الحسن البصري: أربَعٌ مَنْ كُنَّ فيه عصمه الله عزَّ وجلَّ من الشيطان وحرَّمَهُ على النار: مَنْ مَلَكَ نفسه عند الرغبة، والرهبة، والشهوة، والغضب[٢]. عند الرغبة؛ أي في الأمور المُبَاحَة كَي لا تَشْغله عن طاعة الله، أو الرغبة في المحرمات كي لا يقع في العقوبة، وأن يملك نفسه عند الرهبة من الشيء كي لا يقع فيه، وعند الشهوة شهوة البطن والفَرْجِ، وعند الغضب كي لا يقع في الشر.

وعن مكحول: مَنْ كظم غيظًا وهو قادرٌ على أن يُمْضِيْه حشي الله قلبه إيمانًا كما تُحْشَى الرمانة[٣].

وعن معاوية بن قُرَّة قال: قال إبليس: أنا جمرة في جوف ابن آدم إذا غضب حميته، وإذا رضي منيته[٤].

ويُقَال: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ يعني الحِلْم والجهل[٥].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ وجبت محبة الله على مَنْ غضب؛ أي من غضب فَحَلِمَ[٦]، ويقال: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ يعني العفو والإساءة.

---

(١) لفظ الحديث: ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب. عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب) ٥/ ٢٢٦٧، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب) ١٦/ ١٦٦.

(٢) انظر: الحلية لأبي نعيم (ترجمة الحسن البصري) ٢/ ١٤٤.

(٣) رمانة الفرس: الذي فيه علفه. لسان العرب (مادة: رمن). والأثر عن مكحول ذكره الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترغيب في كف الغضب) ٣/ ١٤٩

(٤) الأثر عن معاوية بن قرة ذكره الأصبهاني في الترغيب والترهيب (الموضع السابق) ٣/ ١٤٩.

(٥) انظر تفسير البغوي، (فصلت :٣٤).

(٦) الحديث عن عائشة أم المؤمنين أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترغيب في الحلم) ٢/ ٧٥.

مرَّ عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : قال ﷺ : لاينقص مال من صدقة : فتصدقوا ، ولا يعفو أحد عن مَظْلَمَةٍ إلا زاده الله بها عِزًّا في الدنيا والآخرة[١] ؛ ولذا أطلقه .

وعن يحيى بن معاذ الرازي أنه قال : لولا العفو يكون من صفة الله ما عصاه أهل معرفته[٢] .

وكان من دعاءه ﷺ حين يُمْسِي وحين يُصْبِحْ : اللهم آتِنَا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة[٣] اللهم إني أسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة ؛ اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنيايَ ، اللهمَّ احفظني من بين يدي ومن خلفي ، وعن يميني ، وعن شمالي ، ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتكَ أن أُغْتَالَ من تحتي/[١٢٢و] قال وكيع : يعني الخَسْف[٤] ؛ فطلب الحفظ من قُدَّام وخلْف ، وعن يمين وعن الشمال من الشَّيطان ، ومن فوق البلايا السماوية ؛ فمن داومَ على : يا أول يا آخر يا ظاهر ياباطن ؛ حُفِظَ من الشيطان من تلك الجهات الأَرْبَع .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ : فقال : يا رسول الله ، أي الدعاء أفضل؟ قال : سَلْ ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، ثم أتاه في

---

(١) جزء من حديث أوله : ثلاث ، والذي نفس محمد بيده إن كنت لحالفًا عليهن . . . عن عبدالرحمن ابن عوف أخرجه أحمد في المسند ٢٠٨/٣ ، وعبد بن حُمَيد في مسنده ص ٨٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب ما نقص مال من صدقه(١٠٥/٣) .

(٢) الأثر عن يحيى بن معاذ الرازي أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترغيب في العفو والعافية) ١٢٠/٣ .

(٣) هذا الجزء من الحديث عن أنس أخرجه البخاري (كتاب التفسير ، سورة البقرة آية ٢٠١) ١٦٤٤/٤ ، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل الدعاء باللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) ٢٠/١٧ .

(٤) الحديث عن عبد الله بن عمر أخرجه أبو داود - مع اختلاف في اللفظ - (كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح)١٩٨/٥ وابن ماجه (كتاب الدعاء ، باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وأمسى) ٥٧٨/٤ - ٥٧٩ ، وأحمد في المسند ٤٠٣/٨ .

اليوم الثاني ؛ فسأله قائلا :يا رسول الله ؛ أي الدعاء أفضل؟ قال : سلْ ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة . فإنَّكَ إنْ أُعْطِيْتَهَا ؛ فقد أفْلَحْتَ[١] .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال ﷺ : اطلب العافية لغيرك تُرْزَقْنَهَا في نفسك[٢] .

قال بعض العلماء : مَنْ أراد أنْ يتقبَّلَ الله دعاءه ؛ فلْيَدْعُ لغيره ، ومَنْ أراد سرعة الإجابة ؛ فليُعمم بدعائه المؤمنين .

قيل في قوله تعالى : ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[٣] قال الحسن : فإذا كان عمل سوءٍ لم يُرْفَعْ[٤] . أي بدعائه ﷺ .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : قال ﷺ : لا يدخل الجنة سَيِّءُ المِلْكَةِ[٥] أي إلى ماليكه .

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾[٦] . قال ان عباس رضي الله عنهما : بالصبر عند الغضب ، وبالحِلْم عند الجَهْلِ ، والعفو عن الإساءة[٧] ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ

(١) الحديث عن أنس أخرجه الترمذي (كتاب الدعوات ، باب ٨٥) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ٤٩٩/٥ ، وابن ماجه (كتاب الدعاء ، باب الدعاء بالعفو والعافية) ٥٧٠/٤ ، وأحمد في المسند ٣٠٤/١٩ .

(٢) الحديث عن عبد الله بن عمرو أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترغيب في العفو والعافية) ١١٩/٣ ، والديلمي في فردوس الأخبار ٢٤٦/١ .

(٣) جزء من الآية رقم ١٠ من سورة فاطر .

(٤) انظر الترغي بوالترهيب للأصبهاني (باب في الترهيب من الإساءة) ١٤٤/١ .

(٥) الحديث عن أبي بكر الصديق أخرجه الترمذي (كتاب البر ، باب ما جاء في الإحسان إلى الخدم) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ٢٩٥/٤ ، وابن ماجه (كتاب الأدب ، باب الإحسان إلى المماليك) ٥٢٥/٤ ، وأحمد في المسند ٢٠٩/١ .

(٦) تتمة شرح الآية رقم ٣٤ من سورة فصلت .

(٧) الأثر عن ابن عباس ذكره الطبراني في تفسيره (فصلت : ٣٤) .

كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي صديق قريب ؛ نزلت في أبي سفيان بن حرب ؛ فإنه لان للمسلمين بعد شد ة عداوته بسبب حصول المصاهرة بينه وبين النبي ﷺ[١] فصار وليًا بالإسلام حميمًا بالقرابة .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا الَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ قال : الرجل يشتمه أخوه ؛ فيقول : إن كنت صادقًا يغفر الله لي ، وأن كنت كاذبًا يغفر الله لك[٢] .

﴿وَمَا يُلَقَّاهَا﴾ ؛ أي هذه الخصلة ؛ وهي دَفْعُ السيئة بالحسنة : ﴿إلا الذين صَبَرُوا﴾ على تَحَمُّل المكاره ، وتَجَرُّع الشدائد ، وكظم الغيظ ، وترك الانتقام ، ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إلا ذُو حَظ عَظِيم﴾ ، جسيم من الخير والثواب ، ويُقالُ الحظ العظيم : الجنة ، يعني وما يُلَقَّاها إلا من وَجَبَتْ له الجَنة ، وكان من دعائه ﷺ : اللهم ارزقني الجنة وما قرَّب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النَّار وما قرَّب إليها من قول وعمل[٣] .

ومن أعظم مايُقَرِب إلى الجنة توحيد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ . عن الحسن : مَنْ قال : إني أحب الجنة ؛ ولم يعمل بعمل أهل الجنة ؛ فقد كذب في قوله[٤] .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال ﷺ : من اتقى الله دخل الجنة يَنْعَمُ فيها فلا

(١) انظر تفسير القرطبي (فصلت : ٣٤) .

(٢) الأثر عن أنس ذكره الغزالي في الإحياء (كتاب ذم الغضب والحقد والحسد ، باب فضيلة الحِلْم) ١٥٥/٣ .

(٣) جزء من حديث عن عائشة أم المؤمنين أوله : اللهم إنس أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم . أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ١٤٨/٣ ، وابن حيان في صحيحه (باب الأدعية ، باب ذكر الأمر للمرء أن يسأل ربه جل وعلاجوامع الخير ويتعوذ به من جوامع الشر) ١١٥/٢

(٤) الأثر عن الحسن ذكره إبراهيم بن عبدالله بن الجنيد الختلي ، أبو إسحاق ، المتوفى ٢٧٠هـ ، في كتاب المحبة لله سبحانه ٣٢/١ .

ييئس . ويَحْيَى فيها فلا يموت ، ولا تبْلَى ثيابُهُ ، ولا يفنَى شبابه[١] .

وعن سَلْمَان الفارسي رضي الله عنه : لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز /[١٣٣ظ] بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله لفلانٍ الن فلان أَدْخِلُوهُ جنّةً عاليةً قُطُوفها دانيةً[٢] .

(١) لفظ الحديث : من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس لا تَبْلَى ثيابه ولايَفْنَى شبابه ، عن أبي هريرة أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في دوام نعيم أهل الجنة . . .) ١٧٠/١٧ ، وأخرجه الترمذي - بألفاظ طوال - عن أبي هريرة (كتاب صفة الجنة ، باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها) ٥٨٠/٤ ، وانظر : مسند أحمد ١٥٩/٥١ .

(٢) الحدبث مرفوعًا عن سلمان الفارسي أخرجه الطبراني في الكبير ٢٧٢/٦ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب كيف الإذن بدخول الجنة) ٣٩٨/١٠ .

فصل

في قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1] .

وَلْيُعْلَمَ أولًا : أنَّ في هذه الآية دليل على وجود الجنة الآن ؛ وَيُعْلَم منه ومن السياق ، وجود النَّار .

قال الأوشي- رحمه الله- : [بحر الوافر]

وللجنَّاتِ والنيرَانِ كَوْن ... عليها مرَّ أحْوال خَوَالِ[2]

وفائدة ذلك الحكمة الباهرة ، وهي إرادة مَنْ يراهما ؛ فيخبر غيره ؛ فيرغب بالجنة ، ويتباعد من النار ، والمراد أن يتعاطى ما يُقَرِّبُ من الجنة ويُبَاعِد من النار ، وذلك بالطاعات وترك المعاصي ، وفيها أيضًا دلالة على الإحياء والحشر .

والبشارة : الخبر السار ، وذلك لا يحصل إلا لمن اتصف بصفة الإيمان ، والعمل الصالح .

قوله تعالى : ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي أخلصوها لله تعالى .

وهذا هو المأمور به كما قال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[3] " أي التوحيد .

قال تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾ أي يتمنَّى لقاء ربه وهو راضٍ عليه " ﴿فَلْيَعْمَلْ

---

(١) الآية رقم ٢٥ من سورة البقرة وسيبدأ المؤلف في شرحها .

(٢) انظر شرح بَدْء الأمالي للرازي ، ص١٦ . وسبق ترجمة الأوشي .

(٣) جزء من الآية رقم ٥ من سورة البينة .

عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[١] .

وقال ﷺ : إنما الأعمال بالنيات -أي ثوابها بالنيات- وإنما لكل امرىءٍ جزاء ما نوى من خيرٍ أو شر[٢] .

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : قال ﷺ : إذا كان يوم القيامة صارت أمتي [على] ثلاث فرق : فرقة يعبدون الله خالصًا ، وفرقة يعبدون الله رياءً ، وفرقة يعبدون الله ليستأكلوا به الناس ؛ فإذا جمعهم الله قال للذي كان يستأكل الناس : بعزتي وجلالي ما أَرَدْتَ بعبادتي؟ ، قال : بعزتك وجلالك أَسْتَأْكِلُ[٣] بها النَّاس ، قال : لم ينفعك ما جمعت شيئًا ، انطلقوا به إلى النار ، ثم يقول للذي كان يعبده رياء : بعزتي وجلالي ما أردت بعبادتي؟ قال : بعزتك وجلالك أردت بها رياء الناس ؛ قال : لم يصعد إليَّ منه شيء ، انطلقوا به إلى النار ، ثم يقول للذي كان يعبده خالصًا : بعزتي وجلالي ما أَرَدْتَ بعبادتي؟ ، قال : بعزتك وجلالك أنت أعلم بذلك مني ، أردت به وجهك وذِكْرَكَ ، قال : صَدَقَ عبدي انطلقوا به إلى الجنة[٤] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ؛ ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم[٥] ؛ فإنَّ الوجه الحسن ، وكثرة المال مع الرياء ، ونية السوء ، والعمل غير الصالح لا يُجْدِيْ نفْعًا .

---

(١) الآية رقم ١١٠ من سورة الكهف .

(٢) جزء من حديث عن عمر بن الخطاب أخرجه البخاري (كتاب بدء الوحي ، باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ) ١/ ٣ ومسلم (كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ إنما الأعمال بالنيات) ١٣/ ٥٨٨ .

(٣) استأكله الشيء : طلب أن يجعله إليه له أُكْلَةً . لسان العرب (مادة : أكل) .

(٤) الحديث عن أنس بن مالك أخرجه الطبراني في الأوسط ٦/ ٤٩ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب ما جاء في الحساب) ١٠/ ٣٥٠-٣٥١ ، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب الإخلاص ، باب الترهيب من الرياء) وقال عنه ضعيف ١/ ٣١ .

(٥) الحديث عن أبي هريرة أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله ، واحتقاره ، ودمه ، وعِرْضِهِ ، وماله) ١٦/ ١٢٤ ، وابن ماجه (كتاب الفتن ، باب حرمة دم المؤمن وماله) ٤/ ٦٨٢ .

قال رجل لمحمد بن النضر الحارثي بن عبد الله : أَصْلِحْ سَرِيْرَتَكَ ، واعبده حيث شئت(١) .

ورأى سعيد بن المُسَيَّبِ عَلَىْ عَلِيٍ بن زيد بن جَدْعان جُبَّةَ خَزٍّ ؛ فقال : إنها جيدة ؛ فقال عليٌ بن زَيْد : وما تُغْنِي ، وقد أفسدها أبو عبد الله ؛ فقال له سعيد : أَصْلِحْ قلبك ، وَالْبَسْ ما شِئْتَ(٢) .

وعن يَحْيَى بن معاذ أنه قال لَمَّا سُئِلَ عن قوله تعالى : [١٢٣/و] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾(٣) أي استقاموا عليه فعلاً كما استَقاموا عليه قَوْلاً ، ثمَّ قال : عباد الله ، كونوا عباد اللّهِ بأفعالكم كما زعمتم أنكم عبيده بأقوالكم(٤) .

وقال النبَّاجي(٥) : ما التَنَعُّمُ إلا في الإخلاص ، ولا قرة العين إلا في التقوى ، ولا الراحة إلا في التسليم .

وعن السري بن المُغَلِّس(٦) أنَّه قال : اتَّصَلَ مَنْ اتَّصَلَ بالله بأربع ، وانْقَطَعَ مَنْ انقطع عن الله بِخَصْلَتَيْنِ ؛ فأَمَّا الأربع الموصلة إلى الله ؛ فلزوم الباب ، والتشمير في

---

(١) الأثر أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (الترغيب في إصلاح السَريرة) ١/ ١١٨

(٢) الأثر أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (الموضع السابق)١/ ١١٨ .

(٣) جزء من الآية رقم ٣٠ من سورة فصلت .

(٤) انظر الأثر في الترغيب والترهيب للأصبهاني (الموضع السابق) ١/ ١١٨

(٥) هو سعيد بن يزيد النباجي ، أبو عبد الله ، نسبة إلى النباج ، قرية من بادية البصرة على النصف من طريق مكة ، أحد الصُلَحَاء ، الصوفي ، القدوة ، العابد . حكى عن الفُضَيل بن عياض ، وعنه ابن أبي الحواري تلميذه ، وله كلام حَسَنٌ في المعرفة ، والمواعظ وغيرها . انظر القول في : طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٢٢٥ ، وانظر ترجمته في : حلية الأولياء لأبي نعيم ٩/ ٣١٠-٣١٧ . وسير أعلام النبلاء للذهبي : ٩/ ٥٨٦ .

(٦) هو سَرِيٌّ بن المغلس السَّقَطي ، أبو الحسن البغدادي ، يقال إنه خال الجنيد وأستاذه ، أول من تكلم في لسان التوحيد وحقائق الأحوال . وهو إمام البغدادين . مات ٢٥١ هـ ، انظر عنه طبقات الصوفية للسلمي ص ٤٨-٥٥ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ١٠/ ١١٦- ١٢٦ . وقول سَرِي ذكره أبو نعيم في الحلية (ترجمة السري السقطي) ١٠/ ١٢٠ .

الخدمة ، والنَظَرُ في الكسْرَةِ[1] ، وصيانة ما أَوْهبهُ الله للعبد بعد الاطلاع عليه ، وأمَّا الخصلتان القاطعة عن الله ؛ ففعل النوافل ، وتضييع الفرائض ، والعمل بالجوارح من غير صدْقِ القلب[2] ، وذلك كالذي يتصدَّق وعليه الديون ، أو يتصدَّق على الغريب وله رَحِمٌ قريب ؛ فقد مر : الصدقة على الرَّحِمِ صدقة وصِلَة[3] ، وكمن يَنْتَفِلُ بالصلوات والصيام ، ويترك المفروض منها ، أو يتصدَّق ويترك الزكاة .

وقيل : ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الصلوات ، والزكاة ، والحَجُ ، والصوم .

وجاء في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال : أيها النَّاس صَلُّوا خمسكم ، وصوموا شهركم ، وحُجوا بيت ربكم ، وأدُّوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم ، تدخلوا جنة ربكم بلا حسابٍ ولا عذابٍ[4] .

وجاء : إنَّ باب التوبة موكَّلٌ به ملائكة لا يُغْلِقونه ما دام الصائمون يصومون[5] .

وفي الحديث : للجنة باب يُقالُ له الرَّيان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم ، يُقَالُ : أين الصائمون؟ فيقومون فإذا دخلوه غُلِقَ فلم يدخل

---

(١) ورد في الحلية لأبي نعيم : والصبر على المكاره ، بدلا من : والنظر في الكسرة ١٠/١٢٠ .

(٢) انظر الأثر في الترغيب والترهيب (الترغيب في إصلاح السريرة) مع زيادة في اللفظ ١/ ١٢٠

(٣) ورد الحديث هكذا : الصدقة على المسكين صدقة ، وعلى ذي الرحم ثِنْتَان : صدقة وصلة . عن سلمان بن عامر أخرجه الترمذي (كتاب الزكاة ، باب ما جاء في الصدقة على ذي القرابة) قال أبو عيسى : حديث حسن ٣/ ٤٦-٤٧ ، وابن ماجه (كتاب الزكاة ، باب فضل الصدقة) ٢/ ٥٨٨ ، وأحمد في المسند ٢٩/ ٤١٦ .

(٤) الحديث عن أبي أُمَامة أخرجه الترمذي دون عبارة : بلا حساب ولا عذاب ، (كتاب الصلاة ، باب منه) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٢/ ٥١٦-٥١٧ ، وأحمد في المسند ٣٦/ ٤٨٦-٤٨٧ ، والدارقطني في السنن (كتاب الحج) ٢/ ٢٩٤ .

(٥) الحديث غير مسند ذكره ابن الجوزي في بستان الواعظين ورياض السامعين (باب التوبة في رمضان) ص ٢٢٣ .

منه أحد[١] .

والسحور في رمضان سُنَّة قال ﷺ : تسحروا ؛ فإنَّ الله يحب المُتَسَحِرين ، والملائكة تصلي على المتسَحِرين ، وتستغفر لهم[٢] .

ويقال : مَنْ قام إلى السحور فتوَضأ ، وصلَّى ركعتين ، صلَّى خَلْفَه سَبْع صفوف من الملائكة ؛ فإذا فرغ ودعا أمَّنوا على دعائه ، ويكتب الله له بعددهم حسنات ، ويرفع له في الجنة بعددهم درجات ، ويمحو عنه بعددهم سيئات ، ثمَّ لا يزالون يدعون ويستغفرون له إلى يوم القيامة[٣] .

ويقال : يؤتى في الموقف بشهر رمضان ، وقد جَسَمَ[٤] ؛ فيقول الناس : مَنْ هذا أنَبيٌ ، أو رسول ، أو مَلَكٌ؟ ما رأينا مثله في الحُسْنِ ؛ فيقال لهم : هذا شهر رمضان ؛ فيقوم بين يَدَي الله تعالى ، وبيده قضبانٌ من نور ؛ فينادي مُنَادٍ : أين الصائمون؟ ؛ هَلُمُّوا إلى رمضان ؛ فإذا جاءوه أُعْطِيَ كل واحدٍ قَضيبًا على حَسب ما عمل فيه ؛ فمنهم من يُضيء له قضيبه مسيرة شهرٍ ، ومنهم مَن يُضيء له مسيرة جمعة ، ومنهم من يضيء له مسيرة يوم ، ومنهم مَنْ يُضيء له مسيرة ساعة ، ومنهم مَنْ يُضيء له ما بين قدميه ، ومنهم مَنْ يُضيء له كما بين المشرق والمغرب .

فعليكم أيُّها الإخوان بملازمة الطاعة فيه ؛ فإنَّ أيامه قلائل ، وكم للعامل فيها من الفضائل /[١٢٣ظ] واحذروا فيه مما يُوْجِبُ الندامة يوم القيامة ، واعلموا أنَّه

---

(١) الحديث عن سهل بن سعد أخرجه البخاري (كتاب الصوم ، باب الريان للصائمين) ٢/ ٦٧١ ، ومسلم (كتاب الصيام ، باب فضل الصيام) ٨/ ٣٣ .

(٢) الحديث غير مسند ذكره ابن الجوزي في بستان الواعظين ورياض الصالحين (باب فضل السحور) ص ٢٢٥ .

(٣) انظر القول في بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزي (فضل السحور) ص ٢٢٥ .

(٤) جَسَمَ الشيء ؛ أي عَظُمَ فهو جسيم وجُسَامٌ . لسان العرب (مادة : جسم) . ولم نَقِفْ على هذا القول فيما بين أيدينا من كتب .

رسول الله [أي رمضان] (١) إليكم في كل عام ، فيَافَوْزَ مَنْ عَرَفَ مقداره بمزيد الإكرام ، ويا خُسْرَان مَنْ عامله معاملة اللئام باقتراف الآثام ، وعدم الاحتشام ، فإذاعاد الرسول إلى مولاه راضيًا ، رضي الله عمّن رضي عنه ، أو عاد ساخطًا ، سخط الله عمّن سخط عليه . اللهمّ وفقنا إلى القيام بحقه وَارْضِهِ عنَّا ، واجعله شاهداً لنا لا شاهداً علينا ، وبارك لنا فيه .

وعن يحيى بن معاذ : مَنْ شبع من الطعام عجز عن القيام ، ومَنْ عجز عن القيام افْتُضِحَ بين الخُدَّام ، وإذا امتلأت المعدة رَقَدَتِ الأعضاء عن طاعة الله(٢) .

وفي طرْفٍ من حديث : من فَطَّرَ صائمًا سقاه الله من حوضي شَرْبَةً لا يَظْمَأُ بعدها حتى يدخل الجنة ، وهو شهرٌ أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتْقٌ من النار ، ومَنْ خَفَّفَ عَنْ مملوكه فيه غفر الله له وأعْتَقَهُ من النار ؛ فاستكثروا فيه من أربعِ خصال : خَصْلَتَينِ ترضون بهما ربكم عزّوجل ، وَخَصْلَتَيْنِ لا غناء لكم عنهما ؛ فأما الخَصْلَتَانِ اللتان تُرْضون بهما ربكم عز وجل فشهادة أن لا إله إلا الله عزّوجل وتستغفرونه ، وأمَّا الخصلتان اللتان لا غنى لكم عنهما ؛ فتسألون الله تعالى الجنة ، وتتعوذون به من النار(٣) .

ويُقال : ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أقاموا الصلوات المفروضات ، قال تعالى : ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾(١) أي المُصَلِّين .

---

(١) الإضافة لتوضيح المعنى .

(٢) الأثر عن يحيى بن معاذ ذكره ابن الجوزي في بستان الواعظين (فضل الجوع) ص ٢٣٤ .

(٣) جزء من حديث طويل عن سلمان الفارسي أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في الصيام ، فضائل شهر رمضان) ٣/ ٣٠٥-٣٠٦ ، وابن خزيمة في صحيحه (باب فضائل شهر رمضان إن صحّ الخبر) ٣/ ١٩٢ ، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب الصوم ، الترغيب في صيام رمضان احتسابًا) وقال عنه : منكر . ١/ ٢٩٦-٢٩٧ .

(١) جزء من الآية ١٧٠ من سورة الأعراف .

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال ﷺ : الصلوات كفارات للخطايا[١] ؛ فاقرءوا إن شئتم : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[٢] عن أبي بكر - رضي الله عنه - قال : قال ﷺ : من تمام الصلاة سكون الأطراف[٣] فَيُكره العَبَثُ بالثوب والجسد - ما لم يكن بعضو بحركات ثلاث متواليات[٤] - في الأصح - ، أو ما لم يظن أنّه في الأصحِ على المُختارِ ، فَتَفْسَدُ .

وعن عُبَادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال ﷺ : كتبَ الله على العباد خمس صلوات ، مَنْ جاء بهنَّ لم يستَخْفِفْ شيئًا من حقهنَّ كان على الله عهد أن يُدْخِلَهُ الجنة ، ومَنْ استَخْفَفَ شيئًا من حقهنَّ لقي الله ولا عهد له ، إن شاء أَدْخَلَه الله الجنة ، وإن شاء عذَّبه[٥] ، ومن الاستخفاف بها الالتفات في الصلاة .

عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : قال ﷺ : لا تلتفتوا في الصلاة ؛ فإنه لا صلاة لمُلتَفِتٍ[٦] -وفي رواية- فإن غُلِبتُم في التطوع ؛ فلا تُغْلَبُوا في الفريضة[٧] .

---

(١) جزء من حديث عن أبي هريرة أوله : أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم .... أخرجه البخاري (كتاب مواقيت الصلاة ، باب الصلوات الخمس كفارة) ١/ ١٩٧ ، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب المشي إلى الصلاة تُمحَى به الخطايا وتُرفَع به الدرجات) ٥/ ١٧٣ .

(٢) جزء من الآية رقم ١١٤ من سورة هود .

(٣) جزء من حديث أوله : إذا قام أحدكم في الصلاة .... ، عن أم رومان أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (فصل في الترهيب والخشوع في الصلاة) ٢/ ٤١٦ ، وأبو نعيم في الحلية (ترجمة محمد بن المبارك الصوري) ٩/ ٣٠٤ .

(٤) في المتن بحركات متوالية ثلاث ، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه .

(٥) الحديث عن عُبَادة بن الصامت أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (فصل في الترهيب من إساءة الصلاة وترك حقها) ٢/ ٤١٧ ، والسمرقندي في تنبيه الغافلين (باب الصلوات الخمس) ص ٢٢٥ .

(٦) الحديث عن عبد الله بن سلام أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (فصل في الترهيب من الالتفات في الصلاة) ٢/ ٤١٩ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب ما يُنْهَى عنه في الصلاة من الضحك والالتفات وغير ذلك) ٢/ ٨٠ .

(٧) الحديث بهذه الرواية عن يوسف بن عبدالله بن سلام أوله : من توضأ ؛ فأسبغ الوضوء ... أخرجه أحمد في المسند ٤٥/ ٤٨٩ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (الموضع السابق) ٢/ ٨٠

وَنُقِلَ في شروح الكَيْدَانِيَّة(١) أنَّ الالتفات ببعض الوجه حرامٌ ، وبِكُلِه أشد حُرْمَةً ، وبِمُؤق العين مباح .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : إنَّ العبد إذا قام في الصلاة ؛ فإنه بين عَيْنَي الرحمن عزَّ وجلَّ ؛ فإذا التفت قال له الرب : ابن آدم ، إلى مَنْ تَلْتَفتُ؟ تَلْتَفتُ إلَىْ مَنْ هو خير لك مني! ابن آدم ، أَقْبِلْ إليَّ أنا خير لك ممن تلتفت إليه(٢) .

والعين صفة من صفات الله لا بمعنى الحَدَقَة والأجفان ، تعالى عن ذلك عُلُوًا كبيراً . ومن الاستخفاف بها ترك إتمام ركوعها وسجودها أو أحدهما .

عن طَلْقِ بن عليٍ رضي الله عنه قال : قال ﷺ : لا ينظر الله عزَّوجلَّ إلى عَبْدٍ لا يُقِيْمُ صُلْبَهُ في ركوعه وسجوده(٣) . ومن لم ينظر الله إليه لم تصل إليه رحمته .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ / [١٢٤و] : إنَّ الرجل يصلي ستين سنة ، وما تُقبَل له صلاة ولعلَّه يُتِمُّ الركوع ، ولا يُتِمُّ السجود ، ويُتِم السجود ولا يُتِمُّ

---

(١) الكَيْدَانِيَّة : نسبة إلى لطف الله النَّسفي المشتهر بالفاضل الكِيداني ، فقيه حنفي ، صاحب مقدمة الصلاة ، والتي قيل فيها : إنها منسوبة إلى محمد بن حمزة الفناري ، ومع نهاية صغرها فإنها مشتملة على مسائل ضرورية . شرحها كثيرون : منهم شمس الدين محمد بن حسام الدين القهستاني المتوفى ٩٥٠ هـ ، والكيداني توفي ٩٠٠هـ . انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/ ١٨٠٢ . المؤق ، والمأق : حرف العين الذي يلي الأنف . لسان العرب (مادة : مأق) .

(٢) الحديث بلفظ : . . . بين يدي الرحمن . . . بدلًا من : بين عيني الرحمن . . . عن أبي هريرة أخرجه البزار في مسنده ١٦/ ٢٠٠ ، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (فصل في الترهيب من الالتفات في الصلاة) ٢/ ٤١٩ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب ما يُنهى عنه في الصلاة من الضحك والالتفات وغير ذلك) ٢/ ٨٠ .

(٣) الحديث عن طلق بن علي أخرجه أحمد في المسند ٢٦/ ٢١١ ، والطبراني في الكبير ٨/ ٣٣٨ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب ما جاء في الركوع والسجود) ٢/ ١٢٠ . والحديث عن أبي هريرة أخرجه أحمد في المسند ١٦/ ٤٦٦ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (الموضع السابق) ٢/ ١٢٠ .

الركوع[١] . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال ﷺ : ما من مُصلٍ إلا وملك عن يمينه و ملك عن يساره ؛ فإنْ أتمَّها عَرَجَا بها ، وإن لم يُتِمَّها ضربا بها وجهه[٢] .

عن ابن عباس – رضي الله عنهما : أنَّه قال : ثلاثة أُسِسَ عَلَيْهِنَّ الإسْلام : شهادة أن لا إله إلا الله ، والصلاة ، وصوم رمضان ؛ فمن ترك منهنَّ واحدة فهو بها كافر ، تجده كثير المال ولا يحج فلا يزال بذلك كافرًا ولا يحل دمه[٣] ، وتجده كثير المال ، ولا يُزَكيْ ؛ فلا يزال بذلك كافراً ولا يحل دمه . فحَدُّ تارك كلمة التوحيد بأن كان كافر الأصل : إمَّا القتل أو الجزية ، وحد تارك الصلاة عمدًا [أو] تكاسلاً أن يُحْبَسَ ويُضْرَبَ حتَّى يسيل الدم من قدميه ، وحد تارك الصوم كذلك إلا أن يأكل شُهْرةً فحده حينئذ القتل ، والحد في الزكاة الحبس حتى يؤدي ما عليه من زكاة السوائم[٤] ، وأمَّا الحدُّ في الحج ؛ فلم يَثْبُتْ عندنا . ثمَّ ليُعلم أنَّ عمر رضي الله عنه كان يقول

---

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه ابن أبي شيبة في المُصَنَّف (في الرجل يُنْقِصُ صلاته وما ذكر فيه وكيف يصنع) ١/ ٢٥٧ ، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (فصل في عقوبة من لا يُتِم الصلاة) ٢/ ٤٢٦ .

(٢) الحديث عن عمر بن الخطاب أخرجه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب الصلاة ، باب الترهيب من عدم إتمام الركوع . . .) وقال عنه : ضعيف ١/ ١٥٠ .

(٣) جمع المصنف بين حديث مرفوع وأثر موقوف . الحديث مرفوعًا عن ابن عباس أوله : عُرَى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة . . . ، الحديث عن ابن عباس أخرجه أبو يعلى في مسنده ٤/ ٢٣٦ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب فيما بُنِيَ عليه الإسلام) ١/ ٤٧ والأثر الموقوف عن ابن عباس أوله : تجده كثير المال ولا يُزَكِي . . . أخرجه أبو يَعْلَى في مُسنده ٣/ ١٢-١٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب فيما بُنِيَ عليه الإسلام) ١/ ٤٧ .

(٤) السائمة هي التي يرسلها صاحبها لتَرْعَى في البراري في أكثر السنة ؛ لقصد الدَّرِّ أو النسل ، أو السمن الذي يُرادُ به تقويتها لا ذبحها ، فلا بد من أن يقصد صاحبها إسامتها لذلك ؛ فإن قصد إسامتها للذبح ، أو الحمل ، أو الركوب ، أو للحرث فلا زكاة فيها أصلاً ، وإن أسامها للتجارة ففيها زكاتها . انظر الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري (كتاب الزكاة ، شروط زكاة الإبل والبقر والغنم) ١/ ٤٥٦ .

وقد عيَّن الكتاب والسنة عقوبات محددة لجرائم معينة ، وهي : الزنا ، والقذف ، والقتل ، والسرقة ، والسُكْر ، والمحاربة ، والردة ، والبغي . ولم يعين حدودا على تارك الصلاة ، وتارك الصوم ، ومانع الزكاة والحج .

إذا دخل شهر رمضان : مرحبًا بمطهرنا ، رمضان خير كله ، نهاره صيام ، وليله قيامٌ ، والنفقة فيه كالنفقة في سبيل الله[١] . وَحُبِّبَ أَنْ يُفَطِّرَ فيه الصائمون ؛ وفي الحديث : مَنْ فطَّرَ صائمًا أو جهَّزَ غازيًا فله مثل أجره[٢] ، والتَّصَدُّق فيه له فضل جزيل .

عن أنسٍ ﷺ قال : قال ﷺ حين سُئِلَ أي الصدقة أفضل؟ [قال] :صدقة في رمضان(٣) .

وعن إبراهيم النَّخْعِي رحمه الله تعالى أنَّه قال : صوم يومٍ من رمضان أفضل من صوم ألف يومٍ في غيره ، وتسبيحة في رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره ، وركعة في رمضان أفضل من ألف ركعة في غيره(٤) .

ويقال : النافلة فيه لها فضلٌ كفضل الفريضة ، والفريضة فيه بسبعين فريضة . واستقبلوا أيها الإخوان عَشْرَهُ الأخير بمزيد التعظيم والتوقير . والاعتكاف فيه سنة مؤكدة للرجال والنساء ؛ أمَّا الرجال ؛ فإنَّ اعتكافهم في المساجد ، وأمَّا النساء ؛ ففي بيوتهن في الموضع المُعَدِّ لصلواتهنَّ .

---

(١) الأثر عن عمر بن الخطاب ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين (باب فضل شهر رمضان) ص ٢٦٧ .

(٢) جمع المُصَنِّف بين حديثين . الأول عن زيد بن خالد الجهني ولفظه : مَنْ فَطَّر صائمًا كان له مثل أجره . . أخرجه الترمذي (كتاب الصوم ، باب ما جاء في فضل من فَطَّر صائمًا) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٣/ ١٧١ ، وابن ماجه (كتاب الصيام ، باب في ثواب من فطَّر صائمًا) ٢/ ٥٥٥ . الثاني عن زيد بن خالد ولفظه : من جهز غازيًا في سبيل الله ؛ فقد غزا . أخرجه البخاري (كتاب الجهاد ، باب فضل من جهز غازيًا أو خَلَفَه بخير) ٣/ ١٠٤٥-١٠٤٦ ، ومسلم (كتاب الإمارة ، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله . . .) ١٣/ ٤٤ .

(٣) جزء من حديث عن أنس أخرجه الترمذي (كتاب الزكاة ، باب ما جاء في فضل الصدقة) . قال أبوعيسى : هذا حديث غريب ٣/ ٥١-٥٢ ، والبزار في مسنده ١٣/ ٣٠١ ، والحديث كما ذكره المصنف أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في الصيام ، فضائل شهر رمضان) ٣/ ٣١٢

(٤) الأثر عن إبراهيم النخعي أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (فصل في الترهيب من قول الزور والغيبة . . . في شهر رمضان) ٢/ ٣٦٥ .

وعن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت : كان النبي ﷺ يعتكف العَشْرَ الأواخر من رمضان(١) ، وتَحَرَّوا فيه ليلة القَدْرِ ؛ فإنَّ أَرْجَى ما تكون عند الإمام الشافعي - رضي الله عنه - في الليلة الحادية والعشرين من رمضان ، والصحيح من مذهبنا مذهب الإمام الأعظم أنَّها ليلة . . . . والعشرين(٢) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : مَنْ قامَ رمضانَ إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه - والمراد بقيام رمضان : صلاة التراويح - ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غَفَرَ الله له ما تقدَّم من ذنبه(٣) .

وعن عائشة - رضي الله عنها- أنَّها قالت : يا رسول الله ؛ إذا وافقت ليلة القدر ما أَسْأَلُ اللّٰه؟ قال :قولي اللهمَّ إنك عفو تحب العفو ؛ فاعفُ عني(٤) .

وَيُسْتَحَبُ في ليلة القَدْرِ أن يَلْبَسَ الإنسان أحسن ثيابه وأغلاها ثمنًا ؛ فقد رُوِيَ عن تميم الداري رضي الله عنه أنه كانت له حُلة اشتراها بألف درهمٍ كان يَلْبَسُها ليلة

---

(١) جزء من حديث عن عائشة أم المؤمنين أخرجه البخاري (كتاب الاعتكاف ، باب اعتكاف النساء) ٢/ ٧١٥ ،والحديث كما ذكره المصنف أخرجه مسلم عن عائشة أم المؤمنين (كتاب الاعتكاف ، باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان) ٨/ ٦٧ .

(٢) هكذا بالأصل ذكر الليلة ولم يُعَيِّنْهَا . وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : أُرِيْتُ ليلة القَدْر . ثم أيقظني بعض أهلي . فنسيتها . فالتمسوها في العشر الغوابر . أخرجه مسلم (كتاب الصيام ، باب فضل ليلة القدر والحث على طلبها وبيان محلها وأرجى أوقات طلبها) ٨/ ٥٩ . فلم يحدد الرسول ﷺ ليلة القدر ، وكل ما قيل هو اجتهادات وأقوال تقبل الصواب والخطأ .

(٣) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب صلاة التراويح ، باب فضل ليلة القدر) ٢/ ٧٠٩ ، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب في قيام رمضان) ٦/ ٤٥ .

(٤) الحديث عن عائشة أم المؤمنين أخرجه الترمذي (كتاب الدعوات ، باب ٨٥) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٥/ ٤٩٩ ، وابن ماجه (كتاب الدعاء ، باب الدعاء بالعفو والعافية) ٤/ ٥٧١ ، وأحمد في مسنده ٤٢/ ٢٣٦ .

القدر[١] ، وكان ثابت[٢] والد الإمام الأعظم وَحُمَيد[٣] يَلْبَسانِ أحسن ثيابهما [في] ليلة القَدْرِ ، ويُطَيِّبانِ بماء الورد والعود [٤] .

ومن /[١٢٤ظ] علامتها أنها ليلة معتدلة لا حارة ولا باردة ، تطلع الشمس يومها قَمَرًا ضعيفَةً ؛ أي لا شعاع لها . يغفر الله فيها لكل إنسان إلا مَنْ مرَّ في بَحْث ليلة النصف مِن شعبان[٥] . وعن أَنَسٍ ﷺ قال : قال ﷺ : إنَّ لله تبارك وتعالى في كل ليلة جمعة - ويُرْوَى في كل جمعة- أي من رمضان- ستمائة ألف عَتِيقٍ من النار كلهم قداستوجبوا النار[٦] . وعن الحسن أنه قال : في كل ليلة من رمضان ستمائة ألف عتيق من النار ، فإذا كان آخر ليلة أُعْتِقَ بعدد ما مضى من الليالي[٧] . وعليكم يا إخواني بالدعاء عند الإفطار ؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : إنَّ للمؤمن عند إفطاره دعوة مستجابة[٨] ، وكان ﷺ عند إفطاره يُحْضِرُ طعامه ، ويدعو أهله وعياله ، ثم يدعو ، ومن جُمْلَةِ دعائه : يا واسع المغفرة اغفر لي ، ومنه :

---

(١) الأثر منسوبًا إلى عفان بن مسلم ذكره الزهري في الطبقات الكبرى ٦/ ٢٥٦ .

(٢) هو ثابت بن زوطا بن مرزبان ، الكوفي . انظر : تاريخ الإسلام للذهبي .

(٣) حُمَيد الطويل : أحدث الثقات التابعين البصريين ،سمع أنس وطائفة ، وكنيته أبو عبيدة ، ، وهو خال حَمَّاد بْن سَلَمَة ، كان إمامًا حافظًا متقنًا عمدة ، وكان من ثقات الرواة ، ولم يَدَعْ لثابت علمًا إلا حَفِظَه منه ووعاه . توفي سنة ثلاث وأربعين ومئة . انظر عنه : شذرات الذهب لابن العماد ١/ ٢١١ . وفي الأصل : وحميده وهو خطأ ، والمثبت من شذرات الذهب .

(٤) انظر الأثر في لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب الحنبلي ص ٢٢٣ .

(٥) الحديث سبق (١٢٠و) ، والحديث فيه مرفوعا عن علي بن أبي طالب .

(٦) الحديث عن أنس أخرجه أبو يعلى في مسنده ٣/ ٣٤٦ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب في الجمعة وفضلها) ٢/ ١٦٥ .

(٧) الحديث مرفوعًا أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في الصيام ، فضائل شهر رمضان) وقال عنه : جاء مُرْسَلاً ٣/ ٣٠٣ .

(٨) الحديث عن ابن عمر أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (فصل في الدعاء وقت الإفطار) ٢/ ٣٧٣ .

اللهمَّ إني أسألك برحمتك التي وَسِعَتْ كل شيءٍ أنْ تغفر لي ذنوبي[١] ، وعنه أنَّه قال : سمعت النبي ﷺ إذا أفْطَرَ يقول : اللهمَّ ذهبَ الظمأُ ، وابتلت العروق ، وثَبَتَ الأجر إن شاء الله[٢] ، ويُسْتَحَبُّ للضَيْفِ في رمضان أن يدعو لمن أضَافَهُ ، ويقول إذا فرغ من طعامه : أكل طعامكم الأبرارِ ، وَصَلَّت عليكم الملائكة ، وأفْطَر عندكم الصائمون[٣] . وفي رواية ونزلت عليكم الملائكة[٤] .

وَلَازِمُوا صلاة التراويح فيا لها من الفضائل ؛ فمنها ما يُقالُ : إنَّ لله مَوْضِعًا تحت العرش يُسَمَّى بحضرة القُدُسِ ، من نورٍ ، فيه ملائكة لا يُحْصَى عددهم يعبدون الله فيه حق العبادة ؛ فإذا كانت ليالي شهر رمضان استأذنوا الله في النزول إلى الأرض ليُصَلُّوا مع بني آدم التراويح ؛ فيُؤْذن لهم ؛ فينزلون في كل ليلة ، فكل مَنْ مَسَّهم أو مَسُّوه سعد سعادة لم يَشْقَ بعدها أبدًا ، وهذا إنما يكون لمن صَلَّوْهَا[٥] .

ويقال : ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[٦] إنَّ العمل الصالح عبارة عن أربعة أشياء : العلم ، والإخلاص ، والنية ، والصبر ؛ فأمَّا العلم : ففضله جزيل وهو يُوْصِلُ صاحبه إلى الجنة .

---

(١) الأثر عن ابن عمر أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في الصيام ، فضائل شهر رمضان) ٣/ ٤٠٧ .

(٢) الحديث عن ابن عمر أخرجه أبو داود (كتاب الصوم ، باب القول عند الإفطار) ٢/ ٥٣١ ، والبزار في مسنده ١٢/ ٢٤ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الصوم) قال الذهبي : على شرط البخاري ٢/ ٥٩٤ .

(٣) الحديث عن أنس أخرجه أبو داود (كتاب الأطعمة ، باب ما جاء في الدعاء لرب الطعام إذا أكل عنده) ٤/ ١٢١-١٢٢ ، وأحمد في المسند ١٩/ ٣٩٧ - ٣٩٨ ، والحديث عن عبد الله بن الزبير أخرجه ابن ماجه (كتاب الصيام ، باب في ثواب من فطَّرَ صائمًا) ٢/ ٥٥٦ .

(٤) الحديث عن أنس أخرجه أحمد في المسند بلفظ : وتَنَزَّلَت عليهم الملائكة ١٩/ ٢١٥ ، و الحديث عن سعد بن عُبَادَةَ أخرجه عبد الرزاق في المصنف (باب من فطر صائمًا) ٤/ ٣١١ .

(٥) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٦) تتمة شرح الآية رقم ٢٥ من سورة البقرة .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: من سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا سهَّل الله - عزَّ وجلَّ- له طريقًا إلى الجنة[1].

وعن أبي سَلَمَةَ الحمصي رضي الله عنه أنَّ رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟ فقال له بعد سؤاله ثلاثًا: العلم؛ فقال الرجل: يا رسول الله؛ سألتك عن العمل لم أسألك عن العلم؛ فقال ﷺ: عملٌ قليلٌ في علم خير من عملٍ كثيرٍ مع جهل[2].

وعن أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه قال: قال ﷺ: اغد عالمًا أو متعلمًا، أو مستمعًا، أو محبًا لأهله[3].

ولا ينسى العالم نفسه بأن لا يأمرها ولا ينهاها. عن جندب رضي الله عنه قال: قال ﷺ: مثَل العالم الذي يُعلِّم النَّاس الخير، وينسى نفسه مَثَلُ السراج يُضيء للناس ويحرق نفسه[4].

وَمَرَّ الكلام على الإخلاص، والكلام في النية مشهور، قال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ

(١) تتمة الحديث: .. ومن أبطأ به عمله لم يُسْرِع به نَسَبُه. عن أبي هريرة أخرجه أبو داود (كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم) ٤/ ٢٢، وأخرجه مسلم - أتم منه- عن أبي هريرة (كتاب الذكر والدعاء ...، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر) وأوله فيه: مَنْ نَفَّسَ عن مؤمن كُرْبَةً من كُرَب الدنيا ... ١٧/ ٢٥، والترمذي (كتاب القراءات، باب ١٢) ٥/ ١٧٩.

(٢) الحديث غير مسند ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين (باب الصلوات الخمس) ص ٢٣٠، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (فصل في الترغيب في العلم) والحديث فيه عن أبي سَلَمَة الحمصي ٣/ ٩٥.

(٣) الحديث موقوفًا عن ابن عباس أخرجه الدارمي (المقدمة، باب في فضل العلم) ص ١١٤.

(٤) الحديث عن جندب أخرجه الطبراني في الكبير ٢/ ١٦٦، والحديث عن أبي بَرْزَةَ أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (باب فيمن لم يَنْتَفِع بعلمه) ١/ ١٨٤، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترهيب من إعجاب المرء بعلمه والعمل بخلاف ما يأمر به) ٣/ ١٠٥.

يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾[١] . أي على نيته ، وفي الحديث : نية المرء خير من عمله[٢] ؛ أي بلا نية كما في رواية /[١٢٥و] : ألا ترى أنَّ الإنسان يُثَابُ على نية الخير وإن لم يعمل بما نواهُ ، ولا يُثَابُ على عمله بلا نية ، ويُقَال : إنَّ النية بالنسبة إلى العمل أفضل ؛ لأنَّ النية عمل القلب ، والقلب معدن المعرفة ، والعمل بالجوارح .

ويقال : نية المرء أفضل لطولها وقِصَرُ العمل ، وذلك أنَّ نية الإنسان أن يعمل الخير ما بقي ، ولا يستطيع أن يعمل الخير ما بَقِيَ ، ومرَّ الكلام في الصبر .

ويقال : ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَات﴾ الأعمال التي بين العبد وربه ؛ وهي أداء الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج .

ويقال : ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَات﴾ إنَّها الأعمال الباطنة والظاهرة ؛ فالباطنة : صفات القلب ؛ وهي : التوكل ، والرضا بالقضاء ، والصبر في البلاء ، والشكر في الرخاء .

قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[٣] أي كافيه .

وعن عمران بن الحصين ﷺ قال : قال ﷺ : مَنْ انقطع إلى الله كفاه الله مُؤْنَتَهُ ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومَنْ انقطع إلى الدنيا وَكَّلَهُ الله إليها[٤] .

---

(١) جزء من الآية ٨٤ من سورة الإسراء .

(٢) الحديث عن أنس أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في إخلاص العمل لله وترك الرياء) قال عنه : إسناده ضعيف ٥/ ٣٤٣ ، والديلمي في فردوس الأخبار ، والحديث فيه عن سهل بن سعد ٢/ ٣٧٣ .

وانظر كشف الخفاء للعجلوني ٢/ ٢٩٠-٢٩١ .

(٣) جزء من الآية رقم ٣ من سورة الطلاق .

(٤) الحديث عن عمران بن حصين أخرجه الطبراني في الأوسط ٤/ ٢١٦ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في الرجاء في الله تعالى) ٢/ ٢٨-٢٩ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب ما جاء في العزلة) ١٠/ ٣٠٣ .

وعن عثمان بن عفّان ﷺ قال : قال ﷺ : ما من رجلٍ يخرج من بيته يريد سفرًا أو غيره ؛ فقال حين يخرج : بسم الله آمنت بالله ، اعتصمت بالله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، إلا رُزِقَ خير ذلك المَخْرَجِ ، وصُرِف عنه شر ذلك المخرج[١] .

وعن سعد بن أبي وقّاص - ﷺ - قال : قال ﷺ : من سعادة ابن آدم استخارة الله له ، ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله ، ومن شِقْوَةِ ابن آدم تركه استخارة الله ، وَمِنْ شِقْوَةِ بن آدم سخطه بما قضى الله[٢] .

قال الفُضَيْل[٣] : الرِضَى أنْ لا يتمنَّى الإنسان فوق منزلته .

وقال أبو عثمانٍ الحيري[٤] : منذ أربعين سنةً ما أقامني الله في حالٍ فكرهته ، ولا نقلني إلى غيره فسَخطته[٥] .

عن صُهَيْبٍ - ﷺ - قال : قال ﷺ : عَجِبْتُ لأمر المؤمن إنَّ أَمْرَهُ كله خير ،

(١) الحديث عن عثمان بن عفان أخرجه أحمد في المسند ١/ ٥١٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب ما يقول إذا دخل منزله وإذا خرج منه) ١٠/ ١٢٨ ، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٢١٩ .

(٢) الحديث عن سعد بن أبي وقاص أخرجه الترمذي (كتاب القدر ، باب ما جاء في الرضا بالقضاء) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ٤/ ٣٩٦ ، وأحمد في المسند ٣/ ٥٤ ، والبزار في مسنده ٤/ ١٨-١٩ .

(٣) هو الفُضَيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ، أبو علي ، شيخ الحرم المكي ، من الكوفة ، ثم سكن مكة وتُوفي بها . ثقة في الحديث ، ومن أكابر العباد الصلحاء . مات ١٨٧ هـ . انظر عنه : طبقات الصوفية للسلمي ص ٦-١٤ ، وصفة الصفوة لابن الجوزي ٢/ ١٣٤-١٣٩ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٨/ ٨٤ -١٤٠ .

(٤) في الأصل : أبو عثمان النيسابوري ، والصواب هو : أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد الحيري ، زار أبا حفص النيسابوري وتعلم منه . وبقي بنيسابور إلى أن توفى بها سنة ٢٩٨هـ . انظر عنه : حلية الأولياء لأبي نعيم ١٠/ ٢٤٤-٢٤٦ .

(٥) انظر القول في الحِلْيَة لأبي نعيم (ترجمة سعيد بن إسماعيل) ١٠/ ٢٤٤

وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابه خير شكر ، وإن أصابه ضرٌّ صبر ، وكان خيراً له[(١)] .

دخل جماعة لعيادة الحسن بن علي بن أبي طالب ؛ فقيل له : كيف أصبحت يا ابن بنت رسول الله؟ قال : بحمد الله بارئًا ؛ أي معافًا ؛ فقيل له : أنت كذلك إن شاء الله ؛ فقال الحسن : أَسْنِدوني ، فَأَسْنَدَه أحدهم إلى ظهره ، ويقال : المُسْنِدُ له أبوه - ﷺ - فقال سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول : إنَّ في الجنة شجرةً يقال لها شجرة البلْوَى ، يُؤْتَى بأهل البلاء يوم القيامة فلا يُرْفَع لهم ديوان ، ولا يُنْصَبُ لهم ميزان يُصَبُّ عليهم الأجر صبًا ، وقرأ : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[(٢)] .

وأمَّا الظاهرة فأداءَ الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج ؛ فمن الصلوات صلاة العيد ؛ فإنها واجبة عندنا ، فرض كفاية عند أحمد ، سنة عند مالك والشافعي - رضي الله عنهم أجمعين- [(٣)] فإنَّ الإنسان إنما يستحق الأجر بتمام العمل ، وتمامه بصلاة العيد .

ومن الزكاة صدقة الفطر ؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : أمرنا النبي ﷺ بإخراج صدقة الفطر قبل الغُدُوِّ إلى الصلاة[(٤)] ؛ أي لما فيها من

---

(١) الحديث عن صُهيب أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق ، باب المؤمن أمره كله خير) ١٨/ ١١٨ ، وأحمد في المسند ٣١/ ٢٦٤ ، والطبراني في الأوسط ٤/ ٥٠٦ ، وابن حبان في الصحيح (كتاب الجنائز ، ذكر إثبات الخير للمسلم الصابر عند الضراء والشاكر عند السراء) ٤/ ٢٤٣ .

(٢) جزء من الآية رقم ١٠ من سورة الزمر ، والحديث عن الأصبع بن نباتة أخرجه الطبراني في الكبير ٣/ ٩٢-٩٣ ، الهيثمي في مجمع الزوائد (باب جزيل ثواب المرض) ٢/ ٣٠٥ .

(٣) صلاة العيدين واجبة عند الحنفية ، سُنَّة غير مؤكدة عند الشافعية والمالكية ، وفرض كفاية عند الحنابلة . انظر الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري (كتاب الصلاة ، مباحث صلاة العيدين) ١/ ٢٦٧-٢٦٨

(٤) الحديث عن ابن عمر أخرجه البخاري (أبواب صدقة الفطر ، باب الصدقة قبل العيد) ٢/ ٥٤٨ ، ومسلم (كتاب الزكاة ، باب الأمر بإخراج زكاة الفطر قبل الصلاة) ٧/ ٦٩ .

المبادرة إلى إسعاف /[١٢٥ظ] الفقير، وتطمين خاطره بِحَوْزِ مُؤْنَتِه .

ومن الصيام صوم الست من شوال ،عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال : قال ﷺ : مَنْ صام رمضان، وأَتْبَعَهُ بست من شوال ؛ فذلك صيام الدهر[١] قيل : يا رسول الله ، لكل يوم عشرة؟ قال : نعم ، لأنَّ النبي ﷺ قال : الحسنة بِعَشْرِ أمثالها[٢] . رمضان بعشرة أشهرٍ ، وستة أيامٍ شهرين .

قال أبو عوانة[٣] رحمه الله تعالى : في الحديث دليل على صيام ستٍ من شوالٍ ، أَيَّةَ أيامٍ كانت من أوله ، أو أَوْسَطِهِ ، أو أَخِرِهِ بعد أن يُفْطِرَ العيد ، وتفريقها أفضلُ كما حققه شيخنا العلائي[٤] .

وَمِنَ الذين يُكْرَمون في الأيام الفضيلة الضيفان والجيران ؛ فعن عبد الله بن عمرٍ رضي الله عنه قال : قال ﷺ : خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند

---

(١) الحديث حتى اللفظ عن أبي أيوب الأنصاري أخرجه مسلم (كتاب الصيام ، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال إتْبَاعًا لرمضان) ٨/ ٥٧ ، والترمذي (كتاب الصوم ، باب ما جاء في صيام ستة أيام من شوال) قال أبو عيسى : حديث حَسَنٌ صحيح ٣/ ١٣٢ ، وأبو داود (كتاب الصوم ، باب في صوم ستة أيام من شوال) ٢/ ٥٦٤ . ولم نجد العبارة الأخيرة من الحديث فيما بين أيدينا من كتب .

(٢) جزء من حديث عن عبد الله بن عمرو أخرجه البخاري (كتاب الصوم ، باب صوم الدهر) ٢/ ٦٩٧ ، ومسلم (كتاب الصيام ، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به . .) ٨/ ٤٢ .
والحديث بلفظه أخرجه الدارمي - وانفرد به- عن أبي عبيدة بن الجراح (كتاب الرقاق ، باب الحسنة بعشرة أمثالها) ص ٩٠٨ ، وأبو عوانة في الصحيح (باب ثواب من صام رمضان) ٧/ ٣٣٥ .

(٣) أبو عُوانة هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري ، ثم الإسفراييني من أكابر حُفَّاظ الحديث ، من كتبه : المستخرج على صحيح مسلم بن الحجاج ، والمسند الصحيح في الحديث ويقع في عَشْرِ مجلدات ، وفي قول آخر إن لأبي عوانة كتاب واحد في الحديث ويحمل ثلاثة عناوين وهي : المستخرج على صحيح مسلم ، المسند الصحيح في الحديث ، صحيح أبي عوانة . مات سنة ٣١٦ هـ . انظر عنه : تذكرة الحفاظ للذهبي ٣/ ٢ ، وهدية العارفين للبغدادي ٢/ ٥٤٤ ، وانظر قول أبي عوانة في صحيحه (باب ثواب مَنْ صام رمضان) ٧/ ٣٣٥ .

(٤) هو شيخ المؤلف وسبقت ترجمته .

الله خيرهم لجاره[١] .

وعن جابر رضي الله عنه قال : قال ﷺ : الجيران ثلاثة : جار له حق واحد وهو أدْنَى الجيرانِ حقًا ، وجارٌ له حَقَّان ، وجار له ثلاثة حقوق وهو أفضل الجيران حقًا ؛ فأمَّا الذي له حق واحد ؛ فجار مشرك لا رحم له ؛ [فـ] له حق الجوار ، وأمَّا الذي له حقَّانِ فجار مسلم لا رَحِمَ له ؛ [فـ] له حق الجوار ، وحق الإسلام ، وأمَّا الذي له ثلاثة حقوق ؛ فجارٌ مسلم وَرَحِمٌ ، له حق الإسلام ، وحق الجوار ، وحق الرَّحِم[٢] ، وأدنى حق الجَار أنْ لا يؤذي ، وأن لا يُغلق دونه الباب .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال ﷺ : كم من جارٍ متعلق بجاره يقول : يارب سَلْ هذا : لِمَ أغْلَقَ عني بابه ومنعني فضله[٣] .

أتى جماعة من الأعراب ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما فقالوا : إنَّا نقِيْمُ الصلاة ، ونؤْتِي الزكاة ، ونحج البيت ، ونصوم رمضان ، وأنَّ ناسًا من المهاجرين يقولون : إنَّا لسْنا على شيء ؛ فقال رضي الله عنه : مَنْ أقَامَ الصلاة ، وآتى الزكاة ، وحج البيت ، وصام رمضان ، وقرأ القرآن دخل الجنة وبالخصوص إكرام الأيتام ، والفقراء ، والمساكين[٤] .

---

(١) الحديث عن عبد الله بن عمرو أخرجه الترمذي (كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حق الجوار) قال أبو عيسى : حديث حسن غريب ٤/ ٢٩٤ ، وأحمد في المسند ١١/ ١٢٦ ، وعبد بن حُمَيد في مُسنده ١٣٦ ، وابن خزيمة في صحيحه (كتاب المناسك ، باب حُسْن المصاحبة في السفر ...) ٢/ ١٢١٢ ، والحاكم في المستدرك (كتاب المناسك) قال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم ٢/ ٦٢٤ .

(٢) الحديث عن جابر بن عبد الله أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (باب حق الجار والوصية بالجار) ٨/ ١٦٤ ، والحديث - مع اختلاف يسير في اللفظ -عن أنس أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار ١/ ٣٣٥ .

(٣) الحديث عن ابن عمر أخرجه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (كتاب البر والصلة ، باب الترهيب من أذى الجار) وقال عنه : حسن ٢/ ٦٨٤ ، وابن أبي الدنيا في كتاب مكارم الأخلاق ٣/ ٤٩٣ ، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (فصل في الترغيب في الضيافة وإكرام الضيف) ٣/ ٤٣ .

(٤) الأثر عن ابن عباس أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (فصل في الترغيب في الضيافة وإكرام الضيف) ٣/ ٤٣ .

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال ﷺ : الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، القائم ليله ، الصائم نهاره(١) ، وكافل اليتيم له أو لغيره ؛ إذا اتقى الله عزَّ وجلَّ أنا وهو في الجنة كهاتين ؛ يعني إصْبعيه السبابة ، والوسْطَى(٢) .

وعن مالك بن عمرو ﷺ قال : قال ﷺ : مَنْ ضَمَّ يتيمًا بين أبويه إلى طعامه وشرابه حتَّى يستغني عنه ، وجبت له الجنة(٣) .

ويُستحب إحياء ليلة العيد ؛ [فـ] في الحديث : مَنْ أَحْيَا لَيْلَتَيْ العيدين لم يَمُتْ قلبه يوم تموت القلوب(٤) ؛ فهذه الأعمال التي بين الله وعبده .

ويُقَال : ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الأعمال التي بين العباد : كأداء الأمانة ، والوفاء بالعهود ، وقضاء الحقوق ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ .

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال : قال ﷺ : ثلاث من لم تكن فيه واحدة منهنَّ فلا يُعْبَأُ بشيْءٍ من عمله : مَنْ لم يكن له ورع يحجزه عن معاصي الله عزَّ وَجلَّ ، أوحِلْمٌ يَكُفُّ به السفيه ، أو خُلُق يعيش به في النَّاس . وثلاث مَنْ كان فيه واحدة منهنَّ /[١٢٦و] زُوِّج من الحُوْرِ العيْنِ : رجل اؤتمن على أمانة خفية شهية فأدَّاها من مخافة الله عزَّ وجلَّ ، ورجلٌ عفا عن قاتله ، ورجل قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب النفقات ، باب فضل النفقة على الأهل) ٥/ ٢٠٤٧ ، ومسلم (كتاب الزهد والرقائق ، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم) ١٨/ ١٠٥ .

(٢) الحديث عن سهل بن سعد أخرجه البخاري (كتاب الطلاق ، باب اللعان) ٥/ ٢٠٣٢ ، والحديث عن أبي هريرة أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق ، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم) ١٨/ ١٠٥ .

(٣) في المخطوط بين مسلمين ، والمثبت من مسند أحمد ، الحديث عن مالك بن عمرو أخرجه أحمد في المسند ٣١/ ٣٧٢ ، والطبراني في الكبير ١٩/ ٢٦٠ ، والحديث عن مالك بن الحارث أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (باب فيمن أعتق رقبة مؤمنة) ٤/ ٢٤٣ .

(٤) الحديث عن أبي أمامة أخرجه ابن ماجه (كتاب الصيام ، باب فيمن قام في ليلتي العيدين) ٢/ ٥٦٦ ، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (فصل في فضل ليلتي العيد) ١/ ٢٤٨ .

دُبُرَ كل صلاة ، وثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن أكون خصمه أخْصَمَهُ الله : رجلٌ استأجر أجيراً فظلمه ، ولم يُؤْته أجره ، ورجل حلف بالله ؛ فغدر ، ورجل باع حُرًّا ؛ فأكل ثمنه ، ثم قال ﷺ : وَمَنْ كَفَلَ بثلاثة أيتامٍ كان كالذي قام الليل وصام النهار ، ورجل خرج شاهراً سيفه في سبيل الله ؛ فأنا وهو في الجنة كهاتين ، وأشار إلى السبَّابة ، والتي تليها[1] .

قوله : لا يُعْبَأُ بشيءٍ من عمله ؛ أي لا يُعْتَبَر أي لا يُقْبَلْ . وقوله : يكف به السفيه ، المراد به الشرير لا المبَذِر في ماله ، وقوله على أمانة خفية ؛ أي من غير شهود ؛ شهية : غالية الثمن ، وإن كان في الشرع لابُدَّ من الأشهاد ، وقوله : عفا عن قاتله ؛ أي قبل أن يموت ، ويُحْتَمَل أن يكون على حذف مضاف ؛ أي قاتل قريبه ، وهو المراد ؛ لأنَّ العفو الأول غير مُعْتَبَر ، حتَّى لو مات المجروح ثبت الحق لأوليائه ، وقوله : ورجل حلف بالله فَغدرَ ؛ أي غَرَّ المحلوف له حتَّى أوقعه في الضرر ، كما يقع من كثير من الأشرار . وكان من دعائه ﷺ : اللهمَّ إني أسألك العفة ، والأمانة ، وحُسْنِ الخُلُقِ وَرِضَىً بالقَدَرِ[2] ؛ وقد قال تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[3] .

الأمانة : أداء الحقوق : شامل للأمانة والدَّيْنُ ، فرضًا كان أو غيره .

وعن ابن عبَّاس أيضًا قال : قال ﷺ : أداء الحقوق دِيْني وَدِيْنُ النبيين من قبلي من الأمم ؛ وقد أُعْطِيَتْ أمتي ما لم يُعْطَهُ أحد قبلي من الأمم ؛ أَنْ جعل الله قُرُبَاتكُمْ الاستغفار ، وجعل صلواتكم الخمس بالأذان والإقامة ، ولم تُصَلِّها أمة قبلكم ؛ فحافظوا على صلواتكم ، وأيُّ عَبْدٍ صلَّى الفريضة ، واسْتغفر الله عشر مراتٍ ؛ لم يَقُم

(١) الحديث مرفوعًا عن ابن عباس أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترغيب في أداء الأمانة) ١/ ١٧٣-١٧٤ .

(٢) الحديث عن عبد بن عمرو أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (الموضع السابق) ١/١٧٤ .

(٣) جزء من الآية رقم ٥٨ من سورة النساء .

من مقامه حتَّى يغفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل رمل عَالِجْ(١) ، وجبال تُهامة لغفرها(٢) ، قوله : ولم تُصلِّها أمة قبلكم ؛ أي على هذه الكيفية ؛ لأنها كانت على سبيل الانفراد ، وبدون أذانٍ وإقامة ، وكان الكلام فيها مباحًا .

والوفاء بالعهود من شِيَمِ الأنبياء عليهم السلام ، وقد قال تعالى : ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾(٣) .

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال : قال ﷺ : إذا رأيت الناس قد مَرِجَتْ عقولهم ، وخَفَّتْ أماناتهم ، وصاروا هكذا ، وشَبَّكَ بين أصابعه ؛ فَالْزَمْ بيتك(٤) مرَجَتْ : فسدت ، وخَفَّتْ : اختفت أماناتهم

وصلة الرَّحِمِ واجبة - وقد مرَّت مرارًا- فتاركها مُتَوَعَّدٌ له بالنار ، عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : قال ﷺ : ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر ، وقاطع الرَّحِمِ ، ومُصَدِّقٌ بالسِحْرِ(٥) .

قال قتادة : ذُكِرَ لنا أنَّ النبي ﷺ قال : اتقوا الله وصِلُوا الرَّحِم ؛ فإنَّه أَبْقَى لكم

---

(١) رمل عالج : هو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض . لسان العرب (مادة : عَلَجَ) .

(٢) الحديث عن ابن عباس أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترغيب في أداء الأمانة) ١/ ١٧٤

(٣) جزء من الآية رقم ٣٤ من سورة الإسراء .

(٤) جزء من حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه أبو داود (كتاب الملاحم ، باب الأمر والنهي) ٤/ ٣٣٣ ، وأحمد في المسند ١١/ ٥٦٧ ، وابن أبي شيبة في المُصَنَّف (كتاب الفتن ، باب من كره الخروج في الفتنة وتَعَوَّذ منها) ٧/ ٤٤٧ .

(٥) جزء من حديث عن أبي موسى الأشعري أخرجه أحمد في المسند ٣٢/ ٣٣٩-٣٤٠ ، وأبو يَعْلَى في المسند ٥/ ٣٦٩ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الأشربة) قال الذهبي : صحيح ٧/ ٢٥٨٢ ، وابن حبان (فصل في الأشربة ، ذكر البيان بأنَّ الله جلَّ وعلا يسقي مدمن الخير من نهر الغُوطة . . .) ٧/ ٣٦٦-٣٦٧ .

في الدنيا وخير لكم في الآخرة[١] ، وقوله : فإنّه أبقَى لكم في الدنيا ؛ أي بزيادة العمر .

[و] عن الضَّحَاك في قوله تعالى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾[٢] أنه قال : إنَّ الرجل لَيَصِلُ رَحِمَهُ ، وما بقي من عمره إلا ثلاثة أيام ؛ فيزيد الله في عمره ثلاثين سنة ، وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاثون سنةً ؛ فَيُحبطه الله إلى ثلاثة أيام[٣] ؛ فعلى هذا الزيادة حقيقية ، وقيل الزيادة زِيَادَةُ البركة لا الحقيقية ؛ لقوله تعالى : ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[٤] وقيل المراد بالزيادة أنْ يُكْتَبَ ثوابه بعد موته ؛ فكأنَّهُ زِيْدَ في عمره .

ووفَّقَ بعضهم بأنَّ الآية الأولى محمولة على القضاء المُعَلَّق ؛ وكذا يُحْمَلُ ما يُشَاكِلُها من الأخبار ، والآية الثانية وما شَاكَلَهَا يُحْمَلُ على المُبْرَمِ[٥] ، والله تعالى أعلم .

[١٢٦ظ] والصلة [أي صلة الرحم] على ما قال شيخنا تحصل ولو ببشاشة الوجه وبالسلام . في الحديث ، قال ﷺ : صِلُوا وبروا أرحامكم ولو بالسلام[٦] .

[و] في الحديث الإسرائيلي : ابن آدم ، إن كان لك قريب ؛ فَانْحَلْهُ بمالك ؛ فإن قَلَّ مالك فامش إليه برجلك ؛ فإن لم تعطه من مالك ، ولم تمشِ إليه برجلك ، فقد

---

(١) الحديث عن سعيد بن قتادة ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين (باب صلة الرحم) ص ١٠٤ .

(٢) جزء من الآية رقم ٣٩ من سورة الرعد .

(٣) الأثر عن الضحاك ذكره السمرقندي في التنبيه (باب صلة الرحم) ص ١٠٤ .

(٤) جزء من الآية رقم ٣٤ من سورة الأعراف .

(٥) انظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للهروي (كتاب الدعوات) ٤/ ٥٢٨ .

(٦) الحديث عن ابن عباس أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (باب صلة الرحم وقطعها) ٨/ ١٥٢ .

قطعته[١] ، وعن ميمون بن مهران[٢] رحمه الله : ثلاثة للمسلم والكافر ؛ من عاهدته فَفِ له بعهدك مسلمًا كان أو كافرًا ، ومن كانت بينك وبينه قرابة فصِلْهُ مسلمًا كان أو كافرًا ، ومن ائتمنك على أمانة فأدِّهَا له مسلمًا كان أو كافرًا .

وعن كعب الأحبار[٣] أنه قال : والذي فَلَقَ البحر لبني إسرائيل إنه لمكتوب في التوراة : ابن آدم اتقي ربك ، وبر والديك ، وَصِلْ رحمك أمد لك في عمرك ، وأُيَسِرُ لك يُسْرَكَ ، وأصرف عنك عسرك .

أتى رجل النبي ﷺ وهو بمكة فقال : أنت الذي تَزْعُمُ أنك رسول الله؟ قال : نعم ، قال : فأي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال : الإيمان بالله ، قال : ثم ماذا؟ قال : صلة الرحم ، قال : ثم ماذا؟ قال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال : فأي الأعمال أبغض إلى الله؟ قال : الإشراك بالله ، قال : ثم ماذا؟ قال : ثم قطيعة الرحم ، قال : ثم ماذا؟ قال : ثم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٤] .

وعن الحسن البصري : إذا أضاع الناس العمل وتحابوا بالألسن ، وتباغضوا بالقلوب ، وقطعوا الرحم ؛ فعند ذلك يلعنهم الله ، ويصممهم ، ويُعمي أبصارهم[٥] .

وفي صلة الرحم عشر خصال : رضا الله ، وإدخال السرور على الرحم ، وتفريح الملائكة ، وحسن الثناء من المسلمين ، وإدخال الغم على إبليس ، والزيادة في العمر ،

---

(١) انظر تنبيه الغافلين للسمرقندي (باب صلة الرحم) ص ١٠٤-١٠٥ .

(٢) ميمون بن مهران ، أبو أيوب . الزاهد ، الورع ، المتصوف ، الحكيم . حَدَّثَ عن أبي هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر وطائفة . وعنه ابنه عمرو ، والحكم ، وأيوب ، وخَلْق . وثَّقَهُ النسائي . مات ١١٧ هـ . انظر عنه : حلية الأولياء لأبي نعيم ٤/ ٨٢-٩٧ .

(٣) الأثر عن كعب الأحبار أخرجه ابن أبي شيبة في مُصَنَّفه (كتاب الأدبَ ، باب ما قالوا في البر وصلة الرحم) ٥/ ٢١٨ . وانظر عنه : حلية الأولياء لأبي نعيم ٥ / ٣٨٩ .

(٤) الحديث عن قتادة عن رجل من خثعم أخرجه أبو يعلى في المسند ٥/ ٢٠٩ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب صلة الرحم وقطعها) ٨/ ١٥١ .

(٥) الأثر عن الحسن البصري ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين (باب صلة الرحم) ص ١٠٦ .

والبركة في الرزق ، وسرور الأموات بصلة الأقارب ، والعمل بالمروءة ، وزيادة الأجر بعد موته بِذِكْرِهِ بالخير[١] .

وفي الحديث قال ﷺ : ما خَطَا عبد أحب من خُطْوَتَيْنِ : من خطوة إلى الصلاة المفروضة ، ومن خطوة إلى ذي الرحم[٢] .

ويقال : خمسة أشياء من داوم عليها زِيْدَ في حسناته مثل الجبال الرواسي ، ويوسع عليه في رزقه : من داوم على الصدقة قَلَّت أو كَثُرَت ، ومن وصل رحمه بما قَلَّ أو كثر على حسب المقدور من هدية أو زيارة ، أو إعانة ، أو مكتوب حالة غيبته ، ومن داوم على الجهاد في سبيل الله عز وجل ، ومن داوم على الوضوء ، ولم يُسْرِفْ في صب الماء ، ومن أطاع والديه ، وداوم على طاعتهما[٣] .

واعلموا أيها الإخوان إنكم في شهر عظيم الشأن ، مفتاحه : العيد عائد علينا وعليكم بالسرور . وأوله إعطاء الجوائز . فيا هنيئًا للمداوم فيه على طاعة ربه محتسبًا به ، وأنه أول أشهر الحج الذي هو أعظم النعم في الدنيا ، ويُسَمى شوالاً[٤] ؛ لأن الذنوب فيه شَتُول ؛ أي يبطل حكمها بفضل الله ورحمته بالمؤمنين ، وببركة عملهم الصالح في رمضان ، وإياكم أن تعودوا إلى المعاصي ، واغتنموا ما فيه رضا مالك النواصي ، وأكثروا من توحيد الله ، ومن الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

/[١٢٧و] : ويقال[٥] : ﴿وعملوا الصالحات﴾ لزموا السنة والجماعة ؛ لأنَّ عمل

---

(١) هذا قول أبو الليث السمرقندي - أورده المصنف مختصرًا- في تنبيه الغافلين (باب صلة الرحم) ص ١٠٨ .

(٢) الحديث عن الحسن مرفوعًا ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين (باب صلة الرحم) ص ١٠٨ .

(٣) انظر القول في تنبيه الغافلين للسمرقندي (باب صلة الرحم) ص١٠٢ .

(٤) شوال : اسم الشهر الذي يَلِي رمضان ؛ وهو أول أشهر الحج . قيل : سُمِيَ بتشويل لبن الإبل وهو توليه وإدباره ، وكذلك حال الإبل في اشتداد الحر وانقطاع الرطب . لسان العرب (مادة : شول) .

(٥) تتمة شرح المؤلف للآية رقم ٢٥ من سورة البقرة والتي بدأها ص ١٢٢ظ .

المبتدع لا يكون صالحًا .

عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : اقتدوا باللذين من بَعْدِي أبي بكرٍ وعمر[١] .

وعن ابن عمرٍ رضي الله عنهما : لا يزال النَّاس على الطريق ما اتُّبِعَ الأثر[٢] ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه : الدين دينُ محمدٍ ﷺ ، ولن تضل الأمة ما أخذت بالأثر[٣] .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : إنَّ النبي ﷺ لمَّا تلا ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ قال : إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ؛ فهم الذين سَمَّى الله ، فاحذروهم[٤] .

وعن حمَّاد بن يزيد قال : سمعت أيوب يقول : لا أعلم أحدًا من أهل الأهواء إلا يُخَاصِمُ بالمُتَشَابَه[٥] . وقد سُمِيَتْ أهواءً لأنَّها تَهْوِيْ بصاحبها في النار .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : ثلاث مُنْجيَاتٌ ، وثلاثٌ مُهْلكَات ؛ فأمَّا المُنْجِيَات ؛ فخشية الله في السر والعلانية ، والحكم بالحق عند الغضب والرضا ،

---

(١) الحديث - بهذا اللفظ - عن حذيفة أخرجه الطبراني في الأوسط ٤/ ٤٨٧ ، والحديث عن ابن مسعود بزيادة عبارة : واهتدوا بهدي عمار ، وتمسكو بعهد ابن مسعود . أخرجه الترمذي (كتاب المناقب ، مناقب عبد الله بن مسعود) . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ٥/ ٦٣٠-٦٣١ .

(٢) الأثر عن ابن عمر أخرجه السيوطي في كتاب مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة ١/ ٤٨ .

(٣) الأثر عن أبي الدرداء أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب الترغيب في الاقتداء والاتباع) ١/ ١٣٦ .

(٤) جزء من الآية رقم ٧ من سورة آل عمران . والحديث عن عائشة أم المؤمنين أخرجه البخاري (كتاب التفسير ، آل عمران : ٧) ٤/ ١٦٥٥ ، ومسلم (كتاب العلم ، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه . . .) ١٦/ ٢٢٣ .

(٥) الأثر عن أيوب أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (فصل في الترهيب من الاختلاف والنزاع) ١/ ٢٣٧ .

والقَصْدُ عند الغنى والفقر ، وأمَّا المُهْلِكَاتُ : فَشُحٌ مطاع ، وهوىً مُتَّبع ، وإعجاب المرء بنفسه[١] .

القَصْدُ ضدُّ السرف ، وعن ابن مسعود ﷺ أنَّه كان يخطب عشية كل خميس ؛ فيقول : أيها النَّاس ؛ إن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهَدْيِ هَدْيِ محمد ﷺ وشر الأمور مُحْدَثاتها ، وكل مُحْدَثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار[٢] .

قال ﷺ : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسَّكْتُم بهما : كتاب الله وسنة نبيه[٣] .

وعن الحسن ﷺ قال : قال ﷺ : عملٌ قليلٌ في سُنَّةٍ خير من عملٍ كثيرٍ في بدعة[٤] ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار[٥] .

---

(١) لم نجد الحديث برواية أبي هريرة فيما بين أيدينا من كتب الحديث .
والحديث عن أنس أخرجه الطبراني في الأوسط ٦/ ٢١٤ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في الخوف من الله تعالى) ١/ ٤٧١ .
(٢) جزء من حديث مرفوع عن ابن مسعود أخرجه ابن ماجه (المقدمة ، باب اجتناب البدع والجدل) ١/ ٤٠ ، والحديث جزء من حديث آخر عن جابر بن عبد الله أخرجه مسلم (كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة) ٦/ ١٦١ ، والنسائي (كتاب صلاة العيدين ، باب كيف الخطبة) ص ٢٦٠ .
(٣) الحديث بهذا اللفظ انفرد به مالك عن أنس (كتاب القدر ، باب النهي عن القول بالقدر) ص ٥٤٩ .
(٤) الحديث حتى هذا اللفظ موقوفًا عن الحسن أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في مباعدة الكفار والمفسدين ، فصل في مجانبة الفَسَقَة والمبتدعة) ٧ / ٧٢ .
(٥) حديث : كل بدعة ضلالة ، جزء من حديث عن جابر بن عبد الله أخرجه مسلم (كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة) ٦/ ١٦١ ، وأحمد في المسند ٢٢/ ٢٣٧ ، وابن ماجه (المقدمة ، باب اجتناب البدع والجدل) ١/ ٣٩-٤٠ .
وانفرد ابن خزيمة في صحيحه بزيادة عبارة (وكل ضلالة في النار) (كتاب الجمعة ، باب صفة خطبة النبي ﷺ ....) ٢/ ٨٦٤-٨٦٥ .

وفي الحديث ,قال ﷺ : افترقت بنو إسرائيل إلى إحدى وسبعين فرقةً ، وإنَّ هذه الأمة ستفترق إلى اثنتين وسبعين فرقة : إحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة[١] .

وفي رواية إلى ثلاث وسبعين فرقة : اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة[٢] .

عن أويس القرني[٣] رحمه الله تعالى أنَّه أَوْصَى هرم بن حيان ؛ فقال له : إياك أن تفارق الجماعة ؛ فإنَّ في مفارقتها مفارقة الدين من حيث الإنسان لا يشعر ؛ فيدخل النار يوم القيامة[٤] .

ويقال : ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[٥] تابوا عن الزلاَّت .عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء جُبَيْب بن الحارث إلى النبي ﷺ : فقال : إني رجل مِقْرَاف للذنوب ؛ فقال له : تُبْ إلى الله يا مِقْراف ؛ فقال : يا رسول اللَّه ، إني أتوب ثمَّ أعود ، قال : كلما أَذْنَبْتَ ذنبًا فتُبْ ، قال : إذًا تَكْثُرُ ذنوبي يا رسول الله ، قال : عفو الله أكبر من

(١) الحديث بهذا اللفظ عن أنس أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن ، باب افتراق الأمم) ٤/ ٦٢١ ، وأحمد في المسند ١٩/ ٤٦٢ .

(٢) الحديث بهذه الرواية – مع اختلاف في اللفظ – عن أبي أمامة أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (باب ما ذكر في الخوارج) ٧/ ٥٥٤ .

(٣) هو أويس بن عامر بن جزء بن مالك بن عمرو القرني ، الزاهد المشهور ، أدرك النبي ﷺ ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي أهل الكوفة . كان ثقة . شهرة أخباره لا تسع أحداً أن يشك فيه . أخبر به النبي ﷺ قبل وجوده ، وشهد صفين مع علي ، وكان من خيار المسلمين . أسلم أويس على عهد النبي ﷺ ولكن منعه من القدوم بره بأمه . انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ١/ ١٢٢-١٢٤ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٢/ ٧٩-٨٧ .

(٤) قول أويس أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب معرفة الصحابة) ٣/ ٤٩٩ .

(٥) تتمة شرح الآية رقم ٢٥ من سورة البقرة والتي بدأها المؤلف ص١٢٢ظ .

ذنبك يا جُبَيْب بن الحارث[١] . جُبَيْب بالجيم : على صيغة التصغير ، ومِقْرَاف الذنب : مرتكبه .

عن علي رضي الله عنه : ما قلَّ عملٌ مع التَّقْوَى ، وكيف يقل عملٌ مُتَقَبَّلٌ عند الله ، ولا يقبل العظيم إلا العظيم[٢] ، ولذا كان يود الجُنَيد[٣] رحمه الله أن يُتَقَبَّل منه سجدة ، وقال : مَنْ تُقُبِلَ له عمل وإنْ قلَّ نَجىْ ؛ لأنه لا يتقبَّل إلا من الناجي ؛ فالقبول دليل على النجاة .

﴿ أنَّ لَهُمْ جَنَّات ﴾ أي بأنَّ لهم من الاجتنان ؛ وهو الاستتار ؛ لأنَّها تستر ، وتُظِلُّ من فيها بأشجارها وتظل أراضيها . الجنات : جمع جنة[٤] .

---

(١) الحديث عن عائشة أم المؤمنين أخرجه الطبراني في الأوسط ٦/ ١٢٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب ما جاء فيمن يستغفر ويتوب كلما أذنب) ١٠/ ٢٠٠ .

(٢) الأثر عن علي رضي الله عنه أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب الترغيب في التوبة) ١/ ٤٤٦ .

(٣) هو الجُنيد بن محمد بن الجُنيد البغدادي ، أبو القاسم . صوفي ، متكلم ، يُوْصَفُ بأنه سيد الطائفة . له تصانيف منها : أمثال القرآن ، والمحبة ، والمقصد إلى الله تعالى ، ومعاني الهمم في الفتاوي الصوفية ، والسر في أنفاس الصوفية . توفى سنة ٢٩٧هـ . انظر عنه : طبقات الصوفية للسُّلَمِي ص١٥٥-١٦٣ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ١٠/ ٢٥٥-٢٨٧ .

(٤) انظر حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية (الباب الحادي والعشرون في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها) ١/ ١٩١

[فصل في الجنات وصفاتها، وصفات أهل الجنة]

قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما هُنَّ : دار الجلال ، ودار القرار ، ودار السلام ، وجنة عدن ؛ وهي مُشْرِفَة على كل الجِنان ، لها مِصْراعان[١] من زمرد وياقوت ، ما بين المِصْراعين كما بين المشرق والمغرب ، وجنة المأوى ، وجنة الخُلْد ، وجنة الفردوس ، وجنة النعيم[٢] .

﴿تَجْرِي مِنْ تحتِها﴾ على وجه أراضيها ﴿الأنهار﴾ أو من تحت أشجارها وغرفها من غير أخدود . [١٢٧ظ] متماسكة بقدرة الملك المعبود ، وأل : في ﴿الأنهار﴾ للجنس ؛ وعليه فالأنهار متعددة : نهر من ماء ، ونهرٌ من لبن ، ونهر من خمر ، ونهر من عسلٍ ، ويقال : النهر واحد ، وتجري فيه الأربعة من غير أنْ يُخَالِطَ بعضها بعضًا ؛ فَجُمِعَ باعتبار ما يجري فيه ، ويُقَال : إنَّه واحد ، وتختلف على حسب الشهوة والتناول ؛ فإن اشتهى المتناول الماء خرج ماء ، أو العسل فالعسل ، أو اللبن فاللبن ، أو الخمر فالخمر ؛ فالماء طبعه الحياة ، من شرب منه لا يموت أبدًا ، واللبن طبعه التربية والنمو ؛ فمن شرب منه لا يهزل أبدًا ، والعسل طبعه الشفاء ؛ فمن شرب منه لا يَسْقَم أبدًا ، والخمر طبعه الطرب ؛ فمن شرب منه لا يحزن أبدًا ، ولا يُصَدَّعْ ولا يُغَيَّبْ . ويقال : إنَّ أنهار الجنة تتفجر من أعلاها وتنحدر إلى أسفلها ؛ لأنَّ الجنة مئة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض[٣] والكوثر نهر في الجنة ليس أحد يُدْخِلُ إِصْبَعَهُ في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النَّهر[٤] ، ويقال : إن مياه الجنة على

---

(١) المصْرَاعَان : بابا البيت . لسان العرب (مادة : صرع) .

(٢) الأثر عن ابن عباس أخرجه إسماعيل حقي في روح البيان (السجدة : ١٩) .

(٣) جزء من حديث عن عُبادة بن الصامت أخرجه أحمد في المسند بلفظ" إن رسول الله ﷺ قال : الجنة مئة درجة ما بين كل درجتين منهما كما بين السماء والارض ، الفردوس أعلاها درجة ، ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة ، ومن فوقها يكون العرش ، وإذا سألتم الله فَسَلُوهُ الفردوس" ٧/ ٥٥٦ . وأخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الجنة) ١٣/ ١٣٨ .

(٤) الحديث عن مجاهد أخرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١٤/ ١٠٨٥ .

خلاف ماء الدنيا إن أراد الإنسان أن تكون من أسفل إلى أعلى كانت .

عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما : أنزل الله من الجنة خمسة أنْهارٍ : سيْحُوْنَ بحر الهند ، وجيحون نهر بلخٍ ، ودجلة والفرات نهر العراق ، والنيل نهر مصر وكلها من عينٍ واحدة من عيون الجنة[١] ؛ فعين الماء تَنْبُعُ : من ميمْ بسم الله ، وعين اللبن من هاء الجلالة ، وعين الخمر من ميم الرحمن ، وعين العسل من ميم الرحيم ، والبسْمَلَة مكتوبة في ساق العرش[٢] ، وكلها تَنْصَبُّ في الكوثر نهر نبينا محمد ﷺ يُسْقَى منها المؤمنون بواسطة الملائكة عليهم السلام ، ويسقيهم الله عزَّ وعلا الشراب الطهور بلا واسطة ، قال تعالى : ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[٣] جاء في بعض الآثار : ما رُؤِيَ مثل الجنة نام طالبها ، ولا رُؤِيَ مثل النار نام هاربها[٤] .

أيها الإخوان : مَنْ أحبَّ الجنة أسرع إلى الخيراتِ ، ومن خاف من النار تباعد عن المنكرات وترك الشهوات ، ومن ترقَّب الموت هانت عليه المصيبات .

عن ابن عباس رضي الله عنهما : لأدنى أهل الجنة من الجنة مسيرة خمس مئة عامٍ ، ويُزَوَّجُ بخمس مئة حوراء ، وأربعة آلاف بِكْرٍ ، وثمانية آلاف ثَيِّبٍ ، وإنه ليعَانِقُ الواحدة قَدْرَ الدنيا ، ويلْتذ في أكلته وشربته قدر ذلك[٥] .

(١) الأثر عن ابن عباس أخرجه العجلوني في كشف الخفاء ١/ ٤١٢ . وانظر الأثرعن ابن عباس ذكره ابن قيم الجوزية في كتابه حادي الافرارح إلى بلاد الأرواح (في ذِكْرِ أنهار الجنة وعيونها وأصنافها) ص ١٥٧ .

(٢) انظر القول في روح البيان لإسماعيل حقي (سورة الفاتحة الآيات من ١-٧) .

(٣) جزء من الآية رقم ٢١ من سورة الإنسان .

(٤) الحديث مرفوعًا عن هرم بن حيان أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب ذكر النار ، ما ذُكِرَ فيما أعد الله لأهل النار وشدته) ١/ ٨١ ، وأحمد في الزهد (أخبار هرم بن حيَّان رحمه الله) ص ٢٨٣ .

(٥) الأثر عن ابن عباس أورده ابن الجوزي في بستان الواعظين ورياض السامعين (باب درجة أهل الجنة) ١/ ١٣١ .

ويقال : النيل نهر العسل في الجنة ، والدجلة نهر اللبن ، والفرات نهر الخمر ، وسَيْحَانْ وجَيْحَان نهرا الماء[١] .

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال : قال ﷺ : إنَّ في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام ما يقطعها[٢] ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴾[٣] . وعنه : والذي أنزل الكتاب على النبي محمد ﷺ : إنَّ أهل الجنة ليزدادون كل يوم جمالاً وحسنًا كما يزدادون في الدنيا هرمًا[٤] . في أصابع كل جنّاني العَشْرعشرة خواتم مكتوب على الأوَّل ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾[٥] وعلى الثاني : ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ﴾[٦] وعلى الثالث : ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٧] وعلى الرابع : ﴿وَلَكُم فِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[٨] وعلى الخامس : رَفَعْتُ عنكم الأحزان والهموم /[١٢٨و] وعلى السادس : زوَّجتكم الحور العِين ، وعلى السابع : ألبستكم الحُلِيَ والحُلَلْ ، وعلى الثامن : جعلتكم رفقة الأنبياء والمرسلين ، وعلى التاسع : جعلتكم فيها شُبَّانًا لا تَهْرَمُون فيها أبدًا ،

---

(١) الأثر عن كعب الأحبار ذَكَرَه الزرقاني في شرحه على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (المقصد الخامس في تخصيصه عليه الصلاة والسلام بخصائص الإسراء والمعراج) ٨/ ١٦٦ .

(٢) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب بَدْءِ الخَلْق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة) ٣/ ١١٨٧ ، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب ...) ١٧/ ١٦٣ .

(٣) الآية رقم ٣٠ من سورة الواقعة .

(٤) جزء من حديث موقوفًا عن أبي هريرة ذكره إسماعيل حقي في روح البيان (تفسير سورة يوسف : ٥٧) ٤/ ٣٨٤ ، والسمرقندي في تنبيه الغافلين (باب صفة الجنة وأهلها) ص ٥٣ .

(٥) جزء من الآية رقم ٧٣ من سورة الزمر .

(٦) الآية رقم ٤٦ من سورة الحجر .

(٧) الآية رقم ٧٢ من سورة الزخرف .

(٨) جزء من الآية رقم ٧١ من سورة الزخرف .

وعلى العاشر : أسكنتكم جواري بفضلي[١] . فمن أراد حصول ذلك ؛ فليمنع نفسه عن المعاصي ، وليحرص على الطاعات ، وليحب أهل الخير والديانات ويخالطهم ؛ لِيَحْصُلَ له نفحة من نفحاتهم المسكية ، وليُعْرِضْ عن الدنيا ، وليرغب في الآخرة ، وليكثر من سؤال الله له الجنة ، وأن يجعل خاتمته إلى خيرٍ بالنُّطْقِ بكلمة التوحيد .

جاء إنه مكتوب على باب الجنة : إني أنا الله لا إله إلا أنا لا أعذب من قالها[٢] : إني أنا الله لا إله إلا أنا محمد رسول الله لا أعذب من قالها .

﴿كُلَّمَا رُزِقوا﴾[٣] : أُطعموا ،﴿منها﴾ : منْ الجنة ، ﴿من ثمرة رزقا﴾ : من : صلة أيُّ صلَة ، أو للتبعيض ؛ لأنهم إنما يُرْزَقُوْنَ بعض ثمار الجنة من الدنيا ، ﴿قالوا هذا الذي رُزِقْنًا من قبل﴾ : قيل ثمار الجنة متشابهةً في اللون مختلفة في الطعم ؛ فإذا رُزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنَّها الأولى[٤] ، ولذا قال جلَّ وعلا : ﴿وأُتُوا به مُتَشَابِهًا﴾ .

عن ابن عبَّاسٍ : متشابهًا لونًا لا طعمًا كما قلنا .

وقال الحسن البصري وقتادة : متشابهًا في الجودة لارداءة فيه[٥] ، وعن محمد ابن كعب القُرَظِيِ : تمر الآخرة مثل تمر الدنيا إلا أنَّه أطيب ، ويقال : متشابهًا في الاسم لا الطعم ؛ فَيُرْوَى عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما : ليس ما في الدنيا في الجنة إلا الأسامي[٦] .

---

(١) القول غير منسوب ذكره السمرقندي - مع اختلاف في اللفظ - في تنبيه الغافلين (باب صفة الجنة وأهلها) ص ٥٦ .

(٢) الحديث عن أبي سعيد أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار ٢/ ٣٤٠ .

(٣) تتمة شرح (سورة البقرة الآية رقم ٢٥) والتي بدأها بلوحة [١٢٢ظ] .

(٤) انظر تفسير البغوي (سورة البقرة :٢٥ ،٢٤) .

(٥) انظر تفسير الطبري (سورة البقرة ٢٥) .

(٦) انظر تفسير الطبري (البقرة :٢٥) .

خرَّجَ البغوي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال ﷺ : أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يَبُوْلُوْنَ ولا يَتغوَّطُون[١] ، ولا يَبْصُقُون ، يُلْهَمُونَ الحمد والتسبيح كما يُلْهَمُونَ النَّفَس ، طعامهم جُشَاء[٢] ، ورَشْحَهُم المسك[٣] .

" وَلَـهُمْ فِيهَـا أَزْوَاجٌ"وجَوَاري من الحُوْرِ العيْنِ "مُطَهَّرة" من الغائط ، والبَوْل ، والحَيْضِ ، والنفاس ، والمَنْي ، والمُخاط[٤] ، والبلغم ، والبُصَاق ، والوَلَدِ ، وكل قذر كالقَيْحَ والدم ، والصديد ، ومُطَهَّرَاتٌ عن مساويء الأخلاق .

ويقال : مُطَهَّرَةٌ عن الأوجاع ، وعن المجادلات ، والغَيْرَة ، أو مُطَهَّرَةٌ من أن يُمَكِّن غير أزواجهنَّ . قال الحسن البصري : عجائزكم الغُمْضُ[٥] العُمْشُ[٦] طَهُرْنَ من قَذَرَاتِ الدنيا ؛ فتكون العجوز أبهج وأحسن من الحوراء . عن أم سلمة رضي الله عنها : قلت : يا رسول الله ، نساء الدنيا أفضل أم الحُوْرِ العيْن؟ قال : بل نساء الدنيا أفضل من الحور العين ؛ كفضل الظهارة[٧] على البطانة ، قلت : يا رسول الله ، وبِمَ ذلك؟ قال : بصَلاتهنَّ ، وصيامِهنَّ ، وعبادَتِهنَّ[٨] . وعن إبراهيم النَّخْعِي : في الجنة جِمَاعُ ما شئت ولا ولد[٩] ؛ وهذا - هو الأصح

(١) تَغَوَّط الرجل : إذا أَحْدَثَ فهو متغوط . لسان العرب (مادة : غَوَطَ) .

(٢) التَجَشُؤ : تنفسُ المعدة عند الامتلاء . لسان العرب (مادة : جشأ) .

(٣) الحديث عن جابر بن عبد الله أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها . . .) ١٧/ ١٦٩ . ورواه أبو داود مختصراً (كتاب السنة ، باب في السُّنَّة) ٥/ ٧١ ، والحديث بتمامه أخرجه البغوي في المصابيح (باب صفة الجنة وأهلها) ٢/ ٢١٨

(٤) المُخاط ما يسيل من الأنف . لسان العرب (مادة : مخط) .

(٥) الغُمْضُ : النَّوْم . لسان العرب (مادة : غمض) .

(٦) العَمَش : أن لا تزال العين يسيل منها الدمع ، ولا يكاد الأعمش يُبصر بها . لسان العرب (مادة : عمش) .

(٧) الظهارة : ما علا وظهر ولم يَلِ الجسد والجمع ظهائر . لسان العرب (مادة : ظهر) .

(٨) جزء من حديث طويل عن أم سلمة أخرجه الطبراني في الأوسط ٤/ ١٠٩-١١١ .

(٩) الأثر عن إبراهيم النَّخعي ذكره الترمذي (كتاب صفة الجنة ، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة) ٤/ ٥٦٠ .

﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١] لا يخرجون منها دائمون فيها ؛ لأنَّ تمام النعمة بذلك ، والتنغيص بالزوال والفناء .

جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال : إن أزواج أهل الجنة ليغنينَّ لأزواجهنَّ بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط[٢] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : أهل الجنة جُرْدٌ[٣] مُرْدٌ[٤] كُحْلاً لا تَفْنَى شبابهم ، ولا تَبْلَى ثيابهم[٥] . يذهب كل شعر من الإنسان إلا الحواجب ، والأهداب ، وشعر الرأس .

وأهل الجنة أقسام منهم : مَنْ هو على صورة القمر ليلة البدر ، ومنهم من هو على صورة أضْوَءِ كوكب في السماء على حسب المراتب ، ومَنْ تَزَوَّجَتَ من نساء الدنيا بأزواجٍ تُخَيَّر ؛ فتختار أحْسنهم أخلاقًا .

قال ﷺ : ذهب حُسْنُ الخُلُقِ بخير الدنيا والآخرة[٦] ، ثمَّ الأحاديث وردت بزوجتين ، زوجتين لكل رجل[٧] ، وما زاد سَرَارِي[٨] / [١٢٨ظ] فبه حصل التوفيق

---

(١) آخر جزء من الآية رقم ٢٥ من سورة البقرة . وهنا انتهى شرح المؤلف للآية رقم ٢٥ من سورة البقرة والتي بدأها بلوحة [١٢٢ظ] .

(٢) الحديث عن علي رضي الله عنه أخرجه الترمذي – مع اختلاف في الألفاظ– (كتاب صفة الجنة ، باب ما جاء في كلام الحور العين) قال أبو عيسى : حديث علي حديث غريب ٤/ ٦٠٠ .

(٣) الجُرْدُ : يقال : رجل أجرد لا شعر عليه . لسان العرب (مادة : جرد) .

(٤) الأمرد : الفتى الذي لم ينبت شعر لحيته بعد . لسان العرب (مادة : مرد) .

(٥) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الترمذي (كتاب صفة الجنة ، باب ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب٤/ ٥٨٦ ، والدارمي (كتاب الرقاق ، باب في أهل الجنة ونعيمها) ص ٩٢٩-٩٣٠ .

(٦) جزء من حديث عن أنس عن أم حبيبة أم المؤمنين أخرجه الطبراني في الكبير ٢٣/ ١٨٤ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الأدب ، باب ما جاء في حُسن الخُلُق) ٨/ ٢٤ .

(٧) جزء من حديث عن أبي هريرة أوله : أول زُمرة تدخل الجنة على صورة القمر .... أخرجه البخاري (كتاب بَدْءِ الخَلْق ، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة) ٣/ ١١٨٦ ، ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب أول زمرة تدخل الجنة) ١٧/ ١٦٧ .

(٨) السُرِّيَّة : الجارية المتخذة للملك والجماع . لسان العرب (مادة :سرر) ، وليست هذه العبارة من ألفاظ الحديث .

وبالله التوفيق .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلاً سأل النبي ﷺ : أَنُفْضِي إلى نسائنا في الجنة؟ قال : إنَّ الرجل ليصل في اليوم إلى مئة عذراء[١] ، وفي رواية : فإذا قام عنها رجعت مُطَهَّرَةً بِكْرًا[٢] ، قيل في قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾[٣] شُغْلُهم : افْتِضَاضُ الأَبْكَار[٤] . عن سعيد بن جُبير رضي الله عنه : ولا يلْحَقْها بهذا الوَطْء جَنَابةٌ حتى لا يُلْزِمَهم الا غتسال ؛ لأنَّ الجنة ليستْ بدَارِ تكليف ، وجاء : إنَّ الرجُلَ لَيُعْطَى قوة مئة رجلٍ في الوَطْيء ، والأكل ، والشرب[٥] .

عن يحيى بن معاذ الرازي : مَنْ أراد الجنة ترك الدنيا[٦] .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ سَأَلَ من الله الجنة ثلاث مرات ، قالت الجنة : اللهمَّ أدْخِلْهُ الجنة ، وَمَنْ استعاذ من النار قالت النار : اللهمَّ أَجِرْهُ من النار[٧] .

---

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الطبراني في الأوسط ٦/ ١٢٨ ، والحديث عن ابن عباس أخرجه أبو يَعْلَى في مُسْنَدِه ٣/ ٣٨ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب في أكل أهل الجنة وشربهم وشهواتهم) ١٠/ ٤١٦ .

(٢) الحديث بهذه الرواية عن أبي هريرة أخرجه ابن حبان (باب ذِكْرِ أن المرء من أهل الجنة إذا وَطِيءَ جاريته فيها عادت بِكْرًا كما كانت) ٩/ ٢٤٦ .

(٣) الآية رقم ٥٥ من سورة يس .

(٤) انظر : تفسير الطبري (سورة يس : ٥٥) .

(٥) جزء من حديث عن زيد بن أرقم أخرجه أحمد في المسند ٣٢/ ١٩ ، والدارمي (كتاب الرقاق ، باب في أهل الجنة ونعيمها) ص ٩٢٩ ، وعبد بن حميد في المسند ص ١١٣- ١١٤ ، والطبراني في الكبير ٥/ ١٧٧-١٧٨ .

(٦) الأثر أخرجه السمرقندي في تنبيه الغافلين (باب صفة الجنة وأهلها) ص ٥٨ ، والغزالي في الإحياء (كتاب ذكر الموت وما بعده ، باب بيان جمل مُفَرَّقة من أوصاف أهل الجنة) ٤/ ٤٦٣ .

(٧) الحديث عن أنس بن مالك أخرجه الترمذي (كتاب صفة الجنة ، باب ماجاء في صفة أنهار الجنة) ٤/ ٦٠٣ ، وابن ماجه (كتاب الزهد ، باب صفة الجنة) ٤/ ٧٤٥ ، وأحمد في المسند ٢٠/ ٤٠٨ .

إخواني ، لو لم يكن في الجنة إلا اللقاء بالأنبياء ، والمرسلين ، والأولياء ، والصالحين ، والعلماء ، والإخوان ، والأقارب ، والمحبين لكان هينًا طيبًا ، ولا تُحَصَّل الجنة إلا برحمة الله ، ولا يُحَصَّل نعيمها إلا بطاعة الله تعالى .

والجنة حق ، والنار حق ؛ فيجب الاتقاء عن معاصي الله ؛ لينجو من نار جهنَّم ، وأكبر المُنْجيَات اتقاء الكفر كما قال تعالى : ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[1] فاتقوا النار بتصديق رسول الله ، وبما جاء به من عند الله ، والإيمان بوحدانية الله تعالى ، والمراد من "الناس" الكافرين بدلالة آخر الآية ، وأمَّا النار المُعَدَّة لعصاة المؤمنين غير هذه التي وقودها الحجارة ؛ فقيل : الحجارة : الأصنام والأوثان[2] ؛ لأنه تعالى يقول : ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[3] أي حطبها[4] ، ويقال : حجارة الذهب والفضة لمن يكنزها ويعتز بها ؛ وعلى هذا فتخصيص الكفار لمزيد ذنبهم ، ويُقال : الحجارة حجارة الكبريت ؛ لأنَّها أشد التهابًا ؛ فتكون أشد تعذيبًا وحرًّا[5] .

وفي الحديث : كل مؤذٍ في النار[6] ؛ أيْ مَنْ أَذَى الناس بظلمٍ أوغيره ، ويُقَالُ : كل ما يؤذي من السباع ، والحيات ، والعقارب وغيرها في النار ؛ لعقوبة أهل النار . والمؤمن لا يُخلَّد في النار[7] . [بحر الطَّويل]

وَلَم يبْقَ في نَارِ الجَحِيْمِ مُوَحِدٌ ... وَلَو قَتَلَ النَّفْسَ الحَرَامَ تَعَمُّدًا[8]

(١) جزء من الآية رقم ٢٤ من سورة البقرة .
(٢) انظر تفسير القرطبي (البقرة :٢٤) .
(٣) جزء من الآية رقم ٩٨ من سورة الأنبياء .
(٤) انظر تفسير البغوي(سورة الأنبياء :٩٨) .
(٥) انظر تفسير البحر المحيط للغرناطي (سورة الأنبياء :٩٨) .
(٦) الحديث غيرمسند ذكره القرطبي في تفسيره (سورة البقرة : ٢٤) .
(٧) انظر حاشية القونوي على تفسير البيضاوي (سورة آل عمران الآية :٢٥) .
(٨) الأبيات منسوبة للشافعي أوردها القادري في كتابه فتاوى الخليلي على المذهب الشافعي (مَطْلب في قوله تعالى ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا) ١/ ٤٢ . ولم أُلْفَى لها ذكْرًا في ديوانه .

والمعاصي القاضية بالنار كثيرةٌ أرْقاها الكفر ، ثم ترك الصلاة ، ثم ترك الزكاة التي هي قنطرة الإسلام ، وبهَا يظلم تاركها الفقراء بمنع حقهم ، ثم ترك الصيام ، ثم تَرْكُ الحج لمن وجب عليه متى قَدَرَ عليه من طريقٍ مأمونٍ وجب ولا يسقط . ومن المعاصي : الزنا ، واللوَاط ، وقتل النَّفْسِ ، وشهادة الزُور ، وعقوق الوالدين وغير ذلك ؛ كما ورد بذلك أحاديث شَتَّى تَقَدَّم الكلام فيها ومنها : أكل الرِبَا ، وأكل مال اليتيم ، وشرب الخمر .

فصل

في قوله تعالى : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١]

هذه الآية جمعت كل عالمٍ من علماء المسلمين ممن يأمر ولا يعمل بما يأمر به ، ويرتكب الجرائم .

وما أحسن ما يُنْسَبُ إلى الإمام الشافعي رحمه الله : [بحر الطويل]

عَجِبْتُ لِمنْ يَبْكِي عَلَى عَيْبِ[٢] غَيْرِه دُمُوعًا وَلاَ يَبْكِي عَلَى عَيْبِه[٣] دمَاً

وَأَعْجَبُ مِنْ هَذَاْ يرَى عَيْبَ غَيْرِه كبيراً وفي عيْنَيْه مِنْ عَيْبه عمَاً[٤]

والبرُّ جامعٌ لجميع أنواع الخير . ومنه برُ/ [١٢٩و] الوالدين ؛ أي طاعتهما والقيام بحقهما ، في الصحيح سُئِلَ ﷺ أيُّ العمل أحب إلى الله تعالى؟ فقال : الصلاة لوقتها ، قيل : ثم أي؟ قال : بر الوالدين : قيل : ثم أي؟ قال : الجهاد في سبيل الله[٥] ، ويُرْوَى : إطعام الطعام وإفشاء السلام .[٦] وسُئِلَ مرةً أخرى : أيُّ العمل أحب

(١) الآية رقم ٤٤ من سورة البقرة ، وسيبدأ المؤلف في شرحها حتى الآية رقم ٤٦ من السورة نفسها .

(٢) في غذاء الألباب للحنبلي (موت) .

(٣) في غذاء الألباب للحنبلي (موته) .

(٤) الأبيات أوردها الحنبلي في غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ، وعزا نسبتها إلى ابن مُفْلِح ١/ ١٦٨ . ولم أُلْفَى لها ذكرًا في ديوان الشافعي الذي نَسَبَ المُصنف هذه الأبيات له .

(٥) الحديث عن عبد الله بن مسعود أخرجه البخاري (كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل الصلاة لوقتها) ١/ ١٩٧ ، ومسلم (كتاب الإيمان ، بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال) ٢/ ٧٦ .

(٦) جزء من حديث أوله : الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة . . . عن جابر أخرجه أحمد في المسند ٢٢/ ٣٦٧ ، وعبد بن حُميد في مُسْنَدِه ص ٣٢٩ ، والحاكم في المستدرك (كتاب المناسك) قال الذهبي : صحيح ٢/ ٦٧٩ .

إلى الله تعالى؟ فقال : أحب العمل إلى الله أدومه وإن قلَّ[١] ، ولا يَمَل الله حتى تَملُّوا[٢] . قيل إنَّ طيْفُوْر بن عيسى[٣] ؛ أعني أبا يزيد البسطامي طلبت أمه منه ماء فجَاءها به ؛ فوجدها نائمةً ؛ فلم يَزَلْ قائمًا عند رأسها في شدة البرد ، وسال من الماء شيْ ؛ فَجَمد على يده حتى أفاقَتْ ، وقالت له : أين الماء؟ فناولها الكوز ، فلمَّا تناولته انسلخت إصْبَعه من الجَمَد ، وسال الدم ؛ فقالت له : ما هذا؟ فأخبرها ؛ فقالت : اللهمَّ إني راضية عنه فَارْضَ عنه[٤] ، ولم يُرِدْ أن يوقظها لَمَّا أتاها بالماء . وأين هذا من عقوق محمد بن برهان البلخي .

قال مالك بن دينار : رأيت الناس ليلة عرفة ؛ فقلت :

لَيْتَ شِعْرِيْ مَنْ الَمقْبُوْلِ مِنْهُم فأُهَنِّيه ومَنْ المردودُ فأُعَزِيه

فلما نام رأى كأنَّ قائلاً يقول : إنَّ الله قد غفر للحُجاج إلا لمحمد بن برهان ؛ فلمَّا أفاق أتى رَكْبُ خراسان ، فسأل عنه فقيل : تسأل عن عابد خراسانَ ، اطْلُبْهُ في خرائب مكة ؛ فطلبه فوجده في خرْبَة ويده مغلولة إلى عنقه والقيد في رِجْلَيْه[٥] ، وهو قائم يصلي ؛ فلمَّا رآه قال : من أنت؟ قال : مالك بن دينار ؛ فقال مكاشفًا : ماذا رأيت في منامك؟ فأخبره بما رأى ؛ فقال : كل سنة تُرَى لي هذه الرؤيا ؛ فسأله مالك عن سبب ذلك ؛ فقال : كنت أشرب الخمر ؛ فشربته أوَّل ليلة من رمضان ؛ فَزَجَرَتْنِيْ أمي

(١) الحديث عن عائشة أم المؤمنين أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين ، باب فضيلة العمل الدائم . . .) ٦/ ٧٦ ، وأحمد في المُسْنَد ٤٢/ ١٩٤ .

(٢) جزء من حديث أوله : عليكم من العمل ما تَطيْقُون . . . عن عائشة أم المؤمنين أخرجه البخاري (كتاب الإيمان ، باب أحب العمل إلى الله أدومه) ١/ ٢٤ ، ومسلم (الموضع السابق) ٦/ ٧٦-٧٧ .

(٣) هو طَيْفُور بن عيسى بن سَرُوْشَان ، أبو يزيد البسطامي ، الزاهد ، العابد ، وكان من أرباب الأحوال . أسْنَدَ الحديث . مات ٢٦١ هـ . انظر عنه : طبقات الصوفية للسلمي ص ٦٧-٧٤ ، والرسالة القشيرية ص ١٧-١٨ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ١٠/ ٣٣- ٤٠ .

(٤) انظر الحكاية في نزهة المجالس ومنتخب النفائس للصفوري (باب بر الوالدين) ١/ ٢٦١ .

(٥) في الأصل رِجلَتَيْه ؛ وهو خطأ والمثبت من نزهة المجالس للصفوري وهو الصواب .

فوضعتُها في التَنُّور(١) وهو يَتَقدْ ؛ فلمَّا أَفَقْتُ أخبرتني زوجتي بذلك ؛ فقطعت يدي وقيدتُ رجلي وأنا منذ ذلك الوقت أحج كل عام ، و أقول : يا فارج الهم ؛ ويا كاشف الغم ، فَرِّجْ هَمّي واكشف غَمِّي وارض عني أمي ، وأعْتَقْتُ ستةً وعشرين عبداً وستة وعشرين أَمَةً ؛ فقال مَالكٌ : لقد كدْتَ تحرق الأرض ومن عليها بخمرتك أول ليلة من رمضان ؛ فلما نام مالك بن دينار الليلة الثانية رأى النبي ﷺ في المنام فقال : يا مَالك ؛ ما لَكَ تُقْنطُ الناس من رحمة الله ، إنَّ الله قد اطَّلَعَ على ابن برهان ؛ فأجاب دعاءه ، فأخبره أنه يمكث في النار قدر ثلاثة أيام من أيام الدنيا ، ثمَّ يُلْقِي الله الرحمة في قلب أمه ؛ فتعفو عنه ، فيدخلان الجنة جميعًا ؛ فلمَّا أفاق جاءه فأخبره بذلك ؛ فخرجت روحه للحال ؛ فجهزه مالك بن دينار وصلَّى عليه رحمة الله عليه(٢) ، يقال : مَنْ دعا بدعاء ابن برهان أرضى الله عنه والديه .

ومن سيئات الخمر الذي هو أم الخبائث ومفتاح كل شر : ما يُرْوَى عن أنس ﷺ أنه قال : كان في بني إسرائيل شاب إذا قرأ التوراة خرج الناس إليه لِحُسْنِ صَوْته ، وكان يشرب الخمر خفْيَةً ، فقالت له أمه : لو عَلِم بك عُبَّادَ بني إسرائيل لَجَلَوْكَ من ديارهم ؛ فدخل ليلاً منزله وهو سكران فقرأ التوراة ؛ فاجتمع عليه الناس ، فقالت له أمه : يا بُنَيَّ قُمْ وتوضأْ ؛ ومُرادُهَا حتى يصحو ويغسل عنه قذر الخمر ؛ فلطم وجهها ؛ فَقُلِعَتْ عينها وسنها ؛ فقالت : لا رضي الله عنك .

فلمَّا أصبح ورآها في هذا الحال ، لامَ عليها ، ثمَّ قال : لا أَرَكِ على هذا الحال بعد هذا أبداً ، فقالت : لا رضي الله عنك / [١٢٩ظ] أينما توجهت ؛ فساح حتَّى أتى

---

(١) التنور : فارسي معرب لا تعرف له العرب اسمًا غير هذا ؛ فلذلك جاء في التنزيل "وَفَارَ التَنور" ، وهو الذي يُخْبَزُ فيه . انظر المعرب للجواليقي (باب التاء) ، لسان العرب (مادة : تنر) .

(٢) انظر الحكاية في نزهة المجالس للصفوري (باب بر الوالدين) ١/ ٢٣٧-٢٣٨ .

جبلا فعبد ربه به أربعين سنةً حتى بقي بِرِقٍّ الخلال[١] ؛ فرفع رأسه يومًا قائلاً : يارب إن كنت غفرت لي ؛ فأعلمني ، فهتف به : رِضَا الله في رضا أمك ؛ فرجع إليها وناداها أن : يا مِفْتَاحَ الجنة إن كُنْتَ في قيد الحياة فوا طَوْبَاهُ ؛ وإن كنت ميتة فوا حسرتاه ، فقالت : من هذا ، فقال : ولدك قد جاءك بعد أربعين سنةً ؛ فقالت : لا رضي الله عنك ، فتقدَّمَ منها وقطع يده ، وقال : هذه اليد التي فعلت بك ، فقالت : لا تَصْحَبْنِي أبدًا ، فأمر أصحابه أن يجمعوا له حطبًا ونارًا ففعلوا ؛ فألقى نفسه بها وقال لجسده : ذُقْ نار الدنيا قبل نار الآخرة ؛ فأخبروا بذلك أمه ؛ فنادته : يا قُرَّةَ عيني ، أين أنت؟ قال : بين النيرانِ ، فقالت : يا بني رضي الله عنك فأمر الله جبريل ﷺ أن يمسح على عينها ، وَسِنِّهَا ، وعلى يد ولدها ؛ ففعل ، فَرُدَّ ذلك كله بعون الله تعالى[٢] .

قال الإمامٍ البوني[٣] : بين البار لوالديه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة ، وبين العاقِّ لوالديه وبين إبليس في جهنم درجة واحدة[٤] .

جاء في الحديث قال النبي ﷺ : يقول الله تعالى للبارِّ : اعمل ما شئت فإني سأغفر لك ، ويقول للعَاقِّ : اعمل ما شئت فإني لا أغفر لك[٥] .

وشكا رجل أباه للنبي ﷺ فقال : يارسولِ الله ، إنه يأخذ مالي ؛ فقال أبوه : يا

---

(١) الخلال : عود يُجْعَل في لسان الفصيل ؛ لئلا يرضع . لسان العرب (مادة : خلل) ، وورد في نزهة المجالس عبارة : حتى لصق جلده على عَظْمه ، بدلا من : حتى بقي برق الخلال .

(٢) الحكاية عن أنس في نزهة المجالس للصفوري (باب بر الوالدين) ١/ ٢٣٨ .

(٣) هو أحمد بن علي بن يوسف ، أبو العباس البُوني ، متصوف مغربي الأصل . صاحب المصَنفَات في علم الحروف . له : شمس المعارف الكبرى ، ولطائف العوارف ، واللمعة النورانية . توفي بالقاهرة سنة ٦٢٢هـ : انظر عنه هدية العارفين لإسماعيل البغدادي ١/ ٩٠ .

(٤) هذا القول ذكره الصفوري في نزهة المجالس منسوبًا للنبي ﷺ (فصل في المعراج) ٢/ ١١٧ ، والشيخ العلامة زين الدين الملبياري في كتاب : الجواهر في عقوبة أهل الكبائر (الباب الثاني في عقوق الوالدين) ص ٢٣ .

(٥) الحديث عن عائشة أم المؤمنين ذكره ابن الجوزي في كتاب البر والصلة (باب في إثم عقوق ا لوالدين) ١/ ١٢ .

رسول الله : إنه كان ضعيفًا وأنا قوي ، وكان فقيراً وأنا غني ؛ واليوم أنا ضعيف وهو قوي ، وأنا فقير وهو غني ويبخل عَلَيَّ بماله ، ثمَّ قال ﷺ بعد أن بكى : ما من حجرٍ ولا مَدَرٍ يسمع لهذا إلا بكى ، وقال للولد : أنت ومالك لأبيك[1] . قال أئمتنا رحمهم الله : للأب ؛ لا للأم ، بَيْعَ عرض ابنه الغائب لنفقته بقدر حاجته .

وأُوْحِيَ إلى موسى عليه السلام : يا موسى ؛ من برَّ والديْه كنت له في الدنيا وليًّا ، وفي القبر مؤنسًا ، وفي الحشر رحيمًا ، وعلى الصراط دليلاً ، وفي الجنة مُحَدِّثًا يكلمني بلا واسطة . ولمَّا ناجى ربه قال : يارب أوْصِنِي ؛ فأوحى إليه : أُوْصِيْكَ بأمك ؛ قاله ثمانيًا . وفي التاسعة أوْحَى إليه أُوصيك بأبيك[2] .

وورد : مِن أَبَرِّ البرِ أن يصل الرجل أهل وُدِّ أبيه[3] . وكان موسى عليه السلام لا يخرج إلى المناجاة حتى يستأذن أمه ؛ فأراد الخروج إلى المناجاة يومًا فَشَكَتْ له من وحشة فقده ؛ فقال لها : إذا اشتقت إليَّ فانظري إلى موضع عبادتي ؛ فقالت : يا بني لا يَشْفِنيْ ذلك . وتركها تبكي ، فلمَّا ناجى ربه ، واستلذَّ بالخطاب ، ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قال تعالى له : يا موسى ؛ تريد رُؤْيَايَ والمشاهدة ، وأنت تكسر قلب الوالدة ؛ ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾[4] فَأُحِيلَ عليه السلام على الجبل كما أحال أمه على مكان العبادة ؛ فنظرْ موسى عليه السلام ، وقد

(١) الحديث عن جابر بن عبد الله أخرجه ابن ماجه – مع اختلاف في اللفظ – (كتاب التجارات ، باب ما للرجل من مال ولده) ٣/ ٥٢ ، والحديث عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أخرجه أحمد في مسنده – مع اختلاف في اللفظ – ١١/ ٥٠٣ ، وابن أبي شيبة في مصنفه (كتاب البيوع والأقضية ، باب في الرجل يأخذ من مال ولده) ٤/ ٥١٩ .

(٢) انظر نزهة المجالس للصفوري (باب بر الوالدين) ١/ ٢٣١-٢٣٢ .

(٣) الحديث عن ابن عمر أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة والآداب ، باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما) ١٦/ ١١٢ ، وأبو داود (كتاب الأدب ، باب في بر الوالدين) ٥/ ٢٢٢ ، والترمذي (كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في إكرام صديق الوالد) قال أبو عيسى : هذا إسناد صحيح ٤/ ٢٧٦ .

(٤) جزء من الآية رقم ١٤٣ من سورة الأعراف .

أُحيْطَ الجبل الذي عليه موسى بأنواع الوحوش ، وأظلم الوقت ورعدت السماء ، وحصلت البروق والصواعق ، ومرت به الملائكة قائلين : سَبُّوْحٌ قدوس رب العزة أبدًا حي دائم لا يموت ، ونظر الله إلى الجبل ؛ فجعله دكًا ؛ واحترقت كل شجرة فيه ، وخرَّ موسى على وجهه صَعِقًا ؛ فقلب الله الحجر الذي موسى عليه قبة لئلا يحترق ، / [١٣٠و] فلما أفاق قال : آمنت بك ربي ما أعظم شأنك ، وما أبهر برهانك ، وما أقوى سلطانك ، قد سَعِدَ مَنْ آمَنَ بالله ووحَّد الله(١) .

قيل : مَنْ سبَّح بتسبيح هؤلاء الملائكة ولو مرة غفر الله له بعدد مَنْ كفر بالله .

قوله تعالى : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ من نفعها : فيافوز مَنْ راقب الله ، وعمل بما أمر الله ، وانتهى عمَّا نهى الله ، ويا خسارة مَنْ انْكَبَّ على دنياه ونسي حُظُوْظ أُخْراهُ ، ويا ندامة من نسي توحيد الله ، ويا غرامة مَنْ نسيَ إسْدَاءَ المَبَرَّات إلى عباد الله . أيها الإخوان ؛ لاتَنْسَوْا أنفسكم من الإقبال على الصلوات ، لا تَنْسَوا أنفسكم من دَفْعِ ما أَوْجَبَهُ اللَّه من الزكَوَاتِ ، لا تَنْسَوْا أنفسكم من الحج والعمرات ، لاتَنْسَوا أنفسكم من جهاد الكفار ذوي الضلال ، واذكروا يوم التَنَادِ والأهوال ، ولا تَنْسَوا حلول الآجال بالإقبال على صالح الأعمال ؛ فإلى متى هذا النسيان أَلَمْ يقل الله ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾(٢) .

رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه الأكرمين : أكلكم يحب أن يدخل الجنة؟ قالوا : نعم يا رسول الله ؛ قال : قَصِّرُوا آمالكم ، وثَبِّتُوا بين أبصاركم آجالكم ، واسْتَحْيُوا من الله حق الحياء ، قالوا : إنَّا نسْتَحْيِي من الله يا رسول الله ؛ قال : ليس ذلك ، ولكن مَنْ استَحْيَا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وَعَى ، والبطن وما حَوَى ، وليَذْكُرِ الموت والبلاء ، ومَنْ أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا ؛ فمن فعل

(١) لم نجد القول فيما بين أيدينا من كتب .

(٢) الآية رقم ٢٦ من سورة الرحمن .

ذلك ؛ فقد اسْتَحْيَا من الله حق الحياء[١] ومن دعائه ﷺ : اللهم إني أعوذ بك من عمل يمنع خير الآخرة ، وأعوذ بك من عملٍ يمنع خير الممات ، وأعوذ بك من أملٍ يمنع خير العمل[٢] .

وعن علي ﷺ :ألا وإنَّ الأمل يُنْسِيْ الآخرة[٣] .

وما أحسن ما قال القائل : [بحر الطويل]

نُؤَمِّلُ أَنْ نَحْيَا وفِيْ كُلِ سَاعَةٍ تَمُرُ بِنَا المَوْتَى تَهُزُ نُعُوْشُهَا

وَمَا نَحْنُ إِلا مِنْهُمُ غَيْرَ أَنَ عَلَيْنَا بَقَايَا فِيْ الزَمَانِ نَعِيْشُهَا[٤]

إخواني ، القَصَّابُ يَحُدُّ السكين ، والطبَّاخُ يحمي التنُّور ، والشاة ترعى وما عندها خبر ، وأمَّا بالنسبة إلينا : فَمَلَكُ الموت يسوي حَرْبَته ، ومالك يُوْقِدُ الجحيم ، ونحن غافلون لا ندري ما يُفْعَلْ بنا .

قال تعالى في الإسرائيليات : عبدي ، أُذْكُرُكَ وتنساني ، وأستر عليك ولا ترعاني ، عبدي ، فإلى متى تَنْكَبُّ على الشهوات والأماني ، عبدي ، فإن عُدْتَ إلينا

(١) الحديث عن عبد الله بن مسعود أوله : استحيوا من الله حق الحياء .... أخرجه الترمذي (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب ٢٤) قال أبو عيسى : هذا حديث غريبٌ إنما نعرفه من هذا الوجه ٤/ ٥٥٠ ، وأحمد في المسند ٦/ ١٨٧ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الرقاق) قال الذهبي : صحيح ٨/ ٢٨١٩ والحديث عن الحسن مرفوعًا أوله : أكلكم يحب أن يدخل الجنة ... ذكره الغزالي في الإحياء (كتاب ذكر الموت ، باب في طول الأمل وفضيلة قِصَر الأمل) ٤/ ٣٨٦ -٣٨٧ ، وابن أبي الدنيا (كتاب قِصَر الأمل) ص ٣١٠ .

(٢) الحديث دون سنَد ذكره الغزالي في الإحياء (الموضع السابق) ٤/ ٣٨٧ ، وابن أبي الدنيا عن حَوشَبْ في كتاب (قِصَر الأمل) ص ٣١٢ .

(٣) الأثر عن عليَ ﷺ أخرجه ابن أبي شيبة في المُصنَّف (كتاب الزهد ، كلام علي بن أبي طالب) ٧/ ١١٩ .

(٤) الأبياتُ غير منسوبَة إلى مُنْشِئهَا أوردها عبد العزيز بن محمد بِن عبد المُحْسن السَلْمَاني المتوفى سنة ١٤٢٢ . في كتاب : موارد الظَمآن لدروس الزمان (فصل في ذَم طول الأمل والحَثُ على تقصيره) ٣/ ١٠٢ .

مع الندم جُدْنَا عليك مع مزيد الكَرَم ؛ فكرمنا للخَلق مبذول ، وسترنا على العُصَاةِ مَسْبُول[١] .

﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ -التوراة -﴿أفلا تعقلون﴾[٢] ؛ لِتمنعوا أنفسكم عن المعاصي ، وعُلم منه أنَّ العمل على العقل ؛ وإلا صحَّ أنَّه في الرأس ، وشعاعه يصل إلى القلب وهو من الجواهر ، فمن وعظ الناس وهو مُنْكَبٌّ على المعاصي يكون ذلك سببًا لرغبة الناس فيها [أي المعاصي] ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ .

عن علي ﵁ : قَصَمَ ظهري رجلان : عالِم مُتَهَتِّك[٣] ، وجاهل مُتَنَسِّك[٤] .

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما : إنَّ الله تعالى خلق العقل وجعله ألف جزءٍ ، تسع مئة وتسعة وتسعون أُعْطِيَتْ لنبينا محمد ﷺ بقي جزء جعله عشرة أجزاء ، تسعة للأنبياء والمرسلين عليهم السلام ، بقي واحد قَسَمَهُ عَشَرَةً تسعة جعلها في الرجال ، وواحدًا للنساء[٥] .

/[١٣٠ظ] وعن كعب الأحبار رحمه الله : خلق الله العقل ألف جزء ، أعطى جزءًا واحدًا منه لآدم ﵇ وذريته ، ولمحمد ﷺ الباقي ، فاختار الزهد في الدنيا[٦] .

وعن أبي سعيدِ الخُدْرِيِ ﵁ : جعل الله الجنة عشرة آلاف جزء ، تسعة آلاف وتسعمائة وتسعة وتسعين جعلها للذين عَقَلُوا مواعظه ، ولباقي الخَلْق الباقي[٧] .

---

(١) انظر نزهة المجالس للصفوري (باب التوبة) ٢/ ٤٤ . ومسبول : أي موقوف أو مقطوع . لسان العرب مادة (سبل) .

(٢) تتمة شرح الآية رقم ٤٤ من سورة البقرة .

(٣) رجل متهتك : لا يُبَالي أن يُهْتَكَ ستره عن عورته . لسان العرب (مادة : هتك) .

(٤) الأثر عن علي ﵁ ذكره الغزالي في الإحياء (كتاب العلم ، باب وظائف المرشد المعلم) ١/ ٥٢ .

(٥) الأثر عن ابن عباس ذكره العماد في بستان الفقراء ونزهة القرَّاء (الباب الرابع والخمسون في فضل العقل) ٢/ ٢٣٢ .

(٦) الأثر عن ابن عباس وكعب ذكره الصفوري في نزهة المجالس (باب فضل العقل) ٢/ ٧١

(٧) انظر تفسير الرازي (البقرة : ٤٤) .

قيل لبعض الحكماء : مَن العاقل؟ قال : مَنْ إذا فعل شيئًا في السر لا يَسْتَحْيِي منه في العلانية[١] .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّه قال لابنه الحسن رضي الله عنه : إنَّ العاقل مَنْ لا يحتقر أحدًا أبدًا ؛ فإن كان أكبر منه جعله أباه ، أو مثله جعله أخاه ، أو أصغر منه جعله ابنه[٢] .

وعن معاذ رضي الله عنه : إن علامة العاقل إذا زلَّ تَدارَكَ نفسه بالتَّوْبَة[٣] .

ومن وصايا لقمان رضي الله عنه لابنه : يا بني ؛ التودد للناس نصف العقل ، والتدبير في المعيشة نصف الكَسْب ، وإن كانت لك حاجة عند أحد فاطلبها بلطف فذلك نصف العلم ، وإذا أَرْسَلْتَ لحاجتكَ فأرسل حكيمًا ، ولا تُوْصِه ؛ فإن لم يكن رسولك حكيمًا فكن أنت رسول نفسك[٤] .

ومن حِكَمِه المنقولة عنه : أنه قال : ثمانية إن أُهِيْنوا فلا يُلومون إلا أنفسهم : من ذهب إلى مائدة لم يُدْعَ إليها ، وَمَن تآمر على رب المنزل ، ومَنْ طلب الخير من أعدائه ، ومن طلب الفضل من اللئيم ، ومن دخل بين اثنين في حديث لم يُدْخِلاهُ فيه ، ومن اسْتَخَفَّ بالأمراء والحكام والحكماء ، ومن جلس مجلسًا ليس هو من أهله ، ومن أقبل بحديثه على من لا يسمعه منه[٥] .

قوله تعالى : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾[٦] .

---

(١) انظر بستان العارفين للسمرقندي (الباب التاسع والأربعون فيما قيل في العقل) ص ٥٣ .

(٢) انظر ذم الهوى لابن الجوزي (ذكر فضل العقل) ١/ ٩ .

(٣) الأثر عن معاذ ذكره ابن الجوزي في ذم الهوى ص ٣٢ .

(٤) انظر بستان العارفين للسمرقندي (الموضع السابق) ص ٥٣ .

(٥) انظر شعب الإيمان للبيهقي (باب في حفظ اللسان) ٤/ ٢٣١ .

(٦) تتمة شرح الآية رقم ٤٤ من سورة البقرة .

عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : مررت ليلة أُسْرِيَ بي على قوم تُقْرَضُ شفاههم بمقاريض من نار ؛ فقلت : يا أخي جبريل من هؤلاء؟ قال : هؤلاء خطباء من أهل الدنيا كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم[(١)] .

وفي الحديث : إنَّ في النار رجلاً يتأذَّى أهل النار بريحه ، فقيل : مَنْ هو يا رسول الله؟ قال : عالم لاينتفع بعلمه[(٢)] .

وعن الشعبي : يَطَّلِع قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار ؛ فيعرفونهم فيقولون لهم : بِمَا دخلتم النار؟ وإنما دخلنا الجنة بفضل تعليمكم! فقالوا : إنَّا كنَّا نأمر بالخير ولا نفعله[(٣)] .

ومما ينبغي للعاقل : أنْ يكون كلامه بالوزن ولا يتكلَّم بما لا يعنيه ، ولا يُجيْبُ عمَّ لا يُسْأَلْ عنه ، ولا يغضب لِمَا لا فائدة فيه ، ولا يَشْتُمُ الدواب ولا بائعها ولا شاريها ، فقد سمع النبي ﷺ رجلًا يلعن الرِيْحَ ؛ فقال : مَنْ لعن شيئًا لم يكن أهلًا لها ، رجعت اللعنة عليه[(٤)] .

وأَرْدَفَ[(٥)] أحد الصحابة واحداً على دابته فعثرت ؛ فقال : تَعِسَ الشيطان ؛

(١) تتمة الحديث : وهم يتلون الكتاب ، أفلا يعقلون . عن أنس أخرجه أحمد في المسند ١٩/ ٢٤٤ ، وعبد ابن حميد في مسنده ص ٣٦٧ ، وأبو يعلى في مسنده ٣/ ٥١٠ .

(٢) الحديث عن منصور بن زادان أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في نشر العلم) ٢/ ٣٠٩ ، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب العلم ، باب الترهيب من أن يعلم ولا يعمل) . قال عنه : ضعيف جداً مقطوع ١/ ٧٠ .

(٣) الحديث مرفوعًا عن الشعبي عن الوليد بن عقبة أخرجه الطبراني في الكبير مع اختلاف في اللفظ ٢٢/ ١٢٣-١٢٤ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب فيمن لم يَنْتفع بعلمه) ١/ ١٨٥ .

(٤) الحديث عن ابن عباس أخرجه الترمذي (كتاب البر ، باب ما جاء في اللعنة) .قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ٤/ ٣٠٩ ، وأبو داود (كتاب الأدب ، باب في الأمن) ٥/ ١٣٥ ، وابن حبان في الصحيح (كتاب الحظر والإباحة ، ذكر الزجر عن لعن المرء الرياح لأنها مأمورة . . . .) ٧/ ٤٤٩-٤٥٠ .

(٥) الرِّدْف : ما يَتْبَعُ الشيء . لسان العرب (مادة : رَدَفَ) .

فقيل : لا تَقُلْ كذلك ؛ فإنَّ الشيطان يتعاظم حتى يكون مِلء البيت ؛ ولكن قُلْ : بسم الله ؛ فإنه يتصاغر حتَّى يكون كالذباب(١) .

ومما ينبغي للعاقل أنَّه إذا سَمِعَ حديثًا لم يكن سمعه لا يقول : كَذَبَ ولا صَدَقَ ؛ فلو كذَّبه فلعلَّ أن يكون صدْقًا ، أو صَدَّقه فلعلَّ أن يكون كَذِبًا ، وإنما يقول ما بَلَغَنَا كذا ، لو قيل له أتؤمِنُ بفلانٍ النبي ، وسمَّى له اسمًا لا يعرفه ، لا يقول نعم ، لاحتمال أنَّه ليس بنبي ولا [يقولُ] لا ، لاحتمال أنَّه نبي ، ولكن يقول : آمنتُ بجميع الأنبياء والمُرْسَلِين وما قال الله ورسوله وجميع ما أراده .

/ [١٣١و] فصل في تفسير قوله تعالى : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾(٢) قيل الخطاب لبني إسرائيل ؛ والأصح أنَّه لمن آمن بالنبي ﷺ . استعينوا على ترك ما تحبون من دنياكم المانعة عن العمل لآخرتكم بالصبر والصلاة ؛ فإنهما من أشرف أعمال الآخرة ، أو استعينوا في حروبكم بالصبر : أي بالثباتِ ، والصلاة : ذِكْرُ الله تعالى والدعاء بطلب النصر على الأعداء .

قال يَحيَى بن اليَمَانِ : الصبر أنْ لا يتمنَّى الإنسان حالة سوى الحالة التى رزقه الله إياها ، وأن يرضى بما قضى الله تعالى عليه من أمر الدنيا والآخرة(٣) .

ويُقَالُ : المراد مِنَ الصبر : الصوم ؛ لِمَا فيه مِنْ حَبْس النَّفس عن الطعام والشراب والنكاح ، ومَنْ صبر عن ذلك صبرعن دنياه ، وقمع شهوة نفسه ، وتَخَلَّقَ بأخلاق الأنبياء والصالحين ، وذلك جامع للصبر على الطاعات ، وعن المعاصي ، والصبر على

---

(١) الحديث عن أبي المُلَيْحِ عن رجل ولفظه : كنتُ رَدِيْفَ النبي ﷺ فَعَثَرَتْ دابته فقلت : تَعِسَ الشيطان ، فقال : لا تَقُلْ تَعِسَ الشيطان ... أخرجه أبو داود (كتاب الأدب ، باب ٨٥) ٥/ ١٦٣ ، وأحمد في مُسْنَده ٣٤/ ١٩٨-١٩٩ .

(٢) الآية رقم ٤٥ من سورة البقرة . وسيبدأ المؤلف في شرحها والآية التي بعدها . وكُتِبَ عند هذا الموضع : الكُراس الرابع عشر من عذب الملافظ في جمع المواعظ .

(٣) الأثر عن يحيى بن اليمان ذكره القرطبي في تفسيره (البقرة : ٤٥) .

ترك المعاصي أفضل . وقُدِّمَ الصبر على الصلاة ؛ لأنَّه أقْمَعُ للنفس ؛ ولأنَّ جزاءه لا يُحْصَى ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[١] .

وفي الحديث : قال ﷺ : ليس أحد أصبر على أذىً سَمِعَه من الله تعالى : إنَّهم لَيَدَّعُونَ له ولداً ، وإنَّه ليعافيهم ويرزقهم[٢] .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ومن أسمائه الصبور : وهو البليغ في الحِلْمِ لِمَنْ عَصَاهُ بتأخير العقوبة عنه[٣] .

﴿وإنَّها﴾ أي الصلاة ؛ لأنَّ فيها مَنْعُ النَّفس عن سائر الشهوات من طعامٍ ، وشرابٍ ، ونكاحٍ ، وكلامٍ ، ومشيٍ ، وغير ذلك بخلاف الصوم . ﴿لَكَبِيْرَة﴾ : ثقيلة على مَنْ لم يخشع[٤] ، وكذا قال تعالى : ﴿وَإِنَهَا لَكَبِيْرَةٌ إلا عَلَى الخَاشِعِيْن﴾ فإن من لم يخشع لا يعتقد في فعلها ثوابًا ولا في تركها عِقَابًا ؛ فلذا صعبت عليه ؛ لأنَّ الاشتغال بها على هذا لا فائدة فيه ، بخلاف مَنْ اعتقد أنَّ في فعلها الفوز بالنعيم والخلاص من العذاب الأليم . ولم تَثْقُلْ عليه ﷺ فإنه كان يصلي حتَّى تَوَرَّمَتْ قدماه[٥] ، ولو ثَقُلَتْ عليه لَمَا أكثر منها ، وقال في حقها : وَجُعِلَتْ قُرَّة عيني في

---

(١) جزء من الآية رقم ١٠ من سورة الزمر .

(٢) الحديث عن أبي موسى الأشعري أخرجه البخاري (كتاب الأدب ، باب الصبر على الأذى) ٥/ ٢٢٦٢-٢٢٦٣ ، ومسلم (كتاب صفة القيامة ، باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل) ١٧/ ١٤٣ .

(٣) انظر تفسير القرطبي (البقرة : ٤٥) .

(٤) انظر تفسير الرازي (البقرة :٤٥) .

(٥) لفظ الحديث : كان النبي ﷺ ليصلي حتى تَرِمَ قدماه .... ، وفي لفظ : .. حتى ورمت قدماه ... عن المغيرة بن شعبة أخرجه البخاري (كتاب التهجد ، باب قيام النبي ﷺ حتى ترم قدماه) ١/ ٣٨٠ ، ومسلم (كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة) ١٧/ ١٥٨ .

الصلاة[١] . وما يُرْوَى أنَّه كان يقول : أَرِحْنا بها يا بلال[٢] ؛ المعنى أَرِحْنَا بفعلها ؛ لأنَّها راحة الآخرة ، والنوم عنها راحة الدنيا ، والعاقل : مَنْ يُقَدِّمُ راحة آخرته على راحة دنياه ؛ لأنَّ الراحة في الآخرة ، عين السعادة ، أو قال تواضعًا لا اسْتِثْقَالاً .

والخشوع : عبارة عن الخوف من الله تعالى ، وغض البصر في الصلاة إلا عن مواضعه [و] ليس الخشوع بأكل الخَشِنْ ، ولبس الخَشِنْ وتَطَاطُيءِ الرأس ، ويُقَالُ : هو أنْ تَرَى الشريف والوضيع في الحق سواء[٣] .

عن عمر ﵁ أنَّه نظر إلى شاب قد نَكَّسَ رأسه ؛ فقال له : ارفع رأسك ، الخشوع لا يزيد على ما في القلب[٤] ؛ يعني الخوف من الله تعالى . وعن علي ﵁ : الخشوع أن تُلِيْنَ كفَّيْكَ للمسلم ، ولا تلتفت في الصلاة[٥] . تلين كفيك بعدم الضرب أو بالصدقة .

وعن سهل بن عبد الله التستري : لا يكون العبد خاشعًا حتَّى يخشع كل شعْرٍ في جسده[٦] . وتَكَلُّف الخشوع بالتباكي ومُطَأْطَأَةُ الرأس عين النفاق .

---

(١) لفظ الحديث : حُبِبَ إليَّ من الدنيا النساء والطيب وجُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصلاة . عن أنس أخرجه النسائي (كتاب عشرة النساء ، باب حب النساء) ص ٦٠٨-٦٠٩ ، وأحمد في المسند ١٩/ ٣٠٥ ، والحاكم في المستدرك (كتاب النكاح) ٣/ ١٠٠٨ .

(٢) لفظ الحديث : يا بلال ، أرحنا بالصلاة . عن رجل من أسلم أخرجه أحمد في المسند ٣٨/ ١٧٨ ، وأبو داود (كتاب الأدب ، باب في صلاة العتمة) ٥/ ١٦٥ .

(٣) الأثر عن إبراهيم النخعي ، ذكره القرطبي في التفسير (البقرة :٤٥) .

(٤) الأثر عن عمر ذكره القرطبي في التفسير (البقرة : ٤٥) .

(٥) الأثر عن علي ﵁ ذكره القرطبي في التفسير (البقرة : ٤٥) .

(٦) الأثر عن سهل ذكره القرطبي في التفسير(البقرة : ٤٥) .

وهو سهل بن عبد الله بن يونس التستري ، أبو محمد . أحد أئمة الصوفية وعلمائهم ، والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضات وعيوب الأفعال . له كتاب في تفسير القرآن ، وكتاب دقائق المحبين . توفي ٢٨٣هـ . انظر عنه : طبقات الصوفية للسلمي ص ٢٠٦-٢١١ ، وحلية لأبي نعيم ١٠/ ١٨٩-٢١٢ .

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[١] يظنون يُحَقِقون أَنَّهم ملاقوا ربهم ؛ مُلَاقاة الرب نيل ثوابه والخلاص من عقابه ، وذلك مُحَقَقٌ بِحَسْبِ الوعد ، أو ملاقاة الرب مجازًا عن الموت[٢] بدلالة : مَنْ أحبَّ لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه[٣] .

/[١٣١ظ] فالمؤمن مُحَقِقٌ بالموت ، ومُعْتَرِفٌ بحقيقته ؛ فَمَنْ عَلِمَ ذلك خشع لله تعالى ؛ فهذا مناسبة الآية بما قبلها .

وفي الآية إقرار بالبعث والجزاء والعرض على الملك الأعلى ؛ فاللائق أن يكون الإنسان ذاكرًا للموت في جميع الحالات ؛ فالناس في ذلك أقسام : قسم يَذْكُرُهُ لكنه يتأسف على دنياه وعلى إتمام ما يتمناه من عمارة أو غَرْسٍ ، أو عُرْسٍ[٤] ، أو قهر عدوٍ ، أو جمع مالٍ ، فهذا بعيد من الله ممقوت ، وقسم شرع في التوبة وَيَذْكُرُه ؛ لكنه يريد إصلاح ما مضى ؛ فهذا وإن كرهه فإنه معذور ، وقسم يذكره ليتخلَّصَ من دار المعاصي ، وينتقل لجوار مالك النواصي[٥] ؛ فهذا حال العارف بربه ؛ فَمَن الموت مَصْرَعَهُ ، والترابِ مَضْجَعَه ، والدود أنيسه ، وَمُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ جليسه ، والقبر مقره ، وباطن الأرض مستقره ، والقيامة موعده ، والجنة أوالنار مورده ، جدير أن يكون دائمًا مُتَذَكِرًا للموتِ .

---

(١) الآية رقم ٤٦ من سورة البقرة .

(٢) انظر تفسير الرازي (البقرة : ٤٦) .

(٣) ورد الحديث في مواضع عدة من الصحاح وعن جمع متفرق من الرواة . انظر البخاري (كتاب الرقاق ، باب من أحب لقاء الله . . . .) ٥/ ٢٣٨٦-٢٣٨٧ ، ومسلم (كتاب الذكر ، باب من أحب لقاء الله . . .) ١٧/ ١٢- ١٤ .

(٤) قوله عُرْس : يعني طعام الوليمة ؛ وهو الذي يُعْمَلُ عند العُرْسِ يُسمَّى عُرْسًا باسم سببه . قال الأزهري : العُرْس : اسم من إعراس الرجل بأهله إذا بنى عليها ودخل بها ، وكل واحد من الزوجين عَرُوس . يقال للرجل : عَرُوسٌ وَعَرُوس وللمرأة . لسان العرب (مادة : عرس) .

(٥) النواصي : واحدة الناصية ؛ وهي قُصَاص الشعر في مُقَدَّم الرأس . لسان العرب (مادة : نصا) .

في الحديث : أكثروا من ذكْرِ هَاذِمِ اللذّات[١] .

يقال :إنَّ عزرائيل عليه السلام ينزل على المؤمن ليريد جَذْبَ روحه ، لو جُذِبَتْ بألف سلسلة ما خرجت ، فينادي من قبَلِ الله فضلاً ورحمةً : دَعْهَا يا عزرائيلِ ، فإنها لا تخرج إلا بسَمَاعٍ ؛ فتنادي :﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجعي إِلَى رَبِّك رَاضيَةً مَرْضِيَّةً﴾[٢] فتخرج حينئذ كما يخرج السمن المائع[٣] مَن الظَرْف[٤] ، وبعضهم تُسَلُّ روحه كما تُسَلُّ الشعرة من العجين[٥] .

لَّما رأى عيسى عليه السلام جمجمة ضربها برجله ، وقال : تكلمي بإذن الله ، فقالت : يا روح الله ، أنا مَلَكُ زَمَانِ كذا ؛ فبينما أنا جالس على كُرْسِي بين عسكري إذ جاءني مَلَكُ الموت ؛ فأخرج روحي ، فَبَقَيْتُ بعد أن كنتُ جليس عسكري ، وحدي مستوحشًا ، وقائل يقول : كيف رأيت الموت يا عاصي؟ فأجاب : ياروح الله ، لا تخرج روح حتَّى تسمع نغمة مَلَكِ الموت قائلاً : إمَّا يا عدو الله أبشر بالنار ، أو يا وليَّ اللهِ أَبْشِرْ بالجنة[٦] .

إخواني : أتظنون أنكم مخلدون ، أين أعزاء الله من الأنبياء ، والأولياء ، والصالحين ، أين الأَكَاسِرَةُ الجَبَابرة من الأقوياء ، والأمراء ، والسلاطين ، صاروا تحت رَمَس[٧] الأرض مُرْتَهِنِيْنَ ، وكأنك بنا لهم لاحقون ؛ فأطيعوا ربكم الذي إليه تُرجَعُونَ .

---

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الترمذي (كتاب الزهد ، باب ما جاء في ذِكْرِ الموت) قال أبو عيسى : هذا حديث حَسَنٌ غريب ٤/ ٤٧٩ ، وابن ماجه (كتاب الزهد ، باب ذكر الموت والاستعداد له) ٤/ ٧١٥ ، وأحمد في المُسْنَد ١٣/ ٣٠١ .

(٢) الآيات رقم٢٧ ، ٢٨ من سورة الفجر .

(٣) ماع : أي ذاب . لسان العرب (مادة : موع) .

(٤) الظَّرف : وعاء كل شيء حتى إن الإبريق ظَرْفٌ لِمَا فيْهْ . لسان العرب (مادة : ظرف) .

(٥) انظر القول في نزهة المجالس للصفوري (باب ذكر الموت والأمل) ١/ ٧٢ .

(٦) الأثر عن عيسى عليه السلام ذَكَرَهُ الغزالي في الإحياء- مع اختلاف يسير في اللفظ - (كتاب ذكر الموت ، باب في سَكَرات الموت وشدته . . .) ٤/ ٣٩٥ .

(٧) الرَّمْس : القبر : لسان العرب (مادة : رمس) .

فصل في تعبير رؤيا يحتاج إليها الواعظ

رأيتها في بعض التقاويم كما نقله بعض الثقاة ومِن خَطِّه نَقَلْتُ ، وذلك أنَّ الملك الخوارزمي[1] جمع علماء مملكته ، وأصحاب الرأي وأمرهم بأن يضعوا له تعبير رؤيا تكون وجيْزَةً ؛ ليصحبه معه سَفَرًا وحَضَرًا ؛ فاتفقوا على هذه الوجيزة التي لم يسمح الزمان بمثلها ، وجعلوها[2] على حروف أبجد ، تُقرُّ أنَّ من رأى شيئًا يأخذ أول حرف منه ، فيراجعه مما كُتب لحروف أبجد من التعبير ، مثلاً إن رأى فرسًا يأخذ الفاء ، أو بحرًا يأخذ الباء ، أو جبلاً يأخذ الجيم وهَلُمَّ جرًا .

واختلفت بعض النسخ في التعبير ؛ فأنا أُنَبهُ على ذلك بقولي ، وفي نسخة : أو بحرفٍ أو رَوْمًا[3] للفائدة . وهي هذه :

(أ) : يدل على قضاء الحوائج وتيسيرها وصلاح الأمر .

(ب) : يدل على رفعة وجاهٍ وإقبالٍ وبلوغ مرادٍ .

(ج) : يدل على النصر على الأعداء وقهرهم .

(د) : يدل على قضاء الحوائج /[١٣٢و] وفي نسخة : يخاف على جسده .

(هـ) : تعب من جهة مال أو سفر ،

(و) :قضاء حوائج بتعبٍ أو تعب من جهة العدو .

(ز) : سعادة وزيادة خيرٍ أو نجاة وكشف ضرٍ .

---

(١) تنتسب الدولة الخوارزمية إلى عبد تركي يسمى " نوشتكين" كان يشغل وظيفة الساقي في بلاط ملك شاه السلجوقي ، وكان ابنه قطب الدين محمد بن نوشتكين مشهوراً بالعلم والأدب ؛ لذا عينه أحد قواد السلطان بركيارق السلجوقي حاكمًا على إقليم خوارزم ، ولَقَّبَهُ بـ خوارزم شاه عام ٤٩١ هـ ، واستمر يحكم هذا الإقيم حكمًا عادلاً صالحًا حتى توفي عام (٥٢١هـ - ١١٢٧م) . انظر : الدولة الخوارزمية والمغول ، حافظ أحمد حمدي ص١٩ .

(٢) في الأصل : وجعلوا ، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه .

(٣) رام الشيء يرومه رَوْمًا ومرَامًا : طلبه . لسان العرب (مادة : رَوَمَ) .

(ح) : رئاسة وجاه أو سفر وفائدة .

(ط) : حصول مالٍ ، وفي نسخة : يُخاف عليه .

(ى) : كثرة طاعةٍ ، وفي نسخة : وزيادة .

(ك) : سعادة ونيل مرادٍ .

(ل) : سرور وقدوم خيرٍ وإقباله .

(م) : دِيْنٌ وديَّانة ، وفي نسخة : تأتيه سعادة .

(ن) : نيل مرادٍ ، وولد صالح يكون عزيزاً .

(س) : يدل علىٰ سعادة عظيمة ، وفي نسخة : يدل على ندامة فعلٍ .

(ع) : يدل على حصول خيرٍ من السلطان ، وفي نسخة : يدل علىٰ طُرُقٍ في طلب تعب

(ف) : سرور قلب وطِيْبُ نفسٍ أو قضاء الحوائج .

(ص) : مال وعلم أو ظفر بالعدوِ .

(ق) : تمكن ، وظفر ، وقوة ، وصلاح دين .

(ر) : كَسْبٌ وتحصيل مالٍ وتجارة وسعادة .

(ش) : إيمان وزيادة اعتقادٍ أو سعادة .

(ت) : إيمان وراحة وإقبالٍ .

(ث) : ولاية وجاه أو بلوغ مرادٍ .

(خ) : سعادة وحصول مرادٍ .

(ذ) : تحصيل مالٍ وجاه .

(ض) : تعب قلبٍ ، وفي نسخة : ذِكْرٌ بين الناس .

(ظ) : نصر على الأعداء ، وفي نسخة : يخاف على مريضٍ .

(غ) : أمان وديانة ، وفي نسخة : وبشارة .

تمت التعبيرة الوجيزة والله أعلم بمراده .

فصل

في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الذِيْنَ آمَنُوا اتقُوا اللّه﴾[(١)] باجتناب معاصيه ، والانكباب على ما يُرْضِيْه ، "ولتنظر نفس ما قدمت" من الأعمال المُنْجِيَة لِغَد يوم القيامة قُرْبَةً ؛ لأنه آت وكل آت قريب ؛ فعلى العاقل ان يُزَكِي نفسه من دَنَسِ المعاصي ، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[(٢)] دَنَّسَهَا بارتكاب المعاصي ؛ فمن تاجر بتزكية نفسه ربح الدرجات العلا في جنات النعيم ، واليوم والليلة أربعة وعشرون ساعةً ؛ فإن انْقَضَت في طاعة الله حصلت النجاة ، أو في المعاصي حصل الخسران ، أو في الأمور المباحة التي لا ثواب فيها ولا عقاب عليها ، فأي نتيجة يحصل بها ؛ فلا ينبغي أن يُضَيْعَ الإنسان العاقل أوقاته سُدًا ؛ فإن العبد يُبَشَّرُ في كل يومٍ وليلة بأربعة وعشرين خزانة تقابل ساعات الليل والنهار ، فما من ساعة تُشْغَلُ بطاعة الله إلا قُوبلت بخزانة مملوءة نوراً ؛ فيحصل له الفرج والسرور ، وما من ساعة تُشْغَلُ بالمعاصي إلا قُوبلت بخزانة مظلمة لها رائحة مُنْتِنَة يحصل له منها الهول والفزع ، وما من ساعة أُهْمِلَتْ إلا قُوبلت بخزانة خالية فيحصل له الندم على خلو ساعتها من طاعة الله .

قال ﷺ : الكَيِّسُ - أي المقبول في الآخرة - من دأن نفسه - أي حاسبها ليوم الدين- وعمل لما بعد الموت ، والأحمق - أي غير المقبول ، وهو الذي يتعاطى ما يضره - من اتبع نفسه هواها وتمَنّى على الله الأماني[(٣)] . فكما أنَّ العاقل يزكي ، عليه أن يزكي أعضاءه :

---

(١) جزء من الآية رقم ١٨ من سورة الحشر . وسيبدأ المؤلف في شرحها .

(٢) الآيات ٩ ، ١٠ من سورة الشمس .

(٣) الحديث بلفظ : .... والعاجز ، بدلًا من : والأحمق ، عن شداد بن أوس أخرجه الترمذي (كتاب صفة القيامة والرقاق والورع) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن ٥/ ٥٠٤ ، وابن ماجه (كتاب الزهد ، باب ذكر الموت والاستعداد له) ٤/ ٧١٥ ، وأحمد في المسند ٢٨/ ٣٥٠ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في الزهد وقصر الأمل) ٧/ ٣٥٠ .

أمَّا السَّمع : فمن سماع المحرمات من الكلام والآلات ، وأمَّا النظر : فأن لا ينظر إلى ما حرَّم الله ، وأمَّا اللسان فمن الغيبة والنميمة ، /[١٣٢ظ] والكذب ، ومَذَمة الخَلْق ، والأطعمة ، واللعن ، فمن ذمَّ شيئًا من خلق الله وأعمالِهم ؛ فقد ذمَّ الله ؛ لأنَّ الله تعالى قال : ﴿الله خلقكم وما تعملون﴾[١] فإنه خُلقَ لتوحيد الله ، ومذاكرة العلم ، وإصلاح ذات البين ، وأمَّا البطن : فمن أكل المُحَرَّم كالربا ، ومال اليتيم ، وشرب المُحَرَّم كالخمر والعِرْق[٢] والبوزا[٣] ، وفَرْجُهُ من الزنا واللِوَاط ؛ فمن فعل المعاصي فقد تجرأ على الله ؛ فإنه رقيب على العباد ؛ فقد سأل جبريل النبي عليهما السلام عن الإحسان ؛ فقال : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك[٤] .

قال تعالى : ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾[٥] وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٦] .

عن عبد الله بن دينارٍ أنه قال : خرجتُ مع عمر - رضي الله عنه - إلى مكة فنزلنا على الطريق ؛ فإذا بِرَاعٍ قد انحدر من الجبل ؛ فقال له عمر : يا راعي بِعْنَا شاةً ؛ فقال : إني مملوك ؛ فقال : قل لسيدك أكلها الذئب ، قال : فأين الله؟ فبكى عمر ، ثم اشترى

---

(١) الآية رقم ٩٦ من سورة الصافات .

(٢) العِرْق : نبات أصفر طيب الرِيْحِ والطعم يعمل في الطعام ويُصْبَغُ به . والجمع عروق . لسان العرب (مادة : عرق) .

(٣) الباذق أوالبوزا : ضرب من الأشربة ، فارسي ، أصله : بَاذَه ، أي باق ، وهو الخمر الأحمر وما طُبِخَ من عصير العِنَب أدنى طبخة فصار شديداً . انظر المعرب للجواليقي (باب الباء) ولسان العرب (مادة : بوز) .

(٤) جزء من حديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام) ١/ ٢٧ ، ومسلم (كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ...) ١/ ١٨٣ .

(٥) الآية رقم ١٤ من سورة العلق .

(٦) جزء من الآية رقم ١ من سورة النساء .

المملوك وأعتقه ، وقال له : أعتِقُكَ بهذه الكلمة في الدنيا ، وأرجوا أنَّها تَعْتِقُكَ في الآخرة[١] .

فعليك بالعمل بطاعة الله خالصًا ؛ فإنه يُنْشَرُ للعبد ثلاثة دواوين : مكتوب في الأول : لِمَ؟ ومكتوب في الثاني : كيف؟ ومكتوب في الثالث : لِمنْ؟ فَيُعْرَضُ عليه الأول ويُقالُ له لِمَ فعلت كذا ، لله أم للهوى؟ .

فإن كان عمله لله عُرِضَ عليه الثاني ، ويُقَال له : كيف فعلته بشرطه وحكمه أم لا؟ فإنَّ عَمِلَهُ بشرطه وحكمه عُرِض عليه الثالث ، ويقال له : لمن فعلته ، خالصًا لوجه الله أم لشهوة النفس؟ ؛ فإن عمله خالصًا نجا ، أو لشهوة النفس خاب وخسر ؛ فالعبد مسئول يوم القيامة عن كل فعل فعله .

فقد قال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه : يا معاذ ، إنَّ الرجل لَيُسْأَلُ عن كُحْلِ عينيه ، وعن فَتِّه الطين بإصبعيه ، وعن لبسه ثوب أخيه[٢] ؛ أي بغير رضاه كالودائع والرهون واستعمالها .

وقال رسول الله ﷺ : ثلاث مَنْ كُنَّ فيه اسْتُكْمِلَ إيمانه : لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يُرَائِيْ بشيء من عمله ، وإذا عُرِضَ له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة ، آثرالآخرة على الدنيا[٣] .

وليكن الإنسان متأدبًا مع الله تعالى ؛ فإن جلس يجلس مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ وغير

(١) الحكاية ذكرها الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٢٠٤ .

(٢) الحديث غير مسند ذكره الغزالي في الإحياء (كتاب النية والإخلاص ، باب تُفَضّلُ الأعمال المتعلقة بالنية) ٤/ ٣١٧ .

(٣) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار ١/ ٣١١ ، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (فصل في استكمال الإيمان) ١/ ٨٠ .

مُتَرَبِّعٍ ، وفي الحديث : خير المجالس ما استقبل القبلة[١] .

ويُنْقَلُ عن إبراهيم بن أدهم[٢] قُدِسَ سره أنه قال : جَلَسْتُ مرة متربعًا ؛ فسمعت هاتفًا يقول : هكذا مجالس الملوك ؛ فلم أجلس بعد ذلك متربعًا .وكان إذا نام ينام على شقه الأيمن مستقبل القبلة[٣] ؛ فإنه المسنون[٤] ، وهذا يدل على علمه وشدة مراقبته لله تعالى ، فعبادة العَالِم أفضل من عبادة الجاهل . يُقَال : ركعتان من عالمٍ أفضل من ألف ركعة من غيرِ عالم[٥] . أقول : والتربع [في] بعض الأوقات للارتياح مباح ؛ فقد كان غالب جلوس النبي ﷺ التربع[٦] . نعم وضع الركبة فوق الركبة الأخرى من صنيع الجبابرة والتشبيك معها يُوْرِثُ القسوة ، فعليك يا أخي بأداء الفرائض ؛ فإنها رأس المال ، والنوافل والفضائل رِبْح[٧] ، وفعل المعاصي خسران .

حاسب يا أخي نفسك / [١٣٣و] وانظر إلى أيام عمرك يومًا يومًا ، ألا ترى أنَّ

---

(١) الحديث عن ابن عمر أخرجه الطبراني في الأوسط ٩/ ١٦٥ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الأدب ، باب الجلوس مستقبل القبلة) ٨/ ٥٩ .

(٢) هو إبراهيم بن أدهم منصور التميمي البلخي ، أبو إسحاق ، زاهد مشهور توفي ١٦١هـ .
انظر عنه طبقات الصوفية للسلمي ص ٣٧-٣٨ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٧/ ٣٦٧ - ٣٩٥ ، ٨/ ١- ٥٨ .

(٣) انظر الإحياء للغزالي (كتاب المراقبة والمحاسبة بيان حقيقة المراقبة) ٤/ ٣٤٣- ٣٤٤ .

(٤) مصْدَاقُ ذلك ما رواهُ البخاري عن البَرَاء بن عازب قال : قال النبي ﷺ : إذا أَتَيْتَ مُضْجَعَكَ فتوضأ وَضوءَك للصلاة ، ثم اضْجع على شِقِّكَ الأيمن ... (كتاب الوضوء ، باب فضل مَنْ باتَ على الوضوء) ١/ ٩٧ .

(٥) الأثر عن علي رضي الله عنه أخرجه المناوي في فيض القدير ٤/ ٣٦ .

(٦) ورد الحديث بهذا اللفظ : كان النبي ﷺ إذا صلى الفجر تربع في مجلسه حتى تطلع الشمس حسناء . عن جابر بن سَمُرَة أخرجه أبو داود (كتاب الأدب ، باب في الرجل يجلس متربعًا) ٥/ ١١٤ ، وانظر مسلم (كتاب المساجد ، باب فضل الجلوس في مُصَلاه بعد الصبح وفضل المجالس) ٥/ ١٧٤ ، والترمذي (كتاب الصلاة ، باب ذكر ما يُستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٢/ ٤٨٠-٤٨١

(٧) في الأصل الربح وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

توبة ابن الصِّمَّةَ[١] - كما مرَّ - لمَّا أراد أن يحاسب نفسه وجد نفسه في السن بلغ الستين ؛ فحسب أيام السنين ؛ فإذا هي إحدى وعشرون ألف يومٍ وخمس مئة يومٍ ؛ فقال : وا ويْلاه ، أألْقَى الله بإحدى وعشرين ألف ذنبٍ وخمس مئة ذنب ؛ فكيف إذا كان كل يومٍ عشرة آلاف ذنبٍ ، ثم صاح فخَرَّ ميتًا ، فهتف هاتف : يا لهَا من ركضة إلى الفردوس .

فلو رَمى واحدٌ في كل يومٍ في داره حجرًا امتلأت من الأحجار ، وكذلك إذا اقترف الإنسان كل يومٍ معصية امتلأت صُحُفَهُ من المعاصي . واحفظ أعضائك كما تحفظ نفسك .

رُوِيَ عن منصور بن إبراهيم الزاهد أن رجلاً من العُبَّاد كَلَّمَ امرأة فلم يَزَلْ حتَّى وضع يده على فخدها ؛ فوضع يده على النار حتَّى يَبِسَتْ[٢] ، وكان في بني إسرائيل عابدٌ [قد] أشرف من صومعته على امرأة فافْتَتَن بها وهمَّ ، فأخرج رجله لينزل إليها ؛ فأدركه الله بلطفه ، فندم ، فلمَّا أراد أن يُعيِّد رجله إلى الصومعة ، قال : هيهات ، رِجْلٌ خَرَجْتَ تريد معصية الله ، لا ترجع إلى صومعتي ؛ فتركها في الخارج يصيبها المطر ، والثلج ، والرياح ، والشمس حتَّى تَقَطَّعَتْ وتساقطت ، فشكر الله تعالى فمدحه في كتبه على لسان أنبيائه[٣] . ومما يجب عليه الشكر توحيد الله تعالى جلَّتْ عظمته .

فصل في قوله تعالى : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾[٤] لأنَّ

---

(١) ابن الصمة هو : عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا ، من ولد طلحة بن عبيد الله بالرقة . وانظر حكاية توبته في صفة الصفوة لابن الجوزي (ذكر المصطفين من أهل الرقة) ٤/ ١٦٨-١٦٩ .

(٢) انظر مصنف ابن أبي شيبة (كتاب الزهد ، باب حديث إبراهيم) ٧/ ٢١٢ .

(٣) انظر الإحياء للغزالي (كتاب المراقبة والمحاسبة ، المرابطة الرابعة في معاقبة النفس على تقصيرها) ٣٤٧/٤ . هذا كلام لايتفق ورحمة الله وشرعه . وأيضًا العابد لم يقترف الذنب الذي يستحق إقامة الحد عليه .

(٤) الآية رقم ١٩٩ من سورة الأعراف .

في مخالطة الجاهلين إذلال للنفس[١] ؛ فقد قال رسول الله ﷺ أذلَّ الله مَنْ أذلَّ نفسه[٢] . وجاءت امرأة إلى عائشة رضي الله عنها فقالت : يا أم المؤمنين إنَّ لي جيرانًا يُهينونِي وجيرانًا يكرموني ؛ فقالت : أهِينِي مَنْ أهانك وأكرمي مَنْ أكرمك[٣] ؛ فهذا من عائشة رضي الله عنها هو العدل والإنصاف ؛ لكنَّ الإحسان إلى المُسيء أفضل ؛ لأنَّ الله تعالى قال : ﴿فَمَنْ عَفَىٰ وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[٤]

يقال : ثلاث من أخلاق أهل الجنة : أهل الخير والكرم والإحسان إلى مَنْ أساء إليهم ، والعفو عمن ظلمهم ، والبذل لمن حرمهم .

وفي الحديث قال النبي ﷺ : رأس العقل بعد الإيمان بالله مُداراةُ الناسِ[٥] ، وأهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة ، ولن يَهْلَكَ امْرؤٌ بعد مشورة ؛ فينبغي للمسلم أنْ يستَعْمَلَ الرِفْقَ في كل شيء ، ويُستَعْمَلُ التواضع من غير ذُلٍّ ، ولا يكون فَجّارًا ، قال لقمان لابنه : يا بُنَيَّ ؛ لا تكن مُرًا ؛ فتُلْفَظْ ، ولا تكن حُلْوًا فتُبلع[٦] ؛ لأنَّ مَنْ كان فَجًا غليظًا مُرَّ الكلام لَفَظَهُ الناس ؛ أي تركوه نَسْيًا مَنْسِيًا ، وَمَنْ كان متواضعًا إلى الغاية زادت حلاوته فيبتلعه الناس بالإهانة .

---

(١) في الأصل : النفس ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٢) الحديث بلفظ : لا ينبغي للمؤمن أن يُذلَ نفسه .... عن حُذيفة بن اليمان أخرجه الترمذي (كتاب الفتن ، باب ٦٧) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن ٤/ ٤٥٣ ، وابن ماجه (كتاب الفتن ، باب قول الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم ...﴾ (المائدة ١٠٥) ٤/ ٦٣٠ ، وأحمد في المُسْنَد ٤٣٤/٣٨ والبيهقي في شعب اليمان (باب في الإعراض عن اللغو) ١٩٧/٤ .

(٣) انظر كتاب المشيخة البغدادية لأبي طاهر السلفي الأصبهاني المتوفى ٥٧٦ هـ . ٩/ ٢ .

(٤) جزء من الآية رقم ٤٠ من سورة الشورى .

(٥) الحديث عن سعيد بن المسيَّب أخرجه ابن أبي شيبة في المصنَّف (كتاب الأدب ، باب ما جاء في اصطناع المعروف) ٥/ ٢٢٢ ، والحديث عن أبي هريرة أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في حُسن الخلق ، فصل في الحلم والتؤدة) ٦/ ٣٤٣- ٣٤٤ .

(٦) الأثر عن لقمان أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في حفظ اللسان) ٤/ ٢٣١ .

وبما يقع الآن ما يُفعل من الإسْتِدَانات .

قال العلماء رضي الله عنهم : لابأس إذا كانت للإنسان حاجة ضرورية يريد قضائها -وليس معه ما تُقْضَى به - أن يستدين وينوي قضاءها إذا أيسر ، فمن كان من قصده أن لا يوفيه فقد أكل السُحْت . /[١٣٢ظ] وقد استدانت الصدِّيقة - رضي الله عنها - فقيل لها : لِمَ استدنت يا أم المؤمنين؟ قالت : سمعت النبي ﷺ يقول : مَنْ كان عليه دَيْنٌ ينوي قضاءه كان معه من الله عون ، فأنا ألتمس ذلك العون[١] .

وجاء في الحديث قال ﷺ : تعرَّضوا للرزق ، فإذا غلب أحدكم فَلْيَسْتَدِنْ على الله وعلى رسوله[٢] ، المعنى : فليَسْتَدِنْ متوكلاً على الله في قضائه ، وعلى اسم رسوله بالبركة .

وعن محمد بن علي ﷺ وعن أبيه [عن عبدالله بن جعفر] أنه كان يستدين ، فقيل له : ولم تَسْتَدِنْ ولكَ من المال كذا وكذا ؛ فقال : اقتداء بقوله ﷺ : إنَّ الله مع الدائن حتى يقضِي دَينه وأنا أحب أن يكون الله معي[٣] . قال العلماء : وإذا كان للإنسان أموال واستدان أموال الأيتام ليربحوا منها ولئلّا تضيع في أيدي السفهاء كان مأجوراً .

ومن الدَّينِ صَدَاق الزوجات ، فما بالكْ بمن يشاري[٤] زوجته ، ويهجرها ، ويُقِلُ

(١) الحديث عن عائشة أم المؤمنين أخرجه أحمد في المسند ٤٣/ ٢٥٩ ، والطبراني في الأوسط ٨/ ٩٥ ، والهيثمي في ومجمع الزوائد (كتاب البيوع ، باب فيمن نوى قضاء دينه واهتم به) ٤/ ١٣٢ .

(٢) الحديث غير مسند أورده الماوردي في أدب الدين والدنيا (باب المروءة) ص ٢٨٨ .

(٣) تتمة الحديث : . . . . ما لم يكن فيما يكره الله . عن عبد الله بن جعفر أخرجه ابن ماجه (كتاب الصدقات ، باب من أدان ديناً وهو ينوي قضاءه) ٣/ ٩٠ ، والدارمي (كتاب البيوع ، باب في الدائن مُعَان) ص ٨٤٨- ٨٤٩ ، والحاكم في المستدرك (كتاب البيوع) قال الذهبي : صحيح ٣/ ٨٣٦- ٨٣٧ ، والبزار في مسنده ٦/ ٢٠٢ .

(٤) المُشاراة : المُلاجَّة ، يقال : هو يُشاري فلانًا أي يلاجُّه ، وتأتي بمعنى باعه ، وبمعنى أساء إليه أو ساءه . لسان العرب (مادة : شرى) .

الإنفاق عليها ، وَمِنْ قصده أن تُبْرِئُهُ من صَدَاقِها ؛ بل ومن نفقة عدتها ، بل ويَكْفِهَا ولده منها ؛ فهذا مبغوض الله ، ممقوت عند عباد الله .

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ : مَنْ تزوَّج امرأةً ونيته أن يذهب بصَدَاقِهَا جاء يوم القيامة زانيًا ، ومن اشترى شيئًا ونيته أن يذهب بثمنه جاء يوم القيامة سارقًا[١] ؛ أي يُعَذَّب الأوَّل مع الزناة ، والثاني مع السُّرَّاقِ .

وروى أبو قتادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قيل له : يارسول الله ، أرأيت مَنْ قُتِلَ في سبيل الله هل تُكَفر عنه خطاياه؟ قال : نعم ، إذا قُتِلَ محتسِبًا صابرًا مُقْبِلًا غير مُدْبِرٍ ، إلا الدين فإنه مأخوذ به[٢] .

وكان بعض السلَف يستصعب الدين ويستثْقِلُهُ خيْفَةَ أن يعجز عن وفائه . فمما يُحْكَى عن لقمان رضي الله عنه أنه كان يقول : حَمَلْتُ الجندلَ[٣] والحديد ؛ فلم أجِدْ شيئًا أثقل من الدين[٤] .

وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال : قال ﷺ : أعوذ بالله من الكُفْرِ والدَّين ؛ فقيل : يا رسول الله ؛ أَتَعْدِلُ الدَّين بالكُفْرِ ، قال : نعم[٥] .

---

(١) الحديث عن صُهيب أخرجه الطبراني في الكبير ٨/ ٣٥ ، وعبد الرزاق في المصنف (كتاب النكاح ، بابُ الرجل يتزوج المرأة لا ينوي أداء صداقها) ٦/ ١٨٥ ، والحديث عن أبي هريرة أخرجهُ الهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب البيوع ، باب فيمن نوى أن لا يقضي دينه) ٤/ ١٣١ .

(٢) الحديث عن أبي قتادة أخرجه مسلم (كتاب الإمارة ، باب من قُتِلَ في سبيل الله كُفِّرَتْ خطاياه إلا الدين) ١٣/ ٣٢-٣٣ ، والترمذي (كتاب الجهاد ، باب ما جاء فيمن يُسْتَشْهَد وعليه دَّين) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٤/ ١٨٤ ، والدارمي (كتاب الجهاد ، باب فيمن قاتل في سبيل الله صابراً محتسبًا) ص ٧٧٧-٧٧٨ .

(٣) الجندل : هو الصخر العظيم . لسان العرب (مادة : جندل)

(٤) انظر المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي (الفصل السادس فيما جاء في العداوة والبغضاء) ١/ ٢٢٠ .

(٥) الحديث عن أبي سعيد الخدري أخرجه النسائي (كتاب الاستعاذة ، باب الاستعاذة من الدَّين) ص ٨٢٥ ، وأحمد في المُسْنَد ١٧/ ٤٣٣ ، وعبد بن حُمَيد في مسنده ص ٢٩٠ .

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات : اللهم إني أعوذ بك مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ ، وغَلَبَةُ العدو ، وشماتة الأعداء(١) .

ومما ينبغي : أن يجتهد الإنسان في قضاء دَيْنه قبل أن يموت ، فأين يجد ما يفي به يوم القيامة ، ولئن وقع في مرَض وخاف الموت ، إمَّا أن يجتهدَ في الوفاء ما دام في قيد الحياة ، أو يُقيم وصيًا عدلاً ليَفيْه من متروك ، وإن كان الوصيُ من الأجانب فهو أولى ؛ لأنَّ الذي يَغْلُبُ من حال الوَرَثَةِ عدم تنفيذ الوصية .

عن البراء بن عازِبٍ رضي الله عنه قال : قال ﷺ / : [١٣٤و] صاحب الدَّيْنِ مأسور يوم القيامة يشكو إلى ربه الوحدة(٢) ، قال أهل اللغة : المأسور : المحبوس ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : لا تزال نفس المؤمن معلقة ما كان دين عليه(٣) .

ومما ينبغي لصاحب الدَّيْنِ أنْ يُنْظِرَ أخاه إلى ميسرةٍ أو يَحُطُّ عنه .

فعن أبي قتادة رضي الله عنه قال : قال رضي الله عنه : مَنْ نَفَّسَ عن غريْمه أو أخَّرَ عنه كان في ظل العرش يوم القيامة(٤) . ومما يُدْعَى به لقضاء الدَّيْنِ فإنه من المُجَربات :

---

(١) الحديث عن عمرو بن العاص أخرجه النسائي (كتاب الاستعاذة ، باب الاستعاذة من غَلَبَة الدَين) ص ٨٢٥ ، وأحمد في المُسْند ١١/ ١٨٩ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الدعاء والتكبير) قال الذهبي : على شرط مسلم ٢/ ٧٤١

(٢) الحديث عن البراء بن عازب أخرجه الطبراني في الأوسط ١/ ٤٩٠ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب البيوع ، باب ما جاء في الدَّين) ٤/ ١٢٩ .

(٣) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الترمذي (كتاب الجنائز ، باب ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال : نفس المؤمن معلقة . . .) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن ٣/ ٣٨٩-٣٩٠ ، وابن ماجه (كتاب الصدقات ، باب التشديد في الدَّين) ٣/ ٩١ ، وأحمد في المُسْنَد ١٥/ ٤٢٥ .

(٤) الحديث عن عبد الله بن أبي قتادة أخرجه مسلم - مع اختلاف في اللفظ - (كتاب المساقاة ، باب فضل إنظار المُعْسِرْ) ١٠/ ٢١٨ ، والحديث كما ورد في المتن عن أبي قتادة أخرجه أحمد في المُسند ٣٧/ ٢٥١ ، وعبد بن حميد في المسند ص ٩٧ ، والدارمي (كتاب البيوع ، باب فيمن أنظر معسرًا) ص ٨٤٦ .

لِمَا رُوِيَ عن عائشة الصدِّيقَةُ رضي الله عنها قالت : دخل عَلَيَّ والدي أبو بكر ﷺ فقال : سمعتُ من النبي ﷺ دعاء علَّمَنِيْه ، قلت : يا أبتي ، ما هو؟ قال : كان عيسى بن مريم ﷺ يعلمه أصحابه ويقول لهم : لو كان على أحدكم جبل من ذهب دَينًا ؛ فقال : اللهم فارج الهم ، كاشف الغم ، مجيب دعوة المضطرين ، رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما ، أنت ترحمني فارحمني رحمة من عندك تغنيني بها عن رحمة من سواك ؛ لقضاه عنه .

قال أبو بكر ﷺ : كانت عَلَيَّ بقية من الدَّين ، وكنت للدَّين كارهًا ؛ فدعوتُ الله بهذا الدعاء ؛ فأتاني الله بفائدة فقضيته عني . وكان على عائشة دَيْنٌ لأسماء بنت عُمَيْس رضي الله عنهما وكانت تستحي أن تنظر إلى وجهها ، فدعت به ؛ فما مضت مدة يسيرة حتى قضته[1] .

فصل في تفسير قوله تعالى : ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[2] .

في مناكبها : أطراف الدنيا ، ﴿وكلوا من رزقه﴾ الذي أمركم به ؛ وهو الحلال ؛ أي واكتسوا منه واعْمُرُوا منازلكم المملوكة لكم ، أو أدوا أجورها إن لم تكن مملوكة ، ﴿وإليه النشور﴾ : المعاد يوم القيامة ؛ فَتُجْزَوْنَ على سعيكم المأمور به خير الجزاء ، وهو التنعم بجنات النعيم جزاء المجاهدين ؛ لأنَّ السعيَ على العيال من أفضل الجهاد ؛ فالواجب على الإنسان مع عبادة ربه اكتسابه قَدْرَ كفايته ، وكفاية عياله ؛ لأنَّ العبادة لا تقوم إلا بعد تحصيل ما يقوم بها من المأكل ، والمَشْرَبِ ، والمَلْبَسِ ، ألا ترَى أنَّ تارك[3] الاكتساب ربما ضَعُفَ عن العبادة بقلة الأكل ، ولا تصح الصلاة إلا باللباس ،

(١) الحديث عن عائشة أم المؤمنين أخرجه الحاكم في المُسْتَدْرَك (كتاب الدعاء والتكبير) قال الذهبي : الحكم ليس بثقة ٢/ ٧٢٣ ، والبزار في مسنده ١/ ٣١ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب الدعاء لقضاء الدَين) ١٠/ ١٨٦ .

(٢) جزء من الآية رقم ١٥ من سورة المُلك .

(٣) في الأصل : تَرْك ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

وَيحْرَمُ على الإنسان الطواف عاريًا ؛ فبعدم الاكتساب قد يُعَرَّى ، ويضعف من البرد .

وقد أمَرَ بالسعي أيضًا بقوله : ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾[1] .

وقد قال ﷺ : تبايعوا بالبُرِّ[2] ؛ أي بالحِنْطَة ، فإن إبراهيم عليه السلام كان يبيع البُرَّ ، ومن جملة بيع البُرِّ تَعَاطِي توابعه من الطَّحان ، والخَبَّازة ، والكيَّالة بشرط التقوى في ذلك .

فإنَّ رجلاً من السَلَف اجتمع بسارِق ، وقال له : اتق الله في صنعتك . فخرج ذات ليلة للسرقة ، ودخل بيت إنسان ؛ فوجد صندوقًا مملوءًا من الذهب ؛ فحمله ، فلمَّا خرج من البيت تفكَّرَ ما قال الشيخ /[١٣٤ظ] من قوله : اتق الله في صنعتك ؛ [قال] فَأَخْذ نصف ما في الصُنْدُوْق عين الإنصاف ؛ فعاد وأفْرَغَ نصفَه[3] ، فلما خرج تفكَّرَ المقالة ، وقال : إنَّ هذا ليس معقولًا هل أنا شريكه في ماله ؛ فعاد وأفرغ نصفه الباقي ، وأخذ الرُبْعَ ، وهكذا إلى أن ارتضى بدينار ، فلمَّا أخذه وخرج لقيه صاحب البيت وقال له : أنت سارق ، قال : نعم ، قال : إذًا أُسَلِمُكَ إلى الحاكم ، فقال : اسمع حتَّى أقص لك قصتي ؛ فذكر له ما فعل ، ورأى الصندوق كما هو ، ولم ينقص من بيته شيء سوى ما أقرَّ به من الدينار ؛ فشكره ودعا له وأكمل له خمس مئة دينار ؛ فَاتَّجَرَ بها ، وسافر في البحر ، فلما كان في السفينة وإذا بها نفر يُسْمَعُ صوته ولا يُرَى شخصه ، يقول : من يَشْرِي مني كلمة بخمس مئة دينار ؛ فرمى بتجارته في البحر ،

(١) جزء من الآية رقم ١٠ من سورة الجمعة .

(٢) لم نقفْ على الحديث بهذا اللفظ . والموجود : الذهب بالذهب ... والبُرُّ بالبُرِّ ... عن عُبادة بن الصامت أخرجه مسلم (كتاب المساقاة ، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقدًا) ١١/ ١٥-١٦ ، والترمذي (كتاب البيوع ، باب ما جاء أنَّ الحِنْطَةَ بالحِنْطَةِ مثلًا بمثل ...) قال أبو عيسى : حديث عُبَادَة حَسَنٌ صحيح ٣/ ٥٤١ .

(٣) في الأصل : نصف ، وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

وقال : قُلْ ؛ فقال : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّه فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[1] الآية ، فعاب عليه مَنْ في السفينة ، فما مَضَتْ ساعة إلا وَفَرْتَن[2] البحر فغرق كل [مَنْ] [3] في السفينة ، وهو يتلو الآية ؛ فَسَلِمَ وخرج على دَفة إلى ساحل البحر ، فأشرف على قصْر عال من بُعْد فقصده ، فلمًا وصل إليه فإذا بشابة بديعة في الجمال ؛ فقالت له : مَنْ أنتَ؟ . ومن أي البلاد؟ ومَا جاء بك إلى هنا؟ فأخبرها بما وقع له ، وقالت له : إني ابنة ملك من الملوك جاء بي عِفْرِيتٌ من الجن إلى هنا ، وأنا في أَسْرِهِ ، اذهب يا أخي ؛ فإني أخشى عليك منه ، فقال لها : لا بأس علَيَّ ولا عليك ، فما استتم من كلامه ، وإذا بالعفْريت وقد أقبل ؛ فقالت له : أنْظِرْهُ كيف يكون حالنا؟ ؛ فقرأ الآية فما أتمَّها إلا صار رَمَاداً ؛ ففرحت بنت الملك . فما مضى زمان ، وإلا بسفينة في البحر ، نزل هو وإياها بها ، واسْتَوْسَقُوا[4] كُلَّ ما كان في القصر .

يا أخي ؛ والسعي لايمنع التوكل ، وأمَّا قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إلا لِيَعْبُدُون﴾[5] لا يُنَافِي السعْيَ ؛ لأنَّه من جُمْلَة العبادة ، وقوله ﷺ : ما أَوْحَى الله إِلَيَّ بأن أجمع مالاً ولا أكون من التاجرين ، ولكن أُوْحِيَ إلىَّ أنْ : ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[6] هذا مَنْصَبُهُ[7] ، وإنَّ كفايته على عموم المؤمنين وفي بيت مالهم ، فهو مشغول بالتبليغ ، وليس الحديث

---

(١) جزء من الآية رقم ٣ من سورة الطلاق .

(٢) فرتن – في اصطلاح الملاحين – بمعنى : هيجان البحر ، انظر معجم عطية في العامي والدخيل ، (مادة : فرتن) .

(٣) إضافة اقتضاها السياق .

(٤) الأصل في الوَسْقِ الحَمْل ، وكل شيءٍ وَسَقْتَهُ أي حملته ، لسان العرب (مادة : وسق) .

(٥) الآية ٥٦ من سورة الذاريات .

(٦) الآيات رقم ٩٨ ، ٩٩ من سورة الحجر . والحديث عن أبي مسلم الخَولاني عن جبير بن نفير ذكره القرطبي في تفسيره (الحجر : ٩٨) ، والبغوي في تفسيره (الحجر :٩٨) .

(٧) النَّصَب : الغاية ، وهذا مَنْصَبُهُ ؛ أي هذه غايته . وهي بمعنى التعب والجَهد أيضًا ، لسان العرب (مادة : نَصَبَ) .

بجَارٍ علينا ، فمن ترك الكَسْبَ ؛ فالاكتساب ليس عاراً ، إنما العار ارتكاب ما لا يليق ، فإما أن يتركه للتقوى ؛ فيقع من القلة في الطمع بما في أيدي الناس ، أو تَرْكه كسلًا وقع في الذلِ .

وقد قال ﷺ : أذلَّ الله مَنْ أذلَّ نفسه(١) ؛ فما بالك فيمن جعل الاستعطاء حرفةً في زماننا ، ويُحَمِّرُ وجوه الناس ، ويسألهم على جاه رسول الله ، أو الصديْق ، أو ولي من الأولياء ؛ فمن سمعه : يصلي على رسول الله ، وَيَتَرَضَّى على مَنْ ذَكَرَهُ ، ويدفعه عنه بلطفٍ ، وإن حُرِمَ سؤاله على هذا المنوال .

وإن تركه - أي الاكتساب - عاراً أوحَمِيَّةً ربما وقع في مصيبة السرقة ، يقال : ثلاثة لا علاج لها : المرض مع الهرَمْ ، والعداوة مع الحسد ، والفقر إذا خالطه الكسل ، ويُقَال : /[١٣٥و] كَسْبُ الحلال يُجَمِّلُ ذا الفاقة الضعيف ، ويستر المُعْسِرَ المتقي الضعيف ، ويقطع عن صاحبه لسان كل سخيف ، وقالوا : زينة الشاب عمله .

وقال عبد الله بن المبارك : من ترك السوق ذهبت مروءته ، وساء خُلُقه(٢) .

وقال إبراهيم بن يوسف : عليك بالسوقِ ؛ فإنه أعزُّ لصاحبه(٣) . وينبغي للسوقي أن لا يفتح قبل الكُلِ ولا يتأخر عِن الكل ، لئلا يكون للشيطان عليه سبيل .

قالوا : ست خصالٍ في الرجلِ إذا وُجدَتْ كان سيد الرجال ، ثلاثة منها خارج البيت : الاستفادة من العلماء ، ومخالطة أهل الورع ؛ لأنَّ الإنسان يُعَزُّ ويُهان بقَرِيْنه ، وطلبه ما يحتاج إليه من وجْه حِلٍ ، وثلاثة منها داخل البيت : أن يَذْكُرَ لأهله ما سمعه من العلماء ؛ لأنه لا يجوز لمرأة لها زوج أو محرم أن تخرج لسؤال ما تحتاجه من أمور دينها وذلك مطلوبٌ من زوجها أو مَحْرَمِهَا ؛ لأنَّ تعليمها واجب على زوجها أو

(١) الحديث سَبَقَ .

(٢) انظر الأثر عن ابن المبارك ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين (باب فضل الكَسْب) ص ٣٨٠ .

(٣) انظر تنبيه الغافلين للسمرقندي (باب فَضْل الكَسْب) ص ٣٨٠ .

مَحْرَمِهَا ، ولهذا أَفْتَى صاحب المختار[١] والمتأخرون بمنع النساء من الخروج إلى الجماعات مُطْلَقًا صلاة كانت أو عظةً على ما مر .

وأما خروج المرأة عند مَنْ ذَكَر ، فلا مانع منه بشرط أن لا يحصل اختلاط النساء مع الرجال ، وينبغي أن يكون للنساء واعظ مُتَّقٍ عدل يعرف الأحكام والنصائح ، وأن تكون معه زوجته أو واحدة من محارمه لئلَّا يختلي بالأجنبيات .

ومن الثلاثة التي هي داخل البيت : أن يعمل كعمل مَنْ خالطه من أهل الوَرَعِ مِنِ الوَرِعِ ، وأن يُوْسِعَ على عياله في الطعام ، واللباس ، والمسكن قدر طاقته ، ويَحْرُم على زوجته أن تكلفه فوق ما يطيق ، والتوسعة في الأوقات الفضيلة لها مزِيْدُ فَضْلٍ كما لا يَخْفَى .

ثمَّ لا ينبغي للإنسان أن يَسُبَّ حرفته التي رأى خيرها ، ورُبِّيَ مع عياله منها ، وأَذْهَبَ غالب عمره فيها . وما يحصل له من العُسْرَةِ فيها : إمَّا لأنَّ المؤمن مُبْتَلَىً ، أو لقلة تقواه ، وهذا أكثر ، وقلة تقواه : إما فيها أو في صلاته ، وأنَّ كلًّا منهما قاطع للرزق ؛ فإن صار ذا غِنَىً في صنعته وجب عليه أداء الحقوق من زكاة أو غيرها ، وإلا فإن مَنَعَ الحقوق ذهبت البركة عنه .

ومرَّ أنَّه يسْعَى في الكفاية ؛ فإن سعى فيما زاد لأجْلِ مواساةِ الجيرانِ والطلبة ، والزهاد ، والفقراء ، والمساكين ؛ فهو أفضل . وينبغي للإنسان أن يتصدَّق ، ولو رأى السائل قويًا أو لابسًا ؛ فإنه ما سأل عن عذر ، فلا يَلُمْهُ بأن يقول له اشتغل بالفاعل أو تعاطى لك صنعةً ، فإنَّ حَمْلَ المُؤمن على العُذْرِ أَكْمَلُ في حق الإنسان .

---

(١) هو عبد الله بن محمود بن مودود بن محمود الموصلي ، مجد الدين أبو الفضل ، الفقيه الحنفي . ولد سنة٥٩٩هـ ، وله من التصانيف : المختار في الفروع ، وشرح الجامع الكبير للشيباني في الفروع ، وكتاب الفوائد . توفي سنة ٦٨٣هـ ، انظر هدية العارفين للبغدادي ١/ ٤٦٢ .

فصل في حُسْنِ المعاشرة وزيارة الإخوان

قال تعالى : ﴿وقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[١] مع المؤمن الطائع والعاصي ، ومع الذمي ؛ لأنَّ الله تعالى قال لموسى وهارون عليهما السلام ﴿فقولا له﴾ أي لفرعون ﴿قولاً لينًا﴾[٢] .

وعن عمر رضي الله عنه : مَنْ أَحَبَّ أن يصفوا له وُدُّ أخيه ؛ فلْيدعه بأحب أسمائه ، وليسلمْ عليه ، ولْيُوْسِعَ له في المجلس[٣] - سِيَّما- في مجلس الصلاة .

وينبغي للداخل / [١٣٥ظ] أن يقول : تفسحوا يفسح الله لكم ، قال شيخي[٤] : ومن الجهل من يستمسك عند دُخُولِ دَاخِلٍ في الصف حالة الوقوف في الصلاة ، ولا تبْطِل صلاته وإن تحركت قدماه بسبب الداخل في الأصح ، ما لم يدخل بعنف فيتحوَّلُ بسببه عن القبلة ، وينبغي لمن بالصفِّ - مُراعاة لقول من قال بالفساد- أن يُلْيِنَ للداخل ابتداءً كتفيه ثم بعد هُنَيْهَةٍ[٥] ينقل قدميه .

ولا يجوز للإنسان أن يكون فَحَّاش اللسان ، ويُحسن للمسيء إليه ، فإنَّ الإحسان بعد الإساءة كرم ، والإساءة قبل الإحسان جَوْرٌ ، والإساءة بعد الإساءة مكافأة ، إن ساوت الأولى ، والإساءة بعد الإحسان شؤمٌ . ثم زيارة الإخوان ، والأصدقاء تزيد في العمر وفيها مزيد الثواب ، والسُنَّةُ أن لا يُكْثِرَ الزيارة ؛ لأنَّ النبي

---

(١) جزء من الآية رقم ٨٣ من سورة البقرة .

(٢) الآية رقم ٤٤ من سورة طه .

(٣) الأثر عن عمر بن الخطاب أخرجه عبد الرزاق في المُصَنَّف (باب الأسماء والكُنَى) ١١/ ٤٤ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في مقاربة وموادة أهل الدين) ٦/ ٤٣١ .

(٤) هو علاء أفندي وسبقت ترجمته .

(٥) هنيهة : قليل من الزمن . لسان العرب (مادة : هَنَا) .

ﷺ قال لأبي هريرة ﷺ : زُرْ غِبًا[1] تَزْدَدْ حبًا[2] . وعن المُزَنِي[3] : المريض يُعَادُ والصحيح يُزَارُ .

وقال بعض الحكماء : لا تترك الزيارة فَيَنْسَكَ الناس ، ولا تكثر منها فَيَمَلَّكَ الناس .

وعن أبي أُمَامة الباهلي ﷺ : امشِ ميلاً ، وعُدْ مريضًا ، وامش ميلين ، وزُرْ أخًا في الله ، وامشِ ثلاثة أميالٍ لأجل الإصلاح بين الناس[4] ؛ فانظر كيف جعل مرتبة الإصلاح بين الناس أرْقَى . ومن السنة إكرام وجوه الناس ؛ فإنَّهم يُقْصَدُوْنَ في الحوائج .

قال النبي ﷺ : إذا أتاكم كريم قومٍ فأكْرِموه[5] .

وَقُدِّمت لعليٍ ﷺ وسادةٌ فجلس عليها ، فقال : لا يأبى عن الكرامة إلا الحمار[6] . ويخالط الناس بالحسنى عارفًا لحقوقهم ، وهل الأفضل مخالطة الناس أم العُزْلَة؟ قال العلماء : الإنسان أمير نفسه إن كان يَعْرِفُ من نفسه أنْ لو انعزل عن

---

(١) الغبُّ : من أوراد الإبل : أن تَرِدَ الماء يومًا وَتَدَعْهُ يومًا ثم تعود ؛ فنقله إلى الزيارة ولو بعد أيام ، يقال : غَبَّ الرجل : إذا جاء زائرًا بعد أيام ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير .

(٢) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البزار في مسنده ١٦/ ٩١ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في حُسْن الخُلُق ، فصل في ترك الغضب) ٦/ ٣٢٨ ، والطبراني في الأوسط ٢ / ٤٤٩ .

(٣) هو بكر بن عبد الله بن عمرو بن هلال المُزَني ، أبو عبد الله البصري ، ثقة ، حجة ، فقيهًا . مات ١٠٦أو ١٠٨هـ ، انظر عنه : حلية الأولياء لأبي نعيم ٢/ ٢٢٤ -٢٣٢ ، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال للخزرجي ص ٤٤ . والقول في الحلية ٢/ ٢٢٧ .

(٤) الحديث عن أبي أمامة الباهلي - مرفوعًا- أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترغيب في الإصلاح بين الناس) ١/ ١٥٥ .

(٥) الحديث عن ابن عمر أخرجه ابن ماجه (كتاب الأدب ، باب إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه) ٤/ ٥٣٠ ، والبزار في مسنده ١٢/ ١٨٨ .

(٦) الأثر عن علي أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في الملابس والأواني ، فصل في الفُرُشِ والوسائد) ٥/ ١٨٦ .

الناس شغله الوَسْوَاسْ ، فالمخالطة أفضل ، وإنْ كان يَعْرِفُ من نفسه أنَّه لو انعزلَ كان أسلم لدينه وعِرْضِهِ انعزل عنهم .

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما : لولا الوَسْوَاسُ لَمَا كَلَّمْتُ الناس[١] .

وقال بعضِ الحكماء لابنه[٢] : يا بُنَيَّ ؛ لا تصحب كاذبًا ؛ فإنه مثل السراب يُبْعِدُ القريب ويُقَرِّبُ البعيد ، ويُوعدك من غير إنْجازٍ ، ولا تصحب الأحمق ؛ فإنه يرى أنَّه ينفعك وهو يضرك ، و لا تصحب الطماع ؛ فإنه يبيعك بأكلة أو شَرْبَةٍ ، ولا تصحب البخيل ؛ فإنه يُوْقِعُكَ في الخجل في مكانٍ أنت أحوج إليه ، ولاً تَصْحَبِ الجبانَ ؛ فإنه يسلمك ويسلم ولده ووالديْهِ إلى العدو ولا يبالي .

والسلام أفضل مِن الجواب على الأصح ؛ لأنه أسبق ، وإنْ كان الرد واجبًا ؛ لقوله تعالى : ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[٣] والرَّد فرض كفاية على الأصح ، إنْ رَدَّ البعض سقطَ عن الباقين ، وقيل يلْزم الجميع وهو منسوب لأبي يوسف الإمام ، والسنة أن يكون بلفظ الجمع وإن كان المُسَلَّمُ عليه واحداً ؛ لأنَّ معه الملائكة ، والسلام مشروع حتَّى على الصبيان في الأصح[٤] ؛ لأن أنسًا ﷺ قال : كنتِ مع الصبيان فمر بنا النبي ﷺ وسَلَّمَ علينا[٥] .

---

(١) الأثر عن ابن عباس أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب مداراة الناس ص ٥٤٠ .

(٢) القول منسوبًا لجعفر الصادق ﷺ ذكره الغزالي في الإحياء (كتاب آداب الألفة ، باب الصفات المشروطة فيمن تختار صُحْبَتَهُ) ٢/ ١٥١ .

(٣) جزء من الآية رقم ٨٦ من سورة النساء .

(٤) البَدْءُ بالسلام سنة عين على المنفرد ، وفرض كفاية للجماعة ، أما رد السلام فهو فرض عين على المنفرد ، وفرض كفاية على الجماعة . والسنة في إقرار السلام لا تحصل إلا بقول السلام عليكم ، وسلام عليكم سواء كان المسلم عليه واحداً أو جماعة . انظر الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري ٢/ ٤٦ .

(٥) الحديث عن أنس أخرجه البخاري (كتاب الاستئذان ، باب التسليم على الصبيان) ٥/ ٢٣٠٦ ، ومسلم (كتاب السلام ، باب استحباب السلام على الصبيان) ١٤/ ١٥٤ .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يُسَلِّمُ على غلمان الكُتَّاب ، ولا يُسَلِّمُ على الكفار ولا في المكاتيب ؛ وإن أرسل مكتوبًا إلى كافرٍ يكتب فيه : السلام على من اتبع الهدى ، ويسلم علي أهل بيته عند دخوله عليهم . ولو لم يكن في البيت أحد يُسَلِّم أيضا ؛ فإن الملائكة ترد عليه .

وقال بعضهم : إذا دخل الإنسان بيته فَسَلَّمَ يقول الشيطان : ما بقي لي قرار ، وإذا أُوتِيه الطعام /[١٣٦و] فسمَّى قال الشيطان : لا قرار ، ولا مطعم ، ولا مشرب ، فيذهب خائبًا[١] .

وتخليل الأسنان من الطعام أدبٌ كان يأمر به ابن عمرٍ رضي الله عنهما وكان يقول : إذا تُرِكَ وَهَنَتِ الأسنان[٢] .

وعن عمر بن الخطاب ، وجابر رضي الله عنهما أنهما قالا لمن بحضرتهما : لا تغتسلوا بالماء المُشَمَّس ؛ فإنه يُوْرِثُ البَرَصَ[٣] ، ولا تخللوا بالقصب فإنه يُوْرِثُ الأَكَلَةَ في لحم الإنسان[٤] .

وقال الأوزاعي : ولا تخللوا بالآس[٥] ؛ فإنه يُوْرِثُ عِرْقَ النَسَا[٦] ، وإن أُخْرِجَ من

(١) انظر الأثر عن إبراهيم ذكره السمرقندي في بستان العارفين ، (الباب السادس والثلاثون في التسليم عند دخول البيت) ص ٤٢ .

(٢) انظر الأثر مَعْزُوًا لابن سيرين ذكره البابي الحلبي الشافعي في كتاب نزهة الناظرين في الأخبار والآثار المروية عن الأنبياء والصالحين (كتاب آداب الأكل والشرب والضيافة ، الفصل الخامس في تخليل الأسنان من الطعام) ص ٢٩٣ .

(٣) البَرَصُ : هو اضطراب خِلْقِيٌّ يتميز بغياب الصباغ في الجلد والشعر والعيون لسان العرب (مادة : برص) .

(٤) الأثر عن جابر عن عمر بن الخطاب أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (باب كراهة التطهير بالماء المُشَمَّس) ١/ ١٠

(٥) الآسُ : شجرة وورقها عَطِرٌ . لسان العرب (مادة : أوس) .

(٦) عرق النَسَا : وجع من أوجاع الأعصاب يبتديء من مفصل الورك ، ويمتد إلى الركبة أو إلى القدم . المَنجد . (مادة : عرق) .

بين الأسنان شيئًا إلى خارج الفم لا يجوز ابتلاعه ؛ لأنه متى فارق الفم صار مُسْتَقْذَرًا كالريق إذا زايَلَ الفم ، وإن لم يُخرِجه جاز ابتلاعه . ويُكْرَه التَخَلُّل[١] بالريحان ، وعود الرمان ، فإنَّه يُذْهِبُ لحِم الأسنان ، وإن كان الضيف يريد الخَلَّال فهو أفضل . وينبغي لمن يخلل أسنانه أن يُمْسِكَ ما يخرج منها ، ولْيَرْمِ به[في] [٢] مكان[٣] تُلْقَى فيه القُمَامَات ، وليغسل يده بعد ذلك ، ولا يطرحه طرحًا ، ولا على ثيابه كيْ لا تفسد ، وإنْ ألقاه في الطَّشْتِ الذي يغسل يده فيه جاز .

ولا يتهاون الإنسان بالإخوان ؛ فإن من تهاون بهم ذهبت مروءته ، ومن تهاون بالسلطان والأمراء وأصحاب الحَلِّ والعَقْدِ ذهبت دنياه ، ومن تهاون بالعلماء والصالحين ذهبت آخرته . ولا يُفْرِط في محبة أحد كَيْ لَا يقع بسببه في مُحَرَّمٍ . ألا ترى أنَّ النصارى أفْرَطوا في حب عيسى عليه السلام حتَّى اتخذوه إلَهًا ، وأفرطت الرافضة[٤] في محبة عليٍ رضي الله عنه حتَّى وقعوا في بغض أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما وفي سبِهما

وأفرطت اليهود في حب العُزَير[٥] ، فاتخذوه إلهًا . وينبغي أن يُقِيلَ عَثَرَاتِ الناس

---

(١) في الأصل الخِلال وهو خطأ والصواب ما أثبتناه . والخلال هو : العود الذي يتخلل به . لسان العرب (مادة : خلل)

(٢) إضافة اقتضاها السياق .

(٣) في الأصل مكانًا وهو خطأ والصواب ما أثبتناه .

(٤) الرافضة : هو مصطلح قديم لِتَسْمِيَة الشيعة الإثنى عشرية . وتشير كلمة الرافضة لعدم اعتراف الشيعة بالخلَفاء : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان رضي الله عنهم كخلفاءٍ شرعيين . انظر : تاريخ استخدام المصطلح ، تأليف المؤرخ أسد رستم .

(٥) هو عُزير بن جروة ، ويقال ابن سوريق ، بن عَديَّا بن أيوب بن هارون بن عمران ، و هو العبد الذي أماته الله مئة عام ، ثم بعثه ، والمشهور أنه كان نبيًا من أنبياء بني إسرائيل ، وأنه كان فيما بين داود وسليمان وبين زكريا ويحيى ، وأنَّ الله ألهمه حفظ التوراة . وقول بني إسرائيل : لم يستطع موسى أن يأتينا بالتوراة إلا في كتاب ، وأنَّ عزيراً قد جاءنا بها من غير كتاب ؛ فقالت طوائف منهم : عُزَير ابن الله . انظر البداية والنهاية لابن كثير (قصة العُزَير) ١/ ٥١-٥٥ .

- سيما - أولو الهيئات[١] ما لم يكن حداً[٢] .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال ﷺ : أَقِيْلُوا ذوي الهيئات عَثَرَاتِهِمْ إلا حدًا من حدود الله[٣] . وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال : يا داود ، إنَّ عبدًا من عبادي يأتي بحسنة واحدة فَأُدْخله الجنة بها ، فقال : يارب ؛ وما تلك الحسنة؟ قال تعالى : مَنْ فَرَّجَ عن مؤمنٍ كُرْبَةً ولو بِشِقِ تمرة[٤] .

ومِن الآداب ما يُرْوَى عن لقمان رضي الله عنه أنه قال لابنه : يا بُنَيَّ إذا أتيت قومًا فسلِّم عليهم ، ثم اجلس معهم إن أردت حاجةً ، ولا تنطق ما لم تَرَهُمْ قد نطقوا ؛ فإن نطقوا بخيْرٍ فاسْتَمِعْ لهم وإن نطقوا بِشَرٍ فَتَحَوَّل عنهم[٥] .

وكان ابن عمرٍ رضي الله عنهما يُكْثِرُ الخروج إلى السوق من غير داعٍ ؛ فَسُئِلَ عن ذلك ، فقال : إنما أخرج لأجل السلام ، وكان لا يمر على أحدٍ من المؤمنين إلا ويُسَلِّم عليه[٦] .

---

(١) الظاهر أنهم ذوو الأقدار بين الناس في الجاه والشرف والسؤدد ، فإن الله تعالى خصهم بنوع تكريم وتفضيل على بنيْ جنسهم ، فمن كان منهم مستوراً ، مشهوراً بالخير ، حتى كَبَا به جواده ، ونبا عضب صبره ، وأديل عليه غلبة شيطانه ، فلا يسارَع إلى تأديبه وعقوبته ، بل تقال عثرته ، ما لم تكن حداً من حدود الله تعالى ، فإنه يتعين استيفاؤه من الشريف كما يتعين أخذه من الوضيع . انظر بدائع الفوائد لابن القيم ٣/ ١٧١

(٢) أي ذَنب يُسْتَحَقُّ عليه إقامة الحد .

(٣) الحديث عن عائشة أم المؤمنين أخرجه أبو داود (كتاب الحدود ، باب في الحد يُشْفَعُ فيه) ٤/ ٣٥١ ، وأحمد في المسند ٤٢/ ٣٠٠ ، وأبو يعلى في مسنده ٤/ ١٨٧ ، وابن حبان (كتاب الإيمان ، باب ذكر الأمر بإقالة زلات أهل العلم والدين) ١/ ١٥٤ .

(٤) الحديث ذكره أبو بكر أحمد بن مروان الدِّيْنَوَري المالكي المتوفى ٣١٠ هـ وقيل ٣٣٣هـ في كتابه المجالسة وجواهر العلم ٤/ ٥٠٥ .

(٥) الأثر عن لقمان أخرجه ابن كثير في التفسير (لقمان : ١٦-١٩) .

(٦) الأثر عن ابن عمر أخرجه مالك في الموطأ (باب جامع السلام) ص٥٨٤ .

ومن الآداب ألا يتكلَّم إلا بخيرٍ . ويكره الكلام في ستة مواضع : مع الجنازة ، وعند التلاوة لقرآن أو حديث ، وعند الخطبة ، وفي مجالس الذكْرِ ، وعند المجامعة ، وفي الخلاء ، ويُكْرَهَ الضَحِكُ في خمسٍ : مع الجنازة ، وفي المقابر ، وعند مَنْ أصابته مصيبة ، وعند القراءة والذكْرِ .

قال بعضهم : الضَّحِكُ من غيْرِ عُجْبٍ نوعٌ من الجنون[1] ، وكثرة الضَّحك تُميْتُ القلب[2] ، ويُكْره النظر في مواضع الصلاةِ يمينًا وشمالاً ، وقد مرَّ مِرَارًا . وفي أبواب الناس ؛ لأنه من إساءة الأدب ، وإلى عورات الناس في حَمَّامٍ أو غيره ، وإلى مَنْ فوقه خوفًا من الحسد فيما هو فيه ، ما لم يكن في عبادة لِيُقْتَدَيَ به فيها أو في دنياه ، ويتمنَّى أن يكون مثله قائمًا بحقها من غير أن يقصد زوالها عنه .

/[١٣٦ظ] وَيُكْرَه النظرإلى مَنْ دونه في أمر الدين ؛ لئلا يتكاسل في أمرالعبادة ، أو في أمر الدنيا لئلا يكون مُحْتَقرًا به؟ نعم إن نظر إليه بقصد أن ينظر ما هو فيه من النِعَمِ فيشكر الله عليها ، فلا منع .

ويُكْرَهُ الاستماع للملاهي ، والغناء ، والنائحات ، وإلى الكلام الباطل ككذبٍ ، وغِيْبَةٍ ، ونميمةٍ ، ولعْنٍ ، وشَتْمٍ ، وبهتان ، وفضول الكلام ، وإلى اثنين يتناجيان ، وفي أبواب الناس ؛ فإن كان له مصلحة في ذلك المكان تغاضى عمَّا هم فيه .

---

(١) انظر القول في بستان العارفين للسمرقندي ، (الباب التاسع والخمسون بعد المئة : فيما يُكْرَه من الضحك) ١/ ٢٤٦ .

(٢) جزء من حديث عن أبي هريرة أخرجه الترمذي (كتاب الزهد ، باب مَنْ اتقى المحارم فهو أعبد الناس) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ٤/ ٤٧٨ ، وأحمد في المسند ١٣/ ٤٥٨ - ٤٥٩ ، والحديث مختصراً أخرجه ابن ماجه (كتاب الزهد ، باب الحزن والبكاء) ٤/ ٦٩٦ .

فصل في تعليم القرآن وتعلُمِه

عن عثمان ﷺ قال : قال ﷺ : خيركم مَنْ تعلَّم القرآن وعلَّمَهُ[١]

والتعَلُّمُ ، قالوا : ثلاثة تجب : فإما أن يعلمه لقصد الأجر من غير أخذ أجْر ، فلا كلام أنه مأجور ، وإمَّا أن يُعَلمَهُ بالأجرة ؛ فقد جَوَّزه المتأخرون ؛ فلو لم يُجَزْ ؛ لَانْغَلَقَ باب التعليم لقلة ما في أيدي الناس من جهة الاكتساب ، وعليه الفتْوَى ؛ لكن يعلمه من غير أن يشرط على تعليمه شيئًا ، وأمَّا الشرط على حفظه ، أو على الكتابة فيجوز وإن جِيءَ للمعلم بهدية فله أن يقبلها ، وله أخذ الحَلَاوِي المرسومة على رءوس السور .

قال شيخنا علاء الدين أفندي : ويُجبر القاضي أبَ الصغير على إعطائها ، ويحبسه إن امتنع ، وإذا رَقَّى أحداً فله أخذ ما أُعْطِيْه من أجل ذلك ؛ فقد رُوِيَ عن أبي سعيد الخُدْرِي رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ كان بغزاة ؛ فمرَّ على قومٍ من العربِ ، وقد لُذِعَ أحدهم فطلبوا راقيًا ؛ فَرَقاه واحد ممن كان مع النَّبي ﷺ فجعلوا له قطيعًا من الغنم ؛ فبلغ النبي ﷺ فقال للراقي بِمَ رَقَيْتَهُ؟ قال : يا رسول الله ؛ بفاتحة الكتاب . قال : فما يُدْرِيْكَ بأنها رُقْية ، قال : ألهمني الله ذلك ، قال ﷺ خذوا القطيع واجعلوا لي فِيْه سهمًا[٢] ؛ فَعُلِمَ بهذا جواز العطية و الأخذ .

وينبغي للراقي أن يُرْقِيَ بالآيات القرآنية ، وبالأسماء الربانية المعروفة بين الناس ، لا بالأسماء المُبهمة كقول بعض الناس شراً هيًا أهيًا إذ وناي أصَبوت ،مما ليس بعربيٍ فربما يكون التلفظ به مكفراً ؛ فيَكْفر الإنسان من حيث لا يشعر ، فربما

(١) الحديث عن عثمان ﷺ أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه) ٤/ ١٩١٩ ، وأبو داود (كتاب الصلاة ، باب في ثواب قراءة القرآن) ٢/ ٩٩-١٠٠ ، وأحمد في المسند ١/ ٤٧١ .

(٢) الحديث عن أبي سعيد الخدري أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن ، باب فضل فاتحة الكتاب) ٤/ ١٩١٣-١٩١٤ ، ومسلم (كتاب السلام ، باب جواز أخذ الأجرة على الرُقية بالقرآن والأذكار) ١٤/ ١٩٥-١٩٦ .

يظهر لتلك الأسماء تأثيراتٌ لأجل غرور الجُهَّال ، ويجوز كتابة القرآن بالأجرة مع نَقْطه وتعشيْره[١] ؛ لأنَّ المسلمين توارثوه ؛ بل تقدَّمَ أنَّ له الأجر . وينبغي للقاريء أن يقرأَ القرآن كلِّ عام بتمامه مرةً أو مرتين ؛ فمن فعل ذلك فقد أدَّى حقه فلا يترك القراءة من غير عُذْرٍ بحيث ينساه .

فعن أنس ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال : عُرِضَتْ عَلَيَّ أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد ، وعُرِضَت عَلَيَّ ذنوب أمتي ؛ فلم أرَ ذنبًا أعظم من آية أو سورة أُوتِيْهَا رجلاً فنسيها[٢] .

[فصل في الرؤيا]

ومما يقع للمؤمن الرؤيا ، ولا يقصُّها إلا على عالمٍ مُتَقٍ ، ويُعَبِّرُ[٣] بما هو خير .

فعن أبي سعيد الخُدْري ﷺ قال : قال النبي ﷺ : إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من أمر الله تعالى فليحمد الله تعالى عليها ، وليُحَدِّثْ بها ؛ وإذا رأى غير ذلك مما يكرهه فإنما هي من الشيطان فليستعذ بالله من /[١٣٧و] شرها ، ولا يذكرها لأحدٍ فإنها لا تضره[٤] .

وعن أبي قتادة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : الرؤيا الصالحة من الله ، والحُلْمُ

---

(١) التعشير هو : كتابة علامة عند منتهى عشر آيات .
قال قتادة : بدءوا فَنَقَطُوا ، ثم خَمَّسُوا ، ثم عَشَّرُوا . انظر تفسير القرطبي (مقدمة المصنف ، باب ما جاء في ترتيب سور القرآن ، وآياته ، وَشَكْله ، وَنَقْطِه ، وتحزيبه ، وتعشيره ، وعدد حروفه . . .) ١/ ١٠٢- ١٠٣ .

(٢) الحديث عن أنس أخرجه الترمذي (كتاب فضائل القرآن ، باب ١٩) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ٥/ ١٦٣- ١٦٤ ، وأبو داود (كتاب الصلاة ، باب في كنس المسجد) ١/ ٢٢٦ .

(٣) تعبير الرؤيا : تفسيرها .لسان العرب (مادة : عَبَر) .

(٤) الحديث عن أبي سعيد الخُدري أخرجه البخاري (كتاب التعبير ، باب الرؤيا من الله) ٦/ ٢٥٦٣ ، والترمذي (كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا رأى رؤيا يكرهها) . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٥/ ٤٧١ ، وأحمد في المسند ١٧/ ١٠٨ .

من الشيطان ؛ فمن رأى شيئًا يكرهه ؛ فَلْيَتْفِلَ عن شماله ثلاثًا ، وليتعوَّذ من الشيطان فإنها لا تضره[١] . وعن ابن سيرين[٢] أنه قال : وليقم وليصل ركعتين ، ولا يقصها على أحد ؛ فإن قُصَّتْ وقع بأمر الله كما يقص . فقد جاءت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان زوجها غائبًا ، فقالت : يا رسول الله ؛ إني رأيت في منامي أنَّ جَائِزَ[٣] بيتي انكسر ؛ فقال : خيرًا ، إن شاء الله يعود غائبك ، فما مضت مدة إلا عاد ، فرأت مرة أخرى مثل ذلك فجاءت إلى النبي ﷺ فلم تجده ، ووجدت أبابَكْرٍ وعمر رضي الله عنهما فقصَّت ذلك عليهما فقالا لها : يموت زوجك . فلما جاء النبي ﷺ أقبلت فقصَّت عليه ذلك ؛ فقال : هل عرضتيها على أحدٍ؟ قالت : نعم ، فقال : هو كما قيل لك[٤] .

فما مضى زمانٌ إلا وجاءها خبر زوجها ، ولذا قال السلف : لا تقص الرؤيا إلا على حكيمٍ أو ذو ودادٍ ورحمة ؛ لكن قال بعض العلماء : إنَّ حُكْمَ الرؤيا لا يتغير بتعبير الجاهل ، وما يقع كما قصَّ فلكرامة في المُعَبِّر . ومن الرؤيا الحسنة أن يرى العلماء والصالحين في منامه -خصوصًا- رؤية النبي ﷺ فقد قال ﷺ : من رآني في المنام فقد رآني حقًا ؛ فإن الشيطان لا يتمثَّلُ بي[٥] .

---

(١) الحديث عن أبي قتادة أخرجه البخاري (كتاب التعبير ، باب الحِلْم من الشيطان) ٦/ ٢٥٧١ ، ومسلم (كتاب الرؤيا) ١٥/ ٢١ .

(٢) هو محمد بن سيرين البصري ، الأنصاري بالولاء ، أبو بكر ، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة ، تابعي ، مُحَدِّث ، اشْتُهِرَ بالورع وتعبير الرؤيا . يُنْسَب له كتاب : تعبير الرؤيا . مات سنة ١١٠هـ . انظر عنه : حلية الأولياء لأبي نعيم ٢/ ٢٦٣-٢٨٢ ، والخلاصة للخزرجي ص ٢٨٠ .

(٣) الجائز : هو الخشبة التي توضع عليها أطراف العوارض في سقف البيت . والجمع أجوزة . النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير .

(٤) انظر : مجمع بحار الأنوار لمحمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني المتوفى ٩٨٦هـ . والحديث فيه غير مسند ١/ ٤١١ .

(٥) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب التعبير ، باب من رأى النبي ﷺ في المنام) ٦/ ٢٥٦٧ ، ومسلم (كتاب الرؤيا ، باب قول النبي ﷺ : من رآني في المنام ؛ فقد رآني) ١٥/ ٢٨ .

وقال : مَنْ رآني في المنام فسيراني في اليقظة[١] . فمن أحب أن يرى النبي ﷺ في منامه ، قال شيخنا محمد الكاملي ، ومن خطه نَقَلْتُ ، وعن إجازته رَوَيْتُ : أن يُكْثِرَ ليلة الجمعة من الاستغفار قبل منامه ، ويقول : اللهم صلي على سيدنا محمد الذي ملأت قلبه من جلالك ، وعينيه من جمالك ، وأذنيه من لذيذ خطابك ، ويديه من نوالك . فأصبح فَرِحًا مسروراً مُؤَيَدًا منصوراً متوّجًا مَحْبُوراً[٢] يُجَابِرُ كسيْراً ويُوَقِرُ كبيراً ، ويرحم صغيراً ، يقول ذلك ثلاثًا ، ثم يقول : اللهمّ أرني وجه سيدنا ومولانا محمد ﷺ حالاً ومآلاً ، ثمّ يَضَّجِعُ على شقه الأيمن عَلَىْ طُهْرٍ وإن لم ير ، يكرر ذلك ، ويُعيدُ إنْ رأى ليلتذ برؤيا النبي ﷺ . وقال أستاذي علاء الدين أفندي المُفْتِيْ : رؤيا النبي ﷺ تدل على ختام الخير للرائي ، وعلى نيل شفاعته له في الآخرة . ولله الحمد قد تيسرت لي رؤية النبي ﷺ ثلاث مرات وأرجو إكمال النعمة بوقوعها مرات في الآخرة . هذا وبخلاف مَنْ تجرأ على المعاصي وأكل أموال الناس بالباطل فإنه من علامات سوء الخاتمة ، والعيَاذُ بالله تعالى .

ومما يُنْدَبُ النوم على الطهارة ؛ فقد تقدَّمَ من حديث قاله النبي ﷺ : مَنْ باتَ طاهراً بات في شِعَارِهِ مَلَكٌ لا يستيقظ ساعةً من الليل إلا قال المَلَكُ : اللهمَّ اغفر لعبدك فلان فإنه بات طاهراً[٣] .

قال العلماء : وإن استطاع أن يكون دائمًا على الطهارة فَلْيَفْعَلْ ، فقد /[١٣٧ظ] قال النبي ﷺ لأنس ﷺ : إنْ أتاكَ الموت وأنت على وضوءٍ لم تَفُتْكَ الشهادة[٤] .

---

(١) الحديث بهذه الرواية عن أبي هريرة أخرجه البخاري (الموضع السابق) ٦/ ٢٥٦٧ .

(٢) محبوراً : مسروراً لسان العرب (مادة : حَبَرَ) .

(٣) الحديث عن ابن عمر أخرجه الطبراني في الكبير ١٢/ ٣٤١ ، وابن حبان (كتاب الطهارة ، باب استغفار المَلَكْ للبائت متطهراً عند استيقاظه) ٢/ ١٩٤ ، والهيثمي في مَجْمَع الزوائد (باب فيمن يبيت على طهارة) ١/ ٢٢٦ .

(٤) انظر المطالب العالية لابن حجر العسقلاني (باب الوصايا النافعة) ١٣/ ١٠٦ ، وتنبيه الغافلين للسمرقندي . (باب الحسد) ص ١٤٥ .

وَنَدَبَ[١] إذا أخذ الإنسان مُضجَعَهُ أن يقول : بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم[٢] ، ويدعو ، ومما ينفع لدفع أذى الحية والعقرب ، إذا قال عند مُضجَعه : سلام الله على نوحٍ في العالمين ؛ فقد أَعْطَتَا العهد لَمّا أدخلهما في السفينة أنه لا يذكره أحد فيؤذيانه . وندب إذا استيقظ أن يقول : الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور[٣] .

قال العلماء : فمن قال ذلك فقد أدّى شكر ليلة ، ويُنْدَبُ أن يُعَوِّدَ الإنسان لسانه على البسملة في جميع حركاته ، وعلى الحمد له بعد كل شيء ، فمن داوم على ذلك دخل الإيمان قلبه . ويُكْره النوم أوّل النهار ، وبعد المغرب ، وبعد العشاء حتّى يُمْضِيْ حصَةٌ لأنه أهنأُ للنوم ، ويحتمل أن يكون اللفظ بفتح العين أعني بعد الأكل المُسَمَّى بالعَشاء ؛ لأنه يُورِثُ التُخْمَةَ ، ويستحب النوم أوسط النهار .

وَرُوِيَ عن ابن عباس[٤] رضي الله عنهما أنه لقي بعض أولاده نائمًا وقت الصبيْحَةَ فَوَكَزَهُ[٥] برجله ، وقال : قم يا ولدي لا أَنامَ الله عينيك ، أتنام في الساعة التي تُقَسَّمُ فيها الأرزاق ، أوَما علمت يا ولدي أنّها النومة المُكْسِلَةُ ، المُهْرِمَةُ ، المُنْسية

---

(١) عند الفقهاء الندب : خطاب الشرع الدال على طلب الفعل طلبًا غير جازم ؛ كما في قوله سبحانه : فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرًا) . النور :٣٣ . انظر : معجم لغة الشريعة ، تصنيف سعدي أبو جيب (مادة : ندب) .

(٢) لفظ الحديث : من قال في أول يومه ، أو في أول ليلته بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، ثلاث مرات لم يضره شيء في ذلك اليوم أو في تلك الليلة . عن عثمان بن عفان أخرجه الترمذي (كتاب الدعوات ، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . ٥/ ٤٣٤ ، وأحمد في مسنده ١/ ٤٩٨ .

(٣) جزء من حديث عن حذيفة أخرجه البخاري (كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا أصبح) ٥/ ٢٣٣٠ ، والحديث عن البراء بن عازب أخرجه مسلم (كتاب الذكر والدعاء ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع) ١٧/ ٣٧ .

(٤) الأثر عن ابن عباس ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٤١٨ ، والعجلوني في كشف الخفاء ٢/ ٢٣ ، والدينوري في المجالسة وجواهر العلم ٥/ ٢٢١ .

(٥) وكَزه وكْزًا : دفعه وضربه . لسان العرب (مادة : وكز) .

للحاجة؟ ، ثمَّ قال : يا ولدي النوم ثلاثة : خُلُقٌ وهو النوم وقت الهَاجِرَة ، فإنَّ النبي ﷺ قال : قَيِّلُوا ؛ فإنَّ الشياطين لا تُقَيِّلْ[1] ، وحمق : وهو نومة الضحى ، وَخَرَفٌ ، وهو النوم آخر النهار لا يفعله إلا أحمق أو سكران أو مريض لمرضه والله أعلم .

فصل في المروءة

عن علي رضي الله عنه قال ، قال ﷺ : من عامل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يُخْلِفْهُم ؛ فهو مؤمن ممن كَمُلَتْ مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت أُخُوَّتُهُ[2] .

وَسُئِلَ بعضهم عن المروءة؟ : فقال : تَرْكُ أربعة أشياء : الرياء ؛ فالمرائي مع ذله لا مروءة له ، والتبذير ؛ فإنَّ مَنْ ضَيَّعَ ماله حتى احتاج إلى غيره لا يُعد كريمًا ؛ ولكن من قليلي المروءة ، وترك أهله عالةً على الناس مع قدرته على تقديم ما يحتاجونه ؛ فإنَّ ذلك من قلة المروءة ، وتناول ما لا يوافقه من الطعام والشراب ، والشَرَه في ذلك من قلة المروءة أيضًا .

وَسُئِلَ بعضهم[3] ، فقيل له : ما أفضل العقل؟ قال : معرفة المرء نفسه ؛ فإذا عرف نفسه لم يَتَعَدَّ على غيره ؛ فبعضهم يكون في فاقة فيصبح في نعمة فليشكر الله

---

(١) الحديث عن انس أخرجه الطبراني في الأوسط ١/ ١٣ ، والهيثمي في مَجْمَع الزوائد (باب القيلولة) ٨/ ١١٢ .

(٢) الحديث – غير مسند- ذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين (الفصل السابع في المروءة) ص ٢٧٤- ٢٧٥ .

(٣) المسئول هو قس بن ساعدة ، ذكره أبو علي القالي في كتاب الأمالي (مليحات الوليد بن عقبة) ٢/ ٣٧ .

لتدوم له النعم ؛ لأنَّ دوام النعَم بالشكر ، كما قال تعالى : ﴿وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[١] وليحذر الغرور ؛ لئلَّا يقع في ألسنَة الناس حتى إنه يُقَالُ في حقه : الكلب ما عسى أن يحصل له السمن ، لا يُؤْكَل[٢] .

والنعم إنما تكون إذا حَصَلَتْ[٣] له من وجْه حَلٍ ، وإلا فهي نقمة تعود على صاحبها بالحَسَرَاتِ في /[١٣٨و] في عَرَصَاتِ[٤] القيامة يوم العرض على الله تعالى .

وقيل له : وما أفضل العلم؟ قال : أن يُزِيْلَ الجهل عن نفسه ، ومن قُبْحِ الجهل أنَّ الجاهل إذا قيل له يا جاهل اشتدَّ غيظًا .

وقيل له : وما المروءة؟ قال : استبقاء المرء ماء وجهه ولا يكون من محمري الوجوه .

ويُرْوَى عن الإمام المُبَجَّلْ أحمد بن حنبل أنَّه كان لمَّا يسجد يقول : اللهمَّ كما صُنْتَ وجهي عن السجود لغيرك فَصُنْهُ عن المسألة لغيرك[٥] . وقيل له : وما فضل المال؟ قال : ما قضى منه الحقوق من زكاة ، أو دَيْنٍ ، أو نفقة ، أو غير ذلك .

قال بعض الحكماء : أفضل المروءة أن يكون الإنسان صادقًا في مقاله ، وافيًا لعهده ، مُعْطيًا بطِيب نفسٍ لما ترتب عليه من الإنفاق ، فما بالك بمن يَدَّعِي العُسْرَةَ ؛ ليفرض القاضي عليه النفقة لأولاده من مُطَلَّقَته كل واحد قطعة مصرية[٦] ؛ فهل تكون المصرية كافيةً لِمؤنته ، وكسوته وزينته لشَغْلَه ، فمن أينَ يحصل اليُسْرُ والبركة

(١) جزء من الآية رقم ٧ من سورة إبراهيم .
(٢) انظر : كتاب الأمالي لأبي علي القالي : (مُلَيْحات الوليد بن عقبة) ٢/ ٣٧ . .
(٣) في الأصل حصل ؛ وهو خطأ والصواب ما أثبتناه .
(٤) العَرَصاتُ : جمع عَرْصَة ، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه . لسان العرب (مادة : عرص) .
(٥) انظر حلية الأولياء لأبي نعيم (ترجمة أحمد بن حنبل) ٩/ ٢٣٣ .
(٦) قديمًا عَرَفَ العامة فلوسًا من النقد باسم : المصاري ، وفي بعض أنحاء سوريا : المِصْرِيَّات (جمع مصرية) انظر : معجم متن اللغة العربية ، لأحمد رضا (مصر) ٥/ ٣٠٧ .

مع التقصيرِ على عياله ، ألَمْ يسمع قوله ﷺ : ضَيَّع الله مَنْ ضَيَّع عياله[١] .

ومن دعا عليه المصطفى ﷺ المعصوم المُجاب دعاؤه كيف يكون حاله .

قال بعض الحكماء : أيضًا المروءة : باب مفتوح ، وطعام مبذول ، وقيام في حوائج الناس بالحق . ومن المروءة ، صدق اللسان ، وبذل المعروف والإحسان ، وَتَحَمُّلُ أذى الإخوان ، وكفُّ الأذى عن كل إنسانٍ من الأباعد ، والأقارب ، والجيران . وتمام المروءة في عفة النفس عمَّ في أيدي الناسِ ، والعفو عمَّ يكون منهم من الهفوات والتقصيرات .

ولذا روى عن على بن أبي طالبٍ ﷺ أنه قال لابنه الحسين رضي الله عنه لَمَّا سأله عن المروءة : هي العَفَافُ والرضى بالكفاف ، وملك النفس عن هفواتها ، والإحسان في العسرة واليُسْرِ ، ثمَّ قال : وما الشؤم يا أَبَت؟ قال : إعجاب المرء بنفسه وهتك عِرْضه بالتعرض لمواطن التهم ، وأنه يرى جميع ما يُنفقه ولو بحق تَلَفًا ، فلا يليق بالإنسان أن يُخالط المتهمين ؛ فقد قال تعالى : ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾[٢] .

وقال ﷺ : من تَشَبَّه بقومٍ فهو منهم[٣] .

وعن لقمان : مَنْ يَصْحَبْ قرناء السوء لا يَسْلَمْ ، ومن تعرَّضَ لمواطن التهم

---

(١) لفظ الحديث : كفى بالمرء إثمًا أن يحبس عمن يملك قوته . عن عبد الله بن عمرو أخرجه مسلم (كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة على العيال . . .) ٧/ ٨٦ . والحديث بلفظ : كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يقوت . عن عبد الله بن عمرو أخرجه أبو داود (كتاب الزكاة ، باب في صلة الرحم) ٢/ ٢١٩ .

(٢) جزء من الآية رقم ١٤٠ من سورة النساء .

(٣) الحديث عن ابن عمر أخرجه أبو داود (كتاب اللباس ، باب في لبس الشهرة) ٤/ ٢٠٤ ، وأخرجه أحمد في المسند بلفظ أتم منه : بُعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يُعْبَدَ الله وحده . . . . عن ابن عمر ٩/ ١٢٣ ، وعبد بن حُمَيد في مسنده ص ٢٦٧ .

يُتَهَم ، ومن لا يملك لسانه يندم[١] . ومر ذلك . فالمروءة في مجالسته أهل الدين ، والصلاح ، ومجالسة أصحاب المروءة من أهل الدنيا ؛ فإنهم لا يتكلمون بالفحشاء في مجالسهم .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ يَأْمُرُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[٢] فهذه الآية جامعة لجميع خصال المروءة .

ومن الحكم ما قال الأحنف بن قيس[٣] : لا راحة لحسود ، ولا مروءة لكاذب ، ولا خَلَّةَ لبخيلٍ ، ولا وفاء لِمَلُول ، ولا سؤدد لسيء الخُلُقِ[٤] ، ولا إصابة لعجولٍ ؛ فإنَّ التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان ./ [١٣٨ظ]

قال إمامنا الإمام محمد بن الحسن[٥] تلميذ إمامنا الأعظم[٦] : ثلاثة أشياء من الدناءة : مشارطة أجرة الحمام ، والنظر في مرآة الحجّام ، واستقراض الخبز بالوزن[٧] .

---

(١) الأثر عن لقمان ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين (باب حفظ اللسان) ص ١٧٤ ، وابن المبارك في الزهد (باب فضل ذكر الله عز وجل) ص ٢٤٥ .

(٢) الآية رقم ٩٠ من سورة النحل .

(٣) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المري التميمي ، أبو بحر ، سيد تميم ، وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين ، يُضْرَب به المثل في الحِلْم . ولد في البصرة ، وأدرك النبي ﷺ ولم يَرَه .

وخطبه وكلماته متفرقة في كتب التاريخ والأدب والبلدان . توفي ٧٢ هـ ، انظر عنه : طبقات ابن سعد ٧/ ٦٦ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ٣/ ١٢٩ .

(٤) الأثر حتى هذا اللفظ عن الأحنف أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في الحث على ترك الحسد) ٥/ ٢٧٣ .

(٥) هو محمد بن الحسن بن فَرقد الشيباني ، أبو عبد الله الكوفي ، ولد بواسط ١٣٢ هـ أصله من الجزيرة ، لازَمَ حلقة أبي حنيفة ، وهو يكتسب أهمية خاصة في تاريخ المذهب الحنفي ؛ باعتباره الرجل الثالث بين رجاله بعد أبي حنيفة وأبي يوسف ، وهو إمام أهل الرأي ، وله مؤلفات كثيرة أشهرها : الكافي ، والآثار ، توفي ١٨٩ هـ انظر عنه : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٢/ ٥٦١- ٥٧٣ .

(٦) هو الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، سبق التعريف به ص ١١٢و .

(٧) انظر تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي (باب بيع الخبز بالبُر) ٤/ ٩٥ .

قالوا : إنه من شيم العيارين ، نعم يجوز استقراضه بالعدد ، وما زاد في بعض الأرغفة أو نَقُصَ مفتقر عادة .

ومن قلة المروءة الجلوس في الطرقات ، أو الحوانيت والمباحثة في العلم ، ورواية الحديث في ذلك خصوصًا قراءة الأعشار(١) لجر الإحسان حتَّى في بيوت الأعيان بقصد الجزاء ، فما بالك بالغناء لأجل ذلك -سيمَا- لمن يَتَزيًا بزي طلبة العلم من لبس الفراء ، ووضع العمة الكبيرة على رأسه -سيما- وتحشيتها بالأوراد والزهور ، ينتقم منهم الربُّ الغيور .

ومن المروءة ما قال بعضهم : وأحسن القول في ذلك :

وَمِنَ الْمُرُوءَةِ لِلْفَتَى بُنْيَانُ دَارٍ فَاخِرَه فإذا أتم بِنَاءَهَا يَبْنِي لِدَارِ الآخرة

ويُشْتَرَطُ في بنائها التقوى : أن لا يظلم أحدًا في شيء من أرضها .

وفي الحديث : من ظلم قيد شبرٍ من أرض طوَّقه إلى سبع أَرَضِيْنَ يوم القيامة[٢] ؛ خصوصًا إذا قصد تغيير الحدود ، فإنه ملعون بنص رسول الله ﷺ[٣] فما بالك بالدور والأراضي الموقوفة فيأخذ ذلك بمُسَوِّغ ، ولا يخفى على الله شيء في الأرض ولا في السماء ، وبعضهم يطرح شهادةً بالخط والمصلحة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ومن الشروط إعطاء الفَعَلَةِ أجورهم تمامًا من الدراهم الجيدة ، وَاشْتِرَاءُ الآلات

---

(١) سبق شرح الأعشار .

(٢) الحديث عن عائشة أم المؤمنين أخرجه البخاري (كتاب المظالم ، باب إثم مَنْ ظلم شيئًا من الأرض) ٢/ ٨٦٦ ، ومسلم (كتاب المساقاة ، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها) ١١/ ٥١ .

(٣) لفظ الحديث : لعن الله من ذبح لغير الله . . . لعن الله منْ غَيَّرَ تُخُومَ الأرض . عن علي رضي الله عنه أخرجه مسلم (كتاب الأضاحي ، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله) ٦/ ٨٤ ، ٨٥ . وأحمد في المُسند ٢/ ٢١٢ ، الحديث عن سعيد بن زيد أخرجه البيهقي في السنن (كتاب الغصب ، باب التشديد في غَصْبِ الأراضي وتضْمِيْنِهَا بالغصب) ٦/ ١٦٢ .

وما تقوم به العمارة بثمنها الوافي ، وإعطاء ذلك من غير مَطْلٍ ؛ فإنَّ مَطْلَ الغنيِ ظلم[١] ، والظلم ظلمات يوم القيامة[٢]

ومن المروءة أن يحفظ الإنسان الآداب في جميع أموره من طهارة وصلاة ، وصوم ، وحج ، وصُحبة ، وبيع ، وشراء ، وفي جميع المعاملات ؛ فإنَّ مَنْ لا آداب له لا دينَ له ، ومتى ترك الإنسان الآداب تَسَلَّط عليه الشيطان ؛ فخرَّب حصونه الخمسة التي هي من الذهب ، والفضة ، والحديد ، والأجرِ[٣] ، واللَّبِنْ[٤] كلما خَرَّب حصنًا يُسَلِّطُ على غيره ، والحصون في الحقيقة : اليقين ، والإخلاص ، وأداء الفرائض ، وإتمام السنن ، وحفظ الآداب .

(١) حديث : مَطْل الغني ظلم ، عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب الحوالات ، باب في الحوالة وهل يرجع في الحوالة) ٢/ ٧٩٩ ، ومسلم (كتاب المساقاة ، باب تحريم مطل الغني) ١٠/ ٢١٩ . والمَطْل : هو التسويف والمدافعة بالعدة والدَّينِ . مَطل فلان حقه : أَجَّلَ موعد الوفاء به مرة بعد أخرى . انظر معجم لغة الشريعة لسعدي أبو جيب (مادة : مطل) .

(٢) جزء من حديث أوله : اتقوا الظلم .... عن جابر أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم) ١٦/ ١٣٧ ، وأحمد في المسند ٢٢/ ٣٥٢ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في الجود والسماحة) ٧/ ٤٢٤ ، والطبراني في الأوسط ٩/ ٢٥٦ .

(٣) الآجر : الطين يُشْوَى بالنار ويستخدم في البناء . لسان العرب (مادة : أجر) .

(٤) اللَّبِن : نوع من الطوب يُصْنَع من الطين والرمل والماء مع مادة رابطة مثل قشور الارز أو القش ، ويُتْرَكْ هذا المزيج المتيبس ليجف لمدة خمسة وعشرين يومًا . لسان العرب (مادة : لبن) .

فصل في خصال ينبغي للإنسان أن يتصف ؛ أي يتخلَّق بها

وذلك بعد أن يعرف نفسه ، قال ﷺ : من عرف نفسه ؛ فقد عرف ربه[(١)] . ومرَّ معناه . وعن علي ﵁ : ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه[(٢)] . ومن نصائحه ﵁ : مَنْ لَانَتْ كَلِمَتُهُ وَجَبَتْ مَحَبَتَه[(٣)] ؛ وذلك بالسلام والشفاعة بحق ، والنُصْحُ ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر بلطف ، ومنها : سَلْ مَنْ شِئْتَ تكن ذليله ؛ لأنَّ السائل محتاج إلى من يسأل منه حاجة ، وضده : اعط مَنْ شئت تكن أميره ، ولذا كانت اليد العليا ؛ وهي العاطية ، أفضل من اليد السفلى وهي الآخذة ، ومنها : استغن عمن شئت تكن نظيره[(٤)] ؛ فإنَّ أصحاب/ [١٣٩و] المروءة كانوا يَصِلُوْنَ إلى شدة الفقر ، ولا يُضِيْعُوْنَ ماء وجههم .

يقال : خمسة لا تصلح من كل إنسان ، وهي من خمسة أقبح : الكذب من أرباب الحَلِ والعقد ، والحرص في الزهاد ، وسفاهة اللسان في ذوي البيوت والشرف والأعيان ، والبخل في ذوي الأموال -خصوصًا- في الأشياء الواجبة عليهم ، والبخل منهم على عيالهم وأنفسهم أقبح ، والتطاول من الفقراء على الأغنياء[(٥)] . وزِيْدَ على هذا أن من جملة الخصال القبيحة : الحِدَةُ في الحُكَام ، والطمع في العلماء ، والكبرياء في الفقراء ، وإتيان العلماء ، وحَمَلَةُ القرآن ، والزهاد إلى أبواب أصحاب الدنيا ما لم يطلبوا بإعزاز وإكرام ، والفترة في طاعة الله في حق الشيوخ ، والجبن في الغزاة ، وَتَشَبُهُ الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال .

---

(١) سلف تخريجه ص ١١٩و .

(٢) انظر تفسير الثعالبي (البقرة : ٢٧٥) .

(٣) انظر كشف الخفاء للعجلوني ٢/٢ ٥٥ .

(٤)القول منسوبٌ لعلي بن أبي طالب ذكره النجدي في تطريز رياض الصالحين (باب القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق ، وذم السؤال من غير ضرورة) ص٣٥٠

(٥) القول غير منسوب ذكره السمرقندي في بستان العارفين (الباب الثالث والأربعون بعد المئة في كلام الحكماء) ص٤١١ .

وعن إبراهيم بن زياد العَدْوَى : ثلاثة تُفْرِحُ القلب ، وتُزِيْدُ في العقل : الزوجة الجميلة ، والكفاف من الرزق ، والأخ الصالح المؤنس . وأنقص الناس عقلاً من ظلم مَنْ دونه[١] .

ومما يقع به الناس الكفالة ، فإنَّ أولها ندامة ، وأوسطها ملامة ، وآخرها غرامة .

أربعة إذا أفرط في محبتها الرجل أهلكته : النساء ، فإنَّ الإفراط في محبتهنَّ يُطمعهنَّ في أمر الرجل ، والصيد فإنَّ الإفراط فيه ربما أداه إلى التفريط في طاعة الله - سيما- مافرض عليه من الصلوات كما هو مشاهد ، والقمَارِ والخمر مجرد تعاطيهما حرام ، والإفراط بهما مهلك ؛ أي للمال والنفس كما لا يَخْفَى .

ومِن حكَمِ بعض الحكماء : مَنْ صحب ذا بدعة وفسق أفسد عليه دينه ، ومن أكثر المزاح ذهب بماء وجهه ، ومن مدح مبتدعًا أو ظالمًا أو فاسقًا فقد أعانه على ماهو مُنْطَوٍ عليه ، ومن طمع في مال غيره ذهبت البركة من ماله ؛ أي من مال نفسه ، أو من مال الغير ؛ لأنه صار معيونًا[٢] ، والعين لها تأثير في إذهاب البركة ، ولها تأثير في الأبدان أيضًا .

قال النبي ﷺ : العين حق ، وإنها لَتُدْخِلُ الجَمَلَ القدر ، والرجل القبر[٣] ، ولذا قال العلماء : مما ينبغي : أن لا يُكثر من لبس الثياب الفاخرة ، وإذا جاء بشيء لبيته فليأت به خفية ، ومن تواضع لغنيٍ ذهب ثُلُثَا دينه ، ومن قنع بما أُعْطِيَ استغنى عمَّ لا يُعْطَاهُ ، ومن عمل بما علم وفقه الله إلى معرفة ما لم يعلم ، ومن ترك ما لا يعنيه تفرغ

(١)القول منسوبٌ لإبراهيم بن زياد العدوي ذكره السمرقندي (الموضع السابق) ص٤١١ .
وإبراهيم لم نجد له ترجمة .

(٢) معيونًا : أصابه العين ؛ أي المحسود .

(٣) الحديث بهذا اللفظ ذكره أبو نعيم في الحلية عن جابر (ترجمة أبو سفيان الثوري) ٧/ ٩٠ . وحديث : العين حق . دون زيادة متفق عليه عن أبي هريرة . والزيادة ضعيفة . انظر البخاري (كتاب الطب ، باب العين حق) ٥/ ٢١٦٧ ، ومسلم (كتاب السلام ، باب الطب والمرض والرُقَى) ١٤/ ١٧٦ . وانظر كشف الخفاء للعجلوني ٢/ ٧١ .

لما يعنيه ؛ ما لا يعنيه : ما لا ينفعه ، وما يعنيه : ما ينفعه ، ومن تذكر العواقب لم يُخاطر بنفسه .

واعلم أنَّ السَّمَرَ بعد العشاء ثلاثة أقسام : إمَّا أن يكون في العلم فهذا أفضل ، وقد سَمَرَ ابن عبَّاسٍ ومسروق بن مخرمة عند النبي ﷺ إلى طلوع الثريا[١] ، وإما أن يكون في أساطير الأولين ، والحكايات الكاذبة ، والمُسْخَرِ به والضحك ، فهذا حرام ، وإما أن يكون للمؤانسة ؛ فينبغي أن يُخْتَمَ بالتسبيح ، والتهليلِ ، والاستغفار - سيما - /[١٣٩ظ] للمسافر ليدفع النوم في مسيره وللمصلي ليدفع عنه النوم حتى يصلي - سيما - أيام الصيف ، وطول الحصة بين المغرب والعشاء . ومما شاهدناه من الجهلة إنهم يأتون إلى الجامع الأموي ويضَّجعون فيه ؛ فيأخذهم [النوم] فإذا سمعوا الأذان قاموا وصلُّوا مع أن وضوئهم قد انتقض ؛ فإنه يُسْمَعُ من بعضهم النفخ[٢] ، ومع هذا يكابرون في المحسوس ويقولون ما غفلنا ، واعلم أنَّه مما يقع كثيراً المكاتيب التي تأتي من الإخوان ، فإذا وصل إلى يد إنسانٍ مكتوب فَرَدُّ جواب سلامه واجب .

قال إمامنا الإمام أبو الليث السمرقندي[٣] : لأنَّ الكتابة من الغائب كالسلام من الحاضر . وتواصل الكُتُبِ مندوب ، فإنَّ النبي ﷺ قال : تواصلوا بالكتب وإن شَطَّتِ الديار[٤] ؛ أي بَعُدَتْ ، وينبغي أن يُخْتَمَ .

---

(١) لم نجده

(٢) نَفَخَ بِفَمِه نَفْخًا إذا أخرج منه الرِيْحُ ، يكون ذلك في الاستراحة والمُعالجة ونحوهما . لسان العرب (مادة : نفخَ) .

(٣) هو نصر بن محمد الحنفي ، أبو الليث السَمَرْقَندي ، من الزُهَّاد المتصوفين ، له تصانيف نفيسة ، منها : تَنبيه الغافلين ، وبستان العارفين ، وشرح الجامع الصغير في الفقه . وغيرها كثير . مات سنة ٣٧٣ هـ . انظر عنه : الجواهر المُضيئة لعبد القادر القرشي المصري ٢/ ١٩٦ ، وهدية العارفين للبغدادي ٢/ ٤٩٠ . ولم نجد قوله فيما بين أيدينا من كتب .

(٤) جزء من حديث عن أنس أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار ١/ ٢٨٩ .

فعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال : كرامة الكتاب ختمه[١] .

وعن عمر ﷺ : أيما كتاب ، ويُرْوَى أيما صحيفة ، لم يكن مختومًا فهو أغْلَف[٢] ، والختم أبعد عن الرِيْبَة ، وإنْ كان غير شرعيٍ في وثائق الديون والحقوق إذ العبرة فيها بالشهود . والمذهب : إن ترك التَخَتُّمِ لمن لا يحتاجه أفضل .

ومما ينبغي أن لا ينام في بيت وحده ، ولا أن يسافر وحده ؛ فإنَّ الشيطان يهم بالواحد والاثنين ؛ فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم .

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما : شر الناس من أكل وحده ، وضرب عبده ، ومنع رِفْدَهُ[٣] .

والتوسعة على العيال مطلوبة ؛ فعلى نفسه بالأولى .

عن جابر ﷺ قال : قال ﷺ : ليس منا مَنْ وسَّعَ الله عليه ، ولم يُوَسِّعْ على عياله ونفسه[٤] .

وعن الحسن البصري : مَنْ وسَّعَ على نفسه وعياله وسَّع الله عليه ، وإنْ أمسك عن نفسه وعياله ، ضُيِّقَ عليه[٥] .

(١) انظر تفسير البغوي (النمل :٢٩) ٣/ ٥٠٢ .

(٢) انظر تفسير القرطبي (النمل :٢٩) ١٣/ ١٩٣ .

(٣) الحديث مرفوعًا عن ابن عباس أخرجه الطبراني في الكبير ١٠/ ٣١٨ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب فيمن يُرجى خيره ، وخير الناس وشرارهم) ٨/ ١٨٣ .

(٤) لفظ الحديث : ليس منا مَنْ وسَّعَ الله - عز وجل- عليه ثم قَتَّر على عياله .... عن عائشة أم المؤمنين أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار ٢/ ٢١٤ .

(٥) الحديث عن ابن عباس - مرفوعًا- أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار ١/ ١١٢ .

مَطْلَبٌ في حُكْمِ النَذْرِ للأولياء الكِرامِ وللنبي ﷺ

ثم ليُعلم أنَّ ما يقع كثيراً من الناس العوام أنهم يُنْذِرُوْنَ الدراهم ، والزيت ، والشمع ، والذبائح لضرائح الأموات من الأولياء الكرام تقَرُّبًا إليهم .

قال شيخنا العلائي في شرحه على التنوير بأنَّه بالإجماع باطل وحرام ، ما لم يقصدوا بذلك الصرف إلى الفقراء . فالذي يُنْذرُ للنبي ﷺ وغيره من الأنبياء الفخَامِ إن قيل بأنهم ميتون فالحكم كذلك ، وإن [قيل] بأنهم أحياء يأكلون ويشربون ، بل وينكحون ، ويعبدون الله في قبورهم ، كما ورد عن نبينا ﷺ مرَّ بقبر السيد موسى عليه السلام فوجده قائمًا يصلي في قبره[1] . فالحكم على هذا كالحكم في الأحياء ، نعم إنهم عليهم السلام في حكم الأموات من عدم رؤيتهم يقظة والاجتماع بهم ، والمكالمة معهم ، فإنهم قد حُجِبُوا عنَّا بعد موتهم المتبادر لنا . على أنه قد قيل بأنَّ الموت في حق من دونهم من الأفراد مجرد انتقال ، ففي حقهم أولى بالطريق كما لا يخفى ، وعلى هذا فما يُنْذَرُ للنبي ﷺ ينبغي الوفاء به ولا يتجاسر على تركه . فمن نذر /[١٤٠و] للنبي ﷺ نذراً فنسيه ، وقد كان تضرَّع بإرساله لدفع ما وقع به من مرض أو شدة أو من خوفِ وقوعه ، فلمَّا لم يفِ وقع فيما خافه أو خاف بوقوعه يغتسل نهار الخميس منقيًا ثيابه من الأدناس ؛ فإذا صلَّى العشاء من ليلة الجمعة يصلي أربع ركعات ويُهْدِيْ ثوابها للحضرة العَلِيَّة ﷺ مُقْلِعًا عمَّا ارتكبه ، ثم يصلي على النبي ﷺ ألف مرة ثمَّ يقرأ فاتحة الكتاب مرةً ، وسورة الإخلاص ثلاثًا والمُعَوِّذتين مرة مرة ، ويختم بآية الكرسي ، ثمَّ يقول : اللهمَّ إني أتوجه إليك باسمك الأعظم وبأسمائك الحسنى ، وبكل اسمٍ تقرَّب به إليك المتقربون أن تُرْضِيْ عني نبيك

---

(١) الحديث بلفظ : أتيتُ ، وفي رواية : مررتُ على موسى وهو يصلي في قبره . أخرجه مسلم عن أنس (كتاب الفضائل ، باب من فضائل موسى عليه السلام) ١٥/ ١٣٧ ، والنسائي (كتاب قيام الليل وتطوع النهار ، باب صلاة نبي الله موسى عليه السلام) ص٢٦٩ ، وأحمد في المُسْنَد ١٩/ ٢٤٣ .

محمداً ﷺ[1] وان تُزِيْلَ ما حلَّ بي ، وما أخافه بحرمته عندك ، وقدره لديك ، وأنا أستغفرك مما أخطأته ونسيته ، وحصَّنت نفسي ومالي وعيالي بألف ألف لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين .

خطبة نكاح

ومما ينبغي للواعظ إذا حضر مجلسًا وَطُلِبَ منه أن يخطب خُطْبَةً قُبيل إجراء عقد النكاح أن يحفظ هذه الجملة ويقول :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحاكم بعدله ، والشكر له سبحانه وتعالى على إنعامه وبذله ، وأتوب إليه وأستغفره استغفار مَنْ أقلع عن قبيح فعله ، وأستعز به وأستنصره . فمن أعزه مولاه عاد صعبٌ أمره إلى سهله ، وأسأله لي ولكم الوفاة على التوحيد ، والنظر إلى وجهه المجيد بشفاعة خير رسله ، ونشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا شبيْهَ ، ولامثيل له ، شهادة عبد أقبل على مولاه فلم يُوَلِه ، ونشهد أنَّ أسعدنا محمداً عبده ورسوله ونبيه ، وصَفِيُّهُ ، وخليله نبي أرسله الله بالهدى ودين الحق ليُظْهِرَه عَلَى الدين كله ، صلَّى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الكرامَ من أجله .

أمَّا بعد ، فإنَّ الله سبحانه وتعالى أحلَّ لنا النكاح ، وحرَّمَ علينا السِفَاحَ ، وبيَّنَ لنا حرام الدين من حله ، وعَمَّرَ الدنيا بسيدنا آدم عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة وأتم السلام وبنسله .

قال تعالى : ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا

---

(١) هذا كلام مُناف لجدة الصواب الديني والرجحان العقلي ؛ فنحن نستشفع بالأنبياء والرسل ؛ لأنهم الوجهاء الوسطاءُ لنا عند المولى جلَّى وعلا وليس العكس .

فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِه ﴾(١) وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِه وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾(٢) .

قال المفسرون ؛ أي متزوجون(٣) ، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ﴾(٤) أي عاقدون عقدة النكاح ، وقال النبي ﷺ وهو المُظَلَّلُ بالغمامة : تناكحوا تناسلوا تكثروا ، أُباهي بكم الأمم يوم القيامة(٥) . وفي رواية : ولو بالسِّقْط(٦) .

فنسأله سبحانه وتعالى أن يهدينا إلى الخير وسُبُله ، وأن يعصمنا من الشيطان وخبله . وكان مما قدَّره الله وقضاه وأراده وارتضاه اجتماعنا بسبب هذا العقد المبارك إن شاء الله المقترن بالسعادة أوله ، وأوسطه ، ومنتهاه ، وكل منا يقول : أَسْتَغْفِر الله غفَّار الذنوب ستَّار العيوب ، مُفَرِّجُ الكروب ، بمحمد وآله ومن على منواله آمين ، اغفر لنا ذنوبنا واستر عيوبنا ، وفرج كروبنا . آمين .

---

(١) الآية رقم ٣٢من سورة النور .

(٢) الآية رقم ١٠٢ من سورة آل عمران .

(٣) هذا رأي ينبو عن الصواب ، ولم يرد على وجه الثبوت في أقوال المفسرين .

(٤) الآية رقم ٧٠ من سورة الأحزاب .

(٥) لفظ الحديث : انكحوا فإني مكاثر بكم ، عن أبي هريرة ، وقد انفرد به ابن ماجه (كتاب النكاح ، باب تزويج الحرائر والولود) ٢/ ٥٩٥ ، والحديث ذ كما ذكره المصنف- عن ابن جريج أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (كتاب النكاح ، باب وجوب النكاح وفضله) ٦/ ١٧٣ ، وانظر كشف الخفاء للعجلوني ١/ ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٦) لم نقف على الحديث برواية : ولو بالسقط . هل من المعقول أن يُبَاهي رسول الله ﷺ بالسقط !

فصل

في قوله تعالى : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : [قال ﷺ] [٢] / [١٤٠ظ] : من كتم عن الناس علماً أُلْجِمَ بلجامٍ من نارٍ يوم القيامة[٣] .

وقال الحسن : لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم[٤] . ولا يُحَدِّث الواعظ بالأحاديث الكاذبة . ففي الحديث عن علي ﵁ قال : قال ﷺ : مَنْ حَدَّثَ بحديثٍ عني وهو يرى- يرى : يعلم - أنه كذب فهو أحد الكذابين[٥] .

والوعظ روح القلوب ، يفتح القلوب ؛ أي ينشطها ، قال ﷺ : روحوا القلوب ساعةً فساعة[٦] ؛ أي قلوب الناس بالعظة ، أو الناس أنفسهم باستماع العظة ؛ فالإنسان دائر بين شيئين : إما أن يكون عالمًا أو متعلمًا ؛ فينجو ، وإلا وقع في ضلال

---

(١) الآية رقم ٥٥ من سورة الذاريات .

(٢) إضافة اقتضاها السياق .

(٣) لفظ الحديث : من سُئل عن علم ثم كتمه ..... عن أبي هريرة أخرجه الترمذي (كتاب العلم ، باب ما جاء في كتمان العلم) قال أبوعيسى : حديث أبي هريرة حديث حسن ٥/ ٢٩ ، وأبو داود (كتاب العلم ، باب كراهية منع العلم) ٤/ ٤٥ ، وأحمد في المسند ١٦/ ٣٥١ .

(٤) الأثر عن الحسن البصري ذكره الغزالي في الإحياء (باب فضيلة العلم) ١/ ١١ .

(٥) الحديث عن المُغِيْرَة بن شعبة أخرجه الترمذي (كتاب العلم ، باب ما جاء فيمن روى حديثًا وهو يرى أنه كذب) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٥/ ٣٥-٣٦ ، وابن ماجه (المقدمة ، باب من حَدَّث عن رسول الله ﷺ حديثًا وهو يرى أنه كذب) ١/ ٣٨ . والحديث ذكره مسلم في مقدمة الصحيح - غير مسند- وقال عنه : الأثر المشهوز (أبواب المقدمة ، باب وجوب الرواية عن الثقات وترك الكذابين) ١/ ٩٦ .

(٦) الحديث عن أنس أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار ١/ ٤٠٤ ، ويشهد له ما في مسلم وغيره من قوله ﷺ : يا حنظلة ساعة وساعة . عن حنظلة (كتاب التوبة ، باب فضل دوام الذكر) ١٧/ ٦٩ . والترمذي (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب ٥٩) قال أبو عيسى : هذا حديث حَسَنٌ صحيح ٤/ ٥٧٤-٥٧٥ .

الجهل . قال ﷺ : لا خير فيمن لم يكن عالما أو متعلما[١] .

وقال عُروة لابنه : ما أقبح الشيخ الذي ليس عنده علم . ولا يجوز للإنسان أن يتوغَّلَ في علم النجوم ؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : لا تَتَبِعِ النجوم فإنها تُؤْدِيْ إلى الكهانة[٢] إلا بقدر ما يَعْرِفُ به الإنسان أوقات الصلاة ، بخلاف طلبة زماننا ؛ فإنهم يتركون العلم النافع ويضيعون أوقاتهم فى العلم غير النافع : كالتوغل في علم النَّجْمِ والمنطق ؛ فإنَّ التوغل في المنطق يؤدي إلى الفلسفة والرفض[٣] .

عن علي رضي الله عنه : يخرج في آخر الزمان قوم يزعمون أنَّهم من شيعتنا وليسوا منا ، يُقال لهم الروافض ، فإنَّا بَرَاءٌ منهم[٤] .

وعن عامر الشعبي : الرَّفض سُلَّمُ الزندقة ؛ فما رأيت رافضيًا إلا كان زنديقًا[٥] ؛ والزنديق : هو الذي يُبْطِنُ الكذب ويُظْهِر الإسلام[٦] .

وعن علي رضي الله عنه أنَّه قال على منبره : أيها الناس ؛ خير هذه الأمة بعد نبينا محمد ﷺ أبو بكر ، وخيرها بعد أبي بكرٍ ، عمر رضي الله عنهما[٧] . وقال محمد ابن الفضل ، وبعدهما عثمان ثم علي بترتيب الخلافة ، وقال : ثم أصحاب رسول الله ﷺ كلهم أخيار صالحون لا يُذْكَرونَ إلا بخير . عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال :

---

(١) لفظ الحديث : الناس عالم ومتعلم ولا خير فيما بعد ذلك . عن أبي الدرداء أخرجه الدارمي (المقدمة ، باب في ذَهَابِ العلم) ص ٩٥-٩٦ .

(٢) الأثر عن ابن عباس ذكره ابن حبان في كتاب الثقات (باب ومن روى عن أتباع التابعين) ٨/٣ .

(٣) هذا كلام يَنْبُو عن الصحة .

(٤) الأثر عن علي رضي الله عنه أخرجه السيوطي في الجامع الكبير (مسند علي بن أبي طالب) ١٧/ ٦٢٦ .

(٥) انظر بستان العارفين للسمرقندي (باب في الرفض) ص ١٣١ .

(٦) الزنديق عند الفقهاء : مَنْ يُظْهِرُ الإسلام ويُبْطِنُ من العقائد ما هو كفر بالاتفاق . وفي قول للحنفية والمالكية والشافعية : من لا يؤمن بوحدانية الخالق واليوم الآخر . انظر : معجم لغة الشريعة لسعدي أبو حبيب . (مادة : زندق) .

(٧) الأثر عن علي رضي الله عنه أخرجه أحمد في المسند ٢/ ٢٠٠-٢٠١ .

قال ﷺ : الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضًا بغدي ، فمن أحبهم أحبني ، ومن أبغضهم بغضني ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه[١] ؛ أي يَقْرُبُ أن يهلكه بإيذائهم ، ولا يلزم من الإيذاء أن يكون في حياتهم ؛ فإنَّ الحديث عامٌ ؛ بل قال العلماء : كل ما يؤذي الحي يؤذي الميت .

وقوله : غرضًا ، الغرض : ما يوضع نيشانًا لأجل ضرب السهام ؛ والمعنى : لا تجعلوا علامةً لضرب أسهم ألسنتكم ، وأشار النبي ﷺ إلى أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم فقال : لا يجتمع حب هؤلاء الأربعة إلا في قلب مؤمن[٢] .

وروى نوح بن أبي مريم عن أبي حنيفة أنه قال : من فضَّل أبا بكر ، وعمر ، وأحب عثمان وعلي رضي الله عنهم ورأي المسح على الخفين حقًا ، ولا يُكَفر أحدًا بذنب ، فهو من أهل السنة والجماعة[٣] ؛ فإن لم يُعْلَمْ السبُّ عن طائفة الأرفاض للشيخين ؛ وإنما وُجِدَ منهم مجرد البغض لهما - والعياذ بالله- من ذلك ، لا يُكَفَّرون /[١٤١و] فتجوز مناكحتهم ، وتحل ذبيحتهم ، وتجوز معاملتهم ، وإن سَبُّوا الشيخين فقد كَفَرُوْا ووجب قتلهم ، ولا تُقْبَل منهم التوبة ؛ فهم أشد حالًا من أهل الكفر ، وأما[٤] معاملة أهل الكُفْرِ من النصارى واليهود فلا بأس بها إذا كان لا بدَّ لنا منه ، ولا بأس أن نهديهم -وبالخصوص- إذا كان بينهم وبين المسلم قرابة ؛ فقد أهدى النبي ﷺ خاله جاريةً وهو بمكة ، وكان خاله كافرًا اسمه حزين بن شنبر . وعن

(١) الحديث عن عبد الله بن مغفل المزني أخرجه أحمد في المسند ٣٤/ ١٦٩- ١٧٠ .

(٢) الحديث عن أبي هريرة أخرجه عبد بن حميد في مسنده ص ٤٢٧ ، وذكره أبو نعيم في الحلية (ترجمة عطاء بن ميسرة) ٥/ ٢٠٣ .

(٣) القول ذكره عبد الرحمن الرازي المتوفي ٤٥٤ هـ في كتابه : الأحاديث في ذم الكلام وأهله ١/ ٧٨ .

(٤) كتب المُصَنِفُ عند هذا الموضع : الخامس عشر من عذب الملافظ فيما مَنَّ الله من المواعظ .

صفية أم المؤمنين رضي الله عنها أنها لمَّا مرضت مرض الموت أوصت بثلث مالها لإخوتها وكانوا من اليهود(٥) .

والناس أقسام : فمنهم من يُحَبُّ في الله ذاتًا وفعلًا ؛ وهو المؤمن النافع ، ومنهم من يُحَبُّ ذاتًا وهو المؤمن المؤذي ، وأمَّا الكافر فيُبغَض كفره ، ويُحَبُّ فعله إذا كان نافعا لنا ، وتجوز عيادته كما مرَّ مرارًا . من ذلك أنَّ النبي ﷺ عاد يهوديًا وعرض عليه الإسلام فأسلم ؛ فلما خرج من عنده قال : الحمد لله الذي عتق نَسَمَة من النار(٢) .

وعن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنَّه دخل على نصراني وهو في النَّزْع ، فقال له : تُب إلى الله يا هذا ؛ فلم يقدر أن يُسْلِمَ بلسانه فأومأ له بعينيه ، فتبسَّمَ ﷺ فقيل له : إنا نراك تبسَّمت يارسول الله؟ فقال : لمَّا أَوْمَأَ لي بعينيه سمعت المَلَكَ يقول : قال الله عزَّ وجلَّ : يا ملائكتي ؛ قبلت توبته لمَّا أومأ بعينيه ولا أُضَيِّعُ إيْمَاءَهُ(٣) ، ولا يقال هذا إيمان اليأس ، وإيمان اليأس غير مقبول ؛ لأنَّا نقول : إنَّ اليأس إنما يكون إذا رأى مقْعَدَهُ من النار ؛ فييأس حينئذ ؛ فيكون إيمانه عن اضطرار ، وهذا الذي دعاه النبي ﷺ لم يصلْ إلى هذه الرتبة ، ويمكن إن يُقَال إنَّهُ وإنْ وصل إلى حالة اليأس قُبِلَ منه الإيمان ببركة النبي ﷺ .

واعلم أنَّه لا بأس بالمهاداة ؛ بل هي مستحبة ؛ فقد قال ﷺ : تهادوا تحابوا(٤) .

---

(١) انظر السنن الكبرى للبيهقي (باب الوصية للكفار) ٦/ ٤٥٩ ، ومصنَّف عبد الرزاق (باب عطية المسلم للكافر) ٦/ ٣٣ .

(٢) الحديث عن أنس أخرجه البخاري (كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات) ١/ ٤٥٥ ، وأبو داود (كتاب الجنائز ، باب في عيادة الذمي) ٣/ ٣١٠-٣١١ ، وأحمد في المسند ٢١/ ٣٩٩ .

(٣) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٤) الحديث عن أبي هريرة أخرجه أبو يعلى في مسنده ٤/ ٥٢٧ ، والحديث بألفاظ أطول عن عائشة أم المؤمنين أخرجه الطبراني في الأوسط ٨/ ١١٩ .

وفي رواية : تَهَابَوا[١] ، بشرط أن لا يكون الهادي ظالمًا وماله من حرام .

والمكافأة مستحبة بمهاداته في مقابلة هديته بالمال أو بالدعاء وحسن الثناء عليه على حسب المقدرة ؛ فعن عمر ﷺ قال : قال ﷺ : من أهدى إليكم معروفًا فكافئوه ؛ فإن لم تجدوا فادعوا له حتى يعلم أن قد كافئتموه[٢] ، وقال : أجيبوا الداعي ولا تردوا الهدية[٣] .

وقال : تصافحوا فإنَّ التصافح يُذْهِبُ الغِلَّ ، وتهادوا تحابوا وتذهب الشحناء[٤] .

والحاضرون شركاء في الهدية فالمُهْدَى إليه إنْ شاركَ مَنْ عنده فقد عمل بالمروءة /[١٤١ظ] والكرم . ولا يُجْبَرعلى ذلك . فعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنه قال : قال ﷺ : من أُهْدِيَتْ إليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيه[٥] .

قال بعضهم : الحديث شامل لكل هدية ، وقال أبو يوسف[٦] تلميذ أبو حنيفة : الحديث خاص في الفاكهة ونحوها ، وعن أبي القاسم بن أحمد بن جُبير أنَّ الحديث

---

(١) لم أقف على الحديث بهذه الرواية .

(٢) جزء من حديث عن ابن عمر أخرجه أبو داود (كتاب الزكاة ، باب عطية من سأل بالله) ٢/ ٢١٢ ، والنسائي (كتاب الزكاة ، باب من سأل بالله عز وجل) ص ٤٠٠ .

(٣) تتمة الحديث : ولا تضربوا المسلمين . عن ابن مسعود أخرجه أحمد في المسند ٦/ ٣٨٩ ، والطبراني في الكبير ١٠/ ١٩٧ ، وابن أبي شيبة في المصنَّف (باب الوالي والقاضي يُهْدَى إليه) ٤/ ٤٥٠ ، وأبو يعلى في المسند ٤/ ٣٣٣ .

(٤) الحديث عن عطاء بن أبي مسلم عبد الله الخراساني أخرجه مالك في الموطأ (كتاب حُسن الخلق ، باب ما جاء في المهاجرة) ص ٥٥٤ . والحديث عن ابن عمر أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترغيب في إهداء الهدية وقبولها والإثابة عليها) ٣/ ٢٦٠ .

(٥) الحديث عن ابن عباس أخرجه عبد بن حميد في مسنده ص ٢٣٣-٢٣٤ ، والطبراني في الكبير ١١/ ٨٥ .

(٦) هو يعقوب بن إبراهيم القاضي ، أبو يوسف الكوفي ، صاحب الإمام أبي حنيفة وتلميذه ، وأول من نشر مذهبه ، كان فقيهًا علامة ، من حفاظ الحديث ، أول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة ، توفي ١٨٢هـ . انظر عنه : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٦/ ٣٥٩-٣٨٣ .

محمول على ما يُصنع في الخانقاهات[١] من الشوارب والخبز لا في غير ذلك وهو حسن ، وأمَّا إذا كان المُهْدَى إليه فقيهاً اختصَّ بهديته ، فإن شرك من حضر كان منه كرمًا .

ومما يقع كثيراً من البلية ما يفعله الحلاقون في حوانيتهم ، يحلقون رأس الرجل فَيُدْمُونه ويمسحون الدَّمَ برأسه ؛ [فـ][٢] يصير بذلك رأس الرجل نجسًا ويد الحلَّاق نجسة[٣] ؛ فيضعها في الطَّاسِ التي يُتَنَاوَلُ بها البلل للرأس[فـ] [٤] يَنْجس الطَّاسُ بذلك ؛ فإن اغترف بها مما هو موضوع عنده في الجُب من الماء يَنْجُسُ ، فبه تشيع بين الناس ؛ فهذا من عين جهل الحلاقين ، ومن اطلع عليهم ولم ينههم ، والناس عنه غافلون ؛ فإن دَمِي الرأس يلْزَمُ سدٌّ ذلك بقطنة ، فإنْ أصاب اليد شيء من الدم لا يجوز أنْ يضعها في الطَّاسِ ، ويُحْتَرَزُ عن تَنَجُّس الجُبِّ[٥] - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وأيضًا الذي دَمَىْ رأسه إنْ كان حنفيًا يُنْتَقَضُ وضوءه ، أو شافعيًا فقد يؤم الحنفيين ؛ فيبطل الاقتداء بذلك فلينتبه له[٦] .

---

(١) خانقاهات : هي كلمة فارسية خانْكَاه أو خَانْكَه معرَّبَ : خانقاه ؛ وهي تعني المكان الذي يسكن فيه الدراويش والمرشدين ، ويؤدون فيه آداب التصوف . وهو اسم مركب من خان+ كاه ، دكتر محمد معين ، فرهنگ فارسي معين (حرف الخاء) ١/ ١٣٩٣ .

(٢) إضافة اقتضاها السياق .

(٣) رأي جَانَبَ فيه المُصنف الصواب ؛ لأنه إذا اختلط دم الحلاقة ببلل الرأس ، قال الزيادي : يُعْفَى عنه ، والمعتمد عدم العفو ، إلا أن يُحْمَلَ عدم العفو على ما إذا اختلط ببلل التنظيف بعد الحلاقة فإنه لا يُعْفَى عنه . انظر عنه حاشية البجيرمي على الشربيني المسماه بتحفة الحبيب على شرح الخطيب ، المعروف بالإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ، (كتاب الصلاة ، القول فيمن وصل عظمه بنجس) ١/١٠٢ .

(٤) إضافة اقتضاها السياق .

(٥) الجُبة : ثوب واسع الكمين يُلْبَسُ فوق الثياب ، والجمع جُبَبْ وجباب . انظر : معجم لغة الشريعة ، لسعدي أبو حبيب مادة (جبٌّ) .

(٦) نواقض الوضوء : ما يخرج من بدن الإنسان من غير القُبُل أو الدُّبُر ، كالقيح الذي يخرج من الدُّمَّل ، أو الدم الذي يخرج بسبب جُرح أو نحو ذلك ؛ وكل ذلك نجس ينقض الوضوء . واشترط الحنابلة أن يكون الدم كثيراً . انظر الفقه على المذاهب الاربعة للجزيري ١/ ٧١ .

فصل في قوله تعالى : ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[١] والمراد من أخذ الزينة : سَتْرُ العورة ، و [المراد] من المسجد : الصلاة ؛ فاستدلَّ بها على فرضية ستر العورة للصلاة ، وأمَّا في خارج فمن دلائل أُخْرَى . ومما ينبغي للإنسان أن يكون في لباسه موافقًا لأقْرَانه ، فلا يلبس ثوبًا مرتفعًا جدًا ولا رَديًا جدًا حَذَرًا من الوقوع في الغَيْبَةِ ، ورحم اللّه امرءًا جبَّ[٢] الغَيْبَةَ عن نفسه .

وقد ثبت النهي من النبي ﷺ عن الشُهْرَتَيْنِ في الثياب المرتفعة والمُحْتَقَرةِ جدًا[٣] .

ويستحب للرجل إذا كان ذا مروءة أن تكون ثيابه نقيةً من غير كِبْرٍ ، وينبغي أن يتخذ الإنسان ثوبين يُعِينُ أحدهما الآخر ، وفي المَثَلِ : لا جديد لمن لا خَلَقَ له[٤] .

وعن عمرٍ رضي الله عنه : إذا وسَّعَ الله عليكم فوسعوا على أنفسكم[٥] .

وأن يتطيب بما له رائحةٌ لا لون ولا بريق على ما مرَّ إن كان رجلاً ؛ فإنه يُقِلُ الهمَّ ، وكذلك نَقَاوَةُ الثياب ، ويحرم على الرجال لبس الحرير الصِرْفِ .

---

(١) جزء من الآية رقم ٣١ من سورة الأعراف .

(٢) جبٌّ : قطع . لسان العرب (مادة : جبب) .

(٣) لفظ الحديث : من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوبًا مثله . عن ابن عمر أخرجه أبو داود (كتاب اللباس ، باب في لبس الشهرة) ٤/ ٢٠٤ . والحديث بلفظ .... ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة . عن ابن عمر أخرجه ابن ماجه(كتاب اللباس ، باب من لبس ثوب شهرة من الثياب) ٤/ ٥٠٣ ، وأحمد في المسند ٩/ ٤٧٦ .

(٤) يُضْرَبُ لمن يمتهن جديده ، فيؤمر بالتوقي عليه بالخَلَقْ . ويُرْوَى أنَّ عائشة أم المؤمنين وهبت مالًا كثيرًا ، ثم أمرت بثوب لها يُرَقَّعْ ، وتمثلت بهذا المثل . انظر : مجمع الأمثال للميداني (الباب الثالث والعشرون فيما أوله لام) ٢/ ٢٣١ .

(٥) الأثر عن ابن عمر أخرجه مالك في الموطأ (كتاب اللباس ، باب ما جاء في لبس الثياب) ص٥٥٥ ، وعبد الرازق في المصنف (باب ما يكفي الرجل من الثياب) ١/ ٣٥٦ .

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنَّه قال : مَنْ لبس الحرير في الدنيا لم يلْبَسْهُ في الآخرة[١] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : خرجَ النبي ﷺ يومًا ، وفي إحدى يديه ذهب وفي الأخرى حرير ؛ فقال : هذان محرمان على ذكور أمتي حلٌ لإناثهم[٢] ؛ فبه قُيِّد الخبر الأول . ولا بأس بإعلام ثوب من حرير إصبع ، أو إصبعين ، أو ثلاثة ، أو أربعة ، أو ما خالطه القطن الذي يُفْعَلُ في زماننا من البغدادي[٣] ؛ فيحل وإن زاد على الشبر ، إذ القليل معفو عنه ، ويُكْرَه لبس المعصفر[٤] والمُزَعفر[٥] الأحمر .وما رُوِيَ أنَّ النبي ﷺ لَبِسَ الأحمر[٦] ؛ فقد كان قبل النهي .

---

(١) الحديث عن أنس أخرجه البخاري (كتاب اللباس ، باب لبس الحرير وافتراشه للرجال وقدر ما يجوز منه) ٥/ ٢١٩٤ ، ومسلم (كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم استعمال الذهب والفضة على الرجال والنساء . . .) ١٤/ ٤١ .

(٢) الحديث عن علي بن أبي طالب أخرجه أبو داود (كتاب اللباس ، باب في الحرير للنساء) ٤/ ٢١٤ ، والنسائي (كتاب الزينة ، تحريم الذهب على الرجال) ص ٧٧٩ ، وابن ماجه (كتاب اللباس ، باب لبس الحرير والذهب للنساء) ٤/ ٤٩٩ .

(٣) البغدادي : يُنْسَبُ إلى مدينة بغداد ، وهو قماش حريري غالي الثمن ، مزين عادة بالصور ، ومُوَشًّى غالبًا بالذهب ، وغالبًا ما يكون هذا النسيج البديع مزخرفًا بأشكال الحيوانات والطيور ، وبخيوط من الفضة والذهب ، ونظراً لارتفاع ثمنه اقتصر استعماله على الكُسوات السلطانية والهدايا الثمينة . انظر : معجم أسماء الملابس لرجب عبد الجواد إبراهيم (ص٧١) .

(٤) العُصْفُرُ : هذا الذي يُصْبَغُ به ومنه ريفي ومنه بري وكلاهما نَبْتٌ بأرض العرب . لسان العرب (مادة : عصفر) .

(٥) الزعفران : هذا الصِبْغُ المعروف وهو من الطِيْب ، وزَعْفَرتُ الثوب صبغته . (مادة : زعفر) .

(٦) الحديث بلفظ : خرج النبي ﷺ في حُلَّة حمراء . عن عوف بن أبي جُحَيْفَة أخرجه البخاري (كتاب الصلاة في الثياب ، باب الصلاة في الثوب الأحمر) ١/ ١٤٧-١٤٨ ، ومسلم (كتاب الصلاة ، باب سترة المصلي) ٤/ ٢٢٠ .

[آداب الأكل]

ومن آداب[/ ١٤٢و] الأكل أن يأكل الإنسان بيمينه ، وأن لا يأكل الحار جداً ؛ فإنه ضرر للبدن ، وأن يأكل من أطراف الإناء لا من وسطه ، وإذا دُعِيَ فإن كان صائمًا عن فريضة لم يُفطر ، أو صائمًا صوم نَفْلٍ ؛ فإن رضي الداعون بحضوره ، حضر ولا يُفطر ، وإن لم يَرْضَوا ؛ فإن كان قبل الزوال حلَّ له الفطر ، ويقضي عندنا يومًا مكانه ؛ لأنَّ الشروع في النَّفْلِ مُلْزِمٌ ، وإن كان بعد الزوال لا يُفْطِر ، وهذا كله ما لم يكن المكان المدعو إليه فيه آلات اللهو ، والغناء ، وإلا لا يحضره - خصوصًا- إذا كان مقتدي . ويُستحب للضيف أن يجلس حيث يُجلسه صاحب البيت ، وأن يرضى بما قدمه إليه ، وأن يدعو للداعي بأن يقول : أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلَّت عليكم الملائكة ، ونزلت عليكم الرحمة[1] . ولا يُكَلِّف الداعي الضيف لشيء من الخدمة ، ولا يتكلف لما ليس عنده ، ولا يبخل على ضيفه بما عنده ، ولا يجور بأن لا يبقى لعياله بقية كما يفعله بعض السفهاء ، ولا يُكثر السكوت مع الضيوف لئلا تدخل عليهم الوَحْشَةُ ، ولا يُجْلِس مع الضيف من يُثقل عليه ، وإذا استأذن في المسير لا يمنعه . فعن محمد بن سيرين : لا تُلْزِمْ أخاك بما يكره .

ومما ينبغي للداعي أن لا يُبْطِيء بالطعام على الضيوف . قال بعض العارفين : ثلاثة تُورِثُ السُّئْلَ : الرسول ، والطعام البطيء ، والمصباح الذي لا يضيء - سيما- من دعا قومًا وانتظر آخرين ، ينبغي أن يُقَدِّمَ شيئًا من الطعام لمن سبق ، ويُبْقِي شيئًا لمن يتأخر . ويُكْرَهُ للإنسان أن ينظر إلى لُقَمِ غيره ؛ لأنه إساءة أدب ، كما يُكْرَه للضيف أن يُكْثِرَ الالتفات إلى الموضع الذي يأتي منه الطعام ، ويُكره الأكل متكئًا ؛

() الحديث عن أنس بن مالك أخرجه الدارمي (كتاب الصوم ، باب دعاء الصائم لمن يُفْطِرُ عنده) ص٥٣٠ ، وأحمد في المُسْنَد ١٩/ ٢١٥ ، والحديث عن سعد بن معاذ أخرجه ابن ماجه وانفرد به (كتاب الصيام ، باب في الصائم إذا أكل عنده) ٢/ ٥٥٦ .

فإنه يُوْرِثُ عِظَمَ البطن بالنفخة ، كما يُكْرَه النفخ على طعام أو شراب[١] ، ويأكل ويشرب باليمين ؛ فإن النبي ﷺ كان يحب التيامن في كل شيء حتى في تَنَعُّله ، وتَرَجُّله[٢] ، ويبدأ بِمَيَامِنِ القوم ، ويجالس ممن حضر : المشايخ ، وأهل الخير ، لا السفهاء والأحداث ؛ فإنه يذهب بالمهابة ، ولا يُجالس الحريصين على الدنيا ؛ فإنهم يُفسدون على الرجل قلبه . وإذا استغنى الإنسان عن الجلوس في الأسواق فهو أولى ؛ لأن فيها شياطين الإنس ، ويقال : فيها ذئاب عليها ثياب . ومر معنا ، من قال إذا دخل السوق : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يُحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، كُتِبَ له بعدد من في السوق عشر مرات حسنات[٣] ، ويجب على كل من يبيع ويشتري أن يتفقه في الدين لئلا يرتكبَ البياعات الفاسدة ، ولئلا يتعاطى الأموال الربوية .

ومرَّ معنا حديث : رحم الله رجلاً سهل البيع ، سهل الشراء ، سهل القضاء ، سهل التقاضي[٤] .

---

(١) ورد حديث عن ابن عباس لفظه : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النفخ في الطعام والشراب . أحمد في المسند ٥/ ٢٧ ، وحديث آخر بلفظ إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يُتَنفَّس في الإناء أو النفخ فيه . عن ابن عباس أخرجه الترمذي (كتاب الأشربة ، باب ما جاء في كراهية النفخ في الشراب) قال أبو عيسى : هذا حديث حَسَنٌ صحيح ٤/ ٢٦٩ ، وأحمد في المسند ٣/ ٣٩٠ .

(٢) لفظ الحديث : كان النبي ﷺ يعجبه التيمن في تَنَعُّله ، وتَرَجُّله وطهوره وفي شأنه كله . عن عائشة أم المؤمنين أخرجه البخاري (كتاب الوضوء ، باب التيمن في الوضوء والغُسل) ١/ ٧٤ ، ومسلم (كتاب الطهارة ، باب التيمن في الطهور وغيره) ٣/ ١٦٤ .

(٣) الحديث عن عمر أخرجه الترمذي - مع اختلاف في اللفظ - (كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا دخل السوق) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ٥/ ٤٥٧-٤٥٨ ، والدارمي (كتاب الاستئذان ، باب ما يقول الرجل إذا دخل السوق) ص ٨٨٥ ، وأحمد في المسند ١/ ٤١٠-٤١١ .

(٤) الحديث عن جابر بن عبد الله أخرجه البخاري (كتاب البيوع ، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع . . .) ٢/ ٧٣٠-٧٣١ ، والترمذي (كتاب البيوع ، باب ٧٦) ٣/ ٦١٠ ، وأحمد في المسند ٢٣/ ٢٥-٢٦ .

وما يقع في البِياعات مِن المداينات من الغَبن لضيق الدنيا يُنْدَبُ في مثْله الإنظار أو الوضع لحديث : من أنظر معسراً أو وضع عنه أظله الله يوم القيامة تحت ظل عرشه يوم لا ظلَّ إلا ظله[١] ، وتُنْدَبُ لمن طُلِبَتْ المقايلة[٢] منه ؛ فإن النبي ﷺ قال : من أقال نادماً بَيْعَتَه أقال الله عثراته يوم القيامة[٣] .

ويُنْقل أنَّ الإمام الأعظم باع ثوب خزٍ لرجل ؛ فندم الرجل فطلب منه الإقالة ؛ فأقاله ، ثم قال لخادمه : قم وارفع الشياب فإنما قصدت/ [١٤٢ظ] البيع والشراء لأدخل في ضمن حديث الإقالة ، وقد دخلت الآن ؛ ثم إذا أراد الإنسان الشراء ؛ فقال صاحب الشيء : ذُقْهُ وأنت في حل ، لا يفعل ؛ فإنه إنما أذن له بالأكل من أجل الشراء ؛ فإن لم يحصل شراء شيء يكون المأكول ذا شبهة ، أمَّا لو وُصِفَ له الشيء قدامه ؛ فوجده بخلافه كان بالخيار . ولا ينهمك الإنسان على الأمور الدنِيَّة ؛ فإنها تُزْرِي بصاحبها .

قال الفقيه أبو الليث رحمه الله : من أصاب من حلال الدنيا شيئًا لا يأثم بالإثم ، غير أنه يأخذ ما لا بد له منه ويترك غيره .

فقيل : الدنيا حلالها حساب ، وحرامها عقاب ، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : من أصاب من الدنيا شيئًا نقص من آخرته وإن كان كريمًا[٤] .

(١) الحديث بهذا اللفظ عن أبي هريرة أخرجه الترمذي (كتاب البيوع ، باب ما جاء في إنظار المعسر والرفق به) قال أبو عيسى : حديث أبي هريرة حديث حَسَن صحيح ٣/ ٥٩٩ ، والحديث جزء من حديث طويل عن عُبادة بن الصامت أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق ، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر) ١٨/ ١٢٥ .

(٢) المُقايلة : المُبادلة . لسان العرب (مادة : قيل) .

(٣) ورد الحديث بلفظ : مَنْ أقال مسلمًا أقال الله عثرته . عن أبي هريرة أخرجه أبو داود (كتاب البيوع والإجارات ، بباب في فضل الإقالة) ٣/ ٤٧٦ ، وابن ماجه (كتاب التجارات ، باب الإقالة) ٣/ ٢٣ ، وأحمد في المسند ١٢/ ٤٠١ . وأقال الله عثراته بمعنى الصفح عنه . لسان العرب (مادة : قيل)

(٤) انظر الترغيب والترهيب للأصبهاني (باب الترهيب من الرغبة في الدنيا وذمها) ٢/ ٢٠٨ ، وابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا (١/ ١٣٨)

وعن معاوية بن أبي سفيان كاتب الوحي رضي الله عنه أنه قال : إن الدنيا لم تُرِدْ أبا بكر الصديق رضي الله عنه ولم يُرِدْها ، وأما عمر رضي الله عنه فقد أرادته ولم يُرِدْهَا[١] ، وأما عثمان رضي الله عنه فقد نال منها ونالت منه[٢] ، وأما نحن- يحكي عن نفسه- فقد تمرغنا فيها ظهراً لبطن وبطنًا لظهر ؛ فلا ندري إلى ما ذا يصير حالنا .

وعن زيد بن أرقم قال : كنا عند أبي بكر رضي الله عنه فطلب شرابًا ؛ فجيء له بماء وعسل ؛ فلمَّا أدناه من فِيْهِ بكى بكاءً كثيراً ، قال الراوي : فبكينا لبكائه ؛ فسكّتنا ولم يسكت ؛ فلمَّا مسح عينيه من البكاء ، قلنا : ما الذي حلَّ بك يا خليفة رسول الله ﷺ ؟ قال : كنت مع النبي ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه ولم أر معه أحد ؛ فقلنا : يا رسول الله ؛ نراك تدفع عن نفسك ، ولا نرى معك أحدًا؟ . فقال : تمثَّلَتْ لي الدنيا ؛ فقلت لها : إليك عني ؛ فَتَنَحَّت ، وقالت : أما أنك تَنْفَتِلُ عنِّي ومن بعدك لا يَنْفَتِل ؛ فَخِفْتُ أن تلحقني ، ثم وضع الإناء من يده ولم يشرب[٣] ، والدليل على زوالها : هِرَمُ الأبدان الإنسانية ، ومشي اختيارة الرجال على العكازة .

عن ابن عباس رضي الله عنهما : إمساك العصا سنة الأنبياء ، وعلامة المؤمن[٤] .

وعن الحسن البصري : فيها خِصال حسنة أولها[٥] : أنها سنة الأنبياء عليهم

---

(١) انظر الزهد لأحمد (زهد أبي بكر الصديق عليه السلام) ص ١٤٠ .

(٢) الأثرعن معاوية – دون عبارة : أما عثمان فقد نال منها ونالت منه ـ أخرجه ابن كثير في البداية والنهاية (سنة ثلاث وعشرين من الهجرة) ٧/ ١٤٣

(٣) الحديث عن زيد بن أرقم أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب الرقاق) قال الذهبي : عبد الصمد تركه البخاري وغيره ٨/ ٢٨٠١ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في الزهد وقِصَر الأمل) ٧/ ٣٤٣ .

(٤) انظر الغُنية لطالبي طريق الحق للجيلاني (فصل في آداب السفر) ١/ ٨٢ ، والأثر ذكره القرطبي عن ميمون بن مهران (سورة طه : ١٨) ١١/ ١٨٨ .

(٥) لفظ الأثر : فيها ست خصال : سنة للأنبياء ، وزينة الصلحاء ، وسلاح على الأعداء ، وَعَونٌ للضعفاء ، ورَغْم المنافقين ، وزيادة في الطاعات . ذكره القرطبي عن الحسن البصري (طه : ١٨) .

السلام ، أَلَم تسمع بعصا موسى عليه السلام وما عُدِدَ فيها من المنافع حيث قال : ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾(١) .

قال المفسرون : ألف نوع من المنفعة ، وفي بعض الآثار : من بَلَغَ أربعين سنة ولم يأخذ العصا عُدَّ ذلك من الكِبْر(٢) .

ومنها [أي العصا] أنها زينة الصالحين ، وسلاح على الأعداء : الحية ، والعقرب ، والكلب ، وعَوْنُ الضعفاء ، وفي إمساكها رَغْمُ المنافقين ، وفَرَارُ الشياطين عن ممسكها ، وفيها زيادة الحسنات ، وتكون قبلة للصلاة ، ومتكئًا عند الإعياء ، وفيها تخويف المنافق والفاجر بأن يئول حاله إلى الضعف .

فصل

في قوله تعالى : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(٣) .

أي لا يرتضي بفعلهم . والسرف في الأكل والشرب أن يتجاوز حلاله إلى حرامه ، وقيل أن يتخذ منهما شيئًا بحيث يذهب مُضَيَّعًا من غير أن ينتفع به أحدًا ، أو قيل السرف فيها قضاء شهوته من كلٍ منهما ، وإن من السرف أن يأكل/ [١٤٣و] الإنسان كل ما يشتهي ، ويشرب كل ما يشتهي .

وكان المتقدمون من العلماء يستحبون أكل اللحم ؛ لكن من غير مداومة عليه ؛ فعن علي ﷺ أنه قال : كلوا اللحم ؛ فإنه يُنْبِتُ اللَّحْمَ وَيُزِيْدُ في السَّمْعِ(٤) .

---

(١) الآية رقم ١٨ من سورة طه .

(٢) ذكر الصفوري في نزهة المجالس أنه قول للنبي ﷺ ولم يُسْنِدْهُ . (باب الزهد والقناعة والتوكل) ١/ ٢٩٢ .

(٣) جزء من الآية رقم ٣١ من سورة الأعراف .

(٤) انظر فردوس الأخبار للديلمي ٢/ ٣٠٩ ، وشعب الإيمان للبيهقي (باب في المطاعم والمشارب ، أكل اللحم) ٥/ ٩٢ .

وعنه : من ترك أكل اللحم أربعين يومًا ساء خُلُقه[١] .

وقال الزُهري : أكل اللحم يزيد في الإنسان سبعين قوة[٢] ، ويُكْرَه قطع اللحم بالسكين ؛ فإنه من صنيع الأعاجم ؛ ولكن ينهشه نهشًا ؛ فإنه أهنأ وأَمْرَأ[٣] ، وكذلك يُكْرَه قطع الخبز بالسكين .

وقد مدح النبي ﷺ الخل ؛ فقال : نعم الإدام الخل[٤] وفي رواية والزيت[٥] وكان ﷺ يحب أكل القرع ، أعني ؛ اليَقْطِين حتى قال أنس ﷺ : فلا أزال من أجل ذلك أحبه[٦] .

وكان أحب الثمار إليه ﷺ البِطِيْخ ، والرُطَب[٧] ، ومن المآكيل المطلوبة : الرمان ؛

---

(١) المرجع السابق ٥/ ٩٢ .

(٢) انظر الطب النبوي لابن قيم الجوزية (اللحم) ص ٢٦٩ .

(٣) ورد حديث عن عائشة أم المؤمنين عن النبي ﷺ : لا تقطعوا اللحم بالسكين ، فإن ذلك من صنع الأعاجم ، وانهشوه نهشا ، فأنه أهنأ وأمرأ . أخرجه أبو داود (كتاب الأطعمة ، باب في أكل اللحم) ٤/ ٩٤ .

(٤) الحديث عن عائشة أم المؤمنين أخرجه مسلم (كتاب الأشربة ، باب فضيلة الخل والتأدُّم به) ١٤/ ٩ ، والترمذي (كتاب الأطعمة ، باب ما جاء في الخل) قال أبو عيسى : هذا حديث حَسَنٌ صحيح ٤/ ٢٤٥ ، وابن ماجه (كتاب الأطعمة ، باب الائتدام بالخل) ٤/ ٤١٩ .

(٥) لفظ الحديث : كلوا الزيت وادَّهنوا به ؛ فإنه من شجرة مباركة : عن عمر بن الخطاب أخرجه الترمذي (كتاب الأطعمة ، باب ما جاء في أكل الزيت) . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب٤/ ٢٥١-٢٥٢ ، وابن ماجه (كتاب الأطعمة ، باب الزيت) ٤/ ٤٢٠ .

(٦) الحديث عن أنس أخرجه البخاري (كتاب البيوع ، باب ذكر الخياط) ٢/ ٧٣٧ ، ومسلم كتاب الأشربة ، باب جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين ....) ١٣/ ٢٢٦ .

(٧) لفظ الحديث : كان رسول الله ﷺ يأكل البطيخ بالرطب ، فيقول : نكسر حر هذا ببرد هذا ، وبرد هذا بحر هذا . عن عائشة أم المؤمنين أخرجه أبو داود (كتاب الأطعمة ، باب في الجمع بين لونين في الأكل) ٤/ ١١٤ ، وأخرجه الترمذي – مختصراً– (كتاب الأطعمة ، باب ما جاء في أكل البطيخ بالرطب) قال أبو عيسى : هذا حديث حَسَن غريب ٤/ ٢٤٦– ٢٤٧ .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ما لُقِّحَت رمانة قط إلا بقطرة من ماء الجنة[١] .

حتى إن يهوديًا أراد أن يكيد المسلمين ؛ فأكل رمانة واحتفظ على حبّاتها ؛ لأنّ المسلمين يقولون : إنّ طعام الجنة وماءها محرّم على أهل النار ؛ فقال لمن عنده من المسلمين : أنتم تزعمون أنّ مأكول الجنة ومشروبها مُحَرَّمٌ علينا ، وها أنا أكلت الرمانة وما ضيَّعْتُ منها شيئًا ؛ فقد أكلت من مأكولات الجنة ؛ فنظر واحد من المسلمين إلى لحيته ؛ فإذا بها حبة من الرمانة عالقة فأخذها ؛ وقال : إنّ قطرة الجنة في هذه الحبة وقد حرمتها ؛ فأكلها المسلم .

وعن علي رضي الله عنه أنه قال : إذا أكلتم الرمانة ؛ فكلوها بشحمها ؛ فَإنَّهُ دِباغٌ للمعدة[٢] .

ومما يؤكل السَفَرْجَلْ[٣] ؛ فإنه يَجْلو الفؤاد ، ويزيد في الفهم والحفظ ، وكان يحبه موسى عليه السلام .

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال : خير بيوتكم ما كثُرَ فيه الطعام والشراب ، فكم رجل كثير ماله ، قليل خَيْرَ بيته .

وقال الحسن : ليس في الطعام سَرَفْ[٤] ، وَقُيِّدَ بما إذا وُسِّعَ فيه على عياله ولا يذهب ضائعًا ؛ وبعضهم إذا أراد التوسعة يخشى الفقر ، أو وجبت عليه زكاة ، أو طُلبَت منه صدقة ، ويخشى الفقر من أدائها ؛ فهذا خطأ ؛ فإن كلاً من أداء الزكاة والصدقة تزيد في المال ، ومع ذلك تزيد في العمر ، وأي شيء أحسن من هذا .

---

(١) الحديث عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا ذكره ابن قيم الجوزية في : الطب النبوي (رمان) ص ٢٢٨ .

(٢) انظر تفسير القرطبي (الأنعام :١٤١) .

(٣) السَفرجل : شجر مثمر من فصيلة الورديات مهده الأصلي إيران ، ويزرع في جميع البلدان المعتدلة المناخ ، وتؤكل ثماره نَيئة وتُطْبَخ بالسكر ؛ فَيُصنَع منها مُرَبَّيات ، المنجد (مادة :سفر) .

(٤) انظر كتاب الجوع لابن أبي الدنيا ص ١٢٩ .

[الفقر والغنى ، وأيهما أفضل]

واختلف العلماء رضي الله عنهم هل الفقر أفضل من الغنى ، أم الغنى أفضل من الفقر[1] ؛ فذهب بعضهم إلى أن الفقر أفضل من الغنى ؛ فقد ذمَّ الله الغنى بقوله : ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[2] فأخبر تعالى أن الغنى يحمل صاحبه على الطغيان . وأُجيب بأن هذا محمول على من لم يقم بحقه ، وإلا كان من الناجين بتوفيق الله تعالى .

وقد مدح الفقر النبي ﷺ بنسبته إليه ؛ فقال : لكل أحد حرفة ، وحرفتي اثنتان الفقر والجهاد ؛ فمن أحبهما فقد أحبني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني[3] .

وعن عيسى عليه السلام أنه / [١٤٣ظ] قال : الفقر مشقة في الدنيا مسرة في الآخرة ، والغنا مسرة في الدنيا مشقة في الآخرة[4] ؛ أي بكونه محاسبًا عليه . وكفى المرء أنَّ بالغنى قد يعصي الله بعدم أداء الحقوق الواجبة عليه ، ولا يعصيه بالفقر مخلوق ، كذا قيل وفيه كلام ؛ لأنَّ الإنسان بسبب فقره قد يقع في الحسد والبغض للأغنياء ، والسب للمعيشة ، وعدم الرضى بما قضى ، وأبلغ من هذا قول النبي ﷺ يكاد الفقر أن يكون كفرًا[5] ؛ أي يقرب أن يوقع صاحبه إما في كفر النعمة أو في الكفر الحقيقي والعياذ بالله تعالى .

---

(١) عن اختلاف العلماء في أيهما أفضل الفقر أم الغنى؟ وذكر الأدلة بحجج من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار ، انظر عدة الصابرين لابن قيم الجوزية (الباب الثاني والعشرون في اختلاف الناس في الغني الشاكر ، والفقير الصابر أيهما أفضل؟) ص ٢٠٨- ٢٦٥

(٢) الآيات ٧ ،٦ من سورة العلَق .

(٣) الحديث عن انس أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار ٢/١٩٣ ، وذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين (باب فضائل القرآن) ص ١٨٧ . والحديث موضوع ذكره الفتني في تذكرة الموضوعات (باب الغزاة وتقليد السيف) ١/ ١٢١ .

(٤) انظر نزهة المجالس للصفوري (باب نَسَب سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ . . .) ٢/ ٧٩ .

(٥) تتمة الحديث : وكاد الحسد أن يغلب القدر . عن يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في الحث على ترك الغل والحسد) ٥/ ٢٦٧ ، وأبو نعيم في الحلية (ترجمة يزيد ابن أبان الرقاشي) ٣/ ٥٣ ، والغزالي في الإحياء(كتاب الفقر ، باب بيان فضيلة الفقر) ٤/ ١٦٧ .

قال إمامنا أبو الليث السمرقندي قدس سره العزيز : الغني الصالح أفضل[١] وقال بعضهم : الفقير الصالح أفضل وبه نأخذ . ومما يدل لأفضلية الغنى ؛ قوله تعالى : ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾[٢] فمنَّ الله تعالى عليه بالغنى .

وعنه ﷺ أنه قال : ما أحسن الغنى مع التقى[٣] ، وقال : نِعْمَ المال الصالح للرجل الصالح[٤].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال : أكرم خَلْقِ الله أتقاهم ، وأشرفهم أغناهم ، وأحسنهم أخلاقًا .

وفي الخبر : إن لم تَسَعوا الناس بأموالكم ؛ فسعوهم بأخلاقكم[٥] وبمعناه ما قال بعضهم : إن لم يكن من يدك الإحسان ؛ فليكن من كلامك إحسان .

وعن بعضهم : المال في الغربة أوطان ، والفقر في الوطن غربة[٦] .

وعن محمد بن كعب القرظي : الغني إذا كان تقيًا يضاعف الله له الأجر مرتين ، ثمَّ تلا : ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بالتي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ؛ فأولَئِكَ لَهُم جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾[٧] .

---

(١) انظر بستان العارفين للسمرقندي (باب في تفضيل الفقير على الغني) ص ٧٥ .

(٢) الآية رقم ٨ من سورة الضحى .

(٣) لفظ الحديث : إن الله عز وجل يحب ، الغني ، الخَفي ، التقي . عن عامر بن سعد عن سعد بن أبي وقاص أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق) ١٨/ ٩٣ ، وأحمد في المسند ٣/ ٥١ ، وأبو يَعلى في مسنده ١/ ٥١١ .

(٤) جزء من حديث عن عمرو بن العاص أخرجه أحمد في المسند ٢٩/ ٢٩٨-٢٩٩ ، والطبراني في الأوسط ٤/ ١٣٠ ، والحاكم في المستدرك (كتاب التفسير) قال الذهبي : صحيح ٣/ ١١٠٥-١١٠٦ .

(٥) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب العلم) قال الذهبي : عبد الله واه ١/ ١٨٢ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في حُسْنِ الخُلُق ، فصل في طلاقة الوجه) ٦/ ٢٥٤ ، والبزار في مسنده ١٦/ ١٩٣ .

(٦) في الأصل : الغربة وهو خطأ والصواب ما أثبتناه .

(٧) تتمة الآية : وهم في الغُرُفَات آمِنُون . الآية رقم ٣٧ من سورة سبأ . والأثر عن محمد بن كعب القرظي ذكره القرطبي في التفسير (سبأ :٣٧) .

وعن سعيد بن المُسَيَّبِ : لا خير فيمن لا يجمع المال من وجه حِلٍ يُخْرِجُ منه حقه ، ويَصِلُ به رَحِمَه ، ويصون به عِرْضَهُ[١] .

قال إمامنا أبو الليث السمرقندي : لا عيب في الغَنِى[٢] ، ألا ترى الأغنياء في زمن النبي ﷺ ، فلو كان مذموماً لأمرهم بتركه ، وإنما العيب إذا فعل الغني بخلاف ما أمر الله به كأن يبذله في المحرمات .

وينبغي أن يكون الاختلاف في أن الغنى أفضل أو الفقر في الصدر الأول ؛ فإن غالب أموالهم الحِلُّ ، وكانوا لا يضعونه إلا في حقه ، ألا ترى إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وإنفاق جميع ماله على رسول الله حتى تخلل بعباءة[٣] ؛ فصار الغنى في ذريته إلى يوم القيامة .

وعمر رضي الله عنه قَسَمَ نصف ماله وجاء به النبي ﷺ وادخر النصف لعياله[٤] ؛ فابْتُلِيَت ذريته بالفقر .

وأما في زماننا فينبغي أن يكون الفقر أفضل من غير خلاف ؛ لأن أكثر الأحوال لا تخلو عن الشبهة .

---

(١) انظر : تنبيه الغافلين للسمرقندي (باب فضل الكسب) ص ٤٥١ .

(٢) انظر بستان العارفين للسمرقندي (باب في الاستدانة) ص ٧٧ .

(٣) الأثر عن ابن عباس ذكره في مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ونصه : عن ابن عباس قال : سألت النبي : من أحب إليه؟ فقال لي : عائشة ؛ فقلت : ليس عن النساء سألتك ، قال " فأبوها إذاً ، قلت : فَلِمَ يا رسول الله؟ قال : لأنه أنفق ماله كله غير مُقَطَب بين عينيه حتى بقي بعباءة تخللها ٤/ ٢٦٩ .

(٤) الأثر عن ابن عمر ذكره في مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ولفظه : عن ابن عمر : أن النبي ﷺ أمر بالصدقة ، فقال عمر بن الخطاب : وعندي مال كثير ، فقلت : والله لأفضلن أبا بكر هذه المرة ، فأخذت نصف مالي ، وتركت نصفه ، فأتيت به النبي ﷺ فقال : هذا مال كثير ، فما تركت لأهلك؟ " قال : تركت لهم نصف ، ٤/ ٢٦٩ . والقول الذي ذكره المصنف - أن ذرية عمر رضي الله عنه ابتليت بالفقر - خاطيء لم يصح ثبوته .

وعثمان ﷺ جهز جيش العُسْرة[١] ، ويقال : إن الزبير بن العوام[٢] : لمَّا قَسَّمَ مِيْرَاثَه ؛ فبلغ أربعين ألف ألف دينار[٣] أربع مئة كُرِهَ -ولا شك- أنه صحابي عظيم لا يجمع ماله إلا من حِلٍّ ولا يهمل في أداء ما عليه من الحقوق .

وكان لعبد الرحمن بن عوف الصحابي[٤] ﷺ ثلاث نِسْوَة ؛ فطلق إحداهن في مرض موته ؛ لذنب صدر منها ، لا هربًا من ميراثها ؛ فلمَّا مات صالحوها من ميراثه عن ثلث الثمن بثلاثة وثمانين ألفًا .

وكانت غلَّة طلحة بن عبيد الله[٥] ﷺ في كل يوم ألف دينار ؛ ويقال ألفان / [١٤٤و] ولا ريب أنه من حِلٍّ .

---

(١) عن فضائل عثمان بن عفان ﷺ وتجهيزه جيش العسرة ، عن عبد الرحمن بن خباب أنه جهزهم يومئذ بثلاثمائة بعير بأقتابها وأحلامها . انظر البداية والنهاية لابن كثير (وفيات سنة ٣٦ هـ) ٧ / ٢٠٩-٢٢٩ .

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد ، أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة الذين توفي رسول الله وهو عنهم راض . قُتِلَ غَدْرًا بعد رجوعه عن القيام يوم الجمل ٣٦هـ . انظر البداية والنهاية لابن كثير (وفيات سنة ٣٦ هـ) ٧/ ٢٦١-٢٦٢ .

(٣) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أنَّ مجموع ما قُسم بين ورثة الزبير ثمانية وثلاثين ألف ألف وأربعمائة ألف وخمسون ألف ألف وستمائة ألف درهم ، وقد جمع ماله هذا من الصدقات الكثيرة والمآثر الغزيرة مما أفاء الله عليه من الجهاد ، ومن خُمْسِ الخُمْسِ ما يخص أمه منه ، ومن التجارة المبرورة من الحلال . انظر البداية والنهاية لابن كثير (وفيات سنة ٣٦ هـ) ٧/ ٢٦٢ .

(٤) عبد الرحمن بن عوف القرشي . أسلم قديمًا ، شهد بدرًا وما بعدها ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أصحاب الشورى ، تصدق على عهد النبي ﷺ بشطر ماله وقدره أربعة آلاف ، ثم تصدق بأربعين ألفًا ، ثم تصدق بأربعين ألف دينار . كان نساؤه أربعًا ؛ فصُولِحَت إحداهن من ربع الثمن بثمانين ألفًا . مات ٣٢ هـ . انظر البداية والنهاية لابن كثير (وفيات سنة ٣٢ هـ) ٧/ ١٧٢-١٧٤ .

(٥) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي التيمي ، ويُعْرَفُ بطلحة الخير وطلحة الفياض لكرمه . أسلم قديمًا ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . كانت غلَّته في كل يوم ألف درهم .قُتِلَ يوم الجمل ٣٦هـ انظر عنه : البداية والنهاية لابن كثير (وفيات سنة ٣٦ هـ) ٧/ ٢٥٩-٢٦١ .

فصل

في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَلْتَنْظُر نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا الله إنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(١) .

لما خَذَلَ الله اليهود بنصر المؤمنين عليهم، وأنكَاهم بإخراجهم من أوطانهم(٢)، وملَّكَهَا للمؤمنين، رَغَّبَهم بتقواه، وبهذا النداء العظيم والوصف الشريف ناداهم ووصفهم؛ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله﴾ فهذا نداء مختص بهذه الأمة؛ لِعظَم شَرَفِهَا بشرف محمد ﷺ . أوحى الله تعالى إلى شعيب عليه السلام أن قُل لبني إسرائيل: سميتكم أحبائي ولم تقوموا بحق شكري، فوعزتي وجلالي لَأُوثِرَنَّ بذلك من يطيعني وتَعَقَّلَ أمري؛ هم أمة محمد؛ أمة يتطهرون ويُصلُّون لي قياماً وقعوداً، ولغفراني يلتمسون، إن غضبوا هللوني، وإن فزعوا كبَّروني، وإن تَنازعوا سبَّحوني(٣) .

وأصل التقوى عن الشرك والمعاصي؛ وتُطْلَقُ على اجتناب ما يُشْغِلُ السر عن الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ ليوم القيامة مما يُنْجِيهَا من طاعة الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّه﴾ وكرر التقوى؛ إذ التقوى الأولى في أداء الواجبات، والثانية في الاجتناب عن المنهيات ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٤) من خير أو شر.

وفي حديث قدسي يقول الله تعالى: إن من عبادي مَنْ لا يُصلح إيمانه إلا الفقر؛ فلو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يُصْلِحُ إيمانه إلا الصحة؛ فلو

(١) الآية رقم ١٨ من سورة الحشر. وسيبدأ المؤلف في شرحها حتى آخر السورة لوحة ١٤٦ظ .

(٢) وذلك بعد غزوة خيبر في السنة الرابعة من الهجرة، وأنكى: نكاية؛ أي هزمته وغلبته. لسان العرب (مادة :نكا) .

(٣) الحديث غير مَعْزوٍ إلى قائله ذكره الصفوري في نزهة المجالس - مع اختلاف يسير في اللفظ - (باب خصائص هذه الأمة المرحومة ....) ٢/ ٢١٥ .

(٤) الآية رقم ١٨ من سورة الحشر.

أسقمته لأفسده ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا السَّقَم ؛ فلو أصْحَحْتُهُ لَأَفْسَدَهُ ذلك ، وإنَّ من عبادي من يأتي بابًا من العبادة ؛ فأكُفُّهُ عنه كي لا يدخله العُجْبُ ، إني أُدَبِرُ عبادي بعلمي بما في قلوبهم ، إني عليم خبير(١) .

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا الله﴾(٢) نَسُوا حق الله المترتب عليهم من : صلاة ؛ فتارك الصلاة لا حظٌّ له في الإسلام ، ومن زكاة ؛ فإنها قنطرة الإسلام ؛ فمن كان يرجو النعيم المقيم ؛ فَلْيُبنِ تلك القنطرة بأداء زكاته ، ولْيَزِدْ عليها بإعطاء صدقاته ؛ فلمَّا نسوا الله ﴿فأنساهم أنفسهم﴾ ؛ أي أنساهم إياها من تعاطي ما ينفعها في الآخرة .

"فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُون" بترك المُؤْمَرات وعدم الاجتناب عن المُنْهَيَات ، ﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّة﴾(٣) أصحاب النار في العذاب دائمون ، وأصحاب الجنة هم الفائزون ، قال تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَة﴾ محبوسة ﴿إلا أَصْحَابَ الْيَمِيْنِ في جَنَّات يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِيْنَ ما سَلَكَكُمْ في سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّيْن وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِيْنَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَومِ الدِّينِ﴾(٤) .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : هؤلاء الأربعة ليس فيهم خير .

وَرُؤِيَت امرأة بعد موتها في المنام وعليها ثياب القَطِرَان ، وعلى رأسها خمار من

---

(١) جزء من حديث قدسي طويل عن أنس أورده أبو نعيم في الحلية (ترجمة الحسين بن يحيى الحسني) ٨/ ٣١٨- ٣١٩ . والحديث عن ابن عباس - مع اختلاف في اللفظ واتفاق في المعنى- أخرجه الطبراني في الكبير ١٢/ ١١٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (باب فيما يَصْلُحُ للمؤمنين على الغني والفقير)١٠/ ٢٧٠ .

(٢) الآية رقم ١٩ من سورة الحشر .

(٣) الآية رقم ٢٠ من سورة الحشر .

(٤) الآيات من ٣٨- ٤٦ من سورة المدثر .

نار، وفي أذنها مسمار من نار، ولسانها مُدلَّى على صدرها/ [١٤٤ظ] وفي رِجْلَيْها نَعْلان من نار، وهي تنادي: وا ويلتاه؛ والله ما سرقت، ولا زنيت، ولا أشركت، ولا سحرت؛ فَلِمَ يعذبني ربي هذا العذاب؟. فَنُودِيَت: زوجك كنت تبغضين، وجيرانك كنت تؤذين، ولعباد الله تشتمين، وللغيبة والنميمة كنت تَتَسَمَّعِينَ، وإذا أُعْطِيت إحسانًا تُنْكِرِينَ، ولو زِدْتِ لزدناك. أيا من لا يصبر رأسه على الصداع ساعة؛ فكيف يصبر على صب ماء الحميم على رأسه الذي حين يُصَبُّ يَسْقُطُ اللَّحم عن العظم؟! أيا من لا يصبر على الحَفَاء ساعة؛ كيف يصبر على نعال قُطِّعَت من نار.

﴿لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾، أصحاب النار لا يقولون لا إله إلا الله، وأصحاب الجنة هم الذين يذكرون الله ليلاً ونهاراً سراً وجِهاراً، هم رجال تجنبوا الفواحش والآثام وطلبوا رضا ذي الجلال والإكرام.

جاء: إذا اسْتَقَرَّ أهل الجنة في الجنة أمر الله جبريل أن يُجْلِسَهُم في مقعد صدق؛ أي مَرْضِي؛ فإذا أُجْلِسوا به جاء النداء من قِبَلِ الله تعالى: يا أحبتي؛ ماذا تريدون؟ فيقولون: نريد أن تُنْجِزَ لنا وعدك؛ فيقول تعالى: وما هو؟ وهو أعلم ماذا يريدون؛ فيقولون: يارب؛ نريد رؤيتك، ولذيذ خطابك، أنت وعدتنا بذلك؛ فينادي رب الأرباب: يا أيها الأحباب؛ ها أنا ربكم الأعلى تَمَلَّوا بجمالي؛ فإذا شاهدوا جماله خروا له ساجدين؛ فيأتيهم النداء أن ارفعوا رءوسكم، وانظروا حبيبكم؛ فليست هذه الدار دار تكليف وتعب، هذه جنتي، أدخلتكم إياها برحمتي، وأتممت لكم نعمتي برؤيتي.

فتوضع لهم الموائد، ويُكْسَونَ أحسن ملبوس، ويسمعون كلام الملك القدوس، ثم ينادي الله عباده: يا عبادي؛ هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا يا ربنا لا نرضى، وقد أعطيتنا ما لم تُعْطه أحداً من خلقك؛ فيقول تعالى: أُحِل عليكم رضواني؛ فلا أسخط عليكم بعده أَبَداً[١].

(١) الحديث غير مسند ذكره الصفوري في نزهة المجالس (باب ذكر الجنة) ٢/ ٢٤٢.

مرَّ الخوَّاص[١] -قُدِّسَ سره- على رجل مُلْقًى تحت شجرة قد أشْرَفَ على الموت من العطش ؛ وهو يقول : إلهي أنهارك جارية ، وبحارك في أقطارها طامية[٢] ، وهذا المحب يموت عطشًا ، ثم فتح عُيَيْنَتَيْه[٣] ؛ فإذا الخوَّاص عند رأسه ؛ فقال : يا خوَّاص ، وعزته وجلاله لو سقاني بحار المشارق والمغارب ما رُوِيتُ إلا بالنظر إلى نور جماله .

نَقَلَ ابن أبي الدنيا في كتاب : جامع الأدعية ، عن عطاء رحمه الله أنه قال : من قال : اللهم إني أسألك الجنة التي ظلها عرشك ، ونورها وجهك ، وَحَشْوُهَا رحمتك ، سبع مرات كل يوم أدخله الله الجنة[٤] . اللهم إني أسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول وعمل ، وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قول وعمل[٥] /[١٤٥و] ببركة لا إله إلا الله .

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا متصدعًا﴾ خاشعًا : ساكنًا ، متصدعًا : متشققًا ، متقطرًا ﴿من خشية الله﴾ من هيبته .

عن جعفر بن أبي طالب ﷺ أنه قال : رأيت من النبي ﷺ في مسيرة فرسخ[٦] ثلاث معجزات : الأولى : أني شكوت له العطش ؛ فقال : امض إلى هذا

(١) الخوَّاص : هو إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل ، أبو إسحاق ، وهو أحد من سلك طرق التوكل ، وكان أوحد المشايخ في وقته ، ومن أقران الجنيد والثوري . مات سنة ٢٩١هـ . انظر عنه : طبقات الصوفية للسلمي ص٢٨٤-٢٨٧ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ١٠/ ٣٢٠-٣٣١ .

(٢) طما الماء يَطْمو طُمُوًّا ويَطْمِي طَمِيًّا : ارتفع وعلا ملأ النهر ؛ فهو طامٍ ، وكذلك إذا امتلأ ماء البحر . لسان العرب (مادة : طما) .

(٣) في الأصل عَيْنَتَيْه وهو خطأ ؛ لأن تصغير العين عُيَيْنَ ، ومنه قيل ذو العُيَيْنَتَيْن وليس العينتين ، لسان العرب (مادة : عين) .

(٤) الحديث عن أنس مرفوعًا ذكره الطبراني في كتاب الدعاء (باب ما كان النبي ﷺ يدعو به في سائر نهاره) ٢/ ١٤٧٤ ، ولم نَجِدْهُ في كتاب جامع الأدعية لابن أبي الدنيا .

(٥) تتمة الحديث : وأسألك أنْ تجعل كل قضاء تقضيه لي خيراً . عن عائشة أم المؤمنين أخرجه ابن أبي شيبة في المُصَنَّف (كتاب الدعاء ، باب ما علَّمَهُ النبي ﷺ عائشة أن تدعو به) ٦/ ٤٥ .

(٦) الفرسخ : ثلاثة أميال أو ستة . لسان العرب (مادة : فرسخ) .

الجبل وأَقْرِئْهُ مني السلام ؛ وقل له : اسقني ؛ فأتيته وبَلَّغْتُهُ رسالة رسول الله ﷺ وسلامه ؛ فقال لي : بلِّغ ابن عمك رسول الله أنه لمَّا نزل قوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[1] ، بَكَيْتُ حتى إنه لم يَبْقَ فِيَّ قطرة من الماء ؛ ولكنَّ الله تعالى خلق فِيَّ الماء من أجل محمد ﷺ .

والثانية : أنَّ رسول الله نزل بفَلَاة ؛ فأراد قضاء حاجة ولم يكن فيها ما يُوَارِيْه ؛ فقال لي : امض إلى تلك الأشجار الثلاثة ؛ فاستَدْعِهَا لكي تسترني ، فأتيتها ؛ فبلَّغْتُهَا مقالة النبي ﷺ ، فتقطَّعت من أصولها ؛ فَشَقَّتِ الأرض وأتته حتى صارت عليه كالقبة تستره .

والثالثة : رأيت بعيراً مُقَيَّداً في ظل مُقَيِّد ؛ فلما قَرُبَ منه رسول الله قال له : ما لي أراك مقيداً؟ فَأَطْلَقُوهُ ؛ فقال البعير : يا رسولَ الله ؛ إن أصحابي ينامون عن صلاة العتمة - أي العشاء[2] من غير ترك - فما بالك بمن يتركها بالكلية [أي الصلوات الخمس] ، وَخَشِيْتُ أن تنزل بهم العقوبة من الله ؛ فهربتُ فظفروا بي ؛ فقيدوني كما ترى ؛ فَعَجِبَ لذلك النبي ﷺ واستدعى أصحاب البعير ، وأخبرهم بما قال ، واستتابهم فتابوا ، وأمرهم بإطلاق البعير ؛ فَأَطْلَقُوه[3] . فالقرآن عظيم الشأن وهو من أكبر معجزات خلاصة ولد عدنان .

قال المَهْدَوِيّ : مات في جواري رجل من مرتكبي العصيان ؛ فرأيته نِيَامًا[4] في

---

(١) جزء من الآية رقم ٢٤ من سورة البقرة .

(٢) العَتَمَةُ : وقت صلاة العشاء الأخيرة ؛ سُمِّيَتْ بذلك لاسْتِعْتَامِ نَعَمِهَا ، وقيل لتأخر وقتها . لسان العرب (مادة : عتم) .

(٣) الحكاية عن عقيل بن أبي طالب ذكرها عثمان بن حسن بن أحمد الخوبَوي في درة الناصحين في الوعظ والإرشاد (المجلس الثامن والثلاثون) ص ١٣٩

(٤) أي في المنام .

أحسن حال ؛ فقلت له : عهدي بك أن تكون كذلك ؛ فبم نلت هذا؟ قال : بقراءتي سورة يس والدُّخَان ؛ فببركة يس دَخَلْتُ الجنَانَ ، وببركة الدُّخَان نَجَوْتُ من النيران ، وناداني الملك الديَّان : لو كنت تقرأ أكثر من هذا لَزِدْنَاكَ .

يقال : سمع نصراني مَنْ يقرأ ، ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[1] إلى آخر السورة ، فصرخ وغُشِيَ عليه ؛ فلما أفاق ، قال : إنَّ لهذا الكلام صَوْلَةً ، ولقائله عظمة ، إنه ليس من كلام البشر ، آمنت به ، وبمن تكلم به ، وبمن أُنْزِل عليه ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّ محمداً رسول الله[2] .

فَمَنْ قرأ القرآن وضيَّع الصلاة كانت النار مأواه ، وَمَنْ قرأه ومنع الزكاة قطع الله منه رجاه ، ومن قرأه وشرب الخمر ، أو عمل شيئًا من المعاصي ؛ فالله بغضبه جازاه ، ومن ائْتُمِرَ بأوامره وانتهي عن نواهيه ، حصلت له السعادة والنجاة .

قال بعض العلماء : لَسَمَاعُ آية من كتاب الله خير مما تحت العرش إلى تُخُوم[3] الثرَى[4] .

﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ﴾ كتمثيل خشوع الجبال ونحوها ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ العقلاء أصحاب الفكر ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في معانيه ؛ فيعملون بما فيه ؛ والمراد توبيخ الإنسان على عدم تَخَشُّعِهِ عند تلاوة القرآن ، ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[5] .

---

(١) جزء من الآية رقم ٢١ من سورة الحشر .

(٢) انظر الحكاية في معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي - مع اختلاف في اللفظ واتفاق في المعنى- (الوجه العشرون من وجوه الإعجاز) ١/ ١٨٣ .

(٣) تخوم : الفصل بين الأرضين من الحدود والمعالم . لسان العرب (مادة : تخم) .

(٤) القول منسوبًا للإمام علي رضي الله عنه ذكره المجلسي في بحار الأنوار - مع اختلاف يسير في اللفظ - (باب فضل التدبر في قراءة القرآن)٩/ ١٩ .

(٥) الآية رقم ٢٤ من سورة محمد .

/[١٤٥ظ] ولمَّا وصف القرآن بالعِظَمِ أَتْبَعَهُ بذكر عظمته جلَّ وعلا ؛ فقال : ﴿هو الله الذي لا إله﴾ معبود بحق في الوجود ﴿إلا هو﴾[١] ، قال بعض العلماء : إن لفظة هو : هي الاسم الأعظم الذي إذا دُعِيَ الله به أجاب ، وإذا سُئِلَ به أعطى[٢] ، وكان بعضهم يدعو به أن يُنْجِيَهُ ، فرُؤِيَ في المَنَامِ بعد موته ؛ فقيل له : ما فعل الله بك ؛ قال : أوْقَفَنِي بين يديه ، وقال : يا عبد السوء ، ماذا عملت فيما أتيتك به من الإنعام؟ فقال : يارب ، صرفته في وجوه الخير ، وصليت الخمس وتنفلت بكذا وكذا ؛ فقال : خزائني من ذلك مملوءة ، وقال : يارب ؛ ختمت كذا كذا ختمة ، قال : خزائني من ذلك مملوءة ، قال : يارب ؛ صمت غير الفرض كذا وكذا سنة ، قال : خزائني من ذلك مملوءة ، قال يا رب ، حججت كذا وكذا حِجَةً ، قال : خزائني من ذلك مملوءة ؛ قال : يا رب ، جئتك بالذل والافتقار متوسلاً باسمك الأعظم ، قال : الآن وصلت إلينا ، الآن وصلت إلينا[٣] .

وقيل الاسم الأعظم : الحي القيوم .

عن علي ﷺ قال : لمَّا كان يوم بدر قاتلت ، ثم جئت النبي ﷺ لأَنْظُرَهُ ماذا يصنع ؛ فرأيته ساجداً ، وهو يقول : يا حي يا قيوم ، لا يُزِيدُ على ذلك ؛ فَرَجَعْتُ إلى القتال ، ثم جئته ؛ فوجدته ساجداً يقول : يا حي يا قيوم ؛ فما زلت أذهب إلى القتال وأجيئه ؛ فأجده يقول : يا حي يا قيوم ؛ حتى فَتَحَ الله عليه[٤] .

---

(١) انظر روح المعاني للألوسي تفسير سورة محمد الآيات : ١٥-١٩ . وقد أغفل المؤلف -شرح الآية رقم ٢٢ من سورة الحشر .

(٢) انظر روح البيان في تفسير القرآن لاسماعيل حقي (المقدمة) ص ١٠ .

(٣)انظر تفسير ابن بَرّجَان المسمى بـ (تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم) تفسير سورة النمل الآيات : ٢٧-٤٢ ، ٤/ ٢٤٠ .

() الحديث عن علي رضي الله عنه أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب الصلاة)قال الذهبي : صحيح ١/ ٣٣٢ وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة عن علي بن أبي طالب (باب الاستنصار عند اللقاء) ص٢٠١ .

وجمهور العلماء على أن الاسم الأعظم : لفظ الجلالة ؛ لأنه اسم للذات لا يُطلق على غيره من المسميات[١] ؛ قال تعالى : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾[٢] فلم تُسَمِّ الجاهلية شيئًا من أصنامهم به ؛ لأنه تعالى حَمَاهُ ؛ نعم سَمَّى واحد من الجاهلية مولوده به ؛ فنزلت صاعقة أحرقته مع من في عياله ، وخسفت بهم الأرض[٣] ، ومن خاصية هذا الاسم ؛ أنه لا يُقْبَل من كافر الإسلام حتى يُجْرِيَهُ على لسانه ، ويقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وأنا بريء من كل دين يخالف دين الإسلام[٤] .

وكان رجل يلازم تلاوته ، ويُجالس الفقراء مع السكوت ؛ فأطلقوا فيه اللسان ؛ فبينما هو جالس ؛ إذ أصاب رأسه حجر ؛ فَدَمَى فسقط الدم على الأرض على صورة : الله الله ؛ فتحيَّر الناظرون إليه . فيا أخي ؛ عليك بالتأدب مع خلق الله ؛ فيهم رجال إن قاموا قاموا لله ، وإن جلسوا جلسوا بالله ، وإن نطقوا نطقوا بالله ، وإن سكتوا سكتوا بالله ، ولو تكلمت جوارحهم لقالت : الله الله ، ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾[٥] اللهم اجعلنا في بركاتهم بحرمة محمد رسولك ، آمين .

وقال بعضهم : إن الاسم الأعظم مُخْفَىً في الأسماء الحسنى ؛ ليلازم الإنسان على جميعها .

قال رسول الله ﷺ : إنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا مَنْ أحصاها دخل الجنة[٦] ؛

---

(١) القول ذكره المدني في كتابه الأصول الدينية في شرح الرسالة العَلاوِيَّة (كتاب التصوف) ص ٣٦٨ .

(٢) جزء من الآية رقم ٦٥ من سورة مريم .

(٣) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور (تفسير سورة مريم) ٧/ ١٤٤ .

(٤) وأيضا توبة المرتد - وكل كافر - إسلامُه ؛ بأن يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ومَن كفر بجحد فرض ونحوه ، فتوبته مع الشهادتين إقراره بالمجحود به ، أو قول : أنا بريء من كل دين يخالف دينَ الإسلامَ . انظر : زاد المُسْتَقْنع في اختصار المُقْنِعْ للحجاوي . المقدسي ، ص٢٢٥

(٥) جزء من الآية رقم ٣٧ من سورة النور .

(٦) جزء من حديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب الشروط ، باب ما يجوز من الاشتراط في الإقرار) ٢/ ٩٨١-٩٨٢ ، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء ، باب في أسماء الله تعالى وفضل مَنْ أحصاها) ١٧/ ٨ .

أي من حفظها عن ظهر قلبه ، ويقال : مَنْ عَلِمَها ، ويقال : من أحصاها كتابة وتلاها .

وكذلك أخفى الله تعالى ليلة القدر في شهر رمضان ؛ ليواظب الإنسان على قيام جميع لَيَالِيه بالصلوات ، والتلاوة ، والذِكْرِ ، ومطالعة العلوم النافعة .

ومن العبادة وطيء الحلائل[١] من النساء ، كما قال تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾[٢] أي الجامعة إلى نسائكم .

وأخفى الله تعالى / [١٤٦و] سُخْطَهُ في معصيته ؛ ليجتنبَ الإنسان جميعها ، وأخفى رضاه في طاعته ؛ ليفوز بالمداومة على أنواع الطاعات ؛ فإن شُعَب الإيمان[٣] كثيرة أعلاها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق[٤] ، فلا يَسْتَقِلَّ الإنسان طاعته ، ولو كانت شِقَّ تمرة أو كلمة طيبة ، وإنكار معصية ولو بالقلب ؛ فإنه طاعة ، ولا يستصغر الإنسان معصيته ، ولو كانت أصغر الصغائر ، ولينظر على من تَجَرَّأ ، وهو الله تعالى . وأخفى الله تعالى الولي لئلا يحتقر الإنسان أحداً من المؤمنين .

﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾[٥] ؛ فهذه الكلمة متضمنة لجميع فروع الإيمان ، وللاسم الأعظم : الذي هو لفظ الجلالة ، أو لفظ هو ، وثوابها جزيل ؛ فقد قال ﷺ :

---

(١) الحَليلة : الزوجة ، وجمعها حلائل ، لسان العرب (مادة : حلل) .

(٢) جزء من الآية رقم ١٨٧ من سورة البقرة .

(٣) في الأصل : الأنواع ، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه .

(٤) جاء في الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : الإيمان بضع وسبعون ، أو بِضْعٌ وستون شعبة ؛ فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان .
أخرجه مسلم (كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها ....) ٢/ ٦ ، وأبو دلود (كتاب السنة ، باب في رد الإرجاء) ٥/ ٣٩ .

(٥) تتمة شرح آيات سورة الحشر .

من قال لا إله إلا الله ومدَّها بالتعظيم غفر الله له أربعة آلاف ذنب ، قيل : يا رسول الله ؛ فإن لم يكن له أربعة آلاف ذنب؟ قال : يغفر الله لأهله وجيرانه ، ومَنْ عُرِفَ من إخوانه[١] .

ومَرَّ لنا مِرَارًا بأن الله خلق مَلَكًا يوم خلق السماوات والأرض ، وأمره أن يقول : لا إله إلا الله ؛ فهو يقولها مَادًّا بها صوته لا يَفْرَغُ منها حتى يُنْفَخُ في الصُّور[٢] .

وفي الحديث من الفائدة : إنَّ نَفَسَ مَلَكٍ من الملائكة بقدر عمر الدنيا ، ومن أراد الدنيا والآخرة فعليه بهذه الكلمة . ففي الدنيا يَحْقِنُ الإنسان بها دمه ، ويَحُوزُ ماله ؛ فقد قال ﷺ : أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها[٣] .

فقد قال ﷺ في حق الآخرة : من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة[٤] . معتقدًا حقيقتها ، بخلاف فرعون لَمَّا أدركه الغرق ؛ فإنه وإن ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾[٥] ليس مراده عبودية الله تعالى ولا اعتقاد حقيقتها ؛ إنما مراده الخلاص وتقليد بني إسرائيل . وأنه كافر على قول جمهور العلماء ، خلافًا لمن يقول بإيمانه تائبًا . وأمَّا يونس عليه السلام فإنه ذكرها على سبيل

---

(١) الحديث بتمامه ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين موقوفًا على أحد الصحابة ولم يُسَمِّه (باب ما جاء في فضل لا إله إلا الله) ص ٣٥ ، والصفوري في نزهة المجالس (فصل في الذكر) ١/ ١٥-١٦ .

(٢) الحديث عن ابن عباس ذكره الصفوري في نزهة المجالس (الموضع السابق) ١/ ١٥ .

(٣) الحديث عن أبي هريرة أخرجه مسلم (كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) ١ / ٢٣٩-٢٤٠ ، والحديث بألفاظ أطول عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة) : ٢/ ٥٠٧ .

(٤) الحديث عن معاذ بن جبل أخرجه أبو داود (كتاب الجنائز ، باب في التلقين) ٣/ ٣١٨ ، وأحمد في المسند ٣٦/ ٣٦٣ ، والبزار في مسنده ٧/ ٧٧ .

(٥) جزء من الآية رقم ٩٠ من سورة يونس .

العجز والانكسار ؛ بسبب حاله في الظلمات المتراكمة ، كما أخبر تعالى عنه بقوله : ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[١] .

فَتُقُبِّلَت منه كما قال تعالى : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[٢] .

قال العلماء : إنَّ هذه الكلمة التي قالها يونس ﷺ اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِي به أجاب ، وإذا سُئِلَ به أعطى ، ما قالها إنسان في دعائه بالخير إلا تُقُبِّلَ له ، كطلب مغفرة وحج وعافية في طاعة ، ورزق حلال ، وزوجة جميلة ، ونصر على الأعداء وغير ذلك .

ومن فوائد كلمة التوحيد أنَّ جميع الطاعات لا تبقى يوم القيامة ، وهي تبقى جارية على لسان أهل الجنة .

وفي آخر الزمان عند كثرة الفتن ، وكثرة جاحدي حقيقتها لم يكن شيء أفضل منها .

وفي بعض الآثار : إذا قال العبد لا إله إلا الله أعطاه الله من الثواب بعدد كل كافرٍ وكافرة[٣] وذلك أن بالتلفظ بها رد على كل كافر وكافرة كفرهم ؛ فلذلك الثواب بعددهم ؛ فهذه / [١٤٦ ظ] دُرٌّ أعطاه الله للمؤمن ، والمؤمن يَلْمِظُهُ[٤] في ضميره ، ويَدَّخره ليوم النشور .

(١) جزء من الآية رقم ٨٧ من سورة الأنبياء .

(٢) جزء من الآية رقم ٦٢ من سورة النمل .

(٣) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من كتب .

(٤) التَلَمُّظُ : الأخذ باللسان ما يبقى في الفم من الطعام . لسان العرب (مادة : لمظ) .

وما أحسن قول بعضهم : [بحر الطويل]

لَكَ الحَمْدُ فِي الدُّرِّ[١] الذي لي لَفْظُه فَإِنَّكَ مُعْطِيهِ[٢] وإني نَاظِمُ[٣]

اللهم كما مننت بها علينا في أول عمرنا ؛ فَمُنَّ علينا فِي آخِره بها ، بفضل منك يا أرحم الراحمين . ويا أكرم الأكرمين .

﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم﴾[٤] ؛ لخلقه دنيا وأُخْرَى .

﴿ الملك﴾ لهم فهم تحت قهره ، ﴿القدوس السلام﴾ مما يليق ذاتًا وصفاتًا .

﴿المؤمن﴾ : الذي أَعْطِيَ الأمان لمن أطاعه بعدم تعذيبه ، ﴿المهيمن﴾ : العالم بأعمال خلقه ، والقائم برزقهم ﴿العزيز﴾ الذي لا يوجد له نظير ﴿الجبَّار﴾ العظيم ذاتًا ، ﴿المتكبر﴾ ذو العظمة صِفاتًا

﴿سُبْحَانَ الله عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بادعاء الكبرياء لأنفسهم ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ - لِخَلْقه - ﴿ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ولَمَّا علَّمَها آدم عليه السلام وعلمه جميع أسماء المخلوقات ؛ فَضِّلَ على الملائكة .

ولَمَّا أُلْقِيَ إبراهيم عليه السلام في النار ، اجتمعت الطيور في الهواء ؛ فَأَلْقَى الهزار[٥] .

---

(١) يعني بالدُّرِّ شعره ، يقول المعاني لك واللفظ لي ؛ فأنت تُعْطِينيه وأنا أنظمه . انظر شرح ديوان المتنبي ٣/ ٣٩١ .

(٢) في الأصل : تُعْطيه ، وهو خطأ ، والمثبت من شرح ديوان المتنبي وهو الآكَدُ للصواب .

(٣) في الأصل : ناظمه ، وهو خطأ ، والمثبت من شرح ديوان المتنبي وهو الآكَدُ للصواب . انظر شرح ديوان المتنبي ٣/ ٣٩١

(٤) تتمة شرح آيات سورة الحشر .

(٥) الهزار : العندليب . انظر حياة الحيوان الكبرى للدميري ص ١٦٣ ، والله عز وجل يقول في كتابه العزيز : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ . الآية ٤٤ من سورة الإسراء .

نفسه عليه ؛ فاعترضه جبريل عليه السلام وقال : ماذا تريد؟ فقال : ذلك محبة في الله تعالى ، أريد أن يعلمني رسول الله إبراهيم عليه السلام أسماء الله الحسنى ؛ فعلمه إياها ؛ فهو يترنم بها إلى يوم القيامة[1] ؛ فما تسمعه يا أخي من الهزار ؛ هو تلاوة أسماء الله الحسنى ؛ فيجوز تربيته واسْتِئْجَارهُ بشرط أن يُقْصَدَ بذلك التدبروالاستئناس في مصنوعات الله ، وكذلك بقية الطيور ولو حمامًا بشرط أن لا يطيرها ، وإلا كان ملعونًا .

يُقَال : إنَّ الله تعالى خلق مَلَكًا له ألف رأس ، في كل رأس ألف وجه ، في كل وجه ألف فم ، في كل فم ألف لسان ، يُسبح كل لسان منها بأنواع التسبيح[2] ؛ فقال يومًا : يا رب هل خَلَقْتَ خَلْقًا أعبد لك مني ؛ قال تعالى : نعم رجل في مكان كذا ؛ فاستأذن الملك من الله أن يجتمع به ؛ فلما اجتمع به وجده لا يزيد على صلاة الفرض ؛ فقال الملك للرجل العابد : هل لك من عملٍ غير هذا؟ قال : نعم ؛ أذكر الله تعالى بأسمائه . فلا تغفل يا أخي عنها .

﴿يسبح له ما في السماوات والأرض﴾ : من ذي روح وغيره بلسان القَالِّ فيهما - على الأصح- لكن تسبيح غير ذي الروح مستور عنّا ، وقد انكشف لكثير من الأولياء الكرام فضلاً عن الأنبياء العظام عليهم أفضل الصلاة وأتم السلام .

يقال : خلق الله ملكًا له أربع مئة ألف رأس ، في كل رأس أربع مئة ألف وجه ، في كل وجه أربع مئة ألف فم ، في كل فم أربع مئة ألف لسان ، لكل لسان لغة لا تشبه لغة اللسان الآخر ؛ فقال : يا رب ؛ هل خلقت خلقًا يُكْثِرُ من ذكرك مثلي

---

(١) انظر نزهة المجالس للصفوري (باب فضل الدعاء) ١/ ٨٨-٨٩ .

(٢) القول حتى هذا اللفظ ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (باب في فضائل الأربعة) ١/ ٤٠٤-٤٠٥ .

أوأزيد؟ ، قال : نعم ، عبدي يوشع بن نون[١] - ويوشع عليه السلام مدفون في معرة النعمان يُزارُ وهو مشهور فيها - فاستأذن في زيارته ؛ فأذنَ له ، فلما اجتمع سأله عما يذكره ؛ فقال : أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت : سبحان الله وبحمده أضعاف ما سبحه به خَلْقُه وأضعاف ذلك كله حتى يرضى ربنا ، وكما ينبغي لكرم وجهه ولعز جلاله ، وعظم ربوبيته ، وكما هو له أهل ، وأُهلله كذلك ، وأحمده كذلك ، وأشكره كذلك .

من قال : سبحان الله وبحمده ، جاء في بعض الآثار يقول الله تعالى : صَدَقَ عبدي سبحاني وبحمدي ، إن سألني أعطيته ، وإن سكت غفرت له ما لا يُحْصَى[٢] .

﴿وهو العزيز﴾ ذاتًا ، ﴿الحكيم﴾ صنعًا ، قيل : هي الاسم الأعظم ، وكذا في الحديث : من قالها مئة مرة حُطَّت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر[٣] /[١٤٧و] .

---

(١) يوشع بن نون (عند المسلمين) ، يشوع بن نون (عند المسيحيين) يقال : إنه نبي من أنبياء الله ، (يهوشوع بالعبرية) هو شخصية في العهد القديم المذكور في سِفْرِ يشوع . وذكر ابن كثير أنه : يوشع بن نون بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام . وهو متفق على نبوته عند أهل الكتاب . انظر : البداية والنهاية لابن كثير (نبوة يوشع عليه السلام) ١/ ٣٨٣-٣٩٠ . ولم نجد القول فيما بين أيدينا من الكتب .

(٢) انظر : نزهة المجالس للصفوري (باب المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى) ٢/ ٨٩ .

(٣) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب الدعوات ، باب فضل التسبيح) ٥/ ٢٣٥٢ ، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء) ١٧/ ٢٠- ٢١ .

فصل

في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[١] .

لِيُعْلَمَ أنَّ قتل النفس ظلمًا من أكبر الكبائر بعد الكفر بالله - والعياذ بالله- لحديث الشيخين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال ﷺ : اجتنبوا السبع الْمُوبِقَاتْ ، ذكر فيه : وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق[٢] .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال ﷺ : أول ما يُقْضَى بين الناس يوم القيامة في الدماء[٣] .

وعن البَرَاء رضي الله عنه قال : قال ﷺ : لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق[٤] . وَزِيْدَ في رواية : ولو أن أهل سماواته ، وأهل أرضه اشتركوا في دم رجل مؤمن لأدخلهم الله النار[٥] .

وإلى هنا انتهى شرح آيات سورة الحشر والتي بدأها المؤلف ص ١٤٤و .

(١) الآيات ٧٢ ، ٧٣ من سورة البقرة ، وسيبدأ المؤلف في شرحها .

(٢) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب الوصايا ، باب قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ ٣/ ١٠١٧ ، ومسلم (كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها) ٢/ ٨٤ .

(٣) الحديث عن ابن مسعود أخرجه البخاري (كتاب الرقاق ، باب القصاص يوم القيامة في الدماء) ٥/ ٢٣٩٤ ، ومسلم (كتاب القسامة ، باب المجازاة بالدماء) ١١/ ٢١٨ .

(٤) الحديث بسنده ولفظه أخرجه ابن ماجه (كتاب الديات ، باب التغليظ في قتل مسلم ظلمًا) ٣/ ١٦٦ ، والحديث عن عبد الله بن عمرو ، وقد جاء متن الحديث خلْوًا من عبارة ذ بغير حق- أخرجه الترمذي (كتاب الديات ، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن) قال أبو عيسى : وهذا أصح من حديث ابن أبي عدي ٤/ ١٠ ، والنسائي (كتاب تحريم الدم ، باب تعظيم الدم) ص١١٧ .

(٥) الحديث بهذه الرواية عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة أخرجه الترمذي (الموضع السابق) وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب ٤/ ١١ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الحدود) قال الذهبي : خَبَرٌ وَاهٍ ٨/

وفي حديث [بلفظ] : مسلم : لو أنَّ أهل السماوات والأرض اجتمعوا على قتل مسلم ؛ لكبهم الله جميعًا على وجوههم في النار(١) .

وقوله : اشتركوا واجتمعوا ؛ شامل لكل من شارك فيه بأمر أو شهادة ، أو رضي به ، أو حصول مسرَّة عند الإخبار به ، ولو كان في بلدة أخرى بسبب عداوة جاهلية كعداوة القيسية(٢) واليمنية ، إن سُئِلَ أحدهم عن مذهبه يقول : قيسي أو يمني ، وربما يستحلون قتل بعضهم بعضًا ؛ فيخرجون به عن الدين من حيث لا يشعرون .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال ﷺ : لا يقفن أحدكم موقفًا يُقْتَلُ فيه رجل ظلمًا ؛ فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه ، ولا يَقِفَنَّ أحدكم موقفًا يُضْرَب فيه رجل ظلمًا ؛ فإنَّ اللعنة تنزل على من حضره حيث لم يدفعوا عنه(٣) . قالوا : هذا مثل من يحضر قتل المشنوقين أو المصلوبين أو غيرهم(٤) .

وقالوا : النظر إلى المشنوق ، أو المصلوب ، أو المقتول بأي صفة قُتل ، يُوْرِثُ الفقر والنسيان ؛ فمما يُورِث الفقر : التبكير إلى السوق ، وإسراع الخروج من المسجد بعد صلاة الصبح ، وشراء الخبز من الشحاذين ، وإطفاء السراج بالفم ، ومنع الخمير من العجين ، والمشي بين المعز ، ومما يُوْرِثُ النسيان : نظر الإنسان إلى عورة نفسه أو إلى عورة غيره ، وقراءة ما يُكْتَبُ على القبور ، والإكثار من أكل الحوامض .

. ٢٨٥٨

(١) لم نقف على الحديث بلفظ : مسلم . والموجود بلفظ : مؤمن . كما في الحديث السابق .

(٢) القيسية : شعب عظيم ينتسب إلى قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، واسم عيلان : الناس ، وقد تشعبت قيس إلى ثلاث بطون : من كعب ، وعمرو ، وسعد ببنيه الثلاثة ، وغلب اسم قيس على سائر العدنانية حتى جُعِلَ في المثل في مقابل عرب اليمن قاطبة ؛ فيقال قيس ويمن . انظر عنه :معجم القبائل العربية قديما وحديثًا لعمر رضا كحالة ٣/ ٩٧٢ .

(٣) الحديث عن ابن عباس أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٢٦٠ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ، (باب من أَمَّنَهُ أحد على دمه) ٦/ ٢٨٤ .

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام في مناجاته : ستة في ناري وغضبي : من طال عمره وساء عمله ، وغنيٌّ سارق ، وعالم فاسق ، ومن أتاني على غير توبة ، ومن لقيني بدم مؤمن تعمَّد قتله ، ومن منع حقي وأكله[١] . دخل فيه مانعوا الزكاة .

وقال أرسطوطاليس[٢] للإسكندر :[٣] إن من أهم ما أوصيك به ليصح أمرك ، ويدوم ملكك : التعفف عن الدماء ، وقال له : يا إسكندر ، من قتل قتيلاً ضجَّت الملائكة السماوية ؛ فيوحي إليهم أنه قُتِلَ قَصَاصًا ، وإن قُتِلَ ظلمًا أوحى إليهم : أن يا ملائكتي وعزتي وجلالي لا أُضيع دم عبدي ؛ فلا تزال الملائكة تدعوا على القاتل حتى يُؤخذ بدمه ، وإن مات حتْفَ أنفه ؛ أي على فراشه لقي الله وهو عليه غضبان . ومما يدل على أن الدم لا يضيِّعُه الله تعالى ما يقال : إن أُنَيْقش[٤] الشاعر كتب إليه ملك زمانه أن احضر إلى عندي ، فارتحل بمفرده ؛ لأنه كان من المتوكلين ؛ فخرج عليه قُطَّاع الطريق ؛ فلما لم يجد له ناصرًا ، نظر إلى السماء ؛ فرأى كراكي طائرة ؛ فقال : كوني يا أيتها الكراكي[٥] اشهدي لي بين يدي الله تعالى ؛ /[١٤٧ظ] ونسبوه إلى

---

(٤) هذا إن كان قد قُتِلَ ظلمًا .

(١) انظر بحر الدموع لابن الجوزي (الفصل الثاني والثلاثون) ص ١٤٨ .

(٢) أرسطو أو أرسطوطاليس ، فيلسوف يوناني ، تلميذ أفلاطون ، ومعلم الإسكندر الأكبر ، وواحد من عظماء المفكرين ، تشمل كتاباته مجالات عدة منها : الفيزياء ، والميتافيزيقا ، والشعر ، والمنطق ، والموسيقى ، والمسرح ، والبلاغة ، والسياسة ، والحكمة وعلم الحيوان . ولد ٣٨٤ ق .م . ، ومات ٣٢٢ ق .م . انظر : المعجم الفلسفي لمراد وهبه ص ٤٤ .

(٣) الإسكندر : ملك مقدونيا ، تتلمذ على يد أرسطو ، حارب الفرس ، وحقق عليه انتصارات كثيرة ، وتوغَّلَ في الإمبراطورية الفارسية حتى الهند ، بنى عدة مدن سماها كلها الإسكندرية ، وأشهرها مدينة الإسكندرية بمصر . ولد ٣٥٦ ق .م وتوفي ٣٢٣ ق .م . انظر عنه : تجارب الأمم لابن مسكويه ١/ ٩٥-١٠٤ .

(٤) لم نقف على ترجمته فيما بين أيدينا من كتب .

(٥) الكركي : طائر كبير معروف ، والجمع الكراكي ، وكنيته أبو عُرْيَان ، وأبو عيناء ، وأبو العيزار ، وأبو نعيم ، وأبو الهيصم ، وذهب بعض الناس إلى أنه الغرنوق ، وهو أغبر طويل الساقين ، وهو من الحيوان الذي لا يصلح إلا برئيس ؛ لأن في طبعه الحذر ، والتحارس بالنَوبَة ، وفي طبعه التناصر ، ولا تطير

الجنَّة ؛ فلما هموا بقتله ، قال : خذوا جملة ما معي وأطلقوني ؛ فلم يرتضوا إلا بقتله ؛ فقتلوه ودفنوه ، واتصل خبر قتله إلى الملك ، ولم يُعْرَف قاتلوه . ولمَّا كان عيد اليونانيين ، وهو اليوم الذي يُقَال له المهرجان ، أول يوم من فصل الخريف ، اجتمع الناس في المحل الذي قُتِلَ به ، وهو محل اجتماعهم كل سنة ؛ فجاءت الكراكي ووقفت محاذية لقبره ، وجعلت تَصيْحُ ، وكانت القتلة له حاضرين في ذلك الجمع ؛ فتذكروا ما قاله أُنَيْقش ؛ فقال بعضهم لبعض : هؤلاء المطالبون بدم أُنَيْقش ، فسمع كلامهم بعض القوم ؛ فقبضوا عليهم وأحضروهم بين يدي الملك ؛ فقُرروا فأقروا بقتله ؛ فقتلهم جميعًا[1] .

﴿فَادَّارَأْتُم﴾[2] ، تخاصمتم لموسى بالسؤال عن أمر القتيل وعن قاتله ، واسمه عاميل ، يقتص من القاتل ، والعفو مستحب ، قال تعالى : ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[3] وما رُفِعَ أمر قصاص إلى النبي ﷺ إلا أمر فيه بالعفو[4] .

والعفو لا يتجزأ ؛ فإن عفى البعض من الأولياء سقط القصاص ، وإن لم يعف الباقون ؛ فالقتل وقع بالأنبياء الفِخَام ، فما بالك بمن دونهم ؛ فقد نُشِرَ ذكريا عليه السلام وذُبِحَ ابنه يحيى عليه السلام . ولا تنسَ قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وكان النبي ﷺ يحبه هو وأخاه الحسن رضي الله عنه حبًا شديداً . دخل النبي ﷺ حجرته ؛ فتعلق به الحسين ، وهو صغير محمول على اليدين ؛ فحمله فَبَالَ على ثوب النبي ﷺ ،

الجماعة منه متفرقة ؛ بل صفًا واحداً . انظر عنه حياة الحيوان الكبرى للدميري ص١٤٧ .

(١) انظر الحكاية في : الزاهر في بيان ما يُجْتَنَبُ من الخبائث والصغائر والكبائر ، للقرطبي (باب القتل) ص١٩٧ .

(٢) تتمة شرح آيات سورة البقرة .

(٣) الآية ٤٠ من سورة الشورى .

(٤) الحديث عن أنس أخرجه أبو داود (كتاب الديات ، باب الإمام يأمر بالعفو في الدم) ٤/ ٤١٤ ، والنسائي (كتاب القسامة ، باب الأمر بالعفو عن القصاص) ص٧٣٠ ، وابن ماجه (كتاب الديات ،

فجذبته أم الفضل[١] - أم الفضل زوجة العباس رضي الله عنه لا مرضعته في الأصح - فبكى ، فتألم رسول الله وبكى لبكائه ؛ فخرجت لتجيء بالماء لتغسل ثوب رسول الله ؛ فلمَّا عادت وجدت رسول الله زاد بكاء ؛ فقيل له : يا رسول الله ، هذا البكاء لأجل بكاء هذا الصغير؟ . فقال ﷺ : إنْ جبريل عليه السلام جاءني ؛ فقال لي : تغتم الآنَ من أجل جذبة ؛ فأين تكون حين يُقْطَع رأسه بكربلاء ؛ فردعه[٢] من ذلك الخبر رسول الله ﷺ وبكى ، وبكت الملائكة من أجل بكائه ، ثم قال : يا أم الفضل ، لا تخبري فاطمة ؛ فإنها لا تطيق ذلك[٣] .

عن أبي هريرة[٤] رضي الله عنه قال : رأيت رجلاً في الطواف يقول : اللهم اغفر لي ؛ ولا أظن أنك يارب تفعل ؛ فعجب لمقالته أبو هريرة رضي الله عنه فقال : ما بالك ، لو أن ذنوبك عدد القَطْرِ ثم استغفرت ، وجدت الله غفوراً رحيماً ؛ فقال : ذنبي عظيم ، كنا خمسون رجلاً ممن قتل الحسين ، ولعن الله قاتله ؛ فأخذنا رأسه ؛ فَغَسَّلْنَاه ولففناهُ بحَريرة ، ووضعناه في التابوت ، وكان حرَّاس التابوت يطوفون حوله ويشربون الخمر من

باب العفو في القصاص) ٣/ ١٩٢ ، وأحمد في المسند ٢٠/ ٤٣٧ .

(١) هي أم الفضل بنت الحارث ، زوجة العباس ، لها ثلاثون حديثا ، قيل هي أول امرأة أسلمت بعد خديجة أم المؤمنين . أنظر : الخلاصة للخزرجي ص ٤٩٥ .

(٢) الرُّدَاع : الوجع في الجسد أجمع . لسان العرب (مادة : ردع)

(٣) الحديث عن أم الفضل بنت الحارث- بألفاظ مختلفة- أخرجه الحاكم في المُستدرك (كتاب معرفة الصحابة) قال عنه الذهبي : منقطع ضعيفٌ ٥/ ١٨٠٦ ، وروى أحمد في مُسْنَده حديثًا عن أنس قال : إنَّ مَلَكَ المطر استئذَنَ ربه أن يأتي النبي ﷺ فَأَذِنَ له ، فقال لأم سَلَمَةَ : أمْلكِي علينا الباب لا يدخل علينا أحد ، قال : وجاء الحسين ليدخل فمنعته ، فوثب ، ودخل ، فجعل يقعد على ظهر النبي ﷺ وعلى مَنْكَبه ، وعلى عاتقه . قال : فقال المَلَكُ للنبي ﷺ : أتحبه؟ قال : نعم . قال : أمَا إنَّ أُمَّتَكَ ستقتله ، وإنْ شئت أرَيْتُكَ المكان الذي يُقْتَلُ به ، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء ، فأخذتها أم سَلَمَةَ ؛ فَصَرَّتهَا في خِمَارِهَا . قال : قال ثابت : بلَغَنَا أنها كربلاء . انظر أحمد في مُسنده ٢١/ ١٧٢- ١٧٣ .

(٤) هذه الرواية خاطئة ؛ فقد قال غير واحد إن أبا هريرة توفي سنة تسع وخمسين ، وقيل ثمان ، وقيل :

كربلاء إلى دمشق ، حتى أتو يزيد[١] اللعين ، فقال الرجل : يا أبا هريرة كنت ذات ليلة مع الحراس بين النوم واليقظة ؛ إذ سمعت صوت رعد ولمعان برق ؛ فنظرت إلى السماء ؛ فإذا أبواب السماء قد انفتحت ، وآدم قد جاء مع جند من الملائكة ؛ فوقف عند تابوت الحسين ، ثم جاء نوح ، ثم إبراهيم ، ثم إسماعيل ، ثم يعقوب ، ثم موسى ، ثم عيسى عليهم السلام ، وكثير من الأنبياء كل واحد مع طائفة من الملائكة لا يوصف عددهم ، وأصوات الرعود ولمعان البروق لا ينقطع ، ثم قيل : قد أقبل محمد ﷺ فإذا بصهيل الخيل ، وقعقعة[٢] الأسلحة مع جبريل ، وميكائيل وإسرافيل ، والكروبيين[٣] ، والروحانيين ، والمقربين عليهم السلام ، فدنا جبريل/ [١٤٨و] عليه السلام ؛ فأخرج رأس الحسين ﷺ من التابوت فقبله وضمه إلى صدره ؛ فشكا رسول الله ﷺ للملائكة قائلاً : قتلوا ولدي وقرة عيني ، وثمرة فؤادي ؛ فجعل كل واحد من الأنبياء والملائكة عليهم السلام يُقَبِّلُ الرأس ويضمه إلى صدره ؛ فقال جبريل : يا رسول الله ؛ إنَّ الله أمرني أن أجعل الدنيا عاليَها سافلها كما فعلت بقوم لوط ، إن شئت يا رسول الله؟ فقال النبي ﷺ : إنَّ لي ولهم موقفا يوم القيامة بين يدي الله تعالى ، أنا الخَصْمُ والحاكم الله ؛ فصلوا عليه جميعهم وودعوه :

إِلى الـديَّـان يَـوم الـدِّيْنِ نَمضي ... وَعِنْـدَ الـله تجـتَـمِعُ الخُـصُومُ[٤] .
لا بُـدَّ أَنْ تَـرِدَ الـقِـيَـامَـةَ فـاطِمٌ ... وقَميصُهَا بِدَمِ الحُسَيْنِ مُلَطَخُ
وَيْلٌ لِـمَنْ خُصَمَـاؤُهُ حُكَـامُهُ ... وَالصُّورُ في يَوْمِ القِيَامَةِ يُنْفَخُ[٥]

سبع وخمسين ، والمشهور تسع وخمسين . ومقتل الحسين ﷺ كان سنة إحدى وستين .

(١) يزيد بن معاوية .

(٢) القعقعة : صوت السلاح في الحرب ، لسان العرب (مادة : قعع) .

(٣) الكروبيون من الملائكة : هم أقرب الملائكة إلى حملة العرش . وأصل هذه التسمية من : كرب ، أي قرب وكل دانٍ قريب فهو كارب . لسان العرب (مادة : كرب) .

(٤) البيت الأول ينسب إلى علي بن أبي طالب ، انظر : ديوان علي بن أبي طالب ص٩٤ ، وأيضا البيت معزواً لأبي العتاهية . انظر : ديوان أبو العتاهية ص٣٩٨ ، وقد رويَ هذا البيت معزواً إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه في مرسومٍ كتابي رَقَمَه إلى معاوية انظر عنه : كتاب مجاني الأدب في حدائق العرب للأب لويس شيخو اليسوعي ٣/ ٢٥ .

(٥) ورد البيتان معزوًّا الإسناد إلى سليمان بن يسار في كتاب ينابيع المودة لذوي القربى ، للقندوزي ٣/

ثم أقبل فوج من الملائكة عليهم السلام على النبي ﷺ وقالوا : يا رسول الله ، إن الله تعالى يُقْرِئُكَ السلام وقد أمرنا بقتل حراس رأس الحسين الخمسين ؛ فقال لهم : دونكم وإياهم ؛ فأقبل إلى كل واحد مَلَكٌ بِحَرْبَة ؛ فقتله ، وأقبل عليَّ مَلَكٌ ؛ فقلت : يا رسول الله ، الأمان الأمان؟ فقال لي رسول الله ﷺ : اذهب فلا غفر الله لك ؛ فانتبهت من نومي ، وإذا بأصحابي قد صاروا رماداً .

إخواني : البلاء مخصوص بالأبرار ، والمِحَنُ تعتري الأخيار ، والهموم والغموم محشوة بتلك الديار .

﴿فادَّارأْتُم فيها﴾ كما مرَّ تنازعتم في ذلك لموسى ﷺ ، ثم اختُلفَ في سبب قتله ؛ فقيل : أراد رجل أن يتزوج بنت عمه ؛ فمنعه ابن عمه ؛ فقتل ابن عمه وألقاه بين قريتين . وقيل : قتله طمعًا في إرْثِه ؛ فادَّعَى على الأسباط[1] الذين كانوا زمن موسى أنهم قتلوه ، وقيل : كان لهم مسجد له اثنى عشر بابًا بعددهم ، لكل سِبْط باب ؛ فألقاه في أحد الأبواب واتهمهم بقتله ؛ فتحاكموا إلى موسى ﷺ ؛ فأمرهم كما أُوحي إليه : إنَّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ، وأن تضربوه ببعضها ؛ فإنه يعيش ، ويُعْلِمُ بقاتله ، وأشار لهم إلى بقرة موصوفة ؛ فطلبوها فلم يجدوها إلا بعد أربعين ؛ فالفاء في الآية لا للتعقيب ؛ بل بمعنى ثم ، أو الفاء على ثانيها ، ونزلت المدة الطويلة منزلة القصيرة ، وفائدة الضرب ببعضها مع أنه قادر على أن يحييه بدون ذلك ، دفعًا لما يتوهم الملحد من أن ذلك بسحر من موسى عليه السلام ؛ فقيل : المضروب به لسانها ؛ لأنه آلة الكلام ، وقيل : بِعُجْب[2] الذَنَبْ[3] الذي لا يَبْلَى ويُحيي الإنسان .

---

٤٦ .

(١) الأسباط : هم بنو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ﷺ ، وهم اثنا عشر رجلًا ، ولد كل رجل منهم أمة من الناس ؛ فَسُمُّوا الأسباط . انظر تفسير ابن كثير (البقرة : ١٣٦) ، ويعقوب هو إسرائيل الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل . أنظر البداية والنهاية (باب ذرية إبراهيم) ١/ ٢٣٦ .

(٢) العُجْبُ ، بالسكون : العظم الذي في أسفل الصلب عند العَجُزْ . لسان العرب (مادة : عجب) .

كما رُوِيَ عن أبي هريرة ﷺ قال : قال ﷺ : كل ابن آدم يَبْلَى إلا عُجْبُ الذنب ؛ فإنه منه يُخْلَق ويُرَكَّبْ(١) .

فلما ضربوه قام بإذن الله ، وأَوْدَاجَه(٢) تَشْخَبُ(٣) دمًا ؛ وقال : قتلني ابنا عمي فلان وفلان ، ثم سقط ميتًا ؛ فلما طلب ميراثه أنزل الله على موسى عليه السلام أن لا ميراث لقاتل ، وبقيت شريعة لنا . قال ﷺ ما ورث قاتل / [١٤٨ظ] بعد صاحب البقرة(٤) .

وقال ﷺ : لا يرث القاتل من المقتول شيئًا(٥) . وهذا الإحياء معجزة لسيدنا موسى عليه السلام ولمَّا استعجلوا بقتله لأجل ميراثه عوقبوا بحرمانه .

وفي الحديث : من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه(٦) .

﴿كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ المَوْتَى﴾ بإعادة الأرواح إلى الأجساد ، ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٧) .

فمن آيات الله الباهرة أنَّ عابدًا في بني إسرائيل نزل يومًا من صومعته ؛ فوجد عظمًا رميمًا ؛ فقال : كيف يُعَادُ هذا إلى جماله الأول؟ ثم وضع العظم في التراب

---

(٣) الذَّنَب : وذَنَبُ كل شيء آخره . لسان العرب (مادة : ذنب) .

(١) الحديث بهذا اللفظ عن أبي هريرة أخرجه مسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ما بين النفختين)١٨/ ٨٧ ، وأبو داود (كتاب السنة ، باب في ذكر البعث والصور) ٥/ ٧١ ، ومالك في الموطأ (كتاب الجنائز ، باب جامع الجنائز) ص١٥٢ . والحديث بألفاظ أطول عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب التفسير ، سورة غافر٦٨) ٤/ ١٨١٣

(٢) الأوداج : ما أحاط بالحَلْق من العروق . لسان العرب (مادة : ودج) .

(٣) تَشْخَبُ : تنفجر . لسان العرب (مادة : شخب) .

(٤) الحديث غير مسند ذكره البغوي في التفسير (البقرة : ٧٣) ١/ ١٠٩ .

(٥) الحديث عن ابن عباس أخرجه الدارمي (كتاب الفرائض ، باب ميراث القاتل) ص٩٧٣ ، وعبد الرزاق في مصنفه (باب ليس للقاتل من الميراث) ٩/ ٤٠٤ .

(٦) هذا مثل سائر ، وليس بحديث . انظر : صحيح الترغيب والترهيب للألباني (الخاتمة) ١/ ٣٠ .

ومضى في حاجته . وكان الموضع الذي وضِعَ العظم فيه قريبًا من الصومعة ؛ فأنبت الله تلك الليلة منه شجرة عظيمة ؛ فلمَّا أصبح الصباح عَجب الناس منها وأقبلوا عليها ؛ فذهبت امرأة العابد مع بنت له سُبَاعيَّة[1] ؛ لينظروا الشجرة ؛ فلمَّا وَصَلَتَا إليها أخذت البنت الصغيرة منها ورقة ، ووضعتها في فمها ، وقد خلق الله في تلك الورقة نطفة في بطن البنت ، ثم جعلها علقة ؛ فما مضت أيام إلا وظهر حَمْلُ البنت ؛ فقالت أمها للعابد : إنَّ ابنتك زَنَتْ ؛ فَحَبَلَتْ من الزنا فَارْجُمْهَا ؛ فخرج وجمع بني إسرائيل لأجل رجمها ؛ فلما أرادوا رجمها ، وإذا بصبي عمره سبع سنوات ، وَجَعَلَ يقول : كيف ترجمونها ، وفي بطنها حمل محرَّم القتل ؛ فرجعوا عن رجمها ؛ فلما دنا وقت وضعها ولدت من خَلْفِهَا ؛ فقلبوها من جهة فَرْجِهَا ؛ فإذا هي بِكْرٌ ؛ فَبَرَّأَهَا الله تعالى ، وفرح العابد لذلك ، وسمى الولد إبراهيم ؛ فلما تمت له سبع سنوات انفرد وحده ؛ فسقط في بئر فمات ، فقالت أمه : لا أدفنه حتى يأتي جده ، وقد ذهب إلى حاجة له ؛ فلمَّا أقبل ناداه العابد : يا إبراهيم ؛ فقام بإذن الله بين يديه حيًّا ؛ فعجب الحاضرون من الأحبار والعلماء لذلك وأعلموا جدَّه بأنه مات من مدة سبعة أيام ، ثم أخذ الصبي بيد جده ، وتبعه الحاضرون حتى جاءوا إلى موضع العظمة الرميمة ، وقال له : أتعرْفُ لما أخذت العظمة الرميمة ، وعجبت منها؟! وكيف يعيد الله جمالها ؛ فغرستها في التراب ؛ فنبَتَت منها بليلتها شجرة عظيمة عجبتم منها ؛ فجاءت أمي فابتلعت منها ورقة ؛ فحملت بي منها ؛ فولدتني من فمها ؛ لِيُبَرِئَهَا الله تعالى ؛ فانظر أيها الجد في هذه الأمور ، واعلم ﴿أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[2] .

ثم صاح الغلام : يا أُمَّاهُ . سبع مرات ؛ فانشقت الشجرة بإذن الله ؛ فدخل فيها ،

(٧) تتمة شرح الآية رقم ٧٣ من سورة البقرة .

(١) أي في عامها السابع .

ثم غاصت الشجرة في الأرض وهي تقول : اعلموا أيها القوم أنَّ الله يُحيي الخلائق يوم العرض ، وأنه على كل شيء قدير[1] .

ومعنى قوله تعالى : ﴿واللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾[2] أي مُظْهِرٌ لِمَا أخْفَاهُ القاتل ، ﴿إنَّ اللهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِيْ الأَرْضِ وَلا فِيْ السَّمَاءِ﴾[3] ويعلم ما تُكِنُّ به الصدور من خير وشر ، قال عيسى عليه السلام : ما أضمر ابن آدم من شيءٍ إلا أظهره الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه[4] .

وقال نبينا ﷺ : لو أنَّ عبداً أطاع الله تعالى من وراء حجاب إلى سبعين حجاباً لأظهره الله على ألسنة الناس ، ولو أنَّ عبداً /[١٤٩و] عصى الله تعالى من وراء حجاب إلى سبعين حجاباً ؛ لأظهره الله على ألسنة الناس[5] . وأوحى الله تعالى إلى سيدنا موسى عليه السلام أن قل لبني إسرائيل : تُخْفُون أعمالكم وعليَّ إظْهارُها[6] .

فالخطاب لمن كان في زمن موسى عليه السلام ، وقيل لمن كان في زمن النبي ﷺ من اليهود الذين كتموا أمره .

ومرَّ معنا عن علي رضي الله عنه : سِرُّك أسيرك ؛ فإذا تكلمت به صِرْتَ أسيره[7] .

---

(٢) الآية رقم ٧ من سورة الحج .

(١) لم نجد هذه الحكاية فيما بين أيدينا من كتب .

(٢) جزء من الآية رقم ٧٢ من سورة البقرة ، والتي يشرحها المؤلف .

(٣) الآية رقم ٥ من سورة آل عمران .

(٤) الأثر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وليس عن عيسى عليه السلام . انظر نهاية الأرب للنويري (باب ذكر وصول رسل غازان) ٣١/ ٤٣٣ ، والمستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي (باب وأما الفراسة) ١/ ٣٣٧ .

(٥) جزء من حديث عن زبيد بن مرة عن عبد الله ذكره أبو نعيم في الحلية (ترجمة زبيد بن الحارث الأيامي) ٥ ٣٦/- ٣٧ . والحديث عن عثمان بن عفان - مع اختلاف يسير في اللفظ - ذكره الطبري في تفسيره (الأعراف : ٢٦) .

(٦) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب الحديث .

وعن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ : القلوب أوعية الأسرار ، والشفاة أقفالها ، والألسنة مفاتيحها[1] .

ومما أظهره الله تعالى ما يُقال : إنه كان ببغداد رجل له كلب ؛ فمرَّ يومًا على أعدائه ؛ فأدخلوه الدار وقتلوه ، وألقوه في البئر ؛ فلزم الكلب باب الدار ؛ فلما خرج أحد القاتلين تعلق به الكلب ؛ فاستغاث الرجل بالناس ؛ فبلغ الخبر الخليفة ؛ فأحضروه لديه ؛ فقال : كيف تعلق بك الكلب دون سائر الناس ؛ فقالت أم المقتول ، وكانت حاضرة مجلس الخليفة : لعله الذي قتل ، وهذا كلبه الذي تعلَّق بهذا الرجل ؛ فقال الخليفة - عن إلهام ألهمه الله إياه - : أرسلوا الكلب ؛ فأرسلوه وتبعه الناس ، ودخل الدار ووقف على رأس البئر وعوى ؛ فعند ذلك اعترف الرجل بالقتل مع رِفْقَته ؛ فقتلهم الخليفة قصاصًا . سبحان مَنْ لا يُضيْع مثقال ذرة ؛ فأطيعوه واحذروا عقابه ، وارغبوا في ذِكْرِه آناء الليل وأطراف النهار .

---

(٧) الأثر عن علي رَحِمَهُ اللهُ ذكره الماوردي في أدب الدنيا والدين ص٢٩٥ .

(١) الأثر عن عمر بن عبد العزيز ذكره الطرطوشي في سراج القلوب (الباب الثالث والثلاثون في كتمان

فصل

في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالحَقِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الجَحِيْمِ﴾[1]. إنا أرسلناك بالحق: القرآن، أو الإسلام، وشرائعه، أو الصدق، أو المعجزات.

وقد ظهرت أمارات النبوة عليه منذ كان صغيراً، منها: أنه ظُلِّلَ بالغمام، وقد رأتها بركة أخته من الرضاعة بنت مرضعته حليمة السَّعْدِيَّة، كانت إذا وقف وقفت، وإذا سار سارت[2]، وقد رآها بُحَيْرا الراهب لمَّا سافر النبي ﷺ بتجارة السيدة خديجة الكبرى رضي الله عنها قبل أن يتزوج بها، وكان مَلَكَان يُظلانه في الهاجرة بأجنحتهما ذَهَابًا وإيَابًا، قالوا: وهذا أشرف من الغمام، وكان بُحَير[3] الراهب كلما مرت به قافلة لا يكترث بها، إلا قافلة كان رسول الله ﷺ فيها ومعه عمه أبو طالب، وجمعٌ من شيوخ قريش والمصطفى بينهم تشرق أنواره؛ فلمَّا رآه الراهب نزل مبادراً إلى القافلة؛ فمسك يد النبي ﷺ والتفت إلى عمه وشيوخ قريش، وهو يقول: يا معشر قريش، هذا سيدكم به يَعْظُمُ فخركم، هذا رسول رب العالمين، لمَّا أشرفتم لم يَبْقَ حجر، ولا مَدَرٌ، ولا شجر إلا خرَّت ساجدة، ولا تسجد هذه الأشياء إلا لنبي. ثم عاد الراهب إلى مكانه؛ فصنع لهم طعاماً؛ فلما عاد وجده ذهب بإبل القوم يرعاها؛ فاستدعوه ليأكل معهم؛ فأقبل والغمامة تُظلله، وكان القوم سبقوه إلى ظل الأشجار، فلما جاء جلس حيث انتهى به المجلس؛ فمال ظل الأشجار إليه؛ فأخبر الراهب القوم / [١٤٩ظ] بما رأى، وأعلمهم أن اليهود والنصارى إن تمكنوا منه

السر) ص١٠٣

(١) الآية رقم ١١٩ من سورة البقرة. وسيبدأ المؤلف في شرحها.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير (رَضَاعُهُ ﷺ من حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، وما ظهر عليه من البركة وآيات النبوة) ٢/ ٣١١.

(٣) بحيرا كان حَبْراً من أحبار اليهود، ويقال كان راهبًا نصرانيًا. وكان اسمه: جرجيس. انظر: البداية

قتلوه ؛ فرجع عمه به خوفًا عليه[١] .

وقد كان عرفه جماعة من أهل الكتاب ؛ فأجمع رأيهم على قتله ، وحمى الله حبيبه بفضله وأيده بالقرآن ، والمعجزات الباهرة البرهان من انشقاق القمر[٢] ، وسعي الشجر إلى بين يديه من المكان البعيد حيث مالت يمينًا وشمالاً حتى خَلُصَت شُرُوسُها[٣] ، وجاءته تشق الأرض شقًا ، وتفصح بالصلاة والسلام عليه نطقًا[٤] ، وسلَّم الحجر[٥] والمَدَرُ عليه ، وسبَّحَت الحصى في يديه[٦] ، ونبع الماء من بين أصابعه

والنهاية لابن كثير (قصة بحيري) ٢/٣٢٣ .

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير (فصل في خروجه عليه الصلاة والسلام مع عمه أبي طالب إلى الشام وقصته مع بحيري الراهب) ٢/ ٣٢٠-٣٢٣ .

(٢) قال تعالى في كتابه الكريم ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ القمر ١ ،٢ . وورد حديث عن ابن مسعود لفظه : انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين . فرقة فوق الجبل ، وفرقة دونه ؛ فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا . أخرجه البخاري (كتاب الأنبياء ، باب سؤال المشركين) ٣/ ١٣٣٠- ١٣٣١ ، ومسلم (كتاب صفة الجنة والنار ، باب انشقاق القمر) ١٧/ ١٤١ .

(٣) الشَرَسُ : ما صَغُرَ من شجر . لسان العرب . (مادة : شرس) .

(٤) ورد حديث طويل عن جابر بن عبد الله لفظه . ذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فلم ير شيئًا يستتر به ؛ فإذا بشجرتين في شاطيء الوادي ؛ فانطلق رسول الله ﷺ إلى إحداهما ؛ فأخذ بغصن من أغصانها ؛ فقال : انقادي عليَّ بإذن الله ؛ فانقادت معه كالبعير ... وفعل بالأخرى مثل ذلك ، حتى إذا كان بالمنصف - نصف الطريق - قال : التئما عليَّ بإذن الله . فالتئمتا . أخرجه مسلم (كتاب الزهد ، باب حديث جابر الطويل) ١٨/ ١٢٧ .

(٥) الحديث عن جابر بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ : إني لأعرف حجراً بمكة كان يُسَلِّمُ عَلَيَّ قبل أن أُبعَث . إني لأعرفه الآن . أخرجه مسلم (كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة) ١٥/ ٤٠ .

مراراً[١] : مرة بالحديبية ، ومرة في غزو بواط[٢] ، ومرة بتبوك[٣] ، ومرة في قَلِيبٍ[٤] ناشف ، ومرة في الزَّوْراء[٥] عند سوق المدينة .

﴿بشيراً﴾ للمؤمنين[٦] بالثواب ، ﴿ونذيراً﴾ للمخالفين بالعقاب ، ﴿ولا تُسئَل﴾ يا محمد ﴿عن أصحاب الجحيم﴾ فإن مصيرهم إليها ، لا تأسف عليهم ؛ فإنما عليك البلاغ ، وعلينا الحساب ؛ ففي الدنيا حال عليهم المقت ، وعند الموت حال

---

(٦) حديث تسبيح الحصى بين يدي رسول الله ﷺ . سبق ص ١١٥و .

(١) نَبَعَ الماء مراراً من بين أصابع رسول الله ﷺ . وفي حديث أنس قال : رأيت رسول الله ﷺ ، وحانت صلاة العصر ؛ فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه . فأتى رسول الله ﷺ بوضوء ؛ فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده ، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه . قال [أنس] : فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه ؛ فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم . أخرجه البخاري (كتاب الوضوء ، باب التماس الناس الوضوء إذا حانت الصلاة) ١/ ٧٤ ، ومسلم (كتاب الفضائل ، باب في معجزات النبي ﷺ) ١٥/ ٤٣ .

وكانت غزوة الحديبية في السنة السادسة من الهجرة . خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمراً لا يريد حربًا ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس حربه ، ولكن قريشًا رفضت دخوله ﷺ مكة . فكانت بيعة الرضوان ، ثم صلح الحديبية . انظر البداية والنهاية لابن كثير (غزوة الحديبية) ٤/ ١٧٦- ١٩٠

(٢) غزوة بواط في ربيع الأول من السنة الثانية بعد الهجرة ، وهي ثاني غزوات النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة الأبواء ، وقد بَلَغَ النبي ﷺ أنَّ عيْراً لقريش مُقْبلَةٌ من الشام ، فيها مئة رجل ، ومعها ألف بعير وخمسمائة ، فخرج إليهم رسول الله ﷺ في جَمْعٍ مِئَتَي راكب من المُهاجرين ، وكان مَقْصدُهُ أن يعترض لعيْر قريش _ وذلك لأنَّ المهاجرين قد تركوا للمشركين ديارَهم وأموالهم فراراً لدينهم- حتى بَلَغَ بُواط ، ولَكنه ﷺ لم يَلْقَ كيداً ؛ فمكث بقية ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة . وبُواط جبل من جبال جهينة ناحية رضوى . انظر البداية والنهاية لابن كثير (غزوة بواط) ٣/ ٢٥٣ .

(٣) تبوك آخر غزوات رسول الله ﷺ . وكانت في السنة التاسعة بعد الهجرة . وصل رسول الله ﷺ إلى تبوك ولم يَلْقَ حربًا ؛ لأنه لم يجد جنداً من جنود الرومان يحاربه . انظر البداية والنهاية لابن كثير (غزوة تبوك) ٧/ ٣-١٨ .

(٤) القَليب : البئر . لسان العرب (مادة : قلب) .

(٥) الزَّوراء : تقع عند سوق المدينة المنورة غرب المسجد النبوي ، عند الباب المصري كما يسمونه اليوم . انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي .

بهم الخوف ، وفي القبر تتسلمهم ملائكة العذاب . وفي الحَشْرِ يُدْعَونَ ثُبُوراً ، ويصير عملهم منثوراً ، وينادي المنادي عليهم هذا جزاء من كفر بالله ، والعياذ بالله .

واختلف العالمون في حال أبوي رسول الله ﷺ فقيل : إنهما ماتا على الكفر ، ثم أحياهما الله له ؛ فأسلما ، ثم أماتهما الله تعالى[١] .

ومرَّ ﷺ على عقبة الحُجُون[٢] وهو باكٍ ومعه عائشة رضي الله عنها فبكت لبكائه ، ثم نزل وأمسك البعير لعائشة رضي الله عنها فذهب ، ثم عاد فَرِحًا مسروراً ؛ فقالت عائشة رضي الله عنها : بأبي وأمي يا رسول الله ، نزلت باكيًا محروراً ، ورجعت مسروراً ؛ قال : ذهبت لقبر أمي آمنة ؛ فسألت الله أن يُحييها لي فأحياها فآمنت بي[٣] .

والإحياء لأجل الإيمان من خصوصيات خلاصة ولد عدنان ، وذلك ليس بممتنع لا شرعًا ولا عقلاً .

وكذلك نقل الشيخ علوان أنَّ الإحياء حصل لعمه أبي طالب[٤] ، ونقل العلامة السيوطي بأن أم النبي ﷺ ماتت مُوَحِدَةً[٥] ، والحديث الذي جاء بإحيائها ضعيف لا

(٦) تتمة شرح الآية رقم ١١٩ من سورة البقرة .

(١) يقول تعالى في كتابه الكريم : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ الإسراء : ١٥ ، وقد كان أبو محمد ﷺ وأمه على فترة من الرسل ؛ فكيف يُعذبون ؛ ولعل نهي النبي ﷺ عن الاستغفار لهما ؛ لأن الاستغفار لا موضع له ؛ إذ إنه لم يكن خطابًا بالتكليف من نبي مبعوث ، وليس كاستغفار إبراهيم لأبيه الذي نُهي عنه ؛ لأن أبا إبراهيم قد خُوطب برسالة إبراهيم ؛ فهو مكلف أن يؤمن بالله ويكفر بالأوثان . انظر : خاتم النبيين للإمام محمد أبو زهرة (موت الطَهُورة آمنة) ١/ ١١٨ .

(٢) ماتت السيدة آمنة أم رسول الله ﷺ بالأبواء بين مكة والمدينة ، وليست بالحجون . انظر البداية والنهاية لابن كثير (سيرة رسول الله ﷺ) ٢/ ٣١٥ .

والحُجُون : جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها . انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي .

(٣) انظر : الموضوعات لابن الجوزي (كتاب الفضائل والمثالب) ١/ ٢٨٣-٢٨٤

(٤) لم يَثْبُت أن الله عز وجل أحيا لنبيه محمد ﷺ أمواتًا ؛ ولكن الإحياء بإذن الله تم لعيسى عليه السلام .

(٥) انظر قول السيوطي في رسالته : التعظيم والمنة في أنَّ أبويّ رسول الله في الجنة (الاستدلال بأن

موضوع ، ونقل أيضًا في كتاب له بأنَّ أبويه في الجنة[١] . على أنَّ أمهات أكثر الأنبياء عليهم السلام مؤمنات كمريم أم عيسى ﷺ ، وحوَّاء أم شيث ﷺ وهاجر أم إسماعيل ﷺ ؛ فلئن تكون أم نبينا ﷺ أحق إيمانًا . والذي نعتقده وندين الله به : أنَّ أصول الأنبياء آباءً وأمهات مسلمون إلى السيد آدم[٢] ، وقد ولِدوا جميعًا من نكاح لا من سفاح[٣] .

ثم ليُعْلَمَ إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، بقي رجل لا يعلم به أحد إلا الله ؛ فيبقى بعد الناس يومًا واحدًا قدر خمسين ألف سنة ؛ فينادي الله تعالى جبريل ﷺ ويقول : يا جبريل ، بقي في النار رجل من الموحدين لا يعلم به أحد غيري ، اذهب وأخرجه من النار ؛ فينطلق لإخراجه ؛ فيجده في باب من نار ؛ فيدخل جبريل ﷺ فيسمع من أسفل البيت قائلًا يقول : يا حنان يا منان ، / [١٥٠و] فينزل إلى أسفل البيت ؛ فيجد فيه صندوقًا فيفتحه ؛ فيجد الرجل جالسًا في روضة خضراء عليه ثياب خُضْر ينادي : يا حنَّان يا منَّان ؛ فيحمله جبريل بصندوقه ؛ فيقول الرجل : من أنت؟ فيقول : أنا جبريل قد بعثني الله إليك لأحضرك بين يديه ، ثم يحمله ويضعه بين يدي الله تعالى ؛ فيقول تعالى : عبدي ، فيقول الرجل : لبيك

جميع أمهات الأنبياء مؤمنات) ص١٢٧ .

(١) انظر قول السيوطي في رسالته : التعظيم والمنة في أنَّ أبويَّ رسول الله في الجنة (الاستدلال بأن جميع أمهات الأنبياء مؤمنات) ص١٢٧ .

(٢) كيف هذا؟ إنَّ أبا إبراهيم ﷺ رفض دعوة ابنه إبراهيم ﷺ وآثَرَ عبادة الأصنام ، ومات على غير ملة إبراهيم عليه . اقتفاءً بما ورد ثُبوتًا في قوله تعالى "فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ . سورة التوبة : الآية ١١٤ .

(٣) مصْداقُ ذلك ما ورد عن النبي ﷺ : أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخوة لعَلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد . أخرجه البخاري عن أبي هريرة (كتاب الأنبياء ، باب : واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا مريم الآية ١٦) ٣/ ١٢٧٠ ، ومسلم (كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى ﷺ) ١٥/ ١٢٧ . وبنو العَلات : بنو رجل واحد من أمهات شتَّى ، سُمِّيَتْ بذلك ؛ لأنَّ الذي تَزَوَّجَهَا على أُولى قد كانت قبلها ثم عَلَّ من هذه ؛ قال ابن بري : وإنما سُمِّيَتْ عَلَّة لأنها تُعَلُّ بعد صاحبتها من العَلَلِ ، وإنما عَنَى بابن عَلات أنَّ أُمَّهَاتِهِم لَسْنَ بقرائب .

إلهي وسيدي ؛ فيقول تعالى : كيف كان حالك في النار؟ فيقول الرجل : وعزتك وجلالك ما علمت أني في النار إلا هذه الساعة ، ولا ظننت إلا أني في الجنة ، رُدَّني يا رب إلى مكاني ؛ فإن عيشي فيه طيْبٌ ؛ فيقول تعالى : إنما فعلت بك هذا ؛ لأُرِيَ أهل النار عظيم قدرتي ؛ لكي يعلموا أنَّ النار لا تَحْرِق إلا بإرادتي ، ثم أمر بالرجل إلى الجنة .

إخواني : إن لله عباداً إن وردوا النار هربت منهم .

ومن علامة نبوة نبينا محمد ﷺ : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه رأى قبل مبعث النبي مناماً كأنَّ الكعبة سقط عليها القمر ؛ فصار قطعاً ؛ فلم يبق في مكة حُجْرَةٌ إلا دخلها قطعة منه ، ثم رجع كما كان ، إلا القطعة التي في بيته لم تذهب ؛ فكتم ذلك ؛ فلمَّا خرج إلى الشام قصَّ ذلك على بعض الرهبان ؛ فقال له : إنه يخرج عن قريب نبي آخر الزمان ؛ وهذا المنام يدل على أنكِ تكونِ وزيره في حياته ، وخليفته بعد مماته ؛ فلمَّا بُعثَ وقابله أبو بكر رضي الله عنه قال : يا محمد ، ماذا تريد من الناس؟ فقال : إني رسول الله إليك وإلى الخلق أجمعين ، أدعوكم إلى توحيد الله تعالى ، فقال أبوبكر رضي الله عنه : وما الذي يدل على ما تقول؟ ، قال ﷺ : الرؤيا التي رأيتها ؛ فقام الصديق وقبَّل رأس النبي- ﷺ- وقال : والله يا رسول الله ، ما عَلِمَ بذلك إلا الذي أرسلك ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله[١] .

ورأى [أبوبكر] مناماً بعد موته - ﷺ - فبكى وهو نائم بكاءً شديداً حتى سمع بكاؤه من خارج داره ، فاتفق أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بدارِ أبي بكر رضي الله عنه ذلك الوقت ؛ فسمع البكاء فطرق الباب ؛ فانتبه الصدِّيق ، وخرج إليه والدَّمع سائح من عينيه ؛ فقال : ما هذا البكاء ياسيدي؟ ؛ فقال

لسان العرب (مادة : علل) .

(١) انظر الحكاية ة مع اختلاف يسير في اللفظ - في الروض الأُنُف للسهيلي (إسلام أبي بكر الصديق)

أبوبكر : يا عمر ؛ اجمع لي الصحابة لأخبركم بما رأيت ؛ فاجتمعوا فقال لهم : رأيت كأن القيامة قامت ، ورأيت رجالاً على منابر من نور ينتظرون محمداً لأجل الشفاعة ؛ فقلت : وأين محمد؟ فقيل لي : عند ساق العرش ؛ فقلت : أنا صاحبه احملوني إليه فحملوني ؛ فلما أقبلتُ عليه رأيتُه ؛ فإذا بعمامته بين يدي العرش ، ورأسه مكشوف ، ويده اليمنى في ساق العرش ، واليسرى في حلقة باب النار ، وهو يقول : إلهي ؛ أمتي أمتي ، فيهم العلماء ، والأولياء ، والصالحون ، والمجاهدون ، والحجاج ، والمعتمرون ؛ فإذا النداء : يا محمد ؛ تذكر المطيعين ، ولا تذكر العاصين؟ فقال : إلهي ارحمهم أيضًا ؛ إلهي أمتي أمتي ؛ فقلت له : / [١٥٠ظ] يا رسول الله ، ارفق بنفسك ؛ فقال لي : يا أبا بكر ؛ سألت ربي في أمتي ؛ فوهبهم لي وردٌ لهفتي ؛ فأردت أن أقول - أي أبو بكر- الكل أوالبعض ؛ فَطَرَقْتَ الباب فانتبهت . وهو يقص المنام ؛ فإذا بهاتف من داخلٍ الدار يقول : يا أبا بكر ؛ ذهب الكل . فدخلوا الدار ؛ فلم يجدوا أحداً ؛ فقال الصديق للصحابة الأكرمين رضي الله عنهم : لا شك أنَّ المنادي الخضر .

ومن البشارات العظيمة ما رآه بعضهم في زماننا كما نقل لي ذلك من أثق به : أنَّ رجلاً رأى النبي ﷺ فسأله أن يشفع له ؛ فقال له : يا هذا ؛ بشر أمتي بأن الله تعالى لا ينزع الإيمان منهم بعد أن وهبه لهم ، وأنه مختوم لهم بالخير ، وأنت وإياهم في شفاعتي تدخلون جنات النعيم تفضلاً من الرب الرحيم جلَّ وعلا .

فصل في قوله تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ولَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِم واللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِيْنَ﴾[١] .

لما افتخرت اليهود على العرب فقالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، ولن تمسنا النار إلا أياماً معدودة . وإن عذبهم الله تعالى يخلصهم أنبياء بني إسرائيل ، يعقوب ، وإسحاق ، وإبراهيم وغيرهم عليهم الصلاة والسلام . وقالوا : الدار الآخرة خالصة لنا . فردَّ الله تعالى عليهم وأكذبهم بهذه الآية الشريفة ، وامتحنهم بقوله : ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

فلما تحققوا من أنفسهم الكذب لم يتمنوه كما قال تعالى : ﴿ولن يتمنوه أبداً بما﴾ : بسبب ﴿بماقدمت أيديهم﴾ من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوا التوراة ، وكشطوا اسمه تارة وتارة ستروه ؛ فمن كان كذلك ؛ فكيف يكون له وجه عند الله بأن يَجْسَرَ على طلب الموت الذي هو لقاء الله تعالى ، ولذا يقال في المثل : فلان ما معه وجه مقابلة .

فقد ظلموا أنفسهم وغيرهم حيث لَبَّسُوا على العوامِّ وَزَيَّنُوا لهم الباطل حتى اعتقدوا حقيقته ، وقد أخبر عن حالهم بقوله : ﴿وَاللهُ عَلِيْمٌ بالظَّالِمِيْنَ﴾ .

وجاء في الحديث من قوله ﷺ : لو تمنوا الموت لماتوا[٢] ؛ أي للحال ولرأوا مقاعدهم من النار حال موتهم .

وفي رواية : لو تمنوا الموت لَغَصَّ كل إنسان منهم بِرِيْقِهِ ولا بقي على وجه

٣/ ٢١ .

(١) الآيات رقم ٩٤ ، ٩٥ من سورة البقرة وسيبدأ المؤلف في شرحها .

(٢) الحديث بألفاظ أطول عن ابن عباس أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٩٨-٩٩ ، والبزار في مسنده ١١/

الأرض يهودي إلا مات . ذكره القرطبي(١) ؛ فمن كذَّب محمداً بما جاء به أو شك في ذلك ؛ فهو كافر ملعون ، وفي النار مخلد مغبون . فالمؤمن لا يبالي بالموت ، لما يقال : إن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال لأبيه - لما كان يغازي بلا درع ولا خوْذة - : يا أبت ؛ ألا تلبس درعًا وخوذة ؛ ليَقَيَاكِ من الجرح والقتل بإذن الله؟ فقال : يابني ؛ لا يبالي أبوك سواء سقط على الموت أم سقط عليه الموت ، ولقد تمناه رسول الله ﷺ فقال : لقد وددت أني أُقْتَل في سبيل الله ، ثم أحيا ، ثم أقتل ، ثم أحيا . /[١٥١و] ثم أقتل(٢) ، وإنما تمنى(٣) ذلك لعلمه صلى الله عليه وسلم بما أعده الله لمن يُقْتَل في سبيله .

وقيل لأبي بكر ﵁ وهو في مرض الموت : ألا ندعوا لك طبيبًا؟ فقال : قد رآني الطبيب ، قالوا له : فماذا قال لك يا خليفة رسول الله ﷺ ؟ قال : قال : إني أفعل ما أريد(٤) ، و كان بعض السلف أول ما يستهل شهر رجب يتمنى الموت ليموت في الأوقات المباركة .

قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ : يا رسول الله ؛ كلنا يكره الموت ؛ فقال : ليس كذلك يا عائشة ؛ ولكن المؤمن إذا بُشِّر برحمة الله ورضوانه وجنته أحبَّ لقاء الله ؛ فأحب الله لقاءه ، وإن الكافر إذا بُشِّر بعذاب الله وسَخَطِه كره لقاء الله ؛

---

٩٩ ، وأبو يعلى في مسنده ٣/ ٨٨ .

(١) لم نجد هذه الرواية في تفسير القرطبي ، وذكرها الثعالبي في تفسيره (البقرة : ٩٥) ٣/ ٤٥١ .
وغصَّ : وغَصِصْتَ غصًا إذا وقف في حلقك ؛ فلم تكد تُسيغه . لسان العرب (مادة : غصص) .

(٢) الحديث بألفاظ أطول عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب الإيمان ، باب الجهاد من الإيمان) ١/ ٢٢ ، ومسلم (كتاب الإمارة ، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله) ١٣/ ٢٣ ، وأحمد في المسند ١٥/ ٢٨٨-٢٨٩ .
ولم نجد حكاية علي بن أبي طالب وابنه الحسن فيما بين أيدينا من كتب .

(٣) كُتِبَ عند هذا الموضع : السادس عشر من عذب الملافظ فيما يسره الله من المواعظ :

فكره الله لقاءه ، قال ﷺ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله ، كره الله لقاءه[١] .

يا أخي ؛ ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه ، فالموت نجاة للمؤمنين ، وخسران وحسرة للكافرين ، وأما بكاء آدم عليه السلام من الموت فليس بحق لمنزلته ، وإنما لمَّا أُهْبِطَ إلى الأرض التذَّ بعبادة مولاه وطاعته ؛ فبكاؤه على مفارقة ذلك ، أو لئلا يُعَاتب على أكله من الشجرة[٢] .

وفي الحديث ، وقد مرَّ قال صلى الله عليه وسلم : بئس العبد من سهى ولهى ونسي المقابر والبِلَى[٣] . يا أخي ؛ فالموت باب يعبره كل أحد .

قيل لنوح عليه السلام في مرض موته : كيف تجد يا رسول الله الدنيا؟ فقال : كأني دخلت من باب وخرجت من باب[٤] . ولو عَمَّرَ في الدنيا ما عساه أن يُعَمَّرَ لا بد من الرحيل .

---

(٤) الأثر عن أبي بكر ذكره أحمد في الزهد (زهد أبي بكر الصديق) ص٩٣ .

(١) الحديث مع اختلاف يسير في اللفظ عن عائشة أم المؤمنين أخرجه البخاري (كتاب الرقاق ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) ٥/ ٢٣٨٦ ، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة ، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه) ١٧/ ١٣ .

(٢) لم نجد فيما بين أيدينا من كتب قولًا يُثبت بكاء آدم عليه السلام عند موته . والمثبت في الصحيحين عن أنس أنَّ رسول الله ﷺ رأى آدم عليه السلام في الإسراء إذا نظر قِبَلَ يمينه ضحك ، وإذا نظر قِبَلِ شماله بكى . انظر : البخاري (كتاب الصلاة ، باب كيف فُرِضَت الصلوات في الإسراء) ١/ ١٣٥ ، ومسلم (كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات) ٢/ ٢٠٩-٢١٠ .

(٣) جزء من حديث عن أسماء بنت عُمَيس أخرجه الترمذي (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، باب ١٧) قال أبو عيسى : حديث غريب ٤/ ٥٤٥ - ٥٤٦ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الرقاق) قال الذهبي : إسناده مظلم . ٨/ ٢٨١٠ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في حُسْن الخُلُق ، فصل في التواضع) ٦/ ٢٨٧ .

(٤) الأثر عن نوح عليه السلام ذكره أبو محمد مكي ابن أبي طالب بن محمد بن مختار القيسي القيرواني

وما أحسن ما قيل : أين ذو القرنين؟! ملك الخافقين[١] ، وَعَمَّرَ أَلْفَين ، وكان ذلك كلمحة عين .

ولو سلم أحد من الموت لسلم نبينا صلى الله عليه وسلم وقد ولد في ربيع ليلة الإثنين ، ومات فيه ليلة الإثنين ، ودفن ليلة الإثنين ، وفتح يوم الإثنين ، وكان إذا توجه لأمر توجه له يوم الإثنين[٢] .

وكان يَبْني بنسائه ليلة الإثنين ؛ فيوم الجمعة لآدم عليه السلام : ويوم الإثنين لمحمد ﷺ وفيه وفي يوم الخميس تُعْرض أعمال العباد على الله تعالى[٣] ، ولذا أحب صيامهما النبي ﷺ[٤] وتبعه على ذلك الأكرمون ، وما أحسن ما قال الصديق رضي الله عنه :

المَوتُ بَابٌ وَكُلُّ النَاسِ دَاخِلُه ... يَا لَيْتَ شِعْرِيْ بَعْدَ المَوْتِ مَا الدَارُ[٥]

فأجابه عمر رضي الله عنه :

الدَّارُ جَنَّةُ عَدْنٍ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا ... يُرْضِي الإله وإِنْ خَالَفْتَ فالنَّارُ

وأجابه عثمان رضي الله عنه :

هُمَا مَحَلاَّنِ مَا لِلْمَرْءِ غَيْرُهُمَا ... فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَيَّ الدَّارِ تَخْتَارُ

المتوفى سنة ٤٢٧هـ . انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية (سورة نوح : ١) ١٢/ ٧٢٨ .

(١) الخافقين : الخافقان : المشرق والمغرب . لسان العرب (مادة : خفق) .

(٢) الحديث عن ابن عباس ولفظه : ولد النبي ﷺ يوم الإثنين ، واستُنبيء يوم الإثنين ، وخرج مهاجراً يوم الإثنين ، وتوفي يوم الإثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الإثنين . أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٣٠٤ .

(٣) جزء من حديث عن أبي هريرة أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة ، باب النهي عن الشحناء والتهاجر) ١٦/ ١٢٦ ، والحديث كما ورد في المتن عن أسامة بن زيد أخرجه أبو داود (كتاب الصوم ، باب في صوم الإثنين والخميس) ٢/ ٥٦٥ .

(٤) انظر التعليق السابق .

(٥) البيت غير منسوب ذكره القرطبي في تفسيره (آل عمران : ١٨٥) ، والبيت نسبه الماوردي في أدب الدنيا والدين لصالح بن عبد القدوس (الباب الثالث) ١/ ١٢٦ . وانظر الأبيات الثلاث الأول في

وأجابه علي رضي الله عنه وأجاد :

ما للعِبَادِ سِوَى الفِرْدَوْسِ إنْ صَدَقُوا وإنْ هَفَوْ هَفْوَةً فالربُّ غفَّارُ

فقد لَمَّحَ [علي رضي الله عنه] للصديق بالصدق ، ولم يذكر شيئًا من النار ، وإنما ذكر الفردوس والمغفرة ، وإذا كان مريضًا لا يُجاب إلا بما يأنس به ، أو سائلاً لا يُجابُ إلا بما فيه السرور ، ويختلف هذا باختلاف الأشخاص ، فمنهم يا أخي لا يُجَاب إلا بشيء ينزجر به دائمًا .

قلنا لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه لقوله ﷺ : /[١٥١ظ] اثنان يكرههما ابن آدم : الموت ، وقلة المال ، والموت خير للمؤمن من الفتنة ، وقلة المال أقل للحساب(١) .

ومرت بالنبي ﷺ يومًا جنازة فقال : مستريح ومستراح منه ؛ فقال الصحابة رضي الله عنهم : ما المستريح؟ قال : العبد المؤمن يستريح من نَصَبِ الدنيا وأذاها إلى رحمة الله عزَّ وجل ، وقالوا : يا رسول الله ، فما المستراح منه؟ قال : العبد الفاجر يستريح منه العباد ، والبلاد ، والشجر ، والدواب ، والموت كفارة للذنوب(٢) . قال ﷺ : الموت كفارة لكل مسلم(٣) .

وصح أن النبي ﷺ قال : من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَ محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن

ديوان صالح بن عبد القدوس البصري المتوفى نحو ١٦٧هـ ، ص١١٩ .

(١) الحديث عن محمود بن لبيد أخرجه أحمد في المسند ٣٩/ ٣٦ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الزهد ، باب ما يُمْدَحُ من قلة المال) ١٠/ ٢٥٧ .

(٢) الحديث عن أبي قتادة بن ربعي أخرجه البخاري (كتاب الرقاق ، باب سكرات الموت) ٥/ ٢٣٨٨ ، ومسلم (كتاب الجنائز ، باب ما جاء في مستريح ومستراح منه) ٧/ ٢٥ .

(٣) الحديث عن أنس أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في الصبر على المصائب) ٧/ ١٧١ ،

الجنة حق ، وأن النار حق ، أدخله الله من أي أبواب الجنة شاء[١] . وفي رواية : على من كان عليه من العمل فلا يعذبه بالنار[٢] . وفي مسلم قال النبي ﷺ : من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار[٣] ، وقال ﷺ لمعاذ رضي الله عنه : يا معاذ ؛ قال لبيك يا رسول الله وسعديك ، قال : ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار[٤] .

ومن فوائد الموت على الإيمان أن العبد المؤمن يسرع على الصراط ، ويثقل ميزانه ولا يخلد في النار إذا كان عاصيًا ، ويبشر بالجنة عند الموت ، وتحصل الشفاعة له ، ويبيض وجهه يوم القيامة ، ويَرِدُ على الحوض المؤمنون ، وتُنَوَّر قبورهم ومحشرهم وصراطهم بنور الإيمان ، ويدخلون الجنة ويتنعمون بنعيمها المقيم . قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه جل وعلا أنه قال : أعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر[٥] .

ومر أن المؤمن لا يخاف الموت ، وربما يوده طلبًا للقاء الله ورغبة لما أعده للمؤمنين ؛ فإن من مات تائبًا ؛ فهذا ناجٍ آمِنَ من عذاب الله ، ومن لم يتب من

والحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ٢١٨ .

(١) الحديث عن عبادة بن الصامت أخرجه البخاري (كتاب الأنبياء ، باب قوله تعالى ﴿يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم . . . ﴾ النساء ١٧١) ٣/ ١٢٦٧ ، ومسلم (كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا) ١/ ٢٥٨ .

(٢) الحديث بهذه الرواية عن عبادة أخرجها البخاري (الموضع السابق) ٣/ ١٢٦٧ ، ومسلم (الموضع السابق) ١/ ٢٥٨ ، وأحمد في المسند ٣٧/ ٣٤٩ .

(٣) جزء من حديث عن عبادة بن الصامت أخرجه مسلم (الموضع السابق) ١/ ٢٥٧ ، والترمذي (كتاب الإيمان ، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٥/ ٢٣- ٢٤ .

(٤) جزء من حديث عن أنس أخرجه البخاري (كتاب العلم ، باب من خصه بالعلم قومًا) ١/ ٦٠ ، ومسلم (كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة) ١/ ٢٦١ .

(٥) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة) ٣/ ١١٨٥ ،

المؤمنين ؛ فمنهم من له حسنات تكفر بها سيئاته ، ومنهم من تشمله المغفرة ولا يوكل إلى حسناته فضلاً وكرمًا من الله أو بالشفاعة ، ومنهم من يدخل النار ؛ ولكنه في أعلى طبقاتها وأخفها عذابًا ، حتى قال بعض العلماء : إن المؤمنين يُماتون فيها حتى لا يحسوا بألمها ، وكل الناس واردها لقوله تعالى ﴿وإن منكم إلاوارداها﴾[1] ؛ أي ماراً عليها على الصراط ؛ لأنه طريق الجنة ولا طريق لها سواه ؛ لكن إذا مر عليه المؤمنون يُخمد الله النار لهم ببركة إيمانهم ، حتى إنهم يسألون أين النار التي قال الله في حقها : ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ فما رأيناها ؛ فيقال لهم : إنها كانت خامدة فلم تروها . ويوسع على بعضهم الصراط حتى يصير كالوادي العظيم المحفوف بالأنهار والأشجار فيسألون بعد الوصول إلى جنات النعيم : أين الصراط؟ كان العلماء يقولون لنا في الدنيا إنه أحد من السيف وأدق من الشعر ؛ فيقال لهم : قد وسعه الله لكم ، وهو الوادي الذي مررتم عليه المُحْتَف بالأنهار والأشجار ؛ فيقولون عند ذلك [١٥٢و] : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وفضلنا على كثير من خلقه ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِيمَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾[2] .

فحساب الله لهذه الأمة مجرد عتاب منه ؛ فقد قال تعالى لنبيه ليلة المعراج : يا محمد ؛ إني أقبل توبة أمتك ، وإن لم يقتلوا أنفسهم ، ولولا إني أحب مكالمتهم وعتابهم لما حاسبتهم ؛ فقال ﷺ : يارب اجعل حسابهم عليَّ لئلا يَطَّلع على نقيصاتهم أحد ؛ فعند ذلك يقول الله تعالى عز وعلا : يا محمد ؛ لست بأشفق عليهم مني ، أنت شفيع المذنبين وأنا أرحم الراحمين ، أنت نبي شريف وأنا رب لطيف ، وعزتي وجلالي يا سيد الكونين لأقسمن القيامة بيني وبينك شطرين أنت

ومسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) ١٧/ ١٦١ .

(١) جزء من الآية رقم ٧١ من سورة مريم .

تنادي أمتي أمتي ، وأنا أنادي رحمتي رحمتي[١]

ومن العناية الحاصلة للمؤمنين ما ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : إذا كان يوم القيامة دفع الله تعالى لكل مسلم يهوديا أو نصرانيًا ؛ فيقال : هذا فكاكك من النار[٢] .

ومن أحب البشرى من الملائكة الكرام من حين موته إلى يوم الحشر والقيام ؛ فعليه بالأعمال الجالبة لذلك ، منها : الصبر على المعسر أو الحط عنه ، ومنها : إشباع الجائع ، وكسوة العريان ؛ في الحديث القدسي يقول تعالى : ابن آدم إذا شبعت فاذكر الجائعين[٣] .

ومنها : سقي الماء للعطاش ولو كلابًا ؛ فقد غفر الله لزانية سقت كلبًا[٤] ، ومنها : إماطة الأذى عن الطريق وعدم تضييق الطرقات على المسلمين ؛ فما بالك بمن يرمي التراب في الطريق والأحجار والأخشاب ، أو يربط الدواب في طريقهم ؛ خصوصًا على أبواب المساجد ، ومن يرش الماء زائدًا في الأسواق حتى يؤدي إلى وقوع الناس وزلق الدواب ؛ فإنه حرام ، ومن جملة ذلك رمي الصابون ، أو إفراغ الزيت على بلاط الحمام . ومن الأعمال التي يُبَشر بها الإنسان إطعام اللقمة من الحلو ، والعدل

---

(٢) الآيات من ١٠١-١٠٣ من سورة الأنبياء .

(١) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من كتب .

(٢) الحديث عن أبي موسى الأشعري أخرجه مسلم (كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله)١٧/ ٨٦ ، وأحمد في المسند ٣٢/ ٣٧٥ .

(٣) لفظ الحديث في التوراة : اتق الله وإذا شبعت فاذكر الجياع . ذكره الغزالي في الإحياء (كتاب كسر الشهوتين) ٣/ ٧١ .

(٤) لفظ الحديث : أنَّ امرأةً بَغيًا رأت كلبًا في يومٍ حار يَطِيفُ ببئر ، قد أَدْلَعَ لسانه من شدة العطش . فنزعت له موقها ؛ فاستقت له به ، فَغُفِرَ لها .

الحديث عن أبي هريرة أخرجه مسلم (كتاب السلام ، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها) ١٤/ ٢٤٩ .

أدلع لسانه : أخرجه لشدة العطش . بموقها : المُوقُ خُفٌّ غليظ يُلْبَسُ فوق الخُفِّ ، والمُوقُ : يُجْمَعُ على

بين الاثنين ؛ ولو كان حَكما غير حاكم ، وإعانة الرجل على تحميل دابته ، والكلمة الطيبة ، وكثرة الخطا إلى المساجد لأجل الصلاة ، وقراءة تبارك ، والإخلاص ، وذِكْرُ الله تعالى كثيراً .

وشَرْعُنَا الآن أنه يُكره للإنسان أن يتمنى الموت ؛ فقد قال ﷺ : لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ؛ فإن كان ولا بد قائلاً ؛ فليقل : اللهم أحيني ما دامت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي[١] . اعلم أيها الأخ المؤمن أن المؤمن إذا مات فكأنما خرج من السجن ؛ فتفسح له الأرض ويسير ويتقلب فيها يمينًا وشمالاً ، وفي الحديث قال ﷺ : إذا شدد الله الموت على المؤمن فلا يعذبه في قبره ، وإذا عذبه في قبره فلا يعذبه يوم القيامة[٢] .

وينبغي لمن مات له أحد من أقربائه أوأصدقائه أن يدعو له بالمغفرة وأن يتصدق عنه إن وجد ؛ / [١٥٢ظ] فإنه دافع لما ورد من شدة عذاب القبر ؛ قال ﷺ : المؤمنون يُفتَنون في قبورهم سبعة أيام[٣] . فادعوا لهم بالرحمة وأكثروا من الدعاء . وكل من مات يُكْشَفُ له عن مُقَامِهِ في الجنة أو النار ؛ فإن إبراهيم الخليل لما جذب ابنه إسماعيل عليهما السلام للذبح كُشِفَ لإسماعيل عليه السلام عن الجنة ؛ فرأى مقامه فيها فسهلت عليه نفسه[٤] . وسحرة فرعون لما أراد صلبهم وعذابهم كشف الله لهم عن الجنة ؛ فطاب لهم العذاب والموت ، ونقل المفسرون أنهم لما رأوا عصاة موسى عليه السلام تلقفت عِصِيهم وحبالهم ولم يبق منها شيء ؛ تحققوا أن ذلك معجزة سجدوا ؛

الأمواق ، والمُوقُ عربي صحيح لسان العرب (مادتي : دلع ، موق) .

(١) الحديث عن أنس أخرجه البخاري (كتاب المرضى ، باب نهي تمني المريض الموت) ٥/ ٢١٤٦ ، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب كراهة تمني الموت ، لضر نزل به) ١٧/ ١١ .

(٢) الحديث - مع اختلاف يسير في اللفظ - ذكره السلمي في شرح العقيدة الواسطية (باب العذاب بالنار بعد عذاب القبر) ١٦/ ٣٠ .

(٣) الحديث موقوفًا على طاووس ذكره السيوطي في الدر المنثور (تفسير سورة البقرة : ٩٥) ٥/ ٣٨ ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (ترجمة طاووس بن كيسان) ٤/ ١١ .

فرأوا مقامهم في الجنة ؛ فآمنوا بالسيد موسى ﷺ وكانوا سبعين ألفًا إخوة ؛ فأحسنوا الظن بالله . في الحديث القدسي : أنا عند ظن عبدي بي ؛ فليظن بي خيراً[١] ، وقال ﷺ : لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله[٢] .

وقال بعض السلف : يارب ؛ أتعذبنا وفي أجوافنا التوحيد لا أظنك تفعل بنا ذلك .

وعليك يا أخي بمراقبة الله تعالى ؛ فعن إبراهيم التيمي : كنت ألازم المقابر وأذكر الموت كثيراً ؛ فنمت يومًا عند قبر فسمعت قائلاً يقول : خذوا هذه السلسلة وأدخلوها في فيْه وأخرجوها من دُبُرِه ؛ فإذا الميت يقول : يا رب ؛ ألم أصم ، يارب ، ألم أصلي ، يارب ألَم أحج لبيتك الحرام ، يارب ، ألم أقرأ القرآن ، فما زال يذكر طاعاته ؛ فإذا بقائل يقول : يا عدو الله ما كنت تراقب الله .

وآخر من يقبض ملك الموت روح إبليس ، حتى إنه يفر منه شرقًا وغربًا ، وقبلة وشمالاً ، وبراً وبحراً حتى يأتي إلى قبر آدم ﷺ فيقول : من أجلك قد صرت طريداً مبعوداً ، حتى ينظر إليه آدم ﷺ ، وهو في هذا الحال ؛ فيقول : الحمد لله الذي أتممت علَيَّ النعمة[٣] ؛ فلك الحمد ولك الشكر على ما أنعمت به من توحيدك وتمجيدك .

﴿والله عليم بالظالمين﴾[٤] فيجازيهم يوم القيامة ، والله أعلم .

---

(٤) هذا قول يفتقر إلى ثبوت الصواب ؛ لأن إسماعيل ﷺ لم يُذبَح ولم يَمُتْ وقتها . .

(١) جزء من حديث عن أبي هريرة – دون عبارة فليظن بي خيراً– أخرجه البخاري (كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ سورة آل عمران الآية ٢٨) ٦/ ٢٦٩٤ ، ومسلم (كتابُ الذكْرِ والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب الحث على ذكْرِ الله تعالى) ١٧/ ٥ .

(٢) الحديث عن جابر بن عبد الله أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت) ١٧/ ٢٠٣ ، وأبو داوود (كتاب الجنائز ، باب ما يستحب من حسن الظن بالله عند الموت) ٣/ ٣١٧ ، وابن ماجه (كتاب الزهد ، باب التوكل واليقين) ٤/ ٦٨٨ ، وأحمد في مسنده ٢٢/ ٢٨ .

(٣) جزء من أثر عن كعب الأحبار ذكره السمرقندي بتمامه في تنبيه الغافلين (باب الحكايات) ص ٥٢٥ – ٥٢٦ .

فصل

في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحسَانًا وَذِي القُرْبَى واليَتَامَى والمَسَاكِين وقولوا للنَّاسِ حُسْنًا وأَقِيمُوا الصلَوةَ وآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيتُم إلا قَلِيْلاً مِنْكُمْ وأَنْتُم مُعْرِضُون﴾[1] .

قوله : ﴿ثم توليتم﴾ إلى آخره ، الخطاب قيل لمن تقدم من بني [إسرائيل] ، وقيل لمن كان زمن النبي ﷺ[2] .

وقيل :﴿ثم توليتم﴾ لمن تقدم ، ﴿وأنتم معرضون﴾ لمن تأخر ، ثم توليتم بالأجسام ، وأنتم معرضون بالقلب ؛ فليكن العبد مع الله ليكون الله معه .

في الإسرائيليات : إن داود عليه السلام دعا لولده فقال : يارب ، كن له كما كنت لي ؛ فقال تعالى : يا داود ، قل لسليمان أن يكون لي كما كنت لي ، أكون له كما كنت لك[3] .

ومع إعراض العبد عن ربه ينجيه من المكروهات .

قال ذو النون المصري : بينما أنا أمشي على شاطيء النيل إذ رأيتُ عقربًا ؛ فأخذتُ حجراً وأردت قتلها ؛ فأسرعت إلى البحر ؛ فإذا بضفدعة ؛ فوثبت العقرب على ظهرها فغاصت /[١٥٣و] بها حتى أخرجتها إلى الشاطيء الآخر ، والشيخ يتبعها ؛ فنزلت العقرب عن ظهر الضفدع ؛ فإذا برجل غرقان بالسُكْرِ وقد أقبل عليه ثعبان يريد أن يلدغه ؛ فأسرعت العقرب ؛ فلذعت الثعبان ؛ فتقطع منها قطعًا قطعًا ، قال ذو النون : فأيقظت الرجل فقام مرعوبًا ؛ فلما نظر الثعبان ولَّى هاربًا ؛ فقلت : لا تخف ، وقصٌ له القصة ؛ فأطرق هُنَيْئة ، ثم رفع رأسه ، وقال : يارب ، هكذا تفعل بمن

(٤) تتمة شرح الآية رقم ٩٥ من سورة البقرة .

(١) الآية رقم ٨٣ من سورة البقرة .

(٢) كيف يصح هذا ، وأول الآية : وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل .

عَصَاك ؛ فكيف تفعل بمن أطاعك ، فوعزتك وجلالك لا عصيت بعدها أبدًا ، ثم ولَّى باكيًا وهو يقول :

يـا راقـدًا والجـلـيلُ يـحـرسُهُ   مِنْ كل سوء يَدُبُّ في الظُّلَمِ
كَيْفَ تَنَامُ العُيُونُ عَنْ مَلَكٍ   وَمِنْهُ تَأْتِي كَرَائِمُ النِعَمِ(١)

ويقال : دخل ثلاثة على النبي ﷺ وهو يعظ الناس ، فوجد أحدهم فرجة فجلس ، وجلس الثاني آخر المجلس ، وأعرض أحدهم عن المجلس ؛ فولى . فأُخبِر النبي ﷺ عنهم فقال : أما أحدهم فأوى إلى الله ؛ فآواه الله ، وأما الثاني فاستحيا ؛ فاستحى الله منه ، وأما الثالث فأعرض ؛ فأعرض الله عنه(٢) .

والإعراض قد يكون مطلوبًا ؛ وهو إعراض العبد عما سوى الله تعالى ، قال سيدي عبد القادر الكيلاني(٣) : جاء إن الله تعالى قال للدنيا : انظري إلى أحبابي قد أعرضوا عنك ؛ فقالت : يارب ؛ أنزل عليهم البلاء ؛ فإن صبروا فإنهم صادقون ؛ فصب الله عليهم البلاء صبًا ؛ فقالوا : مرحبًا مرحبًا ؛ فقال البلاء : يارب ؛ الغوث الغوث أحرقني هؤلاء بأنفاسهم ، فرفعه عنهم . ويقال : قالت الجنة : يارب ؛ لو رآني أحباؤك لاشتغلوا بي عن خدمتك ، فعرضتها عليهم ؛ فأعرضوا عنها ؛ فقالت الجنة : يارب وإن لم يُرضوني أنا أرضى بهم ؛ فقال لها الله تعالى : هؤلاء لي وأنا لهم ، لا يشاركني فيهم مشارك . ويقال إنهم عُرِضوا على النار ؛ فانطفأت بأنفاسهم .

---

(٣) القول غير منسوب ذَكَرَهُ ابن كثير في التفسير(سورة ص الآية رقم ٤١) .

(١) انظر الحكاية مقرونة بالشعر الذي ذكره المصنف مع اختلاف في الألفاظ في : المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية ، للإمام شمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي المتوفى سنة ٩٥٦ هـ . (المجلس الثاني والخمسون) ٣/ ١٠٨ .

(٢) الحديث عن أبي واقد الليثي أخرجه البخاري (كتاب العلم ، باب من قعد حيث ينتهي به المجلس) ١/ ٣٦-٣٧ ، ومسلم (كتاب السلام ، باب من أتى مجلسًا فوجد فرجة فجلس فيها) ١٤/ ١٦٤ .

(٣) هو عبد الرزاق بن عبد القادر الكيلاني البغدادي ، صوفي ، من تصانيفه : جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر ، والأربعين عن أربعين شيخًا . توفي سنة ٥٩٥ هـ . انظر عنه : هدية العارفين

يقال : إذا استقر أهل الجنة في الجنة بقي مطيع في أرض الموقف غائب في سُكْرِه بمحبة الله ؛ فتقوده ملائكة الرحمة بسلاسل من نور إلى الجنة ؛ فإذا وصلوا به إليها أفاق ؛ فيرى الجنة ؛ فيُعْرِضُ عنها ، ويقول : دلوني على رب الجنة ؛ فتعيده الملائكة إلى الجنة ، وهو يُعْرِض ويقول : دلوني على رب الجنة ؛ فيأتي النداء من قِبَلِ الله تعالى : انصرفوا عنه ، هذا من أحبتي الذين أنا لهم وهم لي لا يشاركني فيهم مشارك[1] .

أيها العاصي عليك بالمَتابْ ولا تغتر بالشباب ؛ جاء أنَّ الجنة تتزين للشباب التائب

جاء إن الشاب إذا بكى على ما فرط من الذنوب وقال : يا علام الغيوب ؛ أنا عصيت وأنا أسأت ، يأتيه النداء من الله تعالى : وأنا عفوت وأنا سترت ؛ فإذا قال : وأنا ندمت ، يقول تعالى : وأنا قبلت . أيها الكهول ، والشيوخ في المعاصي إلى متى هذا الرسوخ ؛ فارجعوا إلى الله وأنيبوا إليه ، وانطرحوا في باب الله تعالى لتفوزوا[2] . /[١٥٣ظ] لديه ، عبدي ، قف على بابي ، أكتبك من جملة أحبابي ، عبدي ، تمتع في الأسحار بخطابي أجعلك من جملة طلابي ، عبدي ، لُذْ بحضرة جنابي ، أسقك من لذيذ شرابي ، من ذا الذي أتى بابي فطردتهُ ، ومن ذا الذي سألني فرددته ، ومن ذا الذي استغاث بي فما أغثتهُ ، ومن ذا الذي تاب إليَّ وما قبلته ، أنا أغفر الذنوب ، أنا أستر العيوب ، أنا أُغيث المكروب ، أنا أكرم الأكرمين ، أنا أرحم الرَّاحمين[3] .

لإسماعيل البغدادي ٥/ ٥٦٦ .

(١) القول منسوبًا لعبد القادر الكيلاني ذَكَرَهُ الصَّفُّوريُّ في نزهة المجالس (باب المحبة) ١/ ٥٩-٦٠ .

(٢) لم نقف على هذه الأقوال فيما بين أيدينا من كُتُبٍ .

عبدي ، إذ سألتَ فسلني فإني غني ، عبدي ، إذا طلبت النصرة فاطلبها مني فإني قوي ، عبدي ، إذا اقترضت فاقترض مني فإني مليٌّ ، عبدي ، إذا أفشيت سرّك فأفشه ليِ ، فإني وفيٌّ ، عبدي ، إذا دعوتَ فادعني ، فإني حفيٌّ[(١)] .

سبحان من لا يخيب من قصده ، من قصد الله صادقًا وجده ، قد شمل الخلق فضل نعمته ، كل إلى فضله يمد يده .

يا ابن آدم ، إنك ما دعوتني ورجوتني ، غفرت لك ما كان منك ، ولا أُبالي[(٢)] .

قال العلماء : الدعاء مخ العبادة[(٣)]

والرجاء يتضمن حسن الظن بالله ، كما قال تعالى [في الحديث القدسي] :أنا عند ظن عبدي ، فليظن بي خيراً ، يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتني غفرتُ لكَ[(٤)] .

---

(١) انظر : المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي(الباب السابع والسبعون في : الدعاء وآدابه وشروطه ، الفصل الثاني في : الأدعية وما جاء فيها) ٢/ ٤١٢ .

(٢) جزء من حديث عن أنس أخرجه الترمذي(كتاب الدعوات ، باب في فضل التوبة والاستغفار) . قال أبو عيسى : حديث غريب . ٥/ ٥١٢ ؛ والطبراني في المعجم الأوسط ٤/ ١٣٢ ؛ والحديث عن أبي ذر أخرجه الدارمي (كتاب الرقاق ، باب إذا تقرب العبد إلى الله) ص٩١١ ؛ وأحمد في المسند ٣٥/ ٣٧٥ .

(٣) هذا ليس قولًا للعلماء ، وإنما هو حديث نبوي شريف عن أنس أخرجه الترمذي(كتاب الدعوات ، باب ماجاء في فضل الدعاء) . قال ابو عيسى : حديث غريب من هذا الوجه ٥/ ٤٥٦ ؛ والطبراني في المعجم الأوسط ٣/ ٢٩٣ .

(٤) جمع المؤلف بين حديثين : الحديث الأول لفظه : يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي ، فليظن بي ماشاء . عن واثلة بن الأسقع ، أخرجه أحمد في المسند ٢٥/ ٣٩٨ ؛ والطبراني في المعجم الكبير ٢٢/ ٧٢ ؛ والبيهقي في شعب الإيمان(باب في الرجاء من الله تعالى) ٢/ ٦ ؛ والحاكم في المستدرك (كتاب التوبة والإنابة) .قال الذهبي : صحيح على شرط مسلم ٧/ ٢٧٠٩-٢٧١٠ .
الحديث الثاني لفظه : يقول الله تعالى : يا ابن آدم ، لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني ، غفرت لك . عن أنس أخرجه الترمذي(كتاب الدعوات ، باب في فضل التوبة والاستغفار) . قال أبو عيسى : حديث غريب . ٥/ ٥١٢ ؛ والطبراني في المعجم الأوسط٤/ ٣١٥ ؛ والحديث عن أبي ذر أخرجه أحمد في المسند ٣٥/ ٣٧٥ .

فلا تتوقف عن التَّوبة خوفًا من كثرة الذنوب، فإن الله تعالى كريم يغفر الذِّلّة ويُقيل العثرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾(١)، وقال ﷺ: لَوْ أَنَّكم لا تُذنبُون، لذهب الله بِكم، ولجاء بقوم غيركُم، فيُذنبون، فيستغفرُون، فيغفر لهم(٢).

وحقيقة الاستغفار أن يقول الإنسان: اللهم اغفر لي، ويقوم مقامهُ: استغفر الله، فإنهُ خبر في معنى الطلب.

والإيمان شرط في مغفرة الذنوب، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾(٣).

يا ابن آدم، إنَّك لَو أتيتني بِقرَابِ الأَرضِ خطَايا، ثُمَّ لقِيتنِي لاَ تشرك بي شَيْئًا؛ لأَتَيتُك بِقرَابِهَا مَغفِرَةً(٤).

فلا تتعاظم يا أخي الذنوب، وارجع إلى ستّار العيوب، وانكب على توحيده وطاعتهُ وتمجيدهُ.

---

(١) جزء من الآية رقم ٥٣ من سورة الزمر.

(٢) الحديث عن أبي هريرة، أخرجه مسلم(كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار) ١٧/ ٦٨، والحديث مع اختلاف يسير في اللفظ عن أبي أيوب الأنصاري أخرجه الترمذي (كتاب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب ٥/ ٩٩؛ وأحمد في المسند ٣٨/ ٤٩٨.

(٣) جزء من الآية رقم ٤٨ من سورة النساء.

(٤) جزء من حديث عن أنس أخرجه الترمذي(كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار). قال أبو عيسى: حديث حسن غريب ٥/ ٥١٢؛ والطبراني في الأوسط والحديث فيه عن أبي ذر ٤/ ٦٨. وقِراب الأرض: أي ما يقارب ملأها. لسان العرب(مادة: قرب).

فصل

في تفسير قولهِ تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾(١).

لمّا نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾(٢)، قال السُّفهاء: ليسَ هذا من كلام الله، بل ولا يليق بجنابهِ أن يذكر الأشياء الحقيرة، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحْيِي﴾.

ويقال لـمّا نزل قولهُ تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(٣) أي من ثواب الجنّة وعقاب النّار. قال السّفهاء: لايليق بالله ذِكر الذّرة.

والذرة: النملة، نزل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي﴾، ويقال: نزلت لـمـا أوعد الله الكفّار بالنّار، ووعد المؤمنين بالجنّة، فقال النّاس: لا يُعذبُ بالنّار إلا الكفّار، ولا يُنعم في الجنّة إلا المؤمنون، نزلت، كأن الله يقول: إن العُصاة يُعذبون، وإن كانوا مؤمنين، إلا أنهم ليسوا بمخلدين.

والحياء: الامتناع عن الشيء خوفًا من مواقعة القبيح، وقد وصفَ اللهُ ذاته العظمى [به]، فالمراد بهِ في حقهِ التفضّل والمرحمة، ومنه قوله ﷺ: إنَّ الله حَيٌّ كريمٌ، /[١٥٤و] يستَحي أن يرفع العَبدُ يديه، فيردَّهما صفرًا (٤). أي فارغتين.

---

(١) جزء من الآية رقم ٢٦ من سورة البقرة. وسيبدأ المؤلف في شرحها.

(٢) جزء من الآية رقم ٧٣ من سورة الحج.

(٣) الآيتان ٧، و٨ من سورة الزلزلة.

(٤) الحديث بهذا اللفظ عن سلمان الفارسي، أخرجه ابن ماجه (كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء) ٤/ ٥٧٦؛ والحديث مع اختلاف في اللفظ عن سلمان، أخرجه الترمذي(كتاب الدعوات، باب ١٠٥). قال أبو عيسى: حديث حسن غريب ٥/ ٥٢٠؛ وأبو داود (كتاب فضائل القرآن، باب الدعاء) ٢/ ١١٢؛ وأحمد في المُسند ٣٩/ ١٣٠ـ ١٣١.

وقولهِ ﷺ : يقول الله تعالى : الشَّيب نوري ، وأنا أستحي أن أحرق نوري بناري[١] .

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : إنَّ الله ليعجبُ من الشَّاب الذي ليست له صبوةٌ[٢] . أي زلة ، أي يعجبُ منه فيستحي أن يعذِّبه .

فإذا كان الله أيها الإنسان يستحي منك ، فأنت أحق بالحياء ، فلا تقتحم على المعاصي ، وانظر على من تجرأت . والحياء يُجدي لك النَّفع دنيا وأخرى .

في حديث إسرائيلي : يا ابن آدم ، استحي مني بمعصيتك ، فإني أستحي منك يوم العرض ، فلا أُعذبكَ أبدًا بفضلي وكرمي وإحساني ، يا ابن آدم ، تبّ إليَّ ، فإني أُكرمك كإكرام أنبيائي بلطفي وامتناني ، يا ابن آدم ، لا تُحول قلبك عني ، فإنكَ إن حولت قلبك عني خذلتك ولا أنصرك ، وما النَّصر إلا من سعة رحمتي عندي ، يا ابن آدم ، لو جئتني بحسنات أهل الأرض ، لم أقبل ذلك منك ، حتى تعترف وتُصدق بوعدي ، يا ابن آدمٍ ، تأكل خيري وتعبد غيري ، وأنتَ تعلم أني أنا الرزاق ، وأنتَ المرزوق ، وإنِّي متكفِّل لكَ بالرزق ، يا ابن آدم ، أفلا تعلم أنِّي المعبود بحق ، وأنتَ العابد ، لا إله إلا أنا فاعبدني ، ولا تُشرك بعبادتي غيري ، يا ابن آدم ، لا تترك طاعتي بالانكباب على الدُّنيا ، فإن من ترك طاعتي ، وغفلَ عن عبادتي ، أوجبتُ عليهِ عقوبتي ، يا ابن آدم ، فاحذر العقاب ، واعمل ليوم العرض عليَّ ، والحساب بين يدي ، وكل آتٍ قريب[٣] .

يُقال : البعوض صغار البقّ أو النَّاموس ، ومع نحافتها تغوص في جلد الفيل

---

(١) الحديث دون إسناد ذكره الأبشيهي في المستطرف في كل فن مستظرف(الباب الثامن والأربعون : في الشباب والصحة والعافية وأخبار المعمرين ، الفصل الثاني : في الشيب وفضله) ٢/ ٥٨- ٥٩ .

(٢) الحديث عن عقبة بن عامر أخرجه أحمد في المسند ٢٨/ ٦٠٠ ؛ والطبراني في المعجم الكبير ١٧/ ٣٠٩ ؛ وأبو يعلى في مسنده ٢/ ٣٤١ .

(٣) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من كتب .

والجاموس بقدرة الله تعالى ، وفي خُرطومه شيء من السُّم ، ولذا يؤثّر في البدن من الحكّة والورم ، وربما بحكه صار بثوراً[١] . ضرب الله به المثل لأهل الدُّنيا ، فإن البعوض إذا جاع عاش ، وإذا شبعَ مات ، فكذلكَ صاحب الدُّنيا ؛ إذا استغنى طغى وحلَّ به الردى ، أي لم يعمل فيها بتقوى الله . ومع ضعف خلقته له [أي الباعوض] جزاه بالسقوط على وجوه النَّاس ، فهذا دليل على عظيم قدرة الله تعالى .

ومن الأمثال الإنجيلية : مثل ملكوت السَّماوات ، كمثل رجل زرع في قرية حنطة نقية ، فلمَّا نام النَّاس ، جاء عدوه فزرع الزيوان[٢] بين الحنطة ، فلمَّا أدرك الزرع غلب عليه الزيوان ، فقال عبيد الزَّارع : إنَّا لنعلم يا سيدي أن الحنطة نقية ، فمن أين هذا؟ فقال : لا أعلم ، قالوا : نقلعهُ؟ ، قال لهم السيد : إن قلعتموه قُلعت الحنطة معه ، دعوه إلى الحصَّاد . فلمَّا آن حصادهُ ، أمر الحصَّادين بالتقاط الزيوان من الحنطة ، وأن يربطوه حزمًا ، ثم يُحرق بالنَّار ، وأن يجمعوا الحنطة في العنابر . قال سيدنا عيسى : إن الرجل الزارع للحنطة الجيدة هو : أبونا آدم ، والقرية : الدُّنيا ، والحنطة : عباد الله الطائعون ، والذي زرع الزيوان : إبليس اللَّعين ، والزيوان : المعاصي التي تعتري بني آدم ، والحصَّادين : الملائكة ، يتركون النَّاس إلى دنو آجالهم ، ثم يحصدُون أهل الخير إلى جنَّات النعيم ، وأهل الشَّر إلى دركات الجحيم[٣] .

وفي الإنجيل أيضًا : لو أن رجلاً أخذ حبة خردل[٤] ، فزرعها ، فنبتت ، فعظُمت حتى صارت شجرةً عظيمة ، فجاء طير ، فعشش في فروعها ، لنجا[٥] . فكذلك الهدى ، من دعا إليه من الأنبياء والمُرسلين ، والعلماء العاملين ، ضاعف الله أجره ،

---

(١) البَثْر ، والبَثَرُ ، والبُثُور : خُراج صغير . واحدته بثرة . لسان العرب . مادة : (بثر) .
(٢) الزُّوان ، والزوان : حب رديء يخالط الحنطة . لسان العرب . مادة (زون) .
(٣) انظر : إنجيل متى ، الإصحاح رقم ١٣ ، ص ٦٠- ٦١ .
(٤) الخردل : نبات عشبي ، يُجمع عند اصفرار ثماره . انظر : القانون في الطب لابن سينا ٢/ ٥٩٥- ٥٩٦ .
(٥) انظر إنجيل متى ، رقم ١٣ ، ص ٦١ .

ورفع ذكره ، ونجا به من لجأ إليه .

وفي الإنجيل : لا تكونوا كالمنخل ، يُخرج الدقيق ، ويُمسك النخالة[(١)] .

/[١٥٤ظ] فهذا مثال لمن يُعلّم الحكمة ويُخرجها من فيه ، والغل ونية السّوء في قلبهِ مستقر .

والمراد بما فوق البعوض : في الكبر أو الصّغر ، وكان بعض الملوك إذا غضب على أحد جرّده من ثيابهِ ، وقيّد يديه ورجليه ، وجعلهُ في مكان يكثر فيه البعوض ، فيلسعه حتى يموت .

ولحقارتهِ وحقارة الدُّنيا ، قال ﷺ : لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ جَنَاحَ بعوضة عند الله ، ما سقى كافراً منها شربةَ ماء[(٢)] .

ولحقارة الدُّنيا ما اتخذها دار جزاء لأوليائهِ الكرام ، وإنما هى دار المسافرين ينزل بها قوم ويرحلون ، ويأتي مكانهم آخرون إلى يوم القيامة . فالعاقل من عمل فيها بطاعة الله ، وتزوّد بالتقوى ، قال ﷺ : الدُّنيا ملعونةٌ ، ملعونٌ مَا فِيها ، إلا ذكرُ الله تعالى وما والاهُ ، وعالمٌ ، أو متعلمٌ[(٣)] .

والمراد جواز لعن ما كان مُبعداً عن الله تعالى وشاغلًا عنه ، لا ماكان يُقرب منهُ ، بدلالة : إلاّ ذكرُ الله تعالى وما والاهُ ، ولايشتغل عنهُ .

وعن أبي موسى الأشعري ، قال : قال ﷺ : لا تَسبوا الدُّنيا ، فنعمت مطّيةُ

(١) لم نجد هذا القول في الإنجيل . وقد ذكره ابن الجوزي في : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم(باب ذكر عيسى بن مريم ، ذكر طرق من مواعظ عيسى) ٢/ ٣٠ .

(٢) الحديث عن سهل بن سعد ، أخرجه الترمذي(كتاب الزهد ، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عزّ وجلّ) . قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه ٤/ ٤٨٥ ؛و الحديث بألفاظ أطول أخرجه ابن ماجه(كتاب الزهد ، باب : مثل الدنيا) ٤/ ٦٧٢ .

(٣) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الترمذي(كتاب الزهد ، باب منه) . قال أبو عيسى : حديث حسن غريب ٤/ ٤٨٥ـ ٤٨٦ ؛ وابن ماجه(كتاب الزهد ، باب مثل الدنيا) ٤/ ٦٧٢ .

المُؤمنِ ، عَلَيهَا يبلُغُ الخير ، وبها ينجو من الشَّرِّ ، إنَّ العبد إذا قال : لعنَ اللهُ الدُّنيا ، قالت الدُّنيا : لعنَ الله أعصَانَا لربه[١] .

يقال : لمَّا أرسل الله البعوض على النمرود وجنده ؛ نظر إليه النمرود ، ففرَّ إلى بيت ، وأغلق عليه الباب ، وأرخى المستور ، ونام على قفاه مفكرًا ، فدخلت بعوضة في أنفه ، وَصعدت إلى دماغه ، فتغدت من دماغهُ أربعين يومًا ، إلى أن صار يَضرب برأسهِ الأرض لشدة ما تؤلمهُ ، وصار أعزّ الناس عنده من يضرِب رأسهُ بالنعل ، ثم سقطت في دماغهُ كالفرخ ، ولمَّا سقطت جعل يقول : كذلك يسلط الله رسله على من يشاء من عبادهِ ، فما استتمها إلا هلك[٢] .

قال العلماء : ويقبض ملك الموت روح كل ذي روح حتى البعوض . فقد نظرَ النَّبيُّ ﷺ إلى ملك الموت عند رأسٍ رجلٍ مِن الأنصارِ ، فقال له : ارفق بصَاحبِي ، فَإنَّه مؤمن ، فقالٍ : يا رسُول الله ، إني بكلِّ مؤمنٍ رفيقٌ ، وما من أهلِ بيت إلا وأنَا أتَصفَّحُهم في كلِ يومٍ خمس مراتٍ ، وإني لو أردتُ أن أقبض رُوح بعُوضة ، ما قدرت حتى يأمرني الله تعالى[٣] .

قال محمد بن إسحاق : بلغني أن ملك الموت يتصفح الخلق عند مواقيت الصلاة[٤] .

---

(١) الحديث عن أبي موسى الأشعري ذكره إسماعيل حقي في روح البيان (سورة هود : ٦) ٤/ ١٥٣ ؛ وبلفظ الجنة ، بدلاً من الخير ، والنار ، بدلاً من الشر . والحديث حتى هذا الموضع أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار عن ابن مسعود ٢/ ٤٠٩ـ ٤١٠ .

(٢) انظر : البداية والنهايه لابن كثير(قصة إبراهيم خليل الرحمن ، ذكر مناظرة إبراهيم الخليل مع من ادعى الربوبية) ١/ ١٨٤ .

(٣) الحديث عن الحارث بن الخزرج عن أبيه أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٤/ ٢٢٠ ؛ والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الجنائز ، باب في موت المؤمن وغيره) ٢/ ٣٢٥ـ ٣٢٦ .

(٤) القول ـ مع اختلاف يسير في اللفظ ـ عن زيد بن أسلم ذكره الحافظ أبي الشيخ عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني المتوفي سنة ٣٦٩هـ . في كتاب العظمة(باب صفة ملك الموت عليه السلام) ٣/ ٩١٠ .

وفي ضرب المثل بالبعوض موعظة للإنسان عظيمة : إذا تضرر بالبعوضة ، فهلا يفكر إذا تسلَّط عليه في النَّار الحيات والعقارب .

فانكبوا عباد الله على عبادة الله تعالى لتنجوا من ذلك .

يقال : سأل رجل من أهل العراق ابن عمر ، رضي الله عنهما ، عن دم البعوضة ، فقال : انظروا إلى هذا ، يسألني عن دم البعوض ، وقد قتل أهل العراق ابن بنت رسول الله؟ ، وقد سمعته يقول : هما ريحانتاي من الدُّنيا[١] .

ولم يكن أحد أشبه برسول الله؟ من الحسن والحسين ، فكان الحسن يشبهه ما بين الصَّدر إلى الرَّأس ، والحسين يشبهه بما دون ذلك .

ويُعفى[٢] عن دماء البعوض والبراغيث أصابها ماء أو عرق أم لا ، قُتل بنفسه أم لا . ومما يدفع البراغيث والدبيب[٣] صباحًا ومساءً أن يقول : ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[٤] .

ومما يدفع أذى البراغيث ،/[١٥٥و] أن تأخذ قدحًا من ماء ، وأن تقرأ عليه سبعًا ، ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٥] ، ثم تقول : فإن كنتم مؤمنين فكُفوا شركم وأذاكم عنا ، ثم ترشه فوق

(١) الحديث عن ابن عمر أخرجه البخاري(كتاب الأدب ، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته) ٥/ ٢٢٣٤ ؛ والترمذي (كتاب المناقب ، باب : مناقب الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما) . قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح ٥/ ٦١٥ .

(٢) أي أنه لا ينقض الوضوء .

(٣) الدبيب : كلُّ ماشٍ على الأرض : دابة ودبيب . لسان العرب (مادة : دبب) .

(٤) الآية رقم ١٢ من سُورة إبراهيم .

(٥) الآية رقم ١١ من سورة إبراهيم .

فراشك ، فإنك تبيت آمنًا من شرها . ويقال لطرد البراغيث التبخير بالكِبريت[1] والرواند[2] ، ويقال يمتن منه ، أو تحفر حُفيرة في البيت ، ويلقى فيه ورق الدفلاء[3] ، فإنهن يأوين إلى الحُفيرة ، ويقال يُرش البيت بطبيخ الشونيز[4] ، فإنه يقتلها ، ويقال إذا نقع السذاب[5] في ماء ، ورُش في البيت ماتت .

(١) الكبريت : معدن ، منه أصفر ، ومنه أبيض ، شديد الاشتعال ، يدخل في صناعة البارود ، ومبيدات الحشرات . انظر : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار ٤/ ٢١ .

(٢) الرواند : خشب ، يستعمله البياطرة في أدوية الدواب . انظر معجم أسماء النبات لأحمد عيسى ، ص١٥٥ .

(٣) الدفلاء أو الدفْلى : نبات منه نهري ، ومنه بري ، ينبت في شطوط الأنهار ، وفي الخرابات ، ورقه مرّ الطعم جداً ، من خواصه إذا رُش بطبيخه البيت قتل البراغيث والأرضة . انظر معجم أسماء النبات لأحمد عيسى ، ص١٢٤ .

(٤) الشونيز : هو الحبة السوداء . دخانه تهرب منه الهوام . انظر القانون لابن سينا ٢/ ٥٥٣ـ ٥٥٤ .

(٥) السداب أو السذاب : نبات عُشبي معمر ، بري وزراعي ، أشد سوادا من الخردل ، يتكاثر بالبذور . انظر : منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان ، ليحيى بن عيسى المعروف بابن جزلة ، ص ٤٦٧ .

فصل

[شرح حديث : احفظ الله يحفظك . . .] عن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، قال : كنت خلف رسول الله ، فقال :يا غُلام ، إني أُعلِّمك كلمات : احفظ الله يَحْفَظْكَ ، احفظ الله تَجِدْه أمامك ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعْلم أن الأُمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ ، لن يَنفعُوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لكَ ، وإن اجتمعوا على أن يَضرُّوك بشئ ، لم يَضرُّوك إلا بشيء قد كتبهُ الله عليك ، رُفِعَت الأَقلامُ ، وجَفَّت الصُّحُف .

رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيحُ[1] .

وفي رواية غير الترمذي : احفظ الله يَحْفَظْكَ ، احفظ الله تجدهُ أمامك ، تَعَرَّف إلى الله في الرَّخاء ، يعرفك في الشِّدة ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليُخطئك ، واعلم أن النَّصر مع الصَّبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العُسر يسراً[2] .

في قولهِ : كنت خلف النبي ، فائدة : جواز الإرداف[3] ، أي في الدَّابة المملوكة للإنسان إن أطاقت ، وإلا حَرُم . فالإنسان مسئول عن الرَّعيةِ ، والدَّابة من الرَّعية ، وإن كانت ملك الغير ، عارِيَة أو مؤجرة ، وكانت تطيق ، وبيَّن الأرداف ، أو ما يحمله عليها ، أو قال له : حمِّل عليها ما شئت ، وأرْكب من شئت ، فإن لم يقل وركّب

(١) الحديث عن ابن عباس أخرجه الترمذي(كتاب : صفة القيامة ، باب منه) . قال أبو عيسى : حديث حسن صحيح ٤/ ٥٧٦ ؛ وأحمد في المسند ٤/ ٤٠٩ـ ٤١٠ ؛ والطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٢٣٨ .

(٢) الحديث بهذه الرواية عن ابن عباس أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٩ ؛ والطبراني في المعجم الكبير ١١/ ١٢٣ ؛ و الحاكم في المُستدرك (كتاب معرفة الصحابة) . قال الذهبي : لم يخرج الشيخان لابن خراش ٦/٢٢٥٩ ؛ والبيهقي في شعب الإيمان(باب في الصبر على المصائب ، فصل : في ذكر ما في الأوجاع) ٧/ ٢٠٣ .

(٣) رَدف الرجل وأردفه : ركب خلفه ، الردف : ما تبع الشيء ، وكل شيء تبع شيئًا فهو رِدْفه . لسان العَرب(مادة : ردف) .

واحد تَعيَّن ، فلا يجوز أن يركبها غيره كما لو عيَّن الرَّاكب ، والحمل لا يتعين ما لم يكن حديداً أو ملحًا ، لأنهما يضرّان بالدَّابة ، ومع قوله من شئت أو ما شئت جاءت مفرداً وارداقًا ، فله أن يردف ، ويحمّل ما شاء ، ولو حديداً أو ملحًا ، إن أطاقت بشرط الوزن المعتاد ، قالوا : حمْل الجمل مئة وعشرون رطلاً ، وحمْل البغل ثمانون ، وحمْل الحمار أربعون ، فإن زاد والدابة ملكه حَرُم عليه ، وإن كانت ملك الغير ، فعطبت ضمِن قدْر الزيادة . وأبلغ من هذا أن الإنسان لو لبس ثيابًا كثيرة ضمِن قدر الزِّيادة ، لا لو لبس ما يعتاده الناس .

وفي قولهِ :يا غلام : إشارة إلى كونه صغيراً ، قالوا : كان عمره لما توفى النبي ﷺ ، عشر سنوات[1] .

احفظ الله : بامتثال الأوامر والانتهاء عن المناكر ، يحفظك : بلطفه الغامر .

ومن أعظم ما يجب حفظه : الصَّلاة ؛ فإن الله أمر بذلك ، حيث قال : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[2] وقد مدحهم بقوله : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[3] ، ومن فوائد المحافظة عليها أن الله يُسهل بذلك الأمور ، ويشرح الصُّدور ، ويجلب السُّرور ، ويدفع عن المحافظ الضُّر والشُّرور ، ويُكثر رزقه .

وفي الحديث ، قال ﷺ : من حافظ على الصَّلاة كان له عند الله عهداً أن يُدخله الجنة[4] .

---

(١) جاء عن ابن عباس أنه قال : تُوفي رسول الله ﷺ ، وأنا ابن عشر سنين ، قرأتُ المُحكم . أخرجه البخاري (كتاب فضائل القرآن ، باب تعليم الصبيان القرآن) ٤/ ١٩٢٢ ؛ وأحمد في المسند ٤/ ١٣٧ .

(٢) جزء من الآية رقم ٢٣٨ من سورة البقرة .

(٣) الآية رقم ٣٤ من سورة المعارج .

(٤) جزء من حديث عن عبادة بن الصامت أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة ، باب فيمن لم يوتر) ٢/ ٨٨ ؛ والنسائي(كتاب الصلاة ، باب المحافظة على الصلوات الخمس) ص٨٠ ؛ وابن ماجه (كتاب إقام الصلوات والسنة فيها ، باب : ما جاء في فرض الصلوات الخمس) ٢/ ٤٥١ ؛ وأحمد في المسند ٣٧/ ٣٦٦ .

وفي حديث : خمس صلوات من حافظ عليهن كنَّ له نوراً وبرهانًا ونجاة يوم القيامة[١] .

فالنُّور : ينفعه في المحشر ، وعلى الصِّراط ، بل وفي القبر . والبرهان : الحجة القاطعة على إيمانه ، والنَّجاة من أهوال المحشر ، وعذاب النار ؛ بل وعذاب القبر .

ومن ذلك المحافظة على الطهارة ، فإنها /[١٥٥ظ] مفتاح الصَّلاة ، وشرط صحتها . قال صلى الله عليه وسلم : مفتاح الصَّلاة الطُّهُور[٢] . وقال : لايحافظ على الوضوء إلا مؤمن[٣] . فمن دام على الوضوء دفعت عنه المصائب والبلايا .

ويجب على الإنسان حفظ جميع أعضائه ، قال تعالى :﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[٤] ، فحفظ السَّمع : من الصَّنت ، واستماع ما حرم من الغيبة ، والنميمة ، والكذب ، والبهتان ، وآلات اللهو ، والغناء بالأشعار ، والأشغال المحرمة ، والبصر : من أن ينظر إلى عورات الناس من نسائهم ، ومردانهم[٥] ، وبيوتهم ، والفؤاد : من الحقد ، والغل ، والبغض ، والحسد ، ونية السوء ، قال تعالى :

---

(١) جزء من حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أخرجه أحمد في المسند١١/ ١٤١ ؛ والدارمي في سننه (كتاب الرقاق ، باب في المحافظة على الصلاة) ص ٨٩٤، ٨٩٥ ؛ و الطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ٤٥٦ .

(٢) جزء من حديث عن عليٍّ ، أخرجه الترمذي (كتاب الطهارة ، باب ما جاء أن مفتاح الصلاة الطهور) . قال أبو عيسى : هذا الحديث أصح شيء في الباب . ١/ ٨ـ ٩ ؛ وأبو داود(كتاب الطهارة ، باب فرض الوضوء) ١/ ٤٢ ؛ وابن ماجه(كتاب الطهارة وسننها ، باب مفتاح الصلاة) ١/ ١١٣ ؛ وأحمد في المسند ٢/ ٢٩٢ .

(٣) جزء من حديث عن عبد الله بن عمرو ، أخرجه ابن ماجه(كتاب الطهارة وسننها ، باب المحافظة على الوضوء) ١/ ١١٣ـ ١١٤ ؛ وأحمد في مسنده ٣٧/ ١٠٨ـ ١٠٩ ؛ والبزار في مسنده ٦/ ٣٥٨ ؛ والحاكم في المستدرك(كتاب الطهارة) ، والحديث فيه عن ثوبان وجابر . قال الذهبي : على شرطهما . ١/ ١٩١ـ ١٩٢ .

(٤) جزء من الآية رقم ٣٦ من سورة الإسراء .

(٥) المَرَدُ : نقاء الخدين من الشعر . والأمرد الشاب الذي بلغ خروج لحيته وطرَّ شاربه ولم تبدى لحيته . لسان العرب (مادة : مرد) .

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[١] .

وأعظم ما يجب حفظه : اللسان والفرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال صلى الله عليه وسلم : من حفظ ما بين لحييه وما بين رجليه دخل الجنة[٢] .

ومن آفات اللسان كثرة الطلاق ، فإنه يمين الفُساق ، وشهادة الزُّور ، ومرّ حديث : ملعون من حلف بالطلاق أو حلَّف به[٣] .

ويحفظ الجوف من إدخال الحرام فيه ، من المأكل والمشارب . في الحديث : من أكل درهما من الحرام فكأنما زنا ، ومن أكل درهما من الربا فكأنما زنا بأُمه سبعين مرة ، ويُحشر الزّاني يوم القيامة مكتوب بين عينيه : آيس من رحمة الله[٤] .

وفي الحديث : الخمر جماع الإثم[٥] . وكان بعضهم ينبش القبور ، فوجد ثلاثة إلى غير القبلة ، فسأل عنهم ، فقيل له : كانوا يشربون الخمر ، وماتوا ، ولم يتوبوا .

ومن الشُّرب المحرَّم ، والأكل المحرَّم ، ما يُؤكل ويُشرب عند ضرب الآلات .

ومما يجب حفظه : ظاهر البدن من لبس المحرم ، كالحرير ، فمن لبس الثوب ولو أزرق ، أو أسود ، أو خامًا ، أو كتانًا ، وقصد به التفاخر كان حرامًا ، كمن وضع في بيته

---

(١) جزء من الآية رقم ٢٣٥ من سورة البقرة .

(٢) لفظ الحديث : من يضمن لي ما بين لحييه . . . عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب الرقاق ، باب : حفظ اللسان) ٥/ ٢٣٧٦ ؛ والحديث بلفظ : من وقاه الله شر ما بين لحييه . . .عن أبي هريرة أخرجه الترمذي (كتاب الزهد ، باب ما جاء في حفظ اللسان) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب . ٤/ ٥٢٤ ؛ والبزار في مسنده ١٥/ ٣٤٨ .

(٣) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب الأحاديث . وذكره العجلوني في كشف الخفاء ولم يعلق عليه ٢/ ١٩٣ .

(٤) الحديث غير مسند ، ذكره المعافى بن إسماعيل الموصلي في كتاب أنس المنقطعين لعبادة رب العالمين (الحديث الثاني والسبعون) ، ص ٥٦ .

(٥) جزء من حديث عن حذيفة ، أخرجه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب(كتاب الحدود وغيرها ، باب الترهيب من شرب الخمر) . وقال عنه : ضعيف وقال : ذكره رزين ولم نره في شيء من أصوله ٢/ ١١٣ .

أشياء بقصد الزينة ؛ فإن صلاة الإنسان معه تكره كراهة تحريم ، ويصير به فاسقًا ، مردود الشَّهادة .

ومما يُفرض حفظه : الأيمانِ الباطلة ، قال تعالى : ﴿واحفظوا أيمانكم﴾[1] ، قالوا : الأيمان ممحقة للرزق ، وخراب للديار ، وقاطعة للأعمار .

وآكد من ذلك كله حفظ : الإيمان ، الذي هو التصديق القلبي ، وذلك بفعل الطاعات ، وترك المنهيات ، والتضرع بالدعاء لخالق الأرض والسَّماوات . ومما يُدعى به خوفًا من زوال الإيمان ـ والعياذ بالله ـ ما بين سُنة الفجر والفريضة : يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال والإكرام ، أسألك أن تُحيي قلبي بنور معرفتك ، يا الله ياالله يا الله يا محيي قلوب الموتى[2] .

ومما يُحفظ : أداء ما افتُرض على الإنسان من الزَّكاة ، فمن لم يؤدها ، تزلزلت أقدامه على الصراط ، وسقط في نار جهنم ، ومن أدَّاها لمستحقيها مرَّ على الصراط كالبرق اللامع ، ويدخل الجنة من أي الأبواب شاء . ونظير قوله : احفظ الله يحفظك ، قوله تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[3] ، أي اذكروني بالطَّاعة ، أذكركم بالمغفرة ، وقولِه تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[4] ، أي أوفوا بما عهدت لكم من الإيمان ، وفعل الطاعات ، أُوفي بعهدكم بإعطاء المرادات في الدُّنيا والآخرة ، وبنيل الجنة ، ورفعة الدرجات .

وقوله تعالى : ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾[5] ، أي : إن تنصروا الله : بحفظ حدود الشَّرع . ينصركم : يؤيدكم في الدُّنيا والآخرة .

---

(١) جزء من الآية رقم ٨٩ من سورة المائدة .
(٢) انظر : نزهة المجالس للصفوري – والقول فيه غير منسوب –(باب : التوبة) ٢/ ٤٠ .
(٣) جزء من الآية رقم ١٥٢ من سورة البقرة .
(٤) جزء من الآية رقم ٤٠ من سورة البقرة .
(٥) جزء من الآية رقم ٧ من سورة محمد .

قال الله تعالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[١] .

واعلم يا أخي أن ما يصيب الإنسان/ [١٥٦و] من البلايا ، فبتركه ما أمر الله تعالى ، قال بعض السّلف : إذا حضر الرّجل الموت ، يقال للملك : شمّ قلبه ، قال : أجد فيه الصيام ، فيقال : شمّ رأسه ، قال : أجد فيه القرآن ، فيقال : شمّ قدميه ، قال : أجد فيهما القيام ، فيقال : حفظ نفسه ، فحفظه الله[٢] .

وعلَّم النبي ﷺ ، البراء ، هذا الدعاء عند منامه : رب إن قبضت نفسي فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصّالحين[٣] .

وعلَّم عمر ، أن يقول : اللهم احفظني بالإسلام قائمًا ، واحفظني بالإسلام قاعدًا ، واحفظني بالإسلام راقدًا ، ولا تُطع فيَّ عدوًا ، ولا حاسدًا[٤] .

احفظ الله تجده أمامك : أي تجاهك[٥] ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[٦] ، وقال رسول الله ﷺ : أفضل الإيمان ، أن يعلم العبد أن

---

(١) جزء من الآية رقم ٩٧ من سورة النحل .

(٢) القول عن الحكم بن أبان ذكره ابن رجب الحنبلي في كتابه : جامع العلوم والحكم (الحديث التاسع عشر)١/ ٤٦٨ .

(٣) جزء من حديث عن أبي هريرة ، أخرجه البخاري (كتاب الدعوات ، باب التعوذ والقراءة عند المنام) ٥/ ٢٣٢٩ ؛ ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب ما يقول عند النوم) ١٧/ ٣٨ . ولم نجد الدعاء بهذا اللفظ عن البراء .

(٤) جزء من حديث عن هشام بن عبد الله بن الزبير ، أخرجه ابن حبان في صحيحه (كتاب الرقائق ، باب الأدعية ، فصل ذكر الأمر للمرء أن يسأل حفظ الله جل وعلا) ٢/ ١٤٣ ؛ والحديث عن ابن مسعود أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب الدعاء والتكبير والتهليل) . قال الذهبي : أبو الصهباء لم يخرج له ٢/ ٧٣٣ـ ٧٣٤ .

(٥) تتمة شرح حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٦) الآية رقم ١٢٨ من سورة النحل .

الله معه حيث كان[١] .

وكتب بعضهم إلى أخ له : أما بعد ، فإن كان الله معك فمن تخاف؟وإن كان عليك فمن ترجو[٢]؟

قيل لبعضهم : ألا تستوحش وحدك؟ ، فقال : كيف استوحش ، وهو يقول : أنا جليس من ذكرني[٣] . فينبغي للعاقل أن لا يغفل عن ذِكر الله .

وقيل لبعضهم : إنا نراك وحدك ، فقال : من يكن الله معه كيف يكون وحده؟

وقيل لبعضهم كان وحده : ألا تتخذ لك مؤنسًا؟ فقال : مؤنسي معي ، فقيل : أين هو؟ قال : فوقي ، وأمامي ، وخلفي ، ومن عن يميني ، ومن عن شمالي ، إن الله بكل شئ محيط . والمراد من المعية : الحفظ والتأييد .

وإذا سألت شيئًا ، فاسأل الله : ولا تسل غيره ، إذ لا مسئول في الحوائج إلا هو ، قال تعالى : ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾[٤] ، وقال رسول الله ﷺ : سلوا الله من فضله ، فإن الله يحب أن يُسأل[٥] .

وقال ﷺ : إذا كان آخر الليل ، يقول الله تعالى : هل من داعٍ فأستجيب له ، هل من سائل فأعطيه سؤله ، هل من مستغفرٍ فأغفر له ، هل من تائب فأتوب عليه ،

---

(١) الحديث عن عبادة بن الصامت أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب : الخوف من الله تعالى) ١/ ٤٧ .

(٢) القول عن أبي قلابة ذكره الغزالي في فضائح الباطنية (الباب العاشر في الوظائف) ١/ ٢١٦ .

(٣) القول عن محمد بن النُّضر الحارثي ، ذكره البيهقي في شعب الإيمان (باب في محبة الله تعالى ، ذكر آثار وأخبار وردت في ذكر الله تعالى)١/ ٤٥٨ . والحديث القدسي : أنا جليس من ذكرني . . .أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الزهد : كلام موسى النبي عليه السلام) ٧/ ٩ .

(٤) جزء من الآية رقم ٣٢ من سورة النساء .

(٥) جزء من حديث عن ابن مسعود أخرجه الترمذي(كتاب الدعوات ، باب في انتظار الفرج وغير ذلك) . قال أبو عيسى : هكذا روى حماد بن واقد هذا الحديث وقد خولف في روايته . ٥/ ٥٢٨ ؛ والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ١٢٥ ؛ والبيهقي في شعب الإيمان(باب : الرجاء من الله تعالى ، فصل : قال الحليمي رحمه الله) ٢/ ٣٧٢ .

ألا ألا حتى يطلع الفجر[١] .

وفي حديثٍ آخر : إذا كان آخر الليل يقول الله تعالى : من ذا الذي دعاني فلم أجبه ، من ذا الذي سألني فلم أعطه ، من ذا الذي استغفرني فلم أغفر له ، وأنا أرحم الرّاحمين[٢] .

قال وهبٌ[٣] لرجلٍ - كان يأتي باب الملوك - : عجبًا! تأتي من يُغلق عنك بابه ، أو أمر بمنعك من الدُّخول حجابه ، وتترك من بابه على المدى مفتوح ، ويقول لعباده : ادعوني استجب لكم ، فإنه لا يرد دعاء من دعاه ، ولا يخيب رجاء من رجاه[٤] . والمعنى : ادعوني بلا غفلة استجب لكم بلا مهلة ، أو ادعوني بالتذلل استجب لكم بالتفضل .

سبحان من خزائن الوجود بيديه ، سبحان من أزمة الموجودات كلها إليه ، سبحان من لا معطي سواه ، سبحان من لا مانع إلا إياه ، يالطيفًا بخلقه ، أنت تعطي وتمنع ، ياإلهي وسيدي ، دُلّني كيف أصنع ، لطيف بحالي ، راحم لشكيتي ، خبير بضعفي إن تضايقت حلاه .

ومن المجرب للشدائد : اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد أن تنجيني مما

---

(١) لفظ الحديث : ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا . . .عن أبي هريرة ؛ أخرجه البخاري(كتاب التهجد ، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل) ١/ ٣٨٤- ٣٨٥ ؛ ومسلم (كتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل) ٦/ ٤١ .

(٢) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب الحديث .

(٣) هو : وهب بن منبه بن كامل بن مسيج ، أبو عبد الله الأنباري ، اليماني ، التابعي ، مؤرخ ، عالم بأساطير الأولين . ولد ومات بصنعاء . أصله من أبناء الفرس ، وولي قضاء صنعاء . مات ١١٤هـ . انظر عنه : صفة الصفوة لابن الجوزي(ترجمة وهب بن منبه) ٢ : ٣٨٦- ٣٨٨ ؛ و حلية الأولياء لأبي نعيم ٤/ ٢٣- ٨٢ ؛ وتاريخ الإسلام للذهبي ٥/ ١٤- ١٦ .

(٤) قول وهب ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (الحديث التاسع عشر : احفظ الله يحفظك . . .) ١/ ٤٨١ .

أخاف . ويناسب هذا الحديث الإسرائيلي المتقدم : عبدي ، إذا سألت فسلني ، فإني غني . . إلى أخره .

وإذا استعنت[(١)] : / [١٥٦ظ] أي طلبت المعونة لأمر دنياك وآخرتك . فاستعن بالله : فإنه المعين الغني عن الناصر والمعين ، والعبد عاجز عن الاستقلال لجلب مصالحه ، ودفع مضاره ، ولامعين له على ذلك إلا الله ، فمن أعانه الله فهو المعان ، ومن خذله فهو المهان ، ولا حول ولا قوة للعبد إلا بالله تعالى .

وقد مرَّ : من قال مئة مرة لا حول ولا قوة إلا بالله قُضيت حوائجه[(٢)] . وفي الحديث قال ﷺ : احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز[(٣)] . أي لا تتخذ العجز صنعة .

وكتب الحسن لعمر بن عبد العزيز : لا تستعن بغير الله ، فيكلك الله إليه[(٤)] .

ومن كلام بعض السّلف : يارب ، عجبتُ لمن يعرفُك! كيف يرجو غيرك ، وعجبتُ لمن يعرفك! كيف يستعينُ بغيرك .

واعلم أن الأمة[(٥)] : أي المخلوقات . لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم يقدره الله ، لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك في اللوح من الأزل ، قبل خلق الخَلق ، من أجلٍ ، أو عملٍ ، أو رزقٍ ، أو أثرٍ ، قال تعالى : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ

---

(١) تتمة شرح حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

(٢) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٣) جزء من حديث عن أبي هريرة ، أوله : المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . . . أخرجه مسلم (كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز) ١٦/ ٢٢٠- ٢٢١ ؛ وابن ماجه(كتاب السُّنة ، باب في القدر) ١/ ٥١ ؛ وابن حبان في الصحيح(كتاب الحظر والإباحة ، باب : ما يكره من الكلام) ٧/ ٤٩٠ .

(٤) الأثر عن الحسن ذكره ابن حجر الهيثمي في الفتح المبين بشرح الأربعين ، ص٣٧٣ .

(٥) تتمة شرح حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

لَنَا ﴾[١] ، وقال : ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾[٢] ، وخرَّج مسلم عن عبد الله بن عمرو[بن العاص] ، رضي الله عنهما ، قال : قال ﷺ : إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة[٣] .

وخرَّج الترمذي ، عن عبادة بن الصامت ، قال : قال ﷺ : إن أول ما خلق الله القلم ، ثم قال : اكتب ، فجرى في تلك السَّاعة بما هو كائن إلى يوم القيامة[٤] .

والحاصل أنه لا يصيب العبد إلا ما قُدِّر له من خير ، أو شر ، أو نفع ، أو ضر . واجتهاد الخلق بما لم يقدره الله لا يفيد ؛ لأن ما قدَّره الله تعالى لا يستطيع أحد على دفعه .

ولذا قال[ﷺ] : وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يُكتب عليك ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك .قال تعالى : ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾[٥] ، يعني إذا أراد زيد مثلاً ضرر عمرو بما لم يكن كُتب عليه ، صدَّ الله زيداً عنه بمرض ، أو شُغل قلب ، أو نسيان . مثلاً : إذا أراد زيد أن يضرب عمرو بسهمٍ يُضعف زيداً عن مد القُوس ، أو يُرسل الله ريحًا يعارض السَّهم ، فيميل عن جهة عمرو ، وكذلك إذا أراد بكر أن يبذل إلى بشر نفعًا قد قدَّره

---

(١) جزء من الآية رقم ٥١ من سورة التوبة .

(٢) جزء من الآية رقم ٢٢ من سورة الحديد .

(٣) الحديث عن عبد الله بن عمرو ، أخرجه مسلم (كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام) ١٦/ ٢٠٩ ؛ والترمذي(كتاب القدر ، باب منه) . قال أبو عيسى : حديث حسن صحيح غريب . ٤/ ٣٩٩ ؛ وأحمد في مسنده ١١/ ١٤٤ .

(٤) جزء من حديث عن عبادة بن الصامت ، أخرجه الترمذي(كتاب القدر ، باب منه) . قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ٤/ ٣٩٨- ٣٩٩ ، وأحمد في المسند ٣٧/ ٣٧٨- ٣٧٩ ، والحديث - مع اختلاف يسير في اللفظ - عن عبادة بن الصامت أخرجه أبو داود(كتاب السنة ن باب في القدر) ٥/ ٥٢ .

(٥) جزء من الآية رقم ١٠٧ من سورة يونس .

الله له ، فمنعه خالد عنه ، لا يستمع كلامه فيه . وحِكم الله يا أخي كثيرة ، فقد تقع المصيبة لشخصٍ ، وتكون نفعًا لغيره . وما أحسن قول من قال : مصائب قومٍ عند قوم فوائد[(١)] ، ويقال فوائد قوم عند قوم مصائب ، ويظهر ذلك في العزل والتولى ، وقد نظمتُ ، فقلتُ :

أتــظــن أنك عــائــد من بــعــد ما أسقيت كأس العزل يا ذا السّاقي

مــا مــنصــب الــدنــيــا لــغــيــر مقلد أين الأوائل فالقديم البــاقــي

وأما منصب العلم ، فالإنسان لا ينعزل منه ، ولما عُزل شيخي علاء الدّين أفندي من منصب الفتوى ، فقال : لم أُعزل ، واستمر يراجع في الأحكام التي يتوقف الغير بها ، إلى أن ارتحل إلى رحمة الله وسعة رضوانه .

وكذلك المؤمن لا ينعزل [١٥٧و/] عن إيمانه ، والولي لا ينعزل عن ولايته ، فقد تظهر لبعض الأولياء الكرامات بعد موته ، لزيادة تصرفه حيًا وميتًا ، وقد تبقى كرامته التي ظهرت حال حياته إلى ما بعد ، كما في النيل الذي جرى بورقة عمر بن الخطاب ، وبقي جاريًا إلى يومنا[(٢)] .

(١) القائل أبو الطيب المتنبي ، والبيتُ كاملاً : بذا قضت الأيام ما بين أهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد .
انظر كتاب الأمثال السائرة من شعر المتنبي للصاحب ابن عباد تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، ص ٤٣ . بغداد ، مكتبة النهضة .

(٢) ذكر ابن كثير ما جاء في بطاقة عمر بن الخطاب ـ أمير المؤمنين ـ إلى نيل أهل مصر . وهذا لفظه : أما بعد ، فإن كنت تجري من قبلك ومن أمرك فلا تجر ، فلا حاجة لنا فيك ، وإن كنت إنما تجري بأمر الله الواحد القهار ، وهو الذي يجريك ، فنسأل الله تعالى أن يجريك . فأجرى الله تعالى النيل ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة . وقطع الله تلك السُّنة عن أهل مصر إلى اليوم . وهى عادة إلقاء جارية بكر من أبويها في النيل . انظر : البداية والنهاية لابن كثير (حوداث سنة عشرين من الهجرة ، قصة نيل مصر) ١٠٨/٧ .

وجريان زمزم لهاجر وبقائه إلى الآن .

قلت : ومنكر شيء من كرامات الأولياء لقلة عقل عنده والديانة .

وكذلك النبيّ لا ينعزل بموته عن نبوته ، ولا عنْ رسالته ، وقد تبقى معجزات بعضهم إلى ما بعد الموت ، كالقرآن الذي هو أعظم المعجزات لخلاصة ولد عدنان . وجريان الماء الذي في المدينة لرسول الله ﷺ[(١)] .

وبقاء جريان الماء الذي جرى لإبراهيم ، في المكان الذي أُلقى فيه بالمنجنيق[(٢)] إلى الحريق ، وغير ذلك .

رُفعت الأقلام : للفراغ من الأمر وانبرامه . وجفت الصحف : التي فيها مقادير العباد فلا تتغير ولا تتبدل .

وأما قوله [تعالى] : ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[(٣)] ، أي يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ من اللوح المحفوظ .

---

(١) معجزة جريان الماء لرسول الله ﷺ ، حدثت مرتين ، المعجزة الأولى : في الحديبية عن البراء بن عازب أنهم كانوا مع رسول الله ﷺ ، يوم الحديبية ألفًا وأربع مئة أو أكثر ، فنزلوا على بئر فنزحوها ، فأتوا رسول الله ﷺ ، فأتى البئر وقعد على شفيرها ، ثم قال : ائتوني بدلو من مائها فأُتي به ، فبصق ، ودعا ، ثم قال : دعوها ساعة ، فأرْوَوا أنفسهم ، وركابهم حتى ارتحلوا . رواه البخاري(كتاب المغازي ، باب : غزوة الحديبية) ٤/ ١٥٢٥ـ ١٥٢٦ .

المعجزة الثانية : في تبوك ، عن معاذ بن جبل قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ ، عام غزوة تبوك ، فصلى . . .ثم قال : إنكم ستأتون غداً ، إن شاء الله ، عين تبوك . . .فمن جاءها منكم فلا يمس من ماءها شيئًا حتى آتي . فجئناها . . .والعين مثل الشراك . . .وغسل رسول الله ﷺ ، فيه يديه ووجه ، ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماء منهمر حتى استقى الناس ، ثم قال ﷺ : يوشك يا معاذ ، إن طالت بك حياة ، أن ترى ما هاهنا قد مُليء جنانًا . رواه مسلم (كتاب الفضائل ، باب : في معجزات النبي) ٤٤/١٥

(٢) لم نجده .

(٣) الآية رقم ٣٩ من سورة الرعد .

﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ : أي أصله المثبت عنده الذي لا يتغير ولا يتبدل ، سبحان من يُغير ولا يتغير ، ويُحول ولا يتحول ، له ملك السماوات والأرض ، لا إله إلا هو ، فوحدوه وعظموه ومجدوه .

وفي رواية عبد بن حميد ، عن عطاء ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال ﷺ : احفظ الله تجده تجاهك[١] . فاستأنس به ، واستعن به ، واستغن به عمن سواه . ومصداقه : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾[٢] .

تعرف[٣] : تحبب إلى الله بطاعته ، والعمل بمأموراته ، والانتهاء عن منهياته ، وبالإنفاق في وجوه الخير ، ويقال : تعرَّف إلى ملائكة الله ، ليشهدوا لك بعملك عند الله .

وقد ورد ، أن غير الحفظة يكتبون في الجمعة والعيدين ، فيأتي من طريق ، ويذهب من طريق ، لتكثر له الشهود .

في الرخاء : في اليُسر والسعة والصحة . يعرفك : في حال وقوعك في الشدة في العسر ، وضيق الحال والمرض ، أو في الشدة الدُّنيوية والأخروية .

وأقوى دليل قصة أصحاب[٤] الغار الثلاثة ، لما وقعوا في شدة انطباق الغار عليهم ، ذكروا أعمالهم الصَّالحة ففرج الله عنهم .

وفي الحديث ، قال ﷺ : من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد ، فليكثر

(١) الحديث عن ابن عباس أخرجه في المعجم الكبير ١١/ ١٧٨ ؛ والحديث بلفظ : احفظ الله تجده أمامك . عن ابن عباس أخرجه عبد بن حميد في مسنده ، ص٢١٤ .
(٢) الآيتان ١٠ ، ١١ من سورة الانفطار .
(٣) تتمة شرح حديث ابن عباس رضي الله عنه .
(٤) قصة أصحاب الغار الثلاثة ذكرها البخاري في حديث أخرجه عن ابن عمر (كتاب البيوع ، باب : إذا اشترى شيئًا لغيره بغير إذنه فرضي) ٢/ ٧٧٠ ؛ ومسلم (كتاب الرقاق ، باب : قصة أصحاب الغار الثلاثة ، والتوسل بالأعمال الصالحة) ١٧/ ٥٩-٦٠ .

الدعاء في الرخاء[١] . حتى يقال : إن الملائكة عليهم السّلام يقولون لمن كان يُكثر الدعاء في الرّخاء ، إذا دعا في الشدة : صوت معروف ، فيشفعون له ، فتُقضى حاجته ، وإذا لم يكثر الدعاء في الرّخاء ، ودعا في الشدة ، يقولون : صوت غير معروف ، فلا يشفعون له[٢] .

ويقال : إن الله تعالى يقول : صوت أعرفه يا ملائكتي ، اقضوا حاجة عبدي ، وصوت لا أعرفه .

قال العلماء : وأعظم شدائد الدّنيا : الموت ، فليتعرف الإنسان إلى الله تعالى في حال الصّحة ؛ ليُهون عليه سكرات الموت ، وما بعد الموت أشد منه ، فطاعة الله تدفع عنه ذلك .

وقيل في تفسير قوله تعالى :﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾[٣] أي من كرب الموت ، وما بعده[٤] .

واعلم إن ما أخطأك من مصائب الزمان ، وسلمت /[١٥٧ظ] منه . لم يكن ليصيبك ؛ لأن الله تعالى قدّر لك أيها الإنسان السّلامة منه ، وما أصابك من شدة كمرض ، وهم ، وغم ، وموت أهل ، أو صديق ، أو دواب ، أو غير ذلك ، لم يكن ليُخطئك ، فلا تسلم منه .

واعلم أن النّصر مع الصبر : أي بعده ، وإنما قرنه بالمعية إشارة إلى سرعة تعقبه

---

(١) الحديث عن أبي هريرة ، أخرجه الترمذي(كتاب الدعوات ، باب : ما جاء في أن دعوة المسلم مستجابة) . قال أبوعيسى : هذا حديث غريب ٥/ ٤١٣ ؛ والمستدرك في الحاكم (كتاب الدعاء والتكبير) قال الذهبي : صحيح ٢/ ٧٥٩ ؛ وأبو يعلى في مسنده ٥/ ٧٣ .

(٢) القول عن سلمان الفارسي ذكره ابن رجب في : جامع العلوم والحكم (الحديث التاسع عشر) ١/ ٤٧٥ .

(٣) آخر جزء من الآية رقم ٢ ، من سورة الطلاق .

(٤) القول عن قتادة ذكره ابن كثير في التفسير (الطلاق : ٢)

الصبر ، فقيل : الصبر الجهاد ، إما في سبيل الله ، يعقبه النّصر على الأعداء ، وإما النفس والهوى ، قال صلى الله عليه وسلم : المجاهد من جاهد نفسه في الله[١] .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : ابدأ بنفسك فجاهدها[٢] .

وجاء قوم من جهاد الكفّار ، فقال لهم إبراهيم بن الأدهم ، قدس سره العزيز : جئتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ، فقيل : وما الجهاد الأكبر؟ قال : جهاد النفس[٣] .

ومن الصّبر ؛ الصّبر على المصائب التي تصيب الإنسان ، قال تعالى : ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[٤] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٥] ، في بعض التفاسير : الصابرون : في هذه الآية الصوّامون ، أعم من صيام الفرض والنفل .

ويُروى أن النبي ﷺ ، سأل ناسًا من أصحابه ، فقال : ما أنتم؟ قالوا : مؤمنون ، قال : وما علامة إيمانكم؟ ، قالوا : نصبر عند البلاء ، ونشكر عند الرّخاء ، ونرضى عند مواقع القضاء ، فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم : مؤمنون ورب الكعبة[٦] .

---

(١) الحديث عن فضالة بن عبيد أخرجه أحمد في المسند ٣٩/ ٣٧٥ ؛ والطبراني في المعجم الكبير ١٨/ ٣٩ ؛ والترمذي دون لفظ : في الله . (كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل من مات مرابطًا) . قال أبو عيسى : حسن صحيح . ٤/ ١٤٢ .

(٢) الأثر عن ابن عمر أخرجه أبو داود الطيالسي في المسند ٤ : ٣٥ـ ٣٦ .

(٣) القول عند ابن رجب في جامع العلوم والحكم ١/ ٤٨٩ .عن إبراهيم بن أبي عبلة .

(٤) آخر جزء من الآية رقم ١٥٥ من سورة البقرة مع الأيتان ١٥٦ ، ١٥٧ من السورة نفسها .

(٥) آخر جزء من الآية رقم ١٠ من سورة الزمر .

(٦) الحديث بهذه الرواية عن ابن عباس أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ١٥٣ ؛ والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الإيمان ، باب في الإسلام والإيمان) ١/ ٧٤ .

وقال ﷺ : من رضي بما نزل من السَّماء إلى الأرض دخل الجنة[١] .

وعن علي رضي الله عنه : بُني الإسلام على أربع : اليقين ، والصَّبر ، والجهاد ، والعدل[٢] .

قيل : اليقين تحقق كل شيء أنه من الله ، والصَّبر على طاعة الله ، وعن معاصي الله ، والجهاد في سبيل الله ، والعدل عدل السَّلاطين والأمراء في عباد الله .

وفي حديث خرَّجه الترمذي ، عن أنس رضي الله عنه ، قال : قال ﷺ : إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضى ، ومن سخط فله السخط[٣] .

وكان يقول في دعائه :اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء[٤] .

وإن الفرج : كشف الغم ، وزوال الهم ، ونحوه مع الكرب بعده ، مقترن أوله بآخره ، فلا دوام للكرب إلا ويعقبه الفرج ، وما أحسن ما قال القائل[٥] : [البسيط]

لا تجزِعنَّ إذا ما الأمرُ ضقت به ... ولا تبيتن إلا خالي البال
مابين طرفة عين وانتباهتها ... يغير الله من حال إلى حال

(١) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .
(٢) الأثر عن علي بن أبي طالب ، ذكره أبو نعيم في : حلية الأولياء ، مرفوعًا عن رسول الله ﷺ (ترجمة علي بن أبي طالب) ١/ ٧٤ .
(٣) الحديث عن أنس أخرجه الترمذي (كتاب الزهد ، باب : ماجاء في الصبر على البلاء) . قال أبو عيسى : حسن غريب ٤/ ٥١٩ ؛ وابن ماجه(كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء) ٤/ ٦٣٦ .
(٤) جزء من حديث عن عمار بن ياسر أخرجه النسائي(كتاب السهو)ص٢١٢ ، وأحمد في المسند ٣٥/ ٥٢٠ ؛ والطبراني في المعجم الكبير ٥/ ١١٩ ؛ والحاكم في المستدرك(كتاب الدعاء والتكبير والتهليل) . وقال عنه الذهبي : صحيح ٢/ ٧٣٣ .
(٥) انظر الأبيات برواية مختلفة في ديوان الطغرائي ، ص ٣١٣ .

ويقال عند الكرب والحاجات : يا حي يا قيوم ، برحمتك أستغيث ، فاغفر لي ، وأصلح لي شأني ، وفرج همي[١] .

ويقال أيضًا : الله ربي لا أشرك به شيئًا[٢] .

ويقال عند الكرب والشدة :لا إله إلا الله الحليم الكريم ، عزّ الله وتبارك الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين[٣] .

ومن المتفق عليه ، كان يقول ﷺ عند الكرب : لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السّماوات ورب الأرض ، ورب العرش الكريم[٤] .

وإن مع العسر يسرا : وعند تعسر الحوائج يقول/[١٥٨و] العبد : ما شاء الله ، تُقضى . فيقال إن موسى ، كانت له إلى الله حاجة ، فأبطأت عليه ، فقال : ما شاء الله ، فإذا حاجته بين يديه ، فأوحى الله إليه : أما علمت يا موسى أن قولك ما شاء الله أنجح ما طُلبت به الحوائج[٥] .

---

(١) الحديث بلفظ : ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، بدلًا من عبارة : وفرج همي . عن أنس أخرجه البزار في مسنده ١٣/ ٤٩ ، والحاكم في المستدرك(كتاب الدعاء والتكبير) ، قال الذهبي : على شرطهما ٢/٧٦٠ – ٧٦١ ؛ والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الأذكار ، باب ما يقول إذ أصبح وإذا أمسى) ١٠/ ١١٧ .

(٢) جزء من حديث أوله : ألا أعلمك كلمات . . .عن أسماء بنت عميس أخرجه أبو داود(كتاب الصلاة ، باب في الاستغفار) ٢/ ١٢٣ ؛ وابن ماجه في السنن (كتاب الدعاء ، باب الدعاء عند الكرب) ٤/ ٥٨٢ ؛ وأحمد في المسند ٤٥/ ١٦ ؛ والطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ ١٣٥ .

(٣) جزء من حديث عن عبد الله بن أوفى أخرجه الترمذي (كتاب الصلاة ، باب ما جاء في صلاة الحاجة) وقال عنه أبو عيسى : هذا حديث غريب ٢/ ٣٤٤ ؛ وابن ماجه في السنن ، والحديث فيه عن علي بن أبي طالب (كتاب الجنائز ، باب ما جاء في تلقين الميت : لا إله إلا الله) ٢/ ٤٦٦ ؛ وأحمد في المسند ٢/ ١٠٩ .

(٤) الحديث عن ابن عباس أخرجه البخاري (كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الكرب) ٥/ ٢٣٣٦ ؛ ومسلم (كتاب الذكروالدعاء . . . ، باب دعاء الكرب) ١٧/ ٥٠ .

(٥) الأثر عن موسى عليه السلام ذكره أحمد في كتاب : الزهد ، ص٥٩ ؛ والسيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور (الكهف : ٣٩) ٥/ ٣٩ . وإلى هنا انتهى شرح حديث ابن عباس .

والإلتجاء إلى الله واليأس من المخلوقات أنجح للمقاصد ، قال الفُضيل : والله لو يئست من الخلق ، حتى لاتريد منهم شيئًا ، لأعطاك مولاك كل ما تريد[١] .

وإذا استبطأ العبد الفرج يعود باللائمة على نفسه ، ويقول لها : يا نفس ،لو كان فيك خير لـمـا منعك الله الإجابة .

ومما يُستعمل في الأمور المتعسرة : لا حول ولاقوة إلا بالله ، فإنها تتيسر .

وليطلب الإنسان الدعاء من المنكسرة قلوبهم ، يُفرج همه ، وتُقضى حاجته ، وييُسر أمره ، فإن الله تعالى يقول : أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي[٢] .

وما أحسن ما قال القائل : [البحر الطويل]

عسى فرج يأتي به الله إنه ... له كل يوم في خليقته أمر

إذا لاح عُسر فأرج يُسرًا فإنه ... قضى الله إن العسر يتبعه اليُسر[٣]

وفي الحديث قال ﷺ : من قال : لا إله إلا الله والله أكبر ، صدَّقه ربه ، فقال : لا إله إلا أنا وأنا أكبر ، وإذا قال : لا إله إلا الله وحده ، قال تعالى : لا إله إلا أنا ، وحدي لا شريك لي ، وإذا قال : لا إله إلا الله له المُلك وله الحمد ، قال تعالى : لا إله إلا أنا لي الحمد ، ولي المُلك ، وإذا قال : لا إله إلا الله ولاحول ولاقوة إلا بالله ، قال تعالى : لا إله إلا أنا ولا حول ولاقوة إلا بي ، وقال ﷺ : من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار[٤] . خرَّجه الترمذي ، وحسَّنه .

(١) القول منسوبا للفضيل ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم ١/ ٤٩٤ .

(٢) لفظ الحديث إن إسماعيل عليه السلام قال : يارب أين أطلبك؟فقال الله عز وجل : عند المنكسرة قلوبهم من أجلي . قال : ومن هم؟ فقال تعالى : الفقراء ، الصادقون . انظر : قوت القلوب لأبي طالب المكي (الفصل الحادي والأربعون في ذكر فضائل الفقر) ٢/ ١٩٢ .

(٣) ذكر ابن أبي الدنيا أن القاسم بن محمد بن جعفر كان يتمثل ويقول : عسى فرج يأتي به الله .... . الأبيات . انظر : كتاب الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا ص٩١ .

(٤) الحديث عن أبي هريرة . أخرجه الترمذي (كتاب الدعوات : باب ما يقول العبد إذا مرض) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ٥/ ٤٥٨ـ ٤٥٩ ؛ وابن ماجه(كتاب الأدب ، باب فضل لا إله إلا الله) ٤/ ٥٥٢ـ٥٥٣ .

ومن قصد باب الله في حوائجه وجده ، جاء في حديث إسرائيلي : من قصدني وجدني ، أنا المقصود فأطلبني تجدني ، وإن تطلب سواي لم تجدني[1] .

سبحان من لا يخيب من قصده ، من قصد الله صادقًا وجده . قد شمل الخلق فضل رحمته ، كل إلى فضله يمد يده .

(١) الحديث عن ابن عمر أخرجه عبد بن حميد في مسنده ، ص ٨٤٧ .

فصل

[شرح حديث : إن اللّٰه طيب لا يقبل إلا طيبا]

عن أبي هريرة ، قال : قال ﷺ : إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا . وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾(١) ، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾(٢) . ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء ، ويقول : يارب ، يارب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذي بالحرام ، فأنى يُستجاب له ذلك . رواه مسلم(٣) .

إن الله طيب : أي منزه عن النقائص ، أو طيب الأسماء .

وماورد : إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، جواد يحب الجود(٤) .

قال ابنٍ حجر : لم يصح ، لا يقبل من أقوالنا ، وأعمالنا وأموالنا ، إلا طيبًا خالصًا من الرياء ، والعُجب الحرام .

أما القول الطيب فمن تلاوة القرآن ، وكلمة التوحيد ، وبقية الأذكار ، والكلمة المتضمنة للخير كالشفاعة ، وذكر الجميل ، قال تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾(٥) ، أي مما ذكر ، وقال تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ

---

(١) جزء من الآية رقم ٥١ من سورة المؤمنون .

(٢) جزء من الآية رقم ١٧٢ من سورة البقرة .

(٣) الحديث عن أبي هريرة أخرجه مسلم (كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب) ٨/ ١٠٢ـ١٠٣ ؛ والترمذي (كتاب التفسير ، باب ومن سورة البقرة) ٥/ ٢٠٥ ؛ وأحمد في المسند ١٤/ ٨٩ـ٩٠ .

(٤) الحديث عن سعد بن أبي وقاص أخرجه الترمذي (كتاب الأدب ، باب ماجاء في النظافة) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب . ٥/ ١٠٣ـ ١٠٤ . ولم نجد قول ابن حجر فيما ببين أيدينا من كتب .

(٥) جزء من الآية رقم ١٠ من سورة فاطر .

طَيِّبَة﴾[١] ، وضرب الله مثلا : ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾[٢] ، فالشجرة الطيبة ينتفع النَّاس بها ، كشجرة العود ، والأشجار القصرية ،/ [١٥٨ظ] ففي مسند الإمام أحمد : عليكم بالقسط الهندي[٣] . ، ويروى بالعود الهندي ، فإنه شفاء من كل داء إلا السام ، ومن منافعه أنه إذا تنشق بالخيشوم ذهب به داء الرأس ، ويقطع الزكام ، وأمراض العين ، وينفع القلب من أوجاعه ، والماغص ، ويحلل الأرياح إذا دُقَّ ، وجُعل سفوفًا .

والأعمال الطيبة : من العبادات كالصَّلاة ، والزكاة ، والصَّدقة النَّافلة ، والصَّوم ، والحج ، والجهاد ، والسَّعي على العيال ، وزيارة الأقارب والإخوان ، ففيه صلة الرَّحم الواجبة ، فمن أتى بفروع الإيمان ، طيب النَّفس ، أي بخلوص ، دخل الجنة بلا حساب ولا عذاب ، كما في : صلُّوا خمسكم[٤] . برواياته ، وجاء في الحديث :إن المؤمن إذا زار أخاه في الله تقول له الملائكة : طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلاً[٥] .

---

(١) جزء من الآية رقم ٢٤ من سورة إبراهيم .

(٢) جزء من الآية رقم ٢٦ من سورة إبراهيم .

(٣) الأشجار العصرية : قصر النخل ، وهو ما غَلُظَ من أسفلها . لسان العرب (مادة قصر) والقسط الهندي : نبتة هندية الأصل ، تُعرف جذورها بالعود الهندي .معروفة منذ القدم وتُستعملُ في الطب القديم ، مُسكن للألم ومُطهر للمعدة . يُستخدم في علاج الربو والسعال والسل والملاريا . ولفظ الحديث : عليكم بهذا العود الهندي فإن فيه سبعة أشفية . . .عن أم قيس بنت محصن أخرجه البخاري (كتاب الطب ، باب السعوط بالقسط الهندي) . . . . . ، سعط ، وسعوطًا : أدخله في أنفه ؛ وأبو داود في السنن(كتاب الطب ، باب في العلاق) ٤/ ١٣٥ ؛ وأحمد في المسند ٤٤/ ٥٥٤ـ ٥٥٥ .

(٤) جزء من حديث أوله : اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم . . . عن أبي أمامة أخرجه الترمذي(كتاب الصلاة ، باب منه) قال أبو عيسى : حديث حسن صحيح ٢/ ٥١٦ ، وأحمد في المُسند ٣٦/ ٤٨٦ـ ٤٨٧ ؛ والطبراني في المعجم الكبير ٨/ ١١٥ .

(٥) لفظ الحديث : من عاد مريضًا . . .عن أبي هريرة أخرجه الترمذي(كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في زيارة الإخوان) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب . ٤/ ٣٢٠ـ ٣٢١ ؛ وابن ماجه (كتاب الجنائز ، باب ما جاء في ثواب من عاد مريضًا) ٢/ ٤٦٥ـ ٤٦٦ ؛ وأحمد في المسند ١٤/ ٢١٦ .

والأموال الطيبة الحلال ، ولابد من الخلوص في هذه كلها من الرياء . في الخبر يقول تعالى : من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه[١] . ويروى : فعمله لمن أشرك[٢] .

قال العارفون : ما من شيء أعز من درهم حلال ، وأخ صادق في الله[٣] .

فَيَحْرُم التصدق بالدرهم المغشوش ، وبيع الحب المسوس ، أو العتيق ، والملح المُرّ ، والأدهان التي فيها زناخة ، وبالخصوص من يصبغ الدهن ليُظن أنه سمن ، أو بيع المتنجس ليروج سلعته ، كالدبس[٤] ، والدهن الذي وقع فيه الفأر والسّام الأبرص[٥] .

وبيع الأثواب المحمية ، قال ﷺ : من غشنا فليس منا[٦] .

ومن ذلك بيع الثوب الكندكي[٧] المصبوغ بالدم وصبغه بالدم ، فإن كان ولابد

(١) لفظ الحديث : قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك . من عمل عملا أشرك فيه معي غيري ، تركته وشركه . عن أبي هريرة أخرجه مسلم (كتاب الزهد والرقائق ، باب من أشرك من عمله غير الله) ١٨/ ١٠٨ .

(٢) الحديث بلفظ : وهو للذي أشرك . عن أبي هريرة أخرجه ابن ماجه(كتاب الزهد ، باب الرياء والسمعة) ٦/٢ ٩٨ ؛ وأحمد في المسند ١٣/ ٣٧٧ .

(٣) القول للحسن البصري ذكره ابن الجوزي في : آداب الحسن البصري ، وزهده ، ومواعظه(الفصل الثاني : فيما أورده من الآداب ومكارم الأخلاق) ،ص٥١ .

(٤) الدبس : هو عسل التمر وعصارته ، وهو عصارة الرطب من غير طبخ ، والعامة تُطلقه على عسل الزبيب . لسان العرب (مادة : دبس) .

(٥) السام الأبرص : هو الوزغ . وروى مسلم عن أم شريك أن النبي ﷺ أمر بقتل الوزغ وسماه فويسقًا (كتاب السلام ، باب استحباب قتل الوزغ) ١٤/ ٢٤٣ . فعلّة قتله : الأذى والضرر . قال الدميري في حياة الحيوان الكبرى ٢/ ٥٤٦ : وأما تسمية الوزغ فويسقًا فنظيره الفواسق الخمس التي تُقتل في الحل والحرم .

(٦) جزء من حديث أوله : من حمل علينا السلاح فليس منا ، ومن غشنا فليس منا . عن أبي هريرة أخرجه مسلم (كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : من غشنا فليس منا) ١/ ١٠٩ـ ١١٠ ؛ وابن ماجه ـ والحديث فيه عن أبي الحمراء هلال بن الحارث ـ (كتاب التجارات ، باب النهي عن الغش) ٣/ ٣٢ ؛ والطبراني في المعجم الكبير ٢٢/ ١٩٩ .

(٧) الكندكي : قماش من صوف سميك . وأصل الكلمة فارسية صيغت من كندة : مدينة . انظر : تكملة المعاجم العربية لدوزي ٥/ ١٥٠ .

من لبسه ، فلابد أن يُغسل بحيثُ يصفو الماء ، وبعد صفائه يُغسل ثلاثا ، ومنه اللبابيد الصفدية[1] فإنها مصنوعة ببول اليهود ، كما أخبرني به الثقاة ، ما لم يُغسل .

ومن ذلك خلط القمح بالشعير أو بالتبن ، وغير ذلك .

ولا يُتصدق كما قلنا إلا بالحلال ، فمن تصدق بالحرام ، وقصد به الثواب ، كفر[2] ، وإن دعا له الفقير عالمًا بحرمته كفر .

ومنه التصدق بالمال المغصوب ، فيجب رده على مالكه ، إن كان موجودًا ، أو إلى ورثته ، وإلا فيكون لبيت مال المسلمين ، وإن تصرف فيه وافتقر ، استغفر لمالكه ، وعمل شيئًا من الطاعات ، وجعل ثواب ذلك له ، وإن كان معروفًا في قيد الحياة ، وأمكن استعطافه من غير أن يحصل له منه ضرر ، طلب البراءة منه . وقال بعض العلماء : إن لم يعرف صاحب ما غُصب منه ، وكان غنيًا تصدق عنه ، وإن كان فقيراً تصدق به على نفسه .

ويحترز عن الملبس الحرام ، ففي الحديث قال رسول الله : من صلى في ثوبٍ قيمته عشرة دراهم فيه درهم حرام لم يقبل الله له صلاة [مادام عليه][3] .

ومنه الصلاة في الثوبِ المغصوب ، والأرض المغصوبة ، وحمل ذلك الإمام

---

(١) اللبابيد الصفدية : اللبابيد مفردها : لبّادة ، ما يُلبس من اللبود وقاية من المطر ، وهي من الصوف . صفدية : نسبة إلى مدينة صفد . انظر تكملة المعاجم العربية لدوذي . ٩/ ١٩٦ .

(٢) ليس صوابا الحكم بالكفر على من تصدق بالمال الحرام ، ولا على من دعا له عالما بحرمته . أما إذا استباح محرّما مُجْمعا على تحريمه ، معلومًا بالضرورة من الشرع كالزنا وشرب الخمر والسرقة ـ التي تبلغ نصاب القطع ـ وقتلَ النفس ـ إلا بالحق ـ والسحر ، فقد كفر .

(٣) لفظ الحديث : من اشترى ثوبًا . . .عن ابن عمر أخرجه أحمد في المسند ١٠/ ٢٤ ، وعبد بن حميد في مسنده ، ص ٢٦٧ ؛ والبيهقي في شعب الإيمان (باب الملابس والزي والأواني وما يُكره) ٥/ ١٤٢ ؛ والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الزهد ، باب النفقة من الحلال والحرام) ١٠/ ٢٩٢ ، وقال محقق مسند أحمد : إسناده ضعيف جداً .

أحمد على نفي الصّحة ، ولا يصح عنده أيضًا المسح على الخف المغصوب[١] .

وتصح الصّلاة مع الرِّجل المغصوبة بالإجماع لكمال الاتصال ، وذلك بأن يقطع رِجل إنسان ، ويفر من غير أن يُقتص منه .

وعن أبي عبد الله النباجي[٢] الزاهد : خمس خصال بها تمام العمل : الإيمان بمعرفة الله ، ومعرفة الحق ، وإخلاص العمل ، /[١٥٩و] والعمل على السنة ، وأكل الحلال . فإن فُقدت واحدة لم يرتفع العمل ، وذلك إن عرفت الله تعالى ، ولم تعرف الحق لم تنتفع ، وإذا ما عرفت الله وعرفت الحق لم تنتفع ، وإن عرفت الله وعرفت الحق ولم تُخلص العمل لم تنتفع ، وإن عرفت الله وعرفت الحق وأخلصت العمل ولم يكن عملك على السُّنة لم تنتفع ، وإن تمت الأربع ولم يكن الأكل من حلال لم تنتفع[٣] .

وروي عن سفيان رحمه الله تعالى : في من اشترى من قوم شيئًا حرامًا : ردّه إليهم ، فإن لم يقدر أن يرده تصدق به كله ، ولا يأخذ رأس ماله[٤] .

فما بالك بالحوائج الدبيسية[٥] منهوبة الأعراب التي شاعت وذاعت في الأفاق ، وكان الخاطر مطمئنًا بالتّجار ، فتحقق الحرّام فيهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

(١) من شروط المسح على الخف أن يكون الخف مملوكًا بصفة شرعية ، أما إذا كان مسروقًا ، أو مغصوبًا ، أو مملوكًا بشبهة محرمة ، فإنه لا يصح المسح عليه ، وهذا رأي الحنابلة والمالكية ، أما الحنفية والشافعية قالوا : يصح المسح على الخف المغصوب والمسروق ونحوهما ، وإن كان يحرم لبسه وملكيته ، ولكن هذا لا ينافي صحة المسح عليه . انظر : الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري(كتاب الطهارة ، شروط المسح على الخف)١/ ١١١ .

(٢) هو سعيد بن يزيد ، أبو عبد الله النباجي ، وسبق ترجمته ، ص ١٢٣و .

(٣) انظر قول النباجي في حلية الأولياء لأبي نعيم (ترجمة سعيد بن يزيد) ٣/ ١٠٩ .

(٤) الأثر عن سفيان الثوري ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (الحديث العاشر) ، ١/ ٢٥٨ .

(٥) لم نجد تعريفًا لها .

وقد أجمعوا في اللقطة[(١)] ، على جواز الصدقة بها بعد التعريف ، وانقطاع صاحبها .

قوله ﷺ ، والله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين[(٢)] ، يفيد أن الرسل والمؤمنين سواء في عبادة الله تعالى ،.فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾[(٣)] ، فرتب العمل الصالح على المأكل الحلال ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما : لا يقبل الله صلاة امريء في جوفه حرام[(٤)] .

وورد أنه لا تُقبل صلاة الآبق ، ولا المرأة التي زوجها عليها ساخط ، ولا من أتى كاهنًا ، ولا من شرب الخمر أربعين يومًا[(٥)] .

وخرَّج الطبراني بسند ضعيف عن أبي هريرة ، قال : قال صلى الله عليه وسلم : إذا خرج الرَّجل حاجًا بنفقة طيبة ، ووضع رجله في الغرز ، الغرز : الرِّكاب ، فنادى : لبيك اللهم لبيك ، ناداه مناد من السماء : لبيك وسعديك زادك حلال ، وراحلتك حلال ، وحج مبرور غير مأزور ، وإذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة ، فوضع رجله في الغرز ، فنادى : لبيك ، ناداه ملك من السماء :لا لبيك ولا سعديك ، زادك حرام ، ونفقتك حرام ، وحجك غير مبرور[(٦)] .

---

(١) اللقطة : هي كل مال معصوم معرض للضياع لا يُعرف مالكه . وكثيراً ما تطلق على ما ليس بحيوان ، أما الحيوان فيقال له : ضال . انظر فقه السنة للسيد سابق(اللقطة) ٣/ ٢٤٢ ، وفي لسان العرب : اللقط : أخذ الشيء من الأرض .(مادة : لقط) .

(٢) تتمة شرح حديث رسول الله ﷺ ص ١٥٨و .

(٣) جزء من الآية رقم ٥١ من سورة المؤمنون .

(٤) الأثر عن ابن عباس ذكره الذهبي في كتاب الكبائر (الكبيرة الثامنة والعشرون ، أكل الحرام وتناوله على أي وجه كان) ، ص ١٢٠ .

(٥) الأبق : أبق : هرب ، هربُ العبيد . لسان العرب (مادة /أبق) . والحديث مع اختلاف في اللفظ عن جابر بن عبد الله أوله : ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة . . .أخرجه ابن خزيمة في صحيحة (كتاب الصلاة ، باب نفي قبول صلاة المرأة العاصية) ١/ ٥٦٩ ، والطبراني في المعجم الأوسط ١٠/ ١٠٧-١٠٨ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في المطاعم والمشارب) ٥/ ١١ .

(٦) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ١٠٩-١١٠ .

وقال سعد بن أبي وقاص : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني مُستجاب الدعوة ، فقال له النبي ﷺ : يا سعد ، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده ، إن العبد ليقذف اللقمة الحرام في جوفه لم يتقبل الله له عملًا أربعين يومًا ، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنّار أولى به[١] .

وفي مسند أحمد عن ابن مسعود ، قال : قال رسول الله ﷺ :لا يكسب العبد مالاً من حرام فيُنفق منه فيبارك فيه ، ولا يتصدق به ، فيُتقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النَّار ، إن الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث[٢] .

وفي مراسيل القاسم بن مخيمرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : من أصاب مالًا من مأثم ، فوصِل به رحمه ، أو تصدق به ، أو أنفقه في سبيل الله ، جمع الله ذلك جميعًا ثم قُذف به في نار جهنم[٣] . قيل : مثل من أخذ مال يتيم وكسا به/[١٥٩ظ] أرملة .

وسُئل ابن عباس رضي الله عنهما عمن كان يظلم الناس ، ويأخذ الحرام ، ثم تاب ، فهو يحج ويعتق ويتصدق؟ ، فأجاب : أن الخبيث لا يكفر الخبيث ، ولكن الطيب يكفر الخبيث[٤] .

وقال الحسن : أيها المتصدق على المسكين ترحمه ، أرحم من ظلمت[٥] .

---

(١) الحديث عن ابن عباس أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٧/ ٢٥٥ـ ٢٥٦ . ؛ والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب : الزهد ،باب فيمن أكل حلالا أو حرامًا) ١٠/ ٢٩١ .

(٢) جزء من حديث عن ابن مسعود أوله : إن الله قسم بينكم أخلاقكم . . . أخرجه أحمد في مسنده ٦/ ١٨٩ ؛ والبيهقي في شعب الإيمان (باب في قبض اليد عن الأموال المحرمة) ٤/ ٣٩٥ـ ٣٩٦ .

(٣) الحديث عن القاسم بن مخيمرة ذكره ابن المبارك في الزهد(باب طلب الحلال) ١/ ٢٢ .

(٤) الأثر عن ابن عباس ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم ١/ ٢٦٤ .

(٥) الأثر عن الحسن ، ذكره أحمد في كتابه : الزهد ص ٢٢٩ .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّه ﴾[١] ، فإن الشكر قيد النعم . وأفضل الكسب الزراعة ثم الصناعة ثم التجارة .

ثم ذكر الرجل الأشعث أغبر ، يطيل السفر يمد يديه إلى السماء يقول : يارب ، يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذي بالحرام ، فأنى يستجاب له ذلك . في الحديث إشارة إلى أن من آداب الدعاء رفع اليدين ، وشرط قبوله أن يكون مأكله ومشربه وملبسه من حلال ، وأفاد أن ذكر الرب من مقتضيات الإجابة . من مرفوع عن عائشة رضي الله عنها ، أنها قالت : إذا قال العبد : يارب ، أربعا ، قال الله : لبيك عبدي ، سل تعطه[٢] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : إن اسم الله الأكبر : رب ، رب[٣] .

وعن عطاء : ما قال عبد : يارب ، ثلاث مرات إلا نظر الله إليه[٤] ، فذكر ذلك للحسن فقال : أما تقرءون قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾[٥] .

---

(١) جزء من الآية رقم ١٧٢ ، من سورة البقرة .

(٢) الحديث مرفوعًا عن عائشة أم المؤمنين أخرجه البزار في مسنده ١٨/ ١٣٠ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الأدعية ، باب فيما يُستفتح به الدعاء من حسن الثناء) ١٠/ ١٥٩ .

(٣) الأثر عن ابن عباس أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الدعاء ، باب في اسم الله الأعظم) ٦ : ٤٨ ؛ والحاكم في المُستدرك (كتاب الدعاء ، والتكبير ، والتهليل ، والتسبيح) ٢/ ٧٠٩ . وسكت عنه الذهبي .

(٤) الأثر عن عطاء ، و عطاء هو ابن أبي رباح ، تابعي ، وُلد في اليمن ونشأ بمكة ، فكان مفتي أهلها ومحدثهم . توفي سنة ١١٤هـ . انظر عنه : تذكرة الحفاظ للذهبي ٩٢/١ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم (ترجمة عطاء بن أبي رباح) ٣١٠/٣ - ٣٢٥ . وفيه الزثر عن عطاء ص ٣١٣ .

(٥) الآيات من ١٩١ـ ١٩٤ ، من سورة آل عمران ، وجزء من الآية رقم ١٩٥ من السورة نفسها .

وغالب الأدعية القرآنية مفتتحة باسم الرب .

وترك الواجبات ، كترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يمنع الإجابة . وطرق الإجابة الطاعات ، وتُسد بفعل المعاصي ، وما أحسن قوله :

نحن ندعو الإله في كل كرب ثم ننساه عند كشف الكروب
كيف نرجو إجابة لدعاء قد سددنا طريقها بالذنوب[١]

قيل : الدعاء مرتبط بالإرادة ، والإرادة متعلقة بالقلب ، وتفيض تلك الإرادة على اللسان ، فإن فسد القلب بأكل الحرام فسد الجسد كله ، والمبني على الفاسد فاسد ، وإذا صح بأكل الحلال صح كل الجسد ، والمبني على الصحيح صحيح .

ومرّ إبراهيم بن الأدهم بسوق البصرة فاجتمعوا عليه ، وقالوا له : لِمَ لَمْ يُستجب دعاؤنا؟ فقال : لأن قلوبكم ماتت بأشياء : عرفتم الله فلم تُؤدوا حقه ، وزعمتم أنكم تحبون رسول الله وتركتم سنته ، وقرأتم القرآن فلم تعملوا به ، وأكلتم أنعم الله فلم تؤدوا شكرها ، وقلتم إن الشيطان عدو ووافقتموه ، وقلتم إن / [١٦٠و] الجنة حق ولم تعملوا لها ، وقلتم إن النار حق ولم تهربوا منها ، وقلتم إن الموت حق ، ولم تستعدوا له ، وانتبهتم من النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ، ونسيتم عيوبكم ، ودفنتم موتاكم ، ولم تعتبروا بهم[٢] .

وعن أبي أمامة الباهلي ، قال : قال ﷺ : إن لله ملكًا موكلاً بمن يقول : يا أرحم الراحمين ، فمن قالها ثلاثًا قال له الملك : إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل[٣] .

---

(١) لم نجد الشعر منسوبًا . وذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم١/ ٢٧٧ .في شرح الحديث العاشر إن الله تعالى طيب .

(٢) قول إبراهيم بن أدهم ، ذكره أبو نعيم في : الحلية (ترجمة إبراهيم بن أدهم) ٨/ ١٥ . وسبقت ترجمة إبراهيم بن أدهم ص ١٣٢ظ .

(٣) الحديث عن أبي أُمامة الباهلي أخرجه الحاكم في المُستدرك(كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر) قال الذهبي : فضالة ليس بشيء ٢/ ٧٥٩ ؛ والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب الدعاء ،/ باب الترغيب في كلمات يستفتح بها الدعاء . . . .) قال عنه : ضعيف . ١/ ٥٠٦ .

فصل في محبة الإخوان

عن أنس بن مالك ، قال : قال ﷺ : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه[(١)] . رواه الشيخان ، وفي مسلم بالشك : حتى يحب لجاره ، أو لأخيه .

أي لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، أي مثل ما يحب لنفسه ، والمراد بحقيقة الإيمان : الإيمان الكامل ، وإلا فالمبغض لأخيه مؤمن ليس كامل الإيمان ، كما قالوا في قوله ﷺ : لايزني الزّاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السَّارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن[(٢)]ـ أي إيمانًا كاملًاـ وعلى هذا فمرتكب الكبائر والصغائر مؤمن عند أهل السُّنة .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : الزاني يُنزع منه نور الإيمان[(٣)] .

وقال أبو هريرة : يُنزع منه ، ويكون فوقه كالظلة ، فإذا تاب عاد إليه[(٤)] .

وعن عبد الله بن رواحة ، وأبي الدرداء رضي الله عنهما : الإيمان كالقميص ، يلبسه الإنسان تارة ويخلعه أخرى[(٥)] . وإلى ذلك يشير قوله ﷺ : من زنى أو شرب

---

(١) الحديث عن أنس أخرجه البخاري (كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ١/ ١٤ ، ومسلمٌ (كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير) ٢/ ٢٠ ، وفيه : أو قال : لجاره ، أو قال : لأخيه .

(٢) الحديث بزيادة عبارة : والتوبة معروضة بعد . عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب الحدود ، باب ما يُحذر من الحدود . . .) ٦/ ٢٤٨٧ ؛ ومسلم (كتاب الإيمان ، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي) ٢/ ٤٤ .

(٣) عنون البخاري بقول ابن عباس في الباب الأول من (كتاب الحدود ، باب لا يُشرب الخمر) ، وقال ابن عباس : ينزع منه نور الإيمان في الزنا . ٦/ ٢٤٨٧ .

(٤) الحديث مرفوعًا عن أبي هريرة ، أخرجه أبو داود(كتاب السُّنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه) ٥/ ٤٥ ؛ والترمذي(كتاب الإيمان ، باب ما جاء لا يزني الزاني وهو مسلم) بلفظ : إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان فوق رأسه كالظلة ، فإذا خرج من هذا العمل عاد إليه الإيمان . وسكت عنه أبو عيسى . ٥/ ١٧ .

(٥) الأثر عن عبد الله بن رواحة ، وأبو الدرداء ، ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (الحديث الرابع عشر) ١/ ٣٠٣ .

الخمر نزع الله منه الإيمان كما يخلع أحدكم قميصه من عنقه[١] ، فهذا مفيد أنه متى ارتكب كبيرة ، أو أصر على صغيرة لا يكون مؤمنًا كاملًا ، أو ينزع منه نور الإيمان أو نفسه ، ويبقى فوقه كالظُّلة إلى أن يتوب .

وقال ﷺ لأبي هريرة : أحب للناس ما تحبه لنفسك تكن مسلمًا[٢] . وسُئل ﷺ عن أفضل الإيمان ، فقال : أفضل الإيمان أن تحب لله ، وتبغض لله ، وتعمل لسانك في ذِكر الله ، قال السائل : وماذا يا رسول الله؟ـ أي وما معنى الحب لله ، والبغض لله؟ ـ قال : أن تحب للناس ما تحب لنفسك ، وتكره لهم ما تكره لنفسك ، وأن تقول خيرًا أو تصمت[٣] .

وقال ﷺ ليزيد بن أسد القَسري : أتحب الجنة؟ قال : نعم يا رسول الله ، قال : فأحب للناس ما تحب لنفسك[٤] .

وقال لأبي ذر رضي الله عنه : إني أراك يا أبي ذر ضعيفًا ، وإني أُحب لك ما أُحب لنفسي ، لا تَأَمَّرَنَّ على اثنين ، ولا تُولِّيَن مال يتيم[٥] ، وقال لعليّ : إني أرضى لك ما

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الحاكم في المستدرك(كتاب الإيمان) قال الذهبي : احتج مسلم بعبد الرحمن بن حجيرة وبعبد الله ١/ ٢٩ ، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب الحدود ، باب الترهيبْ من شرب الخمر) قال عنه : ضعيف . ٢/ ١١١ـ ١١٢ .

(٢) جزء من حديث عن أبي هريرة أخرجه الترمذي(كتاب الزهد ، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس) قال أبو عيسى : حديث غريب ٤/ ٤٧٨ ، وابن ماجه (كتاب الزهد ، باب الورع والتقوى) ٤/ ٧٠٢ـ ٧٠٣ ؛ وأحمد في المُسند ١٣/ ٤٥٨ـ ٤٥٩ .

(٣) الحديث عن معاذ بن أنس الجهني ، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٠/ ١٥٧ ؛ والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الإيمان ، باب من الإيمان الحب لله والبغض لله) ١/ ٨٩ . والحديث دون عبارة : وأن تقول خيراً أو تصمت . أخرجه أحمد في المسند ، والحديث فيه عن معاذ بن جبل . ٣/ ٤٤٥ .

(٤) الحديث عن يزيد بن أسد القسري أخرجه أحمد في المُسند ٢٧/ ٢١٦ـ ٢١٧ ؛ والحاكم في المُستدرك (كتاب البر والصلة)قال عنه الذهبي : صحيح ٧/ ٢٦١١ ؛ والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب البر والصلة ، باب أحب للناس ما تحب لنفسك)٨/ ١٨٦ .

(٥) الحديث عن أبي ذر أخرجه مسلم (كتاب الإمارة ، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة) ١٢/ ٢٠٢ ، وأبو داود (كتاب الوصايا ، باب ما جاء في الدخول في الوصايا) ٣/ ١٩٥ ، والنسائي(كتاب الوصايا ، باب النهي عن الولاية على مال اليتيم) ص ٥٧٠ .

أرضى لنفسي ، وأكره لك ما أكره لنفسي ، لا تقرأ القرآن وأنت جُنب ، ولا وأنت راكع ولا ساجد[١] . فإن قراءة الجُنب للقرآن مكروهة كراهة تحريم ، وكذلك الحائض والجنب . والركوع والسجود ليس محلاً للقراءة ، وإنما هما / [١٦٠ظ] محل الذكر ، فذكر الركوع : سبحان ربي العظيم ، وذكر السجود : سبحان ربي الأعلى . يشير ﷺ أن الإخوان بمنزلة الجسد الواحد ، إذا تألم بعضه وصل الألم إلى كله . ففي الصحيحين عن النعمان بن بشير ، قال : قال ﷺ : مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر[٢] .

فمن الجهل أن يقول الإنسان دعني في خير ، والنَّاس في شر ، فإذا خلَّص الصّدر من الغل ، والغش ، والحسد ، ونية السوء ، أحب للناس ما يحبه لنفسه ، وكره لهم ما يكرهه لنفسه ، فمن رأى في أخيه نقصًا اجتهد في إصلاحه ، ومن رأى في أخيه فضيلة فاقه بها ، لا يتمنى زوالها عنه ، ووصولها إليه ، وإنما يتمنى أن يعطيه الله مثلها .

وينبغي للإنسان أن يرى نفسه مقصراً في طاعة الله تعالى ، وفي إقامة حق الإخوان .

وإذا كان في الإنسان فضيلة لا يتبجح بها بين الناس ، فإن تحدث بها على جهة المُتحدث بالنعم كان جائزاً .

ومن محبة النَّاس أن يشركهم معه الثواب . مثلاً إذا أراد أن يتصدق فليعطيها

---

(١) جزء من حديث عن أبي موسى الأشعري أخرجه الدارقطني(كتاب الطهارة ، باب في النهي للجنب والحائض عن قراءة القرآن)١/ ١١٧ـ ١١٨ .

(٢) الحديث عن النعمان بن بشير أخرجه مسلم(كتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ، وتعاضدهم)١٦/ ١٤٤ ، وأحمد في المسند ٣٠/ ٣٢٣ ، والطبراني في المعجم الكبير ٢١/ ٥٥٠ .

أخاه ليعطيها الفقير ، وكان عتبة[١] الغلام إذا أراد أن يفطر من صومه ، يقول لبعض إخوانه : أخرج لي تمرات ، أو ائتيني بماء ، ليكون لك مثل أجري .

وإذا أحب فعل المعاصي.لا يغري غيره ، كما إذا أراد أن يزني أو يشرب الخمر لا يُحسِّن ذلك لأخيه ، أو يريد سماعِ الآلآت لا يذهب بأخيه إليها ، فإنه يرتكب إثم نفسه ، ومثل إثم غيره . وإذا كره من شيء لا يوقع غيره به ، كما إذا كان عنده عبد سيء الأخلاق أو جارية أو دابة بطيئة العمل أو حرونا[٢] ، ويريد أن يبيعها ؛ إلا ببيان ذلك ، وإلا كان غاشًا ، وإلا إذا كان عاجزاً ومن قصده أن يبيع ذلك لشخص يقدر عليه .

ويقال أن محمد بن واسع[٣] لما باع حماراً من شخص ، قال الشخص له : أترضاه لي ، قال : لو رضيته لم أبعه ، فهذا إشارة منه إلى أنه لا يرضى لأخيه إلا ما يرضاه لنفسه . فهذا من جملة النُّصح لخلق الله تعالى .

وخصَّ من الحديث وطيء زوجته وسريته ، فإنه يحب وطئهما ويرضاه ، ويحرم عليه أن يحبه أو يرضاه لغيره[٤] مادامت الزوجة في عصمته ، والسرية على ملكه . ومما يجب أن يعلم أن بعضِ الناس لا تنتشي ألته عند جماع زوجته حتى يفكر في غيرها من امرأة أو ذكر فإنه يحرم عليه هذا الخاطر الشيطاني .

---

(١) هو عتبة بن أبان بن صمعة ، سمي بالغلام لجده واجتهاده لا لصغر سنه ، كثير البكاء ورعًا ، زاهداً ، كان من نُساك البصرة ، وكان يصوم الدهر ،اشتغل عتبة بالعبادة عن الرواية ، وقُتل شهيداً في بعض الغزوات . انظر عنه : حلية الأولياء لأبي نعيم ٢/ ٢٢٦ـ ٢٣٨ ؛ وصفة الصفوة لابن الجوزي ٣/ ٢٨١ـ ٢٨٥ . وقول عتبة ذكره أبو نعيم في الحلية ٦/ ٢٣٥ .

(٢) حرونا : حرنتَ ، قامت فلم تبرح ،لسان العرب (مادة : حرن) .

(٣) محمد بن واسع بن جابر الأزدي ، أبو بكر ، فقيه ، ورع ، من الزهاد ، من أهل البصرة ، محدِّث ، وثقه العجلي والدارقطني ، توفي سنة ١٢٣هـ . انظر : الخلاصة للخزرجي ، ص٣٦٢ ؛ وقول محمد بن واسع ذكره ابن أبي الدنيا في (كتاب الورع) ص ١٠٦ ؛ والبيهقي في شعب الإيمان (باب الأمانات وما يجب من أدائها إلى أهلها) ٧/ ٢٢٦ .

(٤) في الأصل : لنفسه ، والصواب ما أثبتناه .

وما جزاء المحبة لله إلا الجنة ، فعن أبي هريرة ﵁ ، قال : قال ﷺ : إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي[(١)] ، وعنه أن النبي ﷺ ، قال : إذا تحاب الرجلان في الله جمع الله بينهما[(٢)] ، أي في الجنة . وعن أبي أيوب ، قال : قال ﷺ : إن المتحابين في الله على كراسي من ياقوت حول العرش[(٣)] . وعن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : قال ﷺ : إن الله يحب حفظ /[١٦١و] الودُّ القديم[(٤)] . ويُقال خرج أبو حمزة يشيع بعض الغزاة ، فسمع هاتفًا يقول[(٥)] :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

فسقط مغشيًا عليه .

وقد قال النبي : إن رجلًا زار أخًا له ، فأقام الله له علي طريقه ملكًا ، فلما مرَّ الرجل على الملك ، قال له عند ذهابه لزيارته : أين تريد؟ قال : أُريد زيارة أخ لي بهذه القرية ، قال : فهل له عليك من نعمة؟ قال : لا ، غير أني أحببته لله ، قال الملك له :

---

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة ، باب في فضل الحب في الله) ١٦/ ١٢٧ ، وأحمد في المسند ١٤/ ٤٢٧ ، والدارمي في السنن (كتاب الرقاق ، باب في المتحابين في الله) ، ص ٩٠٦ .

(٢) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب الترغيب في الحب في الله والبغض في الله) ٢/٣٢ .

(٣) الحديث عن أبي أيوب الأنصاري أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٤/ ١٥٠ ؛ والبيهقي في : شعب الإيمان (مقاربة وموادة أهل اللين ومودتهم .... ، فصل في المصافحة والمعانقة عند الإلتقاء) ٦/ ٤٨٦ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الزهد ، باب المتحابين في الله عز وجل) ١٠/ ٢٧٧ .

(٤) الحديث عن عائشة أم المؤمنين أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب الترغيب في الحب في الله والبغض في الله) ٢ / ٣٣ ؛ والألباني في السلسلة الضعيفة والموضوعة . وقال عنه : ضعيف جداً ٧/ ١٢٤ .

(٥) القول والشعر عند الأصبهاني في الترغيب والترهيب(باب الترغيب في الحب في الله والبغض في الله) ٢ / ٣٤ . والشعر لأبي تمام البحتري .

فإني رسول الله إليك ، إن الله أحبك كما أحببته[١] .

ودخل رجل مسجداً فيه معاذ بن جبل ، يُحدث الناس ، فلما فرغ من عظته ، قال : لو عرفت هذا الواعظ! ، فجاءه اليوم الثاني فرآه يُصلي ، فلما استتم صلواته التفت وسلم عليه ، فقال : أظن أنك من بلاد بعيدة ، قال : نعم ، قال : من أنتَ يا سيدي؟ قال : معاذ بن جبل ، صاحب رسول الله ، قال : يا سيدي ، أحببتك لله ، فقال معاذ : سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : قال الله عز وجل : حقت محبتي للمتحابين فيَّ ، وحقت محبتي للمتزاورين فيَّ ، وحقت محبتي للمتواضعين فيَّ ، وحقت محبتي للمتباذلين فيَّ ، فابشر ثم أبشر ثم أبشر[٢] .

(١) الحديث ـ بألفاظ أطول ـ عن أبي هريرة أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة ، باب في فضل الحب في الله) ١٦/ ١٢٧ ؛ واالبيهقي في شعب الإيمان(مقاربة وموادة أهل الدين ، فصل في المصافحة والمعانقة عند الالتقاء) ٦/ ٤٨٨ .

(٢) الحديث بألفاظ أطول عن معاذ بن جبل ، أخرجه أحمد في المسند ٣٦/ ٣٢٦ـ ٣٢٧ ؛ والحاكم في المستدرك (كتاب البر والصلة)قال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم ٧/ ٢٦١٧ ، والطبراني في المعجم الكبير ٢٠/ ٨١ .

فصل

[خصال المنافقين] خرّج الشيخان عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله: أربع من كن فيه كان منافقًا، وإن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلّف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر[1]، فالنفاق لغةً: إظهار الخير وإبطان الشر، وفي الشريعة: نفاق أكبر ونفاق أصغر، فالنفاق الأكبر أن يُظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويُبطن ما يخالف ذلك، وهذا حال المنافقين في زمن النبي ﷺ، أخبر الله عنهم أنهم في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[2]، والنفاق الأصغر، أن يظهر الإنسان الصلاح ويُبطن غيره، والله أعلم.

وجعل النبي من خصال المنافقين الكذب، ففي مسند أحمد عن النبي ﷺ أنه قال: كبرت خيانة أن تُحدث أخاك حديثًا هو لك مصدق، وأنت به كاذب[3]. ويقال: أساس النفاق الكذب. وقال الحسن: من خالف قوله عمله، وسره علانيته فهو منافق[4]. عن أبي هريرة، قال: قال ﷺ: ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: الإمام الكذاب، والشيخ الزاني، والعامل المزهو[5]، أي الفقير المتكبر. وجعل النبي

---

(١) الحديث عن عبد الله بن عمرو أخرجه البخاري(كتاب الإيمان ،باب علامة المنافق)١/ ٢١، ومسلم (كتاب الإيمان، باب بيان خصال الإيمان) ٢/ ٤٩، وعند البخاري بلفظ: إذا اؤتُمن خان، بدلاً من: وإذا وعد أخلف

(٢) الآية رقم ١٤٥ من سورة النساء.

(٣) الحديث عن نواس بن سمعان أخرجه أبو داود(كتاب الأدب، باب في المعاريض) ٥/ ١٥٩، وأحمد في المُسند ٢٩/ ١٨٣؛ و الطبراني في المعجم الكبير ٧/ ٧١، والبيهقي في الشعب(باب في حفظ اللسان) ٤/ ٢٠٩.

(٤) الأثر عن الحسن ذكره ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم ٢/ ٤٨٢.

(٥) الحديث عن أبي هريرة، أخرجه أحمد في المُسند ١٥/ ٣٦٤، وأبو يعلى في مسنده ٥/ ١٢٥، وابن حبان في صحيحه (ذكر بغض الله عزّ وعلا الشيخ الزّاني..)٦/ ٢٩٧

أيضًا من خصال المنافقين : خلف الوعد ، فمن وعد ومن نيته أن لايفي وعده ، فهذا أشد نفاقًا عمن وعد ومن نيته أن يفي بوعده ، ولكنّه ندم فأخلف بوعده من غير عذر ، وأما إذا أخلف لعذر فلا جناح عليه . خرّج أبو داود والترمذي بإسناد ـ ليس بالقوي ـ عن زيد بن أرقم قال : قال ﷺ : إذا وعد الرجل – أي أحدا – ، ونوى أن يفي به فلم يف ، فلا جناح عليه(١) ، والمراد : لا عذر ؛ لأن قوله فلا جناح عليه مُشعرٌ بذلك ، ومن قال لآخر أفعل كذا إن شاء الله تعالى / [٦١١ظ] ومن نيته أن لا يفعل قال الأوزاعي(٢) : كان كذبا وخلفا . في حديث : العِدَّة عطية(٣) ، ويروى : العِدَّة هبة(٤) .

ومن مرفوع : العِدَّة دين ، ويل لمن وعد ثم أخلف . قاله ثلاثا (٥) ، ومن قال لآخر : تعال لأعطيك ، ومن نيته أن لا يعطيه ، ولو كان المقول له ولده الصغير ، كتبت عليه كذبة . قالت امرأة لابنها في حضور النبي ﷺ : تعال لأعطيك ، فقال لها : ما أردت أن تعطيه ، قالت تمراً ، قال : إن لم تعطه كُتبت عليك كذبة(٦) . ومن الوعد ما

(١) الحديث عن زيد بن أرقم أخرجه أبو داود (كتاب الأدب ، باب في العدة) ٥/ ١٦٨ ، والترمذي(كتاب الإيمان ، باب ماجاء في علامة المنافق) . قال أبو عيسى : حديث غريب وليس إسناده بالقوي ٥/ ٢١ ، والطبراني في المعجم الكبير ٥/ ١٩٩ .

(٢) الأوزاعي هو : عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد ، أبو عمرو ، من قبيلة الأوزاع ، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد . له كتاب : السنة في الفقه ، والمسائل ، بقدرما سئل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عليها كلها . توفي سنة ١٥٧هـ . انظر عنه : حلية الأولياء لأبي نعيم ٦/١٣٥ ، وشذرات الذهب لابن العماد ١/٢٤١ .

(٣) الحديث عن قباث بن أشيم اللّيثي ، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ٢٠٩ ، والهيثمي في مجمع الزوائد(كتاب البيوع ، باب ما جاء في العدة) ٤/ ١٦٦ .

(٤) الحديث من مراسيل الحسن البصري ، ذكره ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم ٢/ ٤٨٤ .

(٥) الحديث عن عليّ بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٤/ ٢٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب البيوع ، باب ما جاء في العدة) ٤/ ١٦٦ .

(٦) الحديث عن عبد الله بن عامر أخرجه أبو داود (كتاب الحدود ، باب في التشديد في الكذب) ٥/ ١٦٧ ، وأحمد في المُسند ٢٤/ ٤٧٠ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في حفظ اللسان) ٤/ ٢١٠ ؛ وابن ماجه (كتاب الأحكام ، باب من ادعى ما ليس له وخاصم فيه) ٣/ ٦٢ ، وابن أبي شيبة في المصنف(باب : ماجاء في الكذب) ٥/ ٢٣٨ .

لا يجوز الوفاء به شرعًا ، كالوعد بشيء من المحرمات . وجمهور العلماء على وجوب الوفاء بالموعود ، فإن لم يف به كان حراماً .

وجعل صلى الله عليه وسلم ، من علامة المنافق : الفجور في المخاصمة ، يعني أن يخرج عن الحق عمداً حتى يُصير الحق باطلًا ، والباطل حقًا ، سواء كانت الخصومة في الدين أو الدنيا ، عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال ﷺ : من خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع[1] . ينزع : أي يرجع ، وفي رواية له تتمة ، وهي : ومن أعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله[2] .

وجعل من خصاله [أي النفاق] الغدر في العهد ، قال تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[3] ، فالغدر حرام ، ولو كان المعاهد كافرًا ، وهذا يجري في جميع العقود بعد وقوع المرضاة عليها من المبايعات ، والمناكحات ، وغيرها ، وهو يريد إفسادها . ومن عاهد غيره على بيع شيء أو تزويج امرأة من أقاربه فباعها أو زوجها غيره فقد غدره ، وهذا واقع كثيراً .

ومن خصال النفاق الخيانة في الأمانة ، والأمانة كما تكون في الودائع تكون في الصلاة ، والصوم وغيرها من العبادات ، وقال عمر في خطبته : إن أخوف ما أخاف عليكم من المنافق : العليم ، قيل له : وكيف يكون المنافق عليمًا يا أمير المؤمنين؟ قال : يتكلم بالمعروف ويعمل بالمنكر[4] .

ومن أوصاف المنافقين : المكر والخديعة والغش ، قال تعالى في صفة

(١) جزء من حديث عن ابن عمر أخرجه أبو داود(كتاب الأقضية ، باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم) ٣/ ١٨ ، والحاكم في المستدرك (كتاب البيوع) ، قال عنه الذهبي : صحيح ٢/ ٣٢ ، وأحمد في المسند ٩/ ٢٨٣ .

(٢) الحديث بهذه الرواية عن ابن عمر أخرجه أبو داود (الموضع السابق) ٣/ ١٨ .

(٣) جزء من الآية رقم ٩١ من سورة النحل .

(٤) الأثر عن عمر بن الخطاب ، ذكره ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم ٢/ ٤٩٠ .

المنافقين : ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[١] ، وعند الله مكرهم : أي جزاء مكرهم ، والمكر حيلة ، وهو والخديعة بمعنى .

وقيل الخداع معناه الفساد ، فمعنى قوله تعالى في حق المنافقين : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ ، أي يفسدون ما أمرهم الله به ، . . . . . . [٢] أمورهم : ﴿وما يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[٣] .

عن ابن مسعود ، قال : قال ﷺ : من غشنا فليس منا ، والمكر والخديعة في النار[٤] ، وما أحسن ما قال :

ليس دنيا إلا بدين وليس الـ ـــدين إلا مكارم الأخلاق
إنما المكر والخديعة في النا ر هما من خصال أهل النفاق[٥]

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا .

واشتغال الإنسان بالأهل والأولاد والأموال بعد سماع الذِّكر والعظات ليس من النفاق ، وقد خاف حنظلة أن يكون ذلك منه نفاقًا ، فبكى ، فقال له ﷺ : يا حنظلة ، ساعة وساعة[٦] . أي ساعة/[١٦٢و] لنفسك ، وساعة لربك .

(١) الآية رقم (٤٦) من سورة إبراهيم .
(٢) في الأصل كلمتان غير مقروءتان .
(٣) الآية رقم (٩) من سورة البقرة .
(٤) الحديث عن ابن مسعود أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ١٣٨ ، وابن حبان في الصحيح (كتاب الحظر والإباحة ، باب ذكر الزجر عن أن يمكر المرء أخاه المسلم) ٧/ ٤٣٤ .
(٥) الشعر منسوبًا إلى أبي العتاهية ذكره ابن عبد البر في التمهيد (بلاغات مالك ومرسلاته ، الحديث الثالث والثلاثون من البلاغات) ٢٤/ ٣٣٤ ، وابن رجب في جامع العلوم والحكم ٢/ ٢٦٥ .
(٦) جزء من حديث طويل عن حنظلة الأسيدي أخرجه مسلم (كتاب التوبة ، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة) ١٧ : ٦٩ ، والترمذي (كتاب صفة القيامة ، والرقائق والورع ، باب ٥٩) قال أبو عيسى : حديث حسن صحيح . ٤/ ٥٧٤ـ ٥٧٥ .

فصل

في قوله تعالى : ﴿وَالضُّحى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[١] .

احتبس الوحي عن النبي ﷺ ، لما سألت اليهود النبي ﷺ عن الروح ، وعن ذي القرنين ، وأصحاب الكهف ، فقال : سأخبركم ، ولم يقل : إن شاء الله[٢] ، تأديباً له[٣] ، لأن النبي ﷺ ، قال : أدبني ربي ، فأحسن تأديبي[٤] ، ولأن الله تعالى يقول : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾[٥] . ويقال : احتبس لوجود جرو[٦] كلب في بيته ، فإن خولة ، مولاة رسول الله ﷺ :كنست تحت السرير ، فوجدت شيئًا ثقيلاً ، فإذا هو جرو كلب ميت ، فأخرجته ، فنزل جبريل ، قال له [ﷺ] : أبطأت عليَّ يا أخي ، قال : يامحمد ، إنَّا لا ندخل بيتًا فيه كلب ، ولاصورة[٧] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أنه لما أبطأ الوحي صعب الأمر على النَّبي ﷺ ، فوضع جبهته على الكعبة ، ودعا ، فجاءه الوحي بقوله تعالى : ﴿وَالضُّحى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[٨] .

---

(١) سورة الضُّحى : ١ـ ٣ . وسيبدأ المؤلف في شرحها حتى نهاية السورة .

(٢) انظر تفسير الطبري : الكهف ، الآية رقم ٢٣ ،تفسير القرطبي : الكهف ، الآية رقم ٢٣ .

(٣) هذا كلام لا يصح أن يقال عن النبي ﷺ ، وقد وصفه الله تعالى في كتابه بقوله : وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم : الآية رقم ٦ .] .أما الآية فهي تعليم وإرشاد للمؤمنين .

(٤) الحديث غير مُسند ذكره الألباني في السلسلة الضعيفة ، وقال عنه :ضعيف . ١/ ١٧٣ ، وقال ابن تيمية في مجموعة الرسائل الكبرى : معناه صحيح ، ولكن لا نعرف له اسناد ثابت ٢/ ٣٣٦ .

(٥) جزء من الآية رقم ٢٣ ، من سورة الكهف .

(٦) الجروُ : الصغير من كل شيء . والجِرْوُ : الكلب ، والأسد ، والسِّباع .لسان العرب (مادة : جرا .)

(٧) الحديث مع اختلاف في اللفظ عن ابن عباس ، قال : أخبرتني ميمونة ـ رضي الله عنهاـ زوج النبي ﷺ ، أن رسول الله ﷺ ، أصبح يومًا واجمًا . . .أخرجه مسلم (كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوانات) ١٤/ ٨٧ ، وأبو داود (كتاب اللباس ، باب في الصور) ٤/ ٢٤٩ .

(٨) الأثر عن أبي عمران الجوني ذكره القرطبي في التفسير . (الضحى) .

ويقال إن الصّحابة ، رضي الله عنهم ، قالوا : يا رسول الله ، ما لك لا ينزل عليك الوحي؟ فقال ﷺ لهم : كيف ينزل عليّ الوحي وأنتم لاتُنْقُّون رَوَاجِبَكُم(١)ـ وفي رواية : بَرَاجِمَكُم(٢)ـ ولا تقصّون أظفاركم ، ولا تأخذون من شواربكم . وفي رواية : ولا تستاكون(٣) .

الرواجب ، وهى ثنيات العقدة الفوقانية من الأصابع ، والثانية تُسمى البراجم ، والثالثة الأشاجع(٤) .

قال العلماء رضي الله عنهم : إن نزول الوحي رحمة ، فإذا حُبس يكون لمانع بالقوم ، قد بينه صلى الله عليه وسلم لهم بتركهم لبعض السُنن ، فما بالك إذا تُركت الفرائض ، والواجبات ، والعياذ بالله ، كترك الصلاة ، والزكاة ، وصلة الأرحام .

فالصدقة تدفع البلاء ، ويقال : تسد سبعين بابًا من أبواب البلاء(٥) .

هذا في الصدقة النافلة ، فما بالك بالواجبة . وقلة الأمطار والمياه لترك القوم الزكاة .

وعن الأسود بن قيس أنه سمع جندب بن سفيان يقول : رُميّ النبي ﷺ

---

(١) الرواجب : مفاصل أصول الأصابع التي تلي الأنامل. لسان العرب (مادة : رجب) .

(٢) البراجم : هي العقد التي تكون في ظهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ . لسان العرب (مادة : برجم) .

(٣) ساك الشيء سوكا : دلكه والسواك ما يدلك به الفم من العيدان . لسان العرب(مادة : سوك) . والحديث عن ابن عباس أخرجه أحمد في المسند ٤ : ٦٨ ، والطبراني في المعجم الكبير ١١ : ٤٣١ ، والبيهقي في شعب الإيمان (كتاب الطهارات ، فصل فضل الوضوء) ٣/ ٢٤ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب اللباس ، فصل في تقليم الأظافر) ٥/ ١٦٧ .
والحديث برواية : تَسْتَنُّون : أي لا تستعملون السّواك . في مسند أحمد(الموضع السابق) ، والحديث برواية : براجمكم ، في شعب الإيمان للبيهقي(الموضع السابق) .

(٤) الأشاجع : رؤس الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف . لسان العرب : (مادة : شجع) .

(٥) مصداق ذلك ما رواه الطبراني في المعجم الكبير عن ابن مسعود قال : قال ﷺ : حصّنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، وأعدوا للبلاء الدعاء . ١٠/ ١٢٨ ، والهيثمي في مجمع الزوائد(كتاب الزكاة ، باب فرض الزكاة) ٣/ ٦٣ .

بحجر في أصبعه ، فدميت ، فقال : هل أنت إلا أصبع دميت ، وفي سبيل الله ما لقيت[(١)] .

اشتكى ، [رسول الله ﷺ] قيل ليلتين ، وقيل ثلاثا ، لايقوم من الليل ، فقالت له امرأة ـ قيل أنها أم جميل ، امرأة أبي لهب ـ : ما أرى يا محمد ، شيطانك إلا وقد تركك ، فنزل : ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[(٢)] ، ولما نزل جبريل ، قال له النبي : يا أخي جبريل ، اشتقتُ إليك ، فقال : يا رسول الله ، وأني إليك أشوق ، ولكني عبدٌ مأمور ، ما أنزل إلا بأمر ربي[(٣)] .

أقسم تعالى بالضُّحى وبالليل ، وجواب القسم : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ ، ولله تعالى أن يُقسم بما أراده من مخلوقاته ، وشرعًا لا يجوز لنا ، لأنا لم نؤذن بذلك ، فقد قال صلى الله عليه/ [١٦٢ظ] وسلم : من كان حالفًا فليحلف بالله ، أو ليذر[(٤)] .

وإنما أقسم الله بهما لأنهما من الآيات الباهرة ، ولاشتمالهما على عبادة الخلق .

واختُلف في حبس الوحي ، فأكثر ما قيل : سنتان ونصف ، وقيل : أربعون يومًا ، وقيل : خمسة وعشرون يومًا ، وقيل : خمسة عشر يومًا ، وقيل : اثنى عشر

---

(١) الحديث عن جُندب بن سفيان البجلي ، أخرجه البخاري (كتاب : الجهاد والسير ، باب من ينكب في سبيل الله) ٣/ ١٠٣١ـ ١٠٣٢ ، و(كتاب : الأدب ، باب ما يجوز من الشعر) ٥/ ٢٢٧٦ ، ومسلم(كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقى النبي ﷺ من أذى المشركين) ١٢/ ١٤٨ .

(٢) الحديث عن جُندب بن سفيان البجلي ، أخرجه البخاري (كتاب : التهجد ، باب ترك القيام للمريض) ١/ ٣٧٨ـ ٣٧٩ ، ومسلم (كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقى النبي ﷺ من أذى المشركين) ١٢ : ١٤٩ .

(٣) انظر : الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي : سورة الضُّحى ، الآية رقم ١ ، وتفسير القرطبي : سورة الضُّحى ، الآيات ١ـ٣ .

(٤) أول الحديث : ألا إن الله عزّ وجلّ ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان . . .عن عبد الله بن عمر أخرجه البخاري(كتاب : الأيمان والنذور ، باب لا تحلفوا بآبائكم) ٦ : ٢٤٤٩ . بلفظ (ليصمت) بدلًا من (ليذر) ، ومسلم (كتاب الأيمان ، باب النهي عن الحلف بغير الله) ١١/ ١٠٧ـ ١٠٨ .

يومًا ، وقيل : ثلاثة أيام(١) .

ثم قيل ﴿والضُّحى﴾ : النهار كله لمقابلته بالليل(٢) ، وقيل : الساعة التي تُسمى بالضُّحى(٣) ، وقيل : أول النهار(٤) ، وقيل : ضوء النهار(٥) ، وقيل : الساعة التي كلّم الله فيها موسى(٦) ، وقيل السّاعة التي ألقى فيها السحرة سجدا فرأوا في سجودهم الجنة والنار ، وكُشف لهم الحق فآمنوا حقًا(٧) . وإلى هذا أشار الله تعالى بقوله : ﴿وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾(٨) .

﴿وَاللَّيْلِ﴾ : قيل ليلة المعراج ، وقيل إن في الآية تقديراً تقديره : ﴿وَالضُّحى وَاللَّيْل﴾ : أي ورب الضُّحى ، ورب الليل ، فيكون تعالى أقسم بذاته العلية ، وعلى هذا فلا إشكال ، ولا يتكلف إلى الجواب ، ويجاب به عن أمثاله(٩) .

﴿إِذَا سَجَى﴾ : أقبل بظلامه ، وغطى كل شيء ، وقيل إذا سكن(١٠) .

تفاخر النهار مع الليل ، فقال النهار لليل : آيتك ممحوة ، فإن الله تعالى يقول : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾(١١) ، فقال

---

(١) قال مقاتل : احتبس الوحي أربعين يوما ، ، وقال ابن عباس : خمسة عشر يوما ، وقال ابن جريج : اثني عشر يوما ، ولم نجد بقية الأقوال منسوبة . انظر تفسير الثعلبي : سورة الضُّحى ، الآية رقم ١ ، وتفسير القرطبي : سورة الضُّحى الآية رقم ١ .

(٢) انظر تفسير الطبري : سورة الشمس ، الآية ١ ، و تفسير القرطبي : سورة الضُّحى ، الآيات ١-٣ .

(٣) انظر تفسير الطبري : سورة الشمس ، الآية ١ ، وسورة الضُّحى ، الآية ١ .

(٤) انظر تفسير القرطبي : سورة طه الآية رقم ٥٩ .

(٥) انظر تفسير القرطبي : تفسير سورة الضُّحى الآيات رقم١-٣ .

(٦) انظر تفسير الثعلبي : سورة الضُّحى ، الآية رقم ١ ، و تفسير القرطبي : سورة الضُّحى ، الآيات ١-٣ .

(٧) انظر تفسيرالثعلبي : سورة الضُّحى ، الآيات ١ ، وتفسير القرطبي : سورة الضُّحى ، الآيات ١- ٣ .

(٨) جزء من الآية رقم ٥٩ ، من سورة طه .

(٩) نقلاً بتصرف عن تفسير القرطبي : سورة الضُّحى ، الآيات١-٣ .

(١٠) نقلاً بتصرف عن تفسيرالقرطبي : سورة الضُّحى ، الآيات ١-٣ .وتفسير الطبري : سورة الضُّحى ، الآيات١-٣ .

(١١) الآية رقم ١٢ من سورة الإسراء .

الليل : إن الله جبرني بقوله : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[١] ، ويقال : افتخر النَّهار على الليل بثلاثة صلوات : الصبح ، والظهر ، والعصر ، فقال له الليل : وأنا أفتخر عليك بصلواتين ، وبالإسراء . ويقال : افتخر [النهار] بقوله : أنا فيَّ المعاش ، واليقظة ، والحركة ، وفيك الغفلة والنَّوم والسُّكون ، وفيَّ تطلع الشمس ، فقال له الليل : شمسي قلوب أهل الحضرة والتهجد ، إذ قال تعالى في حقهم ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[٢] ، والفكرة ، أين أنت من تجلي الحق على الخلق وقت السَّحر مني ، وقوله تعالى لهم : ألا من مستغفر فأغفر له ، ألا من تائب فأتوب عليه ، ألا من سائل فأعطيه سؤله ، ألا من داعٍ فأُجيب له دعوته ، أنا الجواد ، أنا الكريم ، أنا أرحم الراحمين ، أنا أكرم الأكرمين ، من طلبني وجدني[٣] .

وقال الليل للنَّهار : أين كنت لما خلقني ربي قبلك ، وجعل مني ليلة هى خير من ألف شهر ، قال تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٤] ، ويقال : افتخر النهار بصلاة الجمعة والعيدين ، فقال له الليل : وأنا أفتخر عليك بصلاة التراويح والوتر ، وأنا ذكر وأنتَ أنثى ، والذكر أفضل من الأنثى ، وأنت خُلقت مني كما خُلقت حواء من آدم ، قال تعالى : ﴿اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾[٥] ، وقال لنبيه : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٦] ، وما قال : قم

---

(١) الآية رقم ١ من سورة الإسراء .
(٢) جزء من الآية ١٦ من سورة السجدة .
(٣) جزء من حديث عن عثمان بن أبي العاص ـ مع اختلاف في بعض الألفاظ ـ أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٩/ ٥٥ـ ٥٦ .
(٤) الآيات من١ـ ٣ ، من سورة القدر .
(٥) جزء من الآية٣٧ من سورة يس .
(٦) الآيات ١ ، ٢ ، من سورة المزمل .

النَّهار إلا قليلاً ، وفي كل ليلة من الليالي ساعة إجابة ، وما فيك ساعة إجابة إلا نهار الجمعة(١) .

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ : ما أبغضك .

﴿وَمَا قَلَى﴾ : ما أبعدك ، ولا ترك أحداً من آلك وأصحابك ، ومن على دينك إلى يوم / [١٦٣و] القيامة .

قال العلماء : لما حُبس الوحي ، ثم جاء الوحي بقوله تعالى : ﴿وَالضُّحى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ ، فكبّر(٢) النبي ﷺ ، ومن ذلك العهد اتخذ صلاة الضُّحى سنة ، ولا التفات لمن أنكرها .

فصل

[صلاة الضحى] ومن أدلة مشروعيتها (أي صلاة الضُّحى) الكتاب والسُّنة ؛ أما الكتاب بقوله تعالى : ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالأَصَالِ رِجَالٌ﴾(٣) ، ومن السُّنة ما خرّجه البيهقي من حديث سنده صحيح ، أن النبي ﷺ ، صلى سُبْحة الضُّحى ثمان ركعات(٤) .

وفي رواية : كان يُصليها ست ركعات(٥) .

---

(١) وردت الحكاية غير منسوبة عند الصفوري في نزهة المجالس ومنتخب النفائس (باب ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾) ٢ : ١٠٥ .

(٢) جاء في تفسير القرطبي : روى مجاهد عن ابن عباس ، عن أُبيّ بن كعب ، عن النبي ﷺ ، إذا بلغ آخر ﴿وَالضُّحى﴾ كبّر بين كل سورة تكبيرة إلى أن يختم القرآن . سورة الضُّحى الآية ٩ .

(٣) جزء من الآية رقم٣٦ ، و الآية رقم ٣٧ ، من سورة النور .

(٤) جزء من حديث عن أم هانيء ، أخرجه البخاري (كتاب الصلاة ، باب الصلاة في الثوب الواحد) ١/ ١٤١ ، ومسلم (كتاب الحيض ، باب تستر المغتسل بثوب ونحوه) ٤/ ٣٢ ، والبيهقي في السنن (كتاب الصلاة ، باب ذكر من رواها ثمان ركعات) ٤/ ١٥٦ .

والسُّبحة : صلاة التطوع والنافلة . لسان العرب(مادة : سبح) .

(٥) الحديث عن أم هانيء ، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٤/ ٤٣٥ .

وفي رواية : كان يصليها أربعا[١] .

وفي رواية : ركعتين[٢] ، أي على حسب الأوقات والإمكان .

وفي حديث قال ﷺ : ركعتان من الضُّحى تعدلان عند الله حجة وعمرة متقبلتين[٣] .

حجة : أي ثواب حجة نافلة .

وخرّج الطبراني بسند حسن ، عن أبي الدرداء ، قال : قال ﷺ : من صلى الضُّحى ركعتين لم يُكتب من الغافلين ، ومن صلى أربعا كُتب من العابدين ، ومن صلى ستًا كُفِي ذلك اليوم من حيث المؤنة ، أو من دفع المضرات ، ومن صلى ثمانية كُتب من القانتين ، ومن صلى اثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتًا في الجنة[٤] .

وفي رواية : قصرًا في الجنة من ذهب .

---

(١) تتمة الحديث : ويزيد ما يشاء . عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب صلاة الضُّحى) ٥/ ٢٣٠- ٢٣١ . وانظر مسند أحمد ٤١/ ٢٦٥ .

(٢) الحديث عن كعب بن مالك بلفظ : إن رسول الله ﷺ كان لا يقدم من سفر إلا نهارًا في الضُّحى ، فإذا قَدِمَ بدأ بالمسجد ، فصلى ركعتين ، ثم جلس فيه . أخرجه مسلم (كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب الركعتين في المسجد لمن قدم من سفر) ٥/ ٢٢٩ ، و الحديث بألفاظ أطول أخرجه البخاري (كتاب التفسير ، باب ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ التوبة ١١٨) ٤/ ١٧١٨ . وخرّج الترمذي الجزء الأخير من الحديث عن أنس (كتاب الصلاة ، باب ما جاء في صلاة الضُّحى) ، وقال أبو عيسى : حديث أنس حديث غريب ١/ ٣٣٧ .

(٣) الحديث عن أنس ، أخرجه الديلمي في : فردوس الأخبار ١/ ٤١٠ ، والألباني في السلسلة الضعيفة ٨/ ١٣٥ .

(٤) لم نجد الحديث في كتب الطبراني . والحديث عن أبي الدرداء ، أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الصلاة ، باب صلاة الضُّحى) ٢/ ٢٣٩ - ٢٤٠ ، وأعازه إلى الطبراني في المعجم الكبير . وخرّج الترمذي الجزء الأخير من الحديث عن أنس (كتاب الصلاة ، باب ما جاء في صلاة الضُّحى) ، وقال أبو عيسى : حديث أنس حديث غريب ١/ ٣٣٧ .

قال الإمام النووي في «الروضة»[١] : وأفضلها الثمان ، وأكثرها اثنتا عشرة ركعة[٢] .

وإنما كانت الثمان أفضل ، لأن النبي ﷺ انتهى فعله إليها ، ولم يصلها ثِنْتَى عشرة ركعة .

قال الجلال السيوطي في رسالته المسماة : ضياء النهار في فضل صلاة الأبرار[٣] : لم يرد فيها عدد مخصوص ، بل قال : قال الشهاب ابن حجر العسقلاني : إنه لا مسند للفقهاء على كون أكثرها ثِنْتَي عشرة .

وكان عبد الله بن غالب يصليها مئة ركعة[٤] ، وكان الإمام أحمد يصليها ثلاث مئة ركعة[٥] .

أقول وبالله التوفيق ، أنه لما بيَّن النبي ﷺ ، فضل ثِنْتَي عشرة ركعة[٦] ، ولم يبين فضل ما زاد ، عُلم أن أكثرها ذلك ، وما نُقل عن السَّلف من فعل الزيادة محمول

---

(١) كتاب : روضة الطالبين وعمدة المتقين ، ليحيى بن شرف بن مرّ بن جمعة بن حزام ، أبو زكريا ، محيي الدين ، الشّافعيُّ ، الشهير بالنووي ـ ونوى بلدة بحوران بينها وبين دمشق مسافة يومين ـ علّامة بالفقه والحديث ، له تصانيف كثيرة ، منها : «الأربعون النووية» في الحديث ، ومنهاج الطالبين ، ورياض الصالحين ، وغيرها . تُوفي سنة ٦٧٦هـ . انظر عنه : طبقات الشافعية الكبرى للسبْكي ٥/ ١٦٥ .

(٢) انظر القول في روضة الطالبين للنوَوي (كتاب الصلاة ، فصل في النوافل التي تسن فيها صلاة الجماعة) ١/ ٣٣٢ .

(٣) للسيوطي مجموعين مخطوطين ، يشتملان على ٤٣ رسالة . ذكر اسمائها حبيب الزيات في خزائن الكتب ، انظر الأعلام للزركلي ٣/ ٣٠٢ .

(٤) انظر القول في حلية الأولياء لأبي نعيم(ترجمة عبد الله بن غالب) ٢/ ٢٥٦ـ ٢٥٨ ، وتهذيب الكمال للمزي(ترجمة عبد الله بن غالب) ١٥/ ٤١٩ـ ٤٢٢ . وهو عبد الله بن غالب الحداني ، البصري العابد ، عن أبي سعيد ، وعنه قتادة ومالك . قتل يوم الجماجم سنة ٨٣هـ . انظر عنه : الخلاصة للخزرجي ، ص ٢٠٩ .

(٥) ورد عن عبد الله بن أحمد بن حنبل ، قال : كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاث مئة ركعة . انظر الحلية لأبي نعيم(ترجمة أحمد بن حنبل)٩/ ١٨١ .

(٦) لم يرد عن النبي ﷺ أنه بيَّن فضل مازاد عن اثنتي عشرة ركعة ، ولم يصلها اثنتي عشرة ركعة .

على النوافل المُطلقة ، وما نُقل عن بعضهم أنه صلَّاها إلى قبيل الاستواء فتُحمل على تطويل القراءة فيها .

وتُسمى صلاة الأوابين ، قيل في قوله تعالى : ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾[1] ، إنهم الذين يصلون الضُّحى[2] .

وعن النبي ﷺ أنه قال لأنس : يا أنس ، صل صلاة الضُّحى ، فإنها صلاة الأوابين من قبلي[3] .

وعن أبي هريرة : أوصاني خليلي بثلاث ، لا أُهمل فيهن حتى ألقاه ، أوصاني بصيام ثلاثة من كل شهر ، وسُبحة الضُّحى مسافراً كنت أو مقيماً ، ولا أنام إلا على وتر[4] .

وفي حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : من صلى الضُّحى أربعا يوم جمعة مرة في عمره ، يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب ، والمعوذتين ، والإخلاص ، والكافرون ، وآية الكرسي عشراً ، فإذا سلَّم استغفر سبعين مرة ، وسبَّح بهذه الكيفية سبعين مرة : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ، دفع الله عنه/[١٦٣ظ] شر أهل السماوات والأرض ، وشر الجن والإنس ، وشر كل شيطان ، وقيَّد الله به بكل حرف قرأه في هذه الصلاة ملائكة يكتبون له الحسنات ، ويمحون عنه السيئات ، ويرفعون له الدرجات ،

---

(١) جزء من الآية (٢٥) ، من سورة الإسراء .

(٢) يُنسب القول إلى عون العقيلي . انظر تفسير الطبري : سورة الإسراء ، الأية رقم ٢٥ ، وتفسير القرطبي : سورة الإسراء ، الآية رقم ٢٥ .

(٣) جزء من حديث طويل عن أنس ، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ٢١٥ ، والبيهقي في شعب الإيمان ، (فصل مقاربة أهل الدين وموادتهم وإفشاء السلام بينهم)٦/ ٤٢٩ ، والأصفهاني(قوام السنة) في الترغيب والترهيب (باب الترغيب في صلاة الضُّحى) ٣/ ٩ .

(٤) الحديث عن أبي هريرة ، أخرجه البخاري (كتاب التطوع ، باب صلاة الضُّحى في الحضر) ١/ ٣٩٥ ، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب صلاة الضُّحى) ٥/ ٢٣٢ـ ٢٣٣ .

ويستغفرون له إلى الموت[١] .

نص[٢] على ذلك في «مختصر الترغيب والترهيب» للعلامة حسن بن النقاش الأنصاري .

وخرّج من حديث أنس ، قال : قال ﷺ : من صلى الضُّحى فقرأ فيها بفاتحة الكتاب ، ﴿وقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٣] عشراً ، و آية الكرسي عشراً ، استوجب رضوان الله الأكبر[٤] .

عن أبي هريرة ، قال : قال ﷺ : إن للجنة باباً يقال له باب الضُّحى ، فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضُّحى؟ هذا بابكم فادخلوه[٥] .

وعنه عن النبي ﷺ ، أنه قال : من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة ، حفظ الله له أهله وماله ودنياه وآخرته ، ومن صلى الغداة وقعد في مصلاه حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين ، جعل الله له حجاباً يوم القيامة من النار [٦] .

أقول : الأفضل في التطوع البيت ، لقوله ﷺ : صلاة الرّجل في بيته تطوعًا

---

(١) الأثر عن ابن عباس ، أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب الترغيب في صلاة الضُّحى) ٣/ ١٠ ـ ١١ .

(٢) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٣) الآية رقم ١ ، سورة الأخلاص .

(٤) الحديث عن أنس أخرجه الأصفهاني في الترغيب والترهيب (باب الترغيب في صلاة الضُّحى) ٣/ ١١ .

(٥) الحديث عن أبي هريرة ، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ٢٨ ؛ والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب النوافل ، باب : الترغيب في صلاة الضُّحى) وقال عنه : ضعيف جداً . ١/ ٢٠٦ .

(٦) الحديث عن أبي هريرة ذكره السمرقندي في : تنبيه الغافلين (باب فضل صلاة التطوع) ، ص ٤٤٨ـ ٤٤٩ .

نور ، فنوّروا بيوتكم(١) .

وهذا هو منقول المذهب لقولهم : الأفضل في السُّنن المنزل ، واستسنى التراويح كما مرّ بأن الأفضل في التراويح المساجد(٢) .

وقد ورد في الضُّحى أن النبيّ ﷺ كان يكثر من فعلها في المسجد(٣) ، وقوله أيضًا يفيد ذلك فلتُفعل حينئذ في المسجد ، وإن فُعلت في البيت كان حسنًا لما رويناه ، فليحرر ، والله أعلم .

وهي كفارة الأعضاء لما خرّجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ ، قال : على كل سُلاميّ - أو على كل عضو- من بني آدم في كل يوم صدقة ، ويجزيء من ذلك كله ركعتا الضُّحى(٤) .

والسلامي : المفاصل ، في كل إنسان ثلاث مئة وستون مفصلاً ، فعلى كل عظم صدقة .

خرّج مسلم عن أبي ذر ، قال : قال ﷺ : يُصبحُ على كلِّ سُلاميّ من أحدكم

---

(١) الحديث دون كلمة : تطوعا ، عن عمر ، أخرجه ابن ماجه في السنن(كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها ، باب ماجاء في التطوع في البيت) ٢/ ٤٤١- ٤٤٢ ، وابن أبي شيبة في المصنف (كتاب صلاة التطوع والإمامة ، باب من أمر بالصلاة في البيوت) ٢/ ٦٠ .

(٢) صلاة النافلة في المنزل أفضل ؛ لقوله ﷺ : صلوا أيها الناس في بيتوكم ؛ فإن أفضل الصلاة صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة . والحديث رواه البخاري عن زيد بن ثابت (كتاب الجماعة والإمامة ، باب صلاة الليل) ١/ ٢٥٦ ، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب صلاة النافلة في بيته) ٦/ ٧٣ .

ويستثنى النافلة التي شرعت لها الجماعة كالتراويح ؛ فإن فعلها في المسجد أفضل . انظر : الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري(كتاب الصلاة ، هل تصلى النافلة في المنزل أو في المسجد) ١/ ٢٨٨ .

(٣) لم نجد حديثًا بهذا المعنى فيما بين أيدينا من كتب .

(٤) الحديث عن ابن عباس ، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٤/ ٢٢٥- ٢٢٦ ؛ والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الصلاة ، باب صلاة الضُّحى) ٢/ ٢٣٧ .

صدقة ، فكلُّ تسبيحة صدقةٌ ، وكلُّ تحميدة صدقةٌ ، وكلُّ تهليلة صدقةٌ ، وكلُّ تكبيرة صدقةٌ ، وأمرٌ بالمعروف صدقةٌ ، ونهيٌ عن المنكر صدقةٌ ، ويُجزِئُ من ذلك ركعتانِ يركعهما من الضُّحى(١) .

وفي بعض الأحاديث ، لمّا قال ﷺ : يُصبحُ على كُلِّ سُلامي من أحدكم صدقة ، قيل : ومن يطيق ذلك يا رسول الله؟ قال : النُّخاعةُ في المسجد تدفِنُها ، والشيءُ تنحيه عن الطَّريق(٢) .

وفي بعض الأحاديث : يُعين ذا الحاجة الملهوف ، فإن لم يفعل ، فليأمر بالخير ، فإن لم يفعل فليمسك عن الشّر(٣) .

ومن الصدقة العدل بين الاثنين ، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة ، وإدلال المستدل على حاجته ، وإغاثة اللهفان ، ولا أفضل من كلمة التوحيد .

خرّج الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال ﷺ : من قال لا إله إلا الله ، كان له بها عهد عند الله ، ومن قال سبحان الله وبحمده ، كُتب له مئة ألف حسنة ، وأربعة /[١٦٤و] وعشرون ألف حسنة ، فقال رجل : كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله؟ قال ﷺ : إن الرّجل ليأتي يوم القيامة بالعمل ، لو وُضع على جبلٍ

---

(١) الحديث عن أبي ذر ، أخرجه مسلم (كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب صلاة الضُّحى وأقلها ركعتين) ٥/ ٢٣٢ ، وأبو داود ـ مع اختلاف الألفاظ ـ (كتاب الصلاة ، باب صلاة الضُّحى) ٢/ ٤٢ـ ٤٣ ، وأحمد في المسند ٣٥/ ٣٧٧ـ ٣٧٨ . والسُّلامي : كل عظم مجوف من صغار العظام . لسان العرب (مادة : سلم) .

(٢) تتمة الحديث : فإن لم تجد فركعتا الضحى تجزئك . عن بريدة ، أخرجه أبو داود (كتاب الأدب ، باب في إماطة الأذى عن الطريق) ٥/ ٢٥٤ـ ٢٥٥ ، وأحمد في المسند ٣٨/ ١٠٤ .

(٣) جزء من حديث عن أبي موسى الأشعري ، أخرجه البخاري (كتاب الزكاة ، باب على كل مسلم صدقة فمن لم يجد فليعمل بالمعروف) ٢/ ٥٢٤ ، و(كتاب الأدب ، باب كل معروف صدقة) ٥/ ٢٢٤١ ، ومسلم في (كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف) ٧ / ٩٦ .

لأثقله ، فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد أن تستنفذ ذلك كله إلا أن يتفضل الله برحمته[١] .

﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ : أي ما تضمنته من الحوض والشفاعة ،والكوثر ، وما كسيته من لباس التّوحيد ، ومن الكوثر ميزابان[٢] يصبان في الحوض ، والحوض حوضان ، حوضٌ في المحشر تشرب منه الأمة ، وحوضٌ في الجنة عدد كيزانهما أكثر من عدد نجوم السماء[٣] .

﴿خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ : الدُّنيا .

خرّج البغوي بسنده عن ابن مسعود قال : قال ﷺ : إنا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة عن الدُّنيا[٤] .

ويقال : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ﴾ الجنة ، ﴿خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ الدُّنيا ، فلا تجزع لانقطاع الوحي عنك مدة ، فاصبر على أذى المشركين وقدحهم فيك ، فإن ما يعطيك ربك في الآخرة خير لك من كل ما تناله في الدُّنيا .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ ، أُرِي ما يُفتح على أمته بعده ، فُسرَّ بذلك ، فنزل ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ ، فقد روي : أُعطى ﷺ

---

(١) جزء من حديث عن ابن عمر ، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ٣٤٨- ٣٤٩ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب أهل الجنة ، باب كيف يصير لون الأسود في الجنة) ١٠/ ٤٢٠ .

(٢) المئزاب ، والمزراب ، فارسي معرب ، ومنه مئزاب الكعبة ، وهو مصب ماء المطر . لسان العرب(مادة : أزب)

(٣) انظر تفسير الألوسي : سورة الكوثر الآية رقم ١ ، وانظر تفسير القرطبي : سورة الكوثر الآية رقم ١ .

(٤) الحديث عن ابن مسعود أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف(كتاب الفتن ، باب ماذكر في عثمان) ٧/ ٥٢٧ ، والبغوي في التفسير : سورة (الضحى) الآية رقم ٥ .

ألف قصر في الجنة من اللؤلؤ ، ترابها من المسك الأذْفَر[1] ، في كل قصرٍ منها ما يليق به[2] .

ويقال ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ﴾ لبقائها ، وخلوصها عن المضار من الأولى ، لمضارها خصوصًا بأحباء الله ؛ فإنهم مبتلون فيها ، فقد رُوي : الأنبياء أشدُّ بلاء ثم الأمثل فالأمثل[3] . ولفنائها : دخل عمر يومًا على النبي ﷺ وهو على سرير معمول بالشريط[4] ، وتحت رأسه وسادة حشوها ليف ، فلما انحرف عن السرير رأى الفاروق الشريط قد أثر في جنب النبي ﷺ ، فبكى ، فقال له رسول الله : ما يبكيك يا فاروق؟ فقال : كسرى وقيصر يتنعمان في الدُّنيا ، وأنت حبيب الله على هذه الحالة التي أرى؟ فقال ﷺ : يا فاروق ، أما ترضى أن تكون لهما الدُّنيا ولنا الآخرة ، قال : رضيت يا رسول الله ، قال : ألم تسمع يا فاروق قوله تعالى : ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾[5] .

---

(١) أذفر : طيب الرائحة . لسان العرب ، (مادة : ذفر) .

(٢) الحديث عن ابن عباسٍ أخرجه الحاكم في المستدرك(كتاب التفسير)قال الذهبي : تفرد به عصام بن رواد عن أبيه ، وقد ضُعف ٤/ ١٤٧٥ ، والطبراني في المعجم الأوسط ٤/ ١٣٨ ، وتفسير الطبري : سورة الضحى الآية رقم٥ .
والجزء الثاني من الحديث ورد في مصنف ابن أبي شيبة(كتابْ الجنة ، باب ماذ كر في الجنة وما فيها مما أعد لأهلها) ٧/ ٥٦ .

(٣) جزء من حديث عن مصعب بن سعد عن أبيه أخرجه الترمذي (كتاب الزهد ، باب ماجاء في الصبر على البلاء) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٤/ ٥٢٠ ، وابن ماجه(كتاب الفتن ، باب الصبر على البلاء) ٤/ ٦٣٣ ، وأحمد في المسند ٣/ ٨٧ ، والدارمي (كتاب الرقاق ، باب في قول النبي : أشد الناس بلاء) ، ص ٩١٤ـ ٩١٥ ؛ والحاكم في المستدرك (كتاب الإيمان) ١/ ٥٦ـ ٥٧ ، وسكت عنه الذهبي ، وعنون البخاري بالحديث ولم يخرجه(كتاب المرض ، باب أشدُّ الناس بلاء الأنبياء ثم الأول فالأول) ٥/ ٢١٣٩ .

(٤) الشريط : خيوط تفتل من الخوص والليف . لسان العرب (مادة : شرط)

(٥) جزء من حديث طويل – مع اختلاف في اللفظ- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخرجه مسلم (كتاب الطلاق ، باب في الإيلاء واعتزال النساء) ٨٤/١٠ – ٨٥ ، والحديث عن أنس أخرجه أحمد في المسند ٤٠٩/١٩ ، وأبو يعلي في مسنده ١٦٥/٣ .

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ، قال ابن عباس : يعطيه الله الشَّفاعة في أمته حتى يرضى[(١)] .

يقال : إنه رفع - ﷺ - يديه يومًا ، فقال : اللهم أمتي أمتي ، وبكى ، فأوحى الله إلى جبريل أن إذهب إلى محمد وقل له : ما يبكيك؟ فجاءه وسأله ، فقال : يا أخي ، أمتي ، فذهب جبريل ، وعاد ، فقال : يا محمد ، إن الله تعالى يقول لك سنرضيك في أمتك ، ولا نسوءك[(٢)] .

ويقال : ولسوف يُعطيك ربك من الثواب الأخروي ، والنَّصر والتَّمكين في الدنيا وكثرة المؤمنين ، فترضى .

ويقال : ولسوف يعطيك من خيري الدُّنيا والآخرة ما يرضيك ، فترضى .

قيل : يُعطي ألف ألف قصر في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج والخدم[(٣)] .

ولما نزلت هذه الآية ، قال ﷺ : إذن والله لا أرضى وأحد من أمتي في النار[(٤)] .

ولذا قيل إنها أرجى آية في كتاب الله تعالى ، فقد رُوي عن جعفر بن محمد ابن علي ، أنه قال : يا معشر أهلَ العراق ، إنكم تقولون أرجى آية في كتاب الله : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[(٥)] ، وإنَّا أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله تعالى :

---

(١) الأثر عن ابن عباس ذكره البغوي في تفسيره : سورة الضحى ، الآية رقم (٥) .

(٢) جزء من حديث عن عبد الله بن عمرو أخرجه مسلم (كتاب الإيمان ، باب دعاء النبي ﷺ لأمته وبكائه شفقة عليهم) ٣/ ٧٨ ، والطبراني في المعجم الأوسط ٩/ ٤١٣ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في حشر الناس بعد ما يُبعثون في قبورهم) ١/ ٢٨٣ .

(٣) الأثر عن ابن عباس ذكره الطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٢٧٧ .

(٤) الحديث غير مسند ذكره القرطبي في تفسير : سورة الضحى الآية رقم ٥ .

(٥) جزء من الآية ٥٣ ، سورة الزمر .

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[١] .

وقال جعفر بن محمد رضي الله عنهما : دخل النبي ﷺ على فاطمة وعليها كساء متخرق ، وهي تطحن بيدها ، وتُرضع ولدها ، فبكى ﷺ لما أبصرها .

[١٦٤ظ/] وقال : يا بنتاه ، تعجّلي مرارة الدُّنيا سوف تنالين حلاوة الآخرة ، فقد أنزل الله تعالى : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[٢] .

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ حين مات أبواك ولم يتركا لك مالاً .

﴿فَآوَى﴾ جعل لك مأوى .

رُوي أنه ﷺ مات أبوه وهو حمل ، فكفله جده عبد المطلب ، فلما مات كفله عمه أبو طالب ، فأحسن تربيته ، وكفاه المؤنة ، إلى أن قوى واشتد ، وتزوج بخديجة الكبرى رضي الله عنها .

ويقال ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ درة يتيمة[٣] واحد في قريش عديم النظير ، ﴿فَآوَى﴾ أي أواك إليه بالاصطفاء برسالته وشرف نبوته .

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًا﴾ عن معالم النبوة وأحكام الشريعة .

﴿فَهَدَى﴾ أي فهداك إلى معرفتها .

ويقال : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًا﴾ أي متحيراً فيما أنزل إليك ، فهداك إلى بيانه[٤] .

ويقال : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً﴾ ، أي متحيراً بين أهل الضلال[٥] ، ﴿فَهَدَى﴾ أي

---

(١) انظر القول في حلية الأولياء لأبي نعيم (ترجمة محمد بن الحنفية) ٣/ ١٧٩ ، والقرطبي في تفسير : سورة الضحى ، الآية رقم ٥ .

(٢) الحديث عن جعفر بن محمد ذكره الثعلبي في تفسير سورة الضحى الآية رقم ٥ .

(٣) القول عن مجاهد . ذكره القرطبي في تفسير سورة الضحى الآية رقم ٦ .

(٤) القول غير منسوب ، ذكره القرطبي في تفسير سورة الضحى الآية رقم ٧ .

(٥) القول عن السدي ، ذكره القرطبي ، تفسير سورة الضحى الآية رقم ٧ .

عصمك منهم، ويقال: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًا﴾ في شعاب مكة وأنت صغير[١]، ﴿فَهَدَى﴾ لما رآك أبو جهل منصرفًا فردك إلى جدك عبد المطلب.

ويقال: إنّ حليمة السعدية ـ رضي الله عنها ـ لما قضت مدة رضاعه صلى الله عليه وسلم، جاءت به لترده إلى جده، سمع أهل مكة عند باب الكعبة هاتفًا يقول: هنيئًا لك يا بطحاء مكة، اليوم يُرد إليك زين الخليقة محمد ﷺ، صاحب البهاء والجمال. فوضعته حليمة ـ رضي الله عنها ـ لتصلح ثيابها، فسمعت هدّة[٢] عظيمة، فالتفتت، فلم تجده ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فقالت: يا معشر النّاس، أين الصبي؟ فقالوا: لم نراه، فصاحت: وا محمداه، فقال لها شيخ متوكيء على عصا: إذهبي إلى الصنم الأعظم ـ يعني به هُبل ـ إن شاء أن يرده عليك فَعَل، فطاف الشيخ بالصنم، وتضرع له، وقال له: لم تزل منّتُكَ على قريش، وهذه السعدية تزعم أنّ ابنها محمداً ضلّ، فرُدّه إن شئت، فانكب هُبلُ على وجهه، وتساقطت الأصنام من حوله، وقالوا جميعًا، بإنطاق الله تعالى إياهم: لا تقل هذا أيها الشيخ، فإن هلاكنا على يدي محمد ﷺ، فارتعد الشّيخ وألقى عصاه وقال: يا حليمة، إن لابنك ربًا لا يُضيعه، فأطلبيه منه، فاجتمعت قريش على عبد المطلب، وطلبوه في جميع مكة، فلم يجدوه، فطاف عبدُ المطلب بالكعبة سبعًا، وتضرع إلى الله تعالى أن يرده، وجعل يقول: [الرجز]

يـاربِّ رُدَّ ولـدي مـحـمـدا ... فـاردُده واتّـخـذ عـنـدي يـدا

يارب إنْ مـحـمـد لـم يـوجـدا ... فـشمل قومي كـلـهـم تـبددا

فسمع منادٍ من السماء: معاشر النّاس، لاتضجُّوا، إن لمحمد ربًا لا يخذله، ولا يُضيعه، وإنه بوادٍ ي تهامة عند شجرة السَّمُر، فسار إليه عبد المطّلب وورقة بن نوفل

---

(١) القول عن ابن عباس، ذكره القرطبي في التفسير: سورة الضحى الآية رقم ٧.

(٢) الهُدة: صوت شديد تسمعه من سقوط ركن أو حائط أو ناحية جبل. لسان العرب(مادة: هدد).

فإذا هو تحت شجرة يلعب بالأغصان والورق ، فجاء به سالمًا ، وإلى هذا يشير تعالى بقوله : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى﴾[1] .

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً﴾ أي فقيراً .

﴿فَأَغْنَى﴾ بمال خديجة الكبرى رضي الله عنها ، ثم بالغنائم[2] ، ويقال : عائلاً ، أي ذا عيال ، فأغنى : بأن كفاك مؤنتهم ، ويقال : فأغنى بالقرآن /[١٦٥و] والعلم والحكمة ، ويقال : فأغنى بأصحابك وأنصارك وأعوانك[3] .

ويقال سأل النبي ﷺ ربه ، فقال : يارب ، أتيت سليمان بن داود ملكًا عظيمًا ، وأتيت فلانًا كذا ، وفلانًا كذا ، فأوحى إليه : يا محمد ، ألم أجدك يتيمًا فأويتك ، قال : بلى يارب ، قال : ألم أجدك ضالاً فهديتك ، ألم أجدك عائلاً فأغنيتك ، قال : بلى يارب[4] .

يقال إن حاتم الأصم[5] ـ قدس سره العزيز ـ كان من كبار المشايخ ، وكان ذا عيال فقيراً ، قصد الحجّ ، فقال لعياله : هل تأذنون لي أن أحجّ؟ ، فقالت زوجته : ألا تنظر إلى حالنا ، فكيف تتركنا؟ فالتفتت إليهم ابنته الصغيرة ، فقالت : دعوه ، فإن رزقنا على خالقنا ، فسكتوا ، ثم قالوا : إذهب أين شئت ، فأحرم من بيته ، وخرج تلك الليلة .

فلمّا أصبحوا ، جعلوا يلومون تلك البنية ، وأذوها بالكلام ، فرفعت طرفها إلى

---

(١) انظر الحكاية عن كعب بن مالك في تفسير القرطبي : سورة الضحى تفسير الآية رقم ٧ .

(٢) انظر تفسير القرطبي : سورة الضحى ، الآية رقم ٨ .

(٣) أورد الرازي جميع الأقوال في تفسيره : سورة الضحى ، الآية رقم ٨ .

(٤) الحديث عن ابن عباس أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٤٥٥ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب علامات النبوة ، باب عظم قدره ﷺ) ٨/ ٢٥٣ـ ٢٥٤ .

(٥) هو حاتم بن عنوان بن يوسف الأصم ، البلخيّ ، أبو عبد الرحمن ، من قدماء خراسان ، من أهل بلخ ، صحب شقيق بن إبراهيم البلخي ، أسند الحديث . مات سنة ٢٣٧هـ . انظر عنه : طبقات الصوفية للسلمي ، ص٩١ـ ٩٧ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٨/ ٧٣ـ ٨٣ ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ١١/ ٤٨٤ـ ٤٨٧ .

السماء ، وقالت : يارب ، إني أتكلتهم على كرمك ، فلا تخجلني فيهم .

فخرج الملك ذلك اليوم إلى الصيد ، فأصابه العطش وهو راجع ، فاجتاز بمن معه على بيت حاتم الأصم ، فقال لبعض خدمه : اطلب لنا ماء من هذا البيت ، فطرق الباب وقال : إن الملك على بابكم عطشان ، أخرجوا له شيئًا من الماء ، ولم يكن عندهم شيء من الماء ، فقالت المرأة : إلهي أبقيتنا جياعًا ، وأوقفت الملك على بابنا ، فنظرت إلى الشربة فإذا فيها ماء وثلج ، فأخرجت ذلك له ، فاستطاب ذلك المشروب الملك ، والتفت إلى وزيره وقال : لمن هذا البيت؟ قال : لرجلٍ من الصّالحين ، يقال له حاتم الأصم ، وإني سمعت أنه خرج البارحة إلى الحجّ ، وترك عياله جياعًا ، فقال الملك : إنا ثقلنا عليهم ، وليس بمروءة أن نذهب ونتركهم بدون شيء ، فحلَّ منطقته[1] ، وكانت من الذهب ، فألقاها لهم ، والتفت إلى القوم ، وقال : من أحبني فليفعل كما فعلت ، وكانوا أربعة الآف بمنطق ، كل واحدٍ منهم بمنطقه من ذهب ، فألقوا مناطقهم ، فلمّا رأت الصغيرة ذلك بكت ، فقالت أمّها : ما يبكيك وقد فرّج الحق عنا ، وكشف فقرنا؟ فقالت : يا أماه ، إذا حصل لنا الغنى بنظرة مخلوق ، فكيف إذا نظر إلينا الخالق ، كيف يكون حالنا؟[2] .

وتعداد هذه الإنعامات منه تعالى بقوله لنبيه : ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ ليس من باب المنّ ، وإنما ليقوي قلب نبيه ، وليعده بدوام نعمته ، بدلالة : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ، وقد يقال : المنّ من المخلوق مذموم لا من الخالق ، والله أعلم . فكأنه تعالى يقول : يا محمد ، لا تقطع رجائك مني ، فكما فعلت بك ذلك في حالة الصّغر ، فلا أُضيعك في حالة الكبر ، لابد وأن

---

(١) المنْطَقُ ، والمنْطقة ، والنطاق : كل ما شدَّ به وسطه . لسان العرب(مادة : نطق) .

(٢) انظر الحكاية في المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي(باب في التوكل على الله والرضا بما قسم . . . ، الفصل الأول في التوكل على الله) ١/ ١٢٠ـ ١٢١ .

أتم نعمتي عليك . ثم أوصاه تعالى باليتامى والمساكين والفقراء ، وبإظهار النعمة ، فقال : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْوَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ .

/ [١٦٥ظ] ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾: لا تُحقِّر ، ويقال : لاتقهر : لا تأخذ شيئًا من ماله بغير حق ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾[1] وقُرِيء : ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَكْهَرْ﴾[2] : لا تعبس في وجهه ، فإن ذلك يوحشه ويكسر خاطره ، قيل : المحتقر لليتيم ، والمنتهر للفقير من الجبارين المتكبرين .

جاء يتيم إلى النبي ﷺ ، فقال : أطعمني يارسول الله مما أطعمك الله ، فنادى بلالاً : أئتنا يا بلال بما كان عندنا ، فجاء بلال بواحدة وعشرين ، فقال ﷺ : من لك؟ ، قال : أخت يتيمة ، وأم أرملة ، قال : إذن سبعة لك وسبعة لأختك ، وسبعة لأمك . فقام معاذ ، ومسح رأسه ودعى له ، فقال : جبر الله يُتمك ، وجعلك خلفًا لأبيك ، وكان من أولاد المهاجرين ، فقال ﷺ : يا معاذ ، رأيت ما صنعت بهذا اليتيم؟ قال : رحمته يا رسول الله ، فعند ذلك قال ﷺ : لا يلي أحد منكم على يتيم ، فيُحسن ولايته ، ويضع يده على رأسه ؛ إلا كتب الله له بكل شعرة حسنة ، ومحى عنه بكل شعرة سيئة ، ورفع له بكل شعرة درجة[3] .

ويهتز العرش لبكاء اليتيم ، فيقول تعالى : يا ملائكتي ، من أبكى هذا اليتيم الذي غيبت أباه في التراب؟ فيقولون : أنت [أعلم] يا ربنا ، فيقول تعالى : اشهدوا

(١) الآية رقم ١٠ ، من سورة النساء .

(٢) تكهر : قراءة ابن مسعود ، وإبراهيم النّخعي ، والشعبي . انظر : معجم القراءات القرآنية (سورة الضحى) ٥/ ٤٢٣ . وكهره : استقبله بوجه عابس وانتهره تهاونًا .لسان العرب(مادة : كهر) .

(٣) الحديث عن عبد الله بن أبي أوفى ـ بألفاظ أطول ـ أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(باب في رحم الصغير وتوقير الكبير) ٧/ ٤٧٣ـ ٤٧٤ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الأيتام والأرامل والمساكين) ٨/ ١٦١ـ ١٦٢ ، والبزار في مسنده ٨/ ٣٠١ـ ٣٠٢ .

عليَّ أن من أسكته وأرضاه ، أُرضيه يوم القيامة . وكان ابن عمر - رضي الله عنهما - لا يرى يتيمًا ؛ إلا مسح برأسه وأحسن إليه(١) .

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ : فلا تهن ، ولا تعبس في وجهه ، ولا تَنْفرُ(٢) عنه عند سؤاله ، وردُّه ولو بكلمة طيبة ، فإن لم يرجع السائل ، للمسئول أن يزجره بعد الثالثة .

عن ابن أدهم قدس العزيز سره في مدح السُّؤال : نعم القوم السُّؤَالُ يحملون زادنا إلى الآخرة(٣) .

وقال إبراهيم النخعي(٤) : يجيء السائل على باب أحدكم فيقول : هل توجهون إلى أهليكم شيئًا . أي الأموات ، فإنهم دائمًا ينتظرون الصدقات ، يستمطرون الحسنات ممن أكل أموالهم ، واستخدم أولادهم ، وتحلل عيالهم .

فما بالك بمن يقول : لا رحم الله فلانًا ؛ طالما جمع هذا المال ولم ينتفع به ، ويستخدم اليتيم . ومع هذا يقول : لارحم الله والدك ، نطفة خبيثة من رجل خبيث ، أو نطفة خمر .

وقد أُمرنا بعدم سب الأموات(٥) ، كيف وقد قال تعالى : ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٦) .

وكذلك من أخذ زوجته [أي الأرملة](٧) : لارحم الله زوجك طالما كان يتعاطى

(١) انظر تفسير القرطبي : سورة الضحى ، الآية رقم٩ .
(٢) نَفَر : إذا فر وذهب . لسان العرب (مادة : نفر) .
(٣) الأثر عن إبراهيم بن أدهم ذكره القرطبي في التفسير : سورة الضحى ، الآية رقم ٩ .
(٤) في الأصل : ثم قال ، والمثبت من تفسيرالقرطبي : سورة الضحى ، الآية رقم ٩ .
(٥) مصداق ذلك ما ورد عن عائشة أم المؤمنين أن النبي ﷺ ، قال : لا تَسبوا الأموات ، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدَّموا . أخرجه أحمد في المسند ٤٢/ ٢٩٦ .
(٦) الآية ١٣٤ من سورة البقرة .
(٧) إضافة لتوضيح المعنى .

الحرام ، والغالب الآن أن المرأة تعيّره بزوجها الأول ، فيأخذ في سبه ، فيأثمان معًا .

يقال إن امرأة علوية[١] كانت ببلخ[٢] ، فلما أصابتها الفاقة خرجت ببناتها إلى سمرقند[٣] خوفًا من شماتة الأعداء ، فلما جاءت سمرقند دخلت مسجداً خربًا مع بناتها ، وخرجت تحتال لهن في القوت ، فمرت بجمعين : جمع على مسلم ، وجمع على مجوسي ، المسلم شيخ البلد ، والمجوسي ضامن البلد ، فأتت المسلم ، وشرحت له حالها ، وقالت له : إني امرأة علوية ، فقال لها : ومن أين نعلم أنك علوية؟ أقيمي لي البينة ، فقالت : ليس هنا من يعرفني ، فأعرض/ [١٦٦و] عنها ، فجاءت المجوسي وأخبرته بخبرها وبما جرى لها مع المُسلم ، فأرسل معها امرأة من أهله جاءت ببناتها ، وأضافهن إلى داره ، وألبسهن أحسن الحلل ، وأطعمهن من أطيب الطعام .

فرأى المسلم تلك الليلة كأن القيامة قد قامت ، وعُقد اللواء على رأس النبيّ ﷺ وإذا بقصر من الزمرد الأخضر ، فقال : يارسول الله ، لمن هذا القصر؟ قال : لرجلٍ مسلم موحد ، قال : يارسول الله ، أنا مسلم موحد ، قال : أقم لي بينة على أنك مسلم موحد ، فصار الرَّجل متحيراً ، فقال ﷺ ـ : لما قصدتك العلوية طلبت منها البينة على علويتها ، فأنت أقم لي البينة على أنك مسلم ، فانتبه متحيراً ، فطاف البلدة على تلك المرأة ، فوجدها عند المجوسي ، فقال له : أريدها منك ، قال : لا يمكن ذلك ، قال : أعطيك ألف دينار ، قال : لا يمكنني ذلك ، كيف وقد حلّت عليّ

---

(١) أي من نسل علي بن أبي طالب .

(٢) بلخ : هي بلد من بلاد خراسان ، فتحها الأحنف بن قيس التيمي ، زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه . خرج منها عالم لا يُحصى من الأئمة والعلماء والصلحاء . وهي في شمال ما يُعرف الآن بأفغانستان ، وتُعد من أهم المدن التاريخية في أفغانستان ، وأكثرها خيراً وأوسعها علة . انظر : معجم البلدان لياقوت ١/ ٧٣ ، و اللباب لابن الأثير المتوفي ٦٣٠هـ ١/ ١٧٢ .

(٣) سمر قند : مدينة عريقة ، تقع في القارة الأسيوية وتحديداً في آسيا الوسطى . وهى بلدة مشهورة بخراسان . ويُنسب إليها جماعة من العلماء ويقال لها بالعربية سُمران ، وقيل إنها من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر . انظر : معجم البلدان لياقوت ٣/ ١٣٣ .

بركاتهم ، فألح عليه ، فقال له المجوسي : أنا أحق منك بما رأيته ، فإن القصر لي ، اتفتخر عليَّ بأسلافك؟ فوالله ما نمت البارحة أنا ومن في داري حتى أسلمنا على يد العلوية ، ورأيت مثل نيامك ، وقال لي النبي ﷺ :ياهذا ، العلوية عندك مع بناتها ، قلتُ : نعم يارسول الله ، فقال : القصر لك ولأهل دارك ، وأنت وأهل دارك من أهل الجنة ، خلقك الله مؤمنًا ، فقلتُ : يارسول الله ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فانصرف [أي المسلم] وعليه من الخزي والكآبة مالايعلمه إلا الله(١) .

فإياك يا أخي وكسر خاطر الفقراء والمساكين ، فإن منهم علوي ، ومنهم من يكون من ذوي البيوت غادره الزّمان .

فقد كان الحسن بن علي ـ رضي الله عنهما ـ إذا أتاه فقير تَلَقَّاهُ بالبشاشة الوافرة ، وقال له : مرحبًا بحامل زادي إلى الآخرة(٢) ، فعن أبي هريرة : قال : قال ـ ﷺ ـ : لا يمنعن أحدكم السّائل ولو رأى في يديه قُلْبَين من ذهب(٣) .

وفي رواية : ردُّوا السائل ببذلٍ يسير ، أو ردٍّ جميل ، فإنه يأتيكم من ليس من الجن ولا من الإنس ، ينظر كيف صنعتم فيما خولكم(٤) الله .

وعُلم منه أنه يحمل حال السائل على الحال ، وأن ما في يديه مشغول بحاجته ، وأنه أحوج إلى قدر زائد على ذلك ، ولا يُعنِّف بما في يده أو بصحته ، فإن بعضهم يقول : ألا تشتغل فاعلاً ، ولا يحمله على العذر .

---

(١) انظر الحكاية في كتاب التوابين لابن قدامة المقدسي ، تحقيق خالد عبد اللطيف (توبة مجوسي وإسلامه وأهلِ داره) ، ص ٣٠٠ـ ٣٠١ .
(٢) الأثر عن علي بن الحُسين ، ذكره ابن الجوزي في المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (ترجمة عليٍّ بن الحسين) ٦/ ٣٢٨ .
(٣) الحديث عن أبي هريرة ذكره القرطبي في تفسير سورة الضحى ، الآيات من ٩ـ١١ .
(٤) الحديث غير مسند ، ذكره القرطبي في تفسير سورة الضحى ، الموضع السابق .

ويقال في قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ طالب العلم ، فيجب إسعافه وإكرامه ، ويلزم على المؤمنين احترامه .

وكان أبو الدرداء يبسط ردائه لأصحاب الحديث ، ويقول : مرحبًا بأحبة رسول الله(١) .

وقال أبو هارون العبدي : كنا إذا أتينا [أبا سعيد] الخدري ، يقول : مرحبًا بوصية رسول الله ، فقد قال ـ صلى الله عليه وسلّم ـ : إن الناس لكم تبعٌ ، وإن رجالًا يأتونكم من أقطار الأرض يتفقهون[في الدين] ، فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً(٢) .

يقال إن عمر ﵁ ، رأى شابًا يبكي ، فرحمه وأتى به النبي ﷺ ، فسأله رسول الله عن ذنبه ، فقال : عظيم ، فقال له : أعظم من الجبال ، أم من السماوات ، أم من الأرض ، أم من البحار؟ قال : أعظم ، قال : فما هو؟ قال : يارسول الله ، كنتُ نبّاش القبور ، فنبشتُ قبر بنت من بنات الأنصار ، وغرّني الشيطان ، فواقعتُها ، وأخذت كفنها ، فمضيتُ غير بعيد ، إذ قامت البنت ، وقالت لي : أما تستحي من ديان يوم الدّين ، يوم يضع كرسيه للقضاء ، ويأخذ للمظلوم من الظالم ، تركتني عريانة /[١٦٦ظ] في عسكر الموتى ، وأوقفتني جُنبًا بين يدي الله تعالى ، فوثب النبي ﷺ ، وقال : أخرج عني فما أحوجك إلى النّار ، فمضى الشّاب تأدبًا ، وتاب وهام في القفار أربعين نهاراً ، ثم رفع رأسه وقال : إله العالمين ، أكرم الأكرمين ، أرحم الراحمين ، إن كنت غفرتَ لي فأخبر نبيك محمداً وأصحابه ، وإلا فأرسل عليَّ نار من السّماء ، فأحرقني بها ، ونجني من عذاب الآخرة . فنزل جبريل على النبي ﷺ ، وقال : يا محمد ، السلام يقرئك السلام ، ويقول لك : أنت خلقت الخلق أمّ أنا؟

(١) انظر تفسير القرطبي سورة الضحى ، الموضع السابق .

(٢) الحديث عن أبي سعيد الخدري ، أخرجه الترمذي(كتاب العلم ، باب ما جاء في الاستيصاء بمن يطلب العلم) قال أبو عيسى : هذا الحديث لا نعرفه إلا من حديث أبي هارون عن أبي سعيد ٥/ ٣٠ ، وابن ماجه (المقدمة ، باب الوصاة بطلبة العلم) ١/ ١٠٤ .

فقال : يا أخي هو خلقهم ، قال : أنت الذي ترزقهم أم أنا؟ ، قال : هو ، قال : أنت الذي تتوب عليهم أم أنا؟ قال : هو ، قال : يقول لك أعف عن عبدي فلان ، فأني قبلت توبته ، فأرسل النبي ﷺ خلف الشّاب ، وعاهده على التّوبة ، وأخذ بخاطره لأنه سائل ، والله يأمر بعدم انتهار السّائل[١] .

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ أي النّبوة والقرآن ، ﴿فَحَدِّثْ﴾ : فخبّر ، عن أبي هريرة ، قال : قال ـ ﷺ ـ : الطّاعِمُ الشّاكِرُ بمنزلة الصّائِم الصّابِر[٢] .

فالتّحدث بالنّعم شكر ، لكن بشرط أن لا يتألم به الفقراء بأن رُزق شيئًا فاخرًا ، وأكل شيئًا طيبًا . وقال ـ ﷺ ـ : من أُعطي خيراً فلم يُر عليه ، سُمّي بغيض الله ، معاديًا لنعم الله[٣] .

قال ـ ﷺ ـ : إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ النِّعْمَةِ على عَبْدِه[٤] .

(١) انظر الحكاية في تنبيه الغافلين للسمر قندي(باب التوبة) ص٧٩ـ٨٠ .

(٢) عنون البخاري بقوله (باب الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر) فيه : عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ ٥/ ٢٠٧٩ ، ولم يذكر الحديث ، والحديث عن أبي هريرة أخرجه الترمذي(كتاب صفة القيامة . . . ، باب منه) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ٤/ ٥٦٣ ، وابن ماجه (كتاب الصيام ، باب فيمن قال : الطاعم الشاكر) ٢/ ٥٦٠ ؛ والدارمي (كتاب الأطعمة ، باب في الشكر على الطعام) ص ٦٣٠ ؛ وأحمد في مسنده ١٣/ ٢١٣ـ ٢١٤ .

(٣) الحديث عن عبد الله المزني ذكره القرطبي في التفسير ، سورة الضحى ، الآيات من (٩ـ١١) ، وابن أبي الدنيا في كتاب الشكر (باب من أُعطيَ خيراً فرؤي عليه) ١/ ٤٨٣ .

(٤) الحديث عن أبي سعيد الخدري أخرجه أبو يعلى في مسنده ٢/ ٩١ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في الملابس والأواني ، فصل فيمن لبس ليرى أثر نعمة الله عليه) ٥/ ١٦٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب اللباس ، باب إظهار النعم واللباس الحسن) ٥/ ١٣٢ .

فصل

في قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ﴾[١] .

فسماء الدُّنيا : موج مكفوف[٢] ، والثانية : مرمرة[٣] بيضاء ، والثالثة : حديد ، والرَّابعة : نحاس أصفر ، والخامسة : فضة ، والسادسة : ذهب ، والسابعة : ياقوتة حمراء[٤] .

وليس في السماوات السَّبع إعوجاج ولا تشقق ، وبين السماء السابعة إلى الحجب صحارى من نور .

يروى أن رسول الله ﷺ ، بكى ليلة من الليالي ، فلمّا أذَّن بلال للصبح ، قال : يَا رَسُولَ الله ، أتبْكِي وَقَدْ غَفرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبكَ وَمَا تَأخَّرَ؟ قَالَ : يابلال ، أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً ؛ وكيف لا أبكي ؛ وقد أنزل الله تعالى في هذه الليلة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآَيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾[٥] ، يا بلال ، ويلٌ لمن قرأها ولم يتفكّر فيها[٦] .

وخلق الأرضين ، وبسطها وأطبق بعضها فوق بعض ، وخلق أرضنا ، ووسعها وجعل فيها الأشجار ، والأنهار ، والبحار ، والجبال ، والجواهر ، والنبات ، كل ذلك

---

(١) الآية رقم ٨٥ ، و٨٦ من سورة الحجر ، وسيبدأ المؤلف في تفسيرها .

(٢) المكفوف : الضرير . لسان العرب (مادة : كفف) .

(٣) المَرْمَرُ : الرخام ، وهو نوع من الرخام صلب . لسان العرب (مادة : مرر) .

(٤) القول عن الربيع بن أنس ذكره الطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ٣٠٧ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الأدب ، باب عجائب المخلوقات) ٨/ ١٣١ـ ١٣٢ .

(٥) الآية رقم ١٩٠ من سورة آل عمران .

(٦) جزء من حديث عن عطاء رحمه الله ، أخرجه ابن حبان في الصحيح (كتاب الرقاق ، باب ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم التوبة في جميع أسبابه) ٢/ ٨ـ ٩ .

ليدلنا على وحدانيته وبديع قدرته، وليظهر المطيع من غيره، فيجازي المُحسن بإحسانه، والمُسيء بإساءته.

وقوله تعالى آخر الآية ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ منسوخة بآية القتال[1]، قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[2] أو فاصفح عمن ظلمك، واعط من حرمك.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾، وفي آية ﴿لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً﴾[3]، فجأة، والرَّاعي يرعى ماشيته، والزَّارع يُصْلح أرضه، وصاحب الحوض يُصْلح حوضه، والبائع يضع ميزانه ويرفعه، والمرأة تعجن عجينها ولا تخبزه، وتُدخل العجين إلى التنور ولا تخبزه، والحائك ينسج الثوب، والتَّاجر يفتح ثوبه لا يكاد يطويه، والآكل لايكاد أن يسيغ /[١٦٧و] اللقمة، ويُرفع الحياء، وتقل العقول، ولا يُعرف المعروف، ولا يُنكر المُنكر، يمر الرَّجل بوالدته أو أخته أو محرمه ولا يعترضها.

[فصل: أشراط الساعة]

ومن أشراطها: كثرة الحلف بالطّلاق، وكثرة الحلف بالأيمانات الفاجرة، ويُقدم الفاجر، ويُؤخر المُنصف، وتبقى المشورة للنبساء والإماء، وتصير الصّلاة منّا، والزَّكاة مغرمًا، والأمانة مغنمًا، وتُولي المناصب غير أهلها. في الحديث قال ـ ﷺ ـ لمن سأله متى السَّاعة؟ قال: إذا ضُيعت الأمانة فانتظر السَّاعة، قال: وكيف إضاعتها يارسول الله ﷺ قال: إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر السَّاعة[4].

(١) انظر الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم للقاضي محمد بن عبد الله بن العربي المعافري المالكي المتوفي سنة ٥٤٣هـ. (سورة الحجر)، ص ١٥٧.

(٢) جزء من الآية رقم ١٩١، من سورة البقرة.

(٣) جزء من الآية رقم ١٨٧، من سورة الأعراف.

(٤) الحديث ـ بألفاظ أطول ـ عن أبي هريرة أخرجه البخاري(كتاب العلم، باب فضل العلم) ١/ ٣٣، وأحمد في مسنده ١٤/ ٣٤٤، وابن حبان في الصحيح(كتاب العلم، باب ذكر الخبر الدال على إباحة إعفاء المسئول عن العلم) ١/ ١٥٨.

خرّج الترمذي من حديث حسن عن أبي هريرة ، قال : قال صلى الله عليه وسلم : بادروا بالأعمال سبعًا ، هل تنظرون إلا فقرًا منسيًا ، أو غني مطغيًا ، أو مرضًا مفسدًا مقندًا ، أو هرمًا مفندًا[١] مقعدًا ، أو موتًا مجهزًا ، أو الدّجال ، فشر غائب يُنتظر ، أو السّاعة ، فالسّاعة أدهى وأمرّ[٢] .

مقندًا بالقاف : مهزلاً ، مفندًا : مخرفًا بالفاء ، مُطغيًا : أي مُضلًا .

والنبي ﷺ من أشراطها[٣] ، قال ـ ﷺ ـ : بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ . وجمع السَّبَّابَةِ مع الْوُسْطَى[٤] .

وقال ـ ﷺ ـ للمشركين : لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ وَبُعِثْتُ بِالْحَصَادِ وَلَمْ أُبْعَثْ بِالزِّرَاعَةِ[٥] ، ولذا قيل في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ : أي فينتقم الله لك فيها ممن كذّبك .

ومن أشراطها : انشقاق القمر لنبيه ﷺ ، قال تعالى : ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[٦] .

خرّج البغوي في المصابيح عن أنس ، قال : قال ـ ﷺ ـ : «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ ، وَيَكْثُرَ الزِنَا ، وَيَكْثُرَ شُرْبُ الْخَمْرِ ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ ، وَيَكْثُرَ

---

(١) المُفَنَّد : الضعيف الجسم والرأي معًا . لسان العرب (مادة : فند) .

(٢) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الترمذي(كتاب الزهد ، باب ما جاء في المبادرة بالعمل) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ٤/ ٤٧٨ـ ٤٧٩ ، والبيهقي في شعب الإيمان(باب في الزهد وقصر الأمل) ٧/ ٣٥٧ .

(٣) أي وظهور النبي ﷺ ، وبعثه من أشراط الساعة .

(٤) الحديث عن سهل بن سعد أخرجه البخاري (كتاب التفسير ، باب تفسير سورة وَالنَّازِعَاتِ) ٤/ ١٨٨١ـ ١٨٨٢ ، ومسلم (كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب قرب الساعة) ١٨/ ٨٤ـ ٨٥ .

(٥) الحديث غير مسند ذكره القرطبي في التفسير ، سورة الحجر الآية رقم ٨٦ .

(٦) الآية رقم ١ ، من سورة القمر .

النِّسَاءُ ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ»[(١)] .

أي القائم بمصالحهن ، لا أن يكون زوجًا لهن ، بل بعضهن زوجاته ، والباقي أمهاته ، وأخواته ، وجواريه ، ومحارمه ، وخدمه . وفي رواية : يقل العلم .

وأشد الزِّنا أن يُطلّق الرجل زوجته ، ويقيم معها بالحرام ، ولا يقر بذلك مخافة الفضيحة ، فكيف هو بالفضيحة في الآخرة يوم تقوم الأشهاد بين يدي القاضي بين العباد ، فمابالك بمن يطلّق زوجته ثلاثًا ، ويراجعها له من لا يؤمن بالله واليوم الآخر .

وكل مكان ظهر فيه الزِّنا ابتلى أهله بالطاعون . عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال : إنما يهرق الدماء إذا ضُيع حكم الله ، فينتقم الله لبعضهم من بعض ، وإنما يقل المطر والماء لمنع الزكاة ، وإنما ينزل الطاعون بالقوم إذا فشا فيهم الزِّنا[(٢)] .

فتوبوا عباد الله ، ولا تغتروا بحياتكم وصحكتم ، فإن الدُّنيا زائلة ، وأبدانكم ضعيفة ، والمسافة بعيدة ، والسَّفر طويل ، والحمل ثقيل ، والمُنادي إسرافيل ، و النار لظى ، والحاكم رب العالمين ، فارحموا أنفسكم ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[(٣)] أنه ﴿عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾[(٤)] .

خرَّج البزار عن النبي ﷺ ، أنه قال : إن السَّماوات السَّبع وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ وَالْجِبَالَ لَيَلْعَنَّ [الشَّيخ] الزَّانِيَ ، وَإِن فُرُوجَ الزُّنَاةِ لَتُؤْذِي أَهْلَ النَّارِ بِنَتَنِ رِيحِهَا[(٥)] .

---

(١) الحديث عن أنس أخرجه البخاري(كتاب العلم ، باب رفع العلم وظهور الجهل) ١/ ٤٣ ، ومسلم(كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضه . . .) ١٦/ ٢٢٨ ، والبغوي في المصابيح(كتاب الفتن ، باب أشراط الساعة) ٢/ ١٩٢ . والرواية الأخرى في صحيح البخاري(الموضع السابق) ، والبغوي(الموضع السابق) .

(٢) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من كتب .

(٣) جزء من الآية رقم ٢٨ ، سورة آل عمران .

(٤) جزء من الآية رقم ٤ ، سورة آل عمران .

(٥) الحديث موقوفًا على بريدة أخرجه البزار في مسنده ١٠/ ٣١٠ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الحدود والديات ، باب ذم الزنا) ٦/ ٢٥٥ .

إخواني، زنا الشَّيخ أقبح من زنا الشَّاب، وزنا الحُرّ أقبح من زنا الرقيق، وزنا العالم أقبح من زنا الجاهل، وزنا الثَّيب أقبح من زنا البكر.

ومن الزِّنا أن يطأ الرجل أمتَهُ المُشتركة بينه وبين شريكه، أو يشتركا عليها، ويظن كل منهما أنها تحل له بملك اليمين، وفي الحديث قال ـ ﷺ ـ: أَرْبَعَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى: الْبَيَّاعُ الْحَلَّافُ، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالشَّيْخُ الزَّانِي، وَالإِمَامُ الْجَائِرُ[1].

واللواط والسِّحاق أشد من الزِّنا، وأقبح اللواطِ اللواط بمملوكه، فمن ظن أنه يحل له بملك اليمين فقد كفر، فإن الآية واردة في السَّراري[2].

وأقبح اللواط أن يأتي زوجته من دبرها. / [١٦٧ظ] قال ﷺ: ثَلاثَةٌ لا تُقْبَلُ منهم شَهَادَةُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ: الرَّاكِبُ وَالْمَرْكُوبُ، وَالرَّاكِبَةُ وَالْمَرْكُوبَةُ، وَالإِمَامُ الْجائِرُ[3]. عُدّوا ثلاثة باعتبار التقسيم، وإلا فهم خمسة.

يقال: مرَّ عيسى على نار تشتعل برجل، فرشَّها بالماء، فانقلبت صبيًا أمرد، وانقلب الرَّجل ناراً يحترق بها الصبيّ، فعجب من ذلك، فطلب من الله أن يحييهما فأحياهما، فسأل الرَّجل، فقال: ما الذي أحلّه الله بكما؟، قال: ياروح الله، كنت أحبه، فأمطت[4] به، فلما متنا سلّطه الله علي، وسلطني عليه، تارة ينقلب ناراً

---

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه النسائي(كتاب الزكاة، باب الفقير المختال)، ص ٤٠١ـ ٤٠٢، والبيهقي في شعب الإيما ن(باب في حفظ اللسان) ٤/ ٢٢١، وابن حبان في الصحيح (كتاب الحظر والإباحة، باب ذكر وصف أقوام يبغضهم الله جل وعلا...) ٧/ ٤٣٤.

(٢) لعله يقصد قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]. والسُّرِّيَّة: الجارية المتخذة للملك والجماع. لسان العرب (مادة: سرر).

(٣) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الطراني في المعجم الأوسط ٤/ ٩١، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الحدود والديات، باب ما جاء في اللواط) ٦/ ٢٧٣.

(٤) أمطتُ به: جعلته مطيتي، والمطية هي: الناقة التي يُركب مطاها أي ظهرها. لسان العرب (مادة: مطا).

فيحرقني ، وتارة أنقلب ناراً فأحرقه[(١)] .

وأما الخمر ، فإنه حرام ، قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾[(٢)] .

وخرَّج أبو داود ، عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال : قال ـ ﷺ ـ : لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ ، وَشَارِبَهَا ، وَسَاقِيَهَا ، ومُبْتَاعَهَا ، وَبَائِعَهَا ، وَعَاصِرَهَا ، وَمُعْتَصِرَهَا ، وَحَامِلَهَا ، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ . وزاد ابن ماجه : وآكِلَ ثَمَنِهَا[(٣)] .

ومن ذلك بيع العنب لمن يتخذه خمراً ، المُسمى في عرفنا بالكرت ، والحشيشة حرام كالخمر .

ومن أمارات السَّاعة : قطيعة الأرحام ، واستطالة حفظة القرآن على الأنام ، وتقارب الزَّمان .

عن أبي هريرة ، قال : قال ـ ﷺ ـ : إن من أشراط الساعة أن يَتَقَارَبُ الزَّمَانُ ، حتى تكون السَّنة كالشهر ، والشَّهر كالأسبوع ، والأسبوع كاليوم ، واليوم كالسَّاعة ـ أي عدم البركة في الأزمنة كالأمكنة ـ وَيَنْقُصُ الْعِلْمُ ، وَتَظْهَرُ الْفِتَنُ ، وَيُلْقَى الشُّحُّ ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ . قيل : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا الْهَرْجُ؟ قَالَ : الْقَتْلُ[(٤)] .

---

(١) انظر الحكاية في نزهة المجالس للصفوري (باب حفظ الأمانة وترك الخيانة) ٢/ ٨ .

(٢) جزء من الآية رقم ٢١٩ من سورة البقرة .

(٣) الحديث عن ابن عمر ، أخرجه أبو داود (كتاب الأشربة ، باب العنب يُعصر للخمر) ٤/ ٥٥ ؛ وأحمد في المُسند ٨/ ٤٠٥ . والحديث مع اختلاف في ترتيب الكلام أخرجه ابن ماجه(كتاب الأشربة ، باب لُعنت الخمر على عشرة أوجه) ٤/ ٤٣٨ .

(٤) جمع المؤلف بين حديثين : الأول : لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر . . . وتكون الساعة كاحتراق السعفة . الحديث عن أبي هريرة ، أخرجه أحمد في المُسند ١٦/ ٥٥٠ ، وأبو يعلى في مسنده ٥/ ١٤٦ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الفتن ، باب ثان في أمارات الساعة) ٧/ ٣٣١ .

الحديث الثاني بلفظ : يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن . . .القتل . عن أبي هريرةأخرجه البخاري (كتاب الفتن ، باب ظهور الفتن) ٦/ ٢٥٩٠ ، ومسلم(كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضهُ . . .) ١٦/ ٢٢٩ ، وأبو داود(كتاب الفتن والملاحم ، باب ذكر الفتن ودلائلها) ٤/ ٢٩٣ .

ومِن أشراطها أنها تقل مكاسب الحلال ، وتكثر مكاسب الحرَّام ، ويقل نبات الأرض ، وتغلوا الأسعار ، وتُمنع الزكاة ، وتقل الصَّدقات ، وتمطر السماء برد[١] كبيض النَّعام ، تنخرب به المنازل ، وتُنزع الرَّحمة من القلوب ، ويموت العلماء واحدًا بعد واحد ، فتفنى الأخيار ، ولا يبقى إلا الأشرار ، وينادى مناد من السماء : يا أيها النَّاس أتتكم السَّاعة ، أتتكم السَّاعة ، أتتكم السَّاعة - يقول ذلك ثلاثًا - ، فيصيح إسرافيل ، فلا يبقى من صيحته أحد على وجه الأرض ، فيُنادى الملك القهار : يا شمس انطفي ، يا قمر اختفي ، ويا نجوم انتشري ، وياجبال تقطَّعي ، ويا أشجار تقلَّعي ، وياسماء انطوي ، ويا أرض تبدلي ، وياقبور تشققي ، وياقدرتي إظهري ، من يقدر على هذا غيري ، خلقتها بقولي كُن ، وأذهبتُها بقولي كُن[٢] .

قال تعالى في بعض الصُّحف المُنزلة : يابني آدم ، لم تعصوني ولاتخافوني ، تخافون حرّ الشمس ، ووهج نار الدُّنيا ، وتنسون حرَّ نار جهنم ، ولها سبع طبقات يأكل بعضها بعضًا ، في كل طبقة سبعون واديًا منْ نار ، في كل واد سبعون ألف شعبًا منْ نار ، في كل شعب سبعون ألف دارًا منْ نار ، في كل دار سبعون ألف بيتًا من نار ، في كل بيت سبعون ألف بئرًا من نار ، في كل بئر سبعون ألف تابوتًا من نار ، في كل تابوت سبعون ألف شجرةً من الزقوم ، تحت كل شجرة سبعون ألف قيدًا من نار ، مع كل قيد سبعون ألف سلسلةً من نار ، وسبعون ألف ثعبانًا من نار ، طول كل ثعبان ألف ذراع ، في جوف كل ثعبان بحرٌ من السُّم ، ومع ذلك سبعون ألف عقربًا ، لكل عقرب ألف ذَنَب ، في كل ذَنَب سبعون ألف قفازةً من السُّم ، في كل قفازة سبعون رطلًا من السُّم[٣] .

---

(١) البرد : مطر جامد . لسان العرب(مادة : برد) .

(٢) لم نجد هذا القول فيما بين أيدينا من كتب .

(٣) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب ، ذَنَب كل شيء : آخره ، وجمعه : ذناب . لسان العرب (مادة : ذنب) ، والقفاز : بالضم والتشديد : لباس الكف . لسان العرب (مادة : قفز) .

﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ إِنَّ عَذَابَ /[١٦٨و] رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾(١) .

يا ابن آدم ، ما هذه النيران إلا لكل عاق لوالديه ، وكل بخيل ، وكل نمام ، ومغتاب ، ومرائي ، ومرابي ، ولكل مانع الزكاة ، ولكل زاني ، ولشراب الخمر ، وأكلة أموال اليتامى ظلمًا ، ولكل غدار ، ونائحة ، وجامع للحرام ، ولكل فاجر ، ولكل صاحب لهو ، والمؤذ لجيرانه ، ﴿إِلا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾(٢) .

يابني آدم ، لم أخلقكم عبثًا ، ولا أنا غافل عما تعملون .

يا ابن آدم ، إنما أنت ثلاثة أقسام واحد لي ، وواحد لك ، وواحد بيني وبينك ، فأما الذي هو لي فطاعتي ، وأما الذي هو لك فعطيتي ، وأما الذي بيني وبينك فالدعاء ، فمنك الدعاء ومني الإجابة(٣) .

فاسألني فكل ما تريده عندي ، أنا الجواد ، أنا المقصود ، أنا المعبود ، أنا الرّب الودود ، أنا أرّحم الرّاحمين ، أنا أكرم الأكرمين ، أنا معين الفقراء والمساكين ، أنا أرزق الخلائق أجمعين ، أفعل ما أريد ، المُلك ملكي ، لاشريك لي في مُلكي ، فأعبدني ، ووحدني .

---

(١) الآيات من ١ ـ ٨ من سورة الطور .

(٢) الآية رقم ٧٠ ، سورة الفرقان .

(٣) لفظ الحديث : ابن آدم ، واحدة لي ، وواحدة لك ، وواحدة بيني وبين . . .عن سلمان أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٦/ ٢٥٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الإيمان ، باب منه) ١/ ٥١ ، وابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الزهد ، كلام سلمان) ٧/ ١٣٦ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في الرجاء من الله تعالى) ٢/ ٣٩ .

فصل

في شيء من التَّوبة [وتعريف الكبائر]

قال عزّ وعلى : ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾(١) ، وانعقد الإجماع على وجوب التَّوبة من المعاصي ، والآدمي لا ينفك عن الذنوب ، والذنوب إما كبائر أو صغائر .

خرّج البخاري عن أبي هريرة ، عن النبيّ ﷺ ، أنه قال : اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يارسول الله ، وما هنّ؟ قال : الشّرك بالله ، والسّحر ، وقتل النّفس التي حرَّم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزَّحف ، وقذف المحصنات ، الغافلات ، المؤمنات(٢) .

وأبلغ الإشراك الإرتداد ، قال - ﷺ - : من بدل دينه فاقتلوه(٣) .

ثم الشّرك : إما باطني ؛ وهو النّفاق ، كما أنه كان في زمن النبي ﷺ ، فهو موجود في زماننا أيضًا ، قال تعالى في حقهم : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٤) ، وقال تعالى : ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾(٥) ، وقال تعالى :

---

(١) جزء من الآية رقم (٣١) من سورة النور .

(٢) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب الوصايا ، باب قول الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ سورة النساء :١٠) ٣/ ١٠١٧ ، ومسلم (كتاب الإيمان ، باب بيان الكبائر وأكبرها) ٢/ ٨٥ .

(٣) الحديث عن عكرمة أخرجه البخاري (كتاب الجهاد ، باب لا يعذّب بعذاب الله) ٣/ ١٠٩٨ ، وأبو داود (كتاب الحدود ، باب الحكم فيمن ارتد) ٤/ ٣٣٩ ، والترمذي (كتاب الحدود ، باب ما جاء في المرتد) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٤/ ٤٨ .

(٤) الآيتان ١٤ ، ١٥ من سورة البقرة .

(٥) الآية رقم ١ ، من سورة المنافقون .

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾(١) .

وإمّا ظاهري ؛ وهو أن يدّعي المرء أن مع الله إلهًا آخر ، قال تعالي : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾(٣) .

والسّحر ، وحدّ السّاحر القتل(٤) ، والأصّح أن له حقيقة ، لأن اللعين لبيد بن عاصم اليهودي السّاحر ، سحر النبي ﷺ ، ووضعه في بئر ذي أروان(٥) ، فأوحى الله إليه أن أخرجها من بئر ذي أروان ، فكان كلما أحلت منه عقدة خف عنه - ﷺ - ، فلما تمت العُقد ، كان كأنما مشط من عقال(٦) .

أخرج ابن حبان في صحيحه من حديث ، قال : قال ﷺ : لا يدخل الجنة مدمن خمر ، ولا مؤمن بسحرٍ ، ولا قاطع رحم(٧) .

وقتل النّفس يشمل قتل الغير ، أو قتل نفسه بحديدة أو أفيون ، فإنه من الكبائر ، والمعين على القتل ، والحاضر حال القتل مُشارك في/ [١٦٨ظ] الإثم .

ومن الكبائر تخويف المُسلم بسلاح أو غيره ، خرّج مسلم حديثًا ، قال ﷺ :

---

(١) جزء من الآية رقم ١٤٥ ، من سورة النساء .

(٢) جزء من الآية رقم ١٣ ، من سورة لقمان .

(٣) الآية رقم ٧٢ ، من سورة المائدة .

(٤) لم نجد للساحر حداً في كتب الفقه .

(٥) بئر ذي أروان هي بئر في المدينة في بستان بني زريق . هكذا ذكره النووي في شرح صحيح مسلم ١٤/ ١٨٥ ، وانظر معجم البلدان لياقوت ١/ ١٦٢ .

(٦) انظر حديث عائشة أم المؤمنين عن الساحر لبيد بن عاصم اليهودي وما فعله بالنبي ﷺ ، بألفاظ أطول ، في البخاري (كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده) ٣/ ١٩٢ ، ومسلم (كتاب السلام ، باب السحر) ١٤/ ١٨١ .

(٧) جزء من حديث عن أبي موسى الأشعري أخرجه أحمد في المسند ٣٢/ ٣٣٩- ٣٤٠ ، وابن حبان في صحيحه (فصل في الأشربة ، باب البيان بأن الله عزّ وجل يسقي مدمن الخمر من نهر الغوطة . . .) ٧/ ٣٦٦- ٣٦٧ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الأشربة) قال الذهبي : صحيح ٧/ ٢٥٨٢ .

من أشار لأخيه بحديدة ، فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهي ، وإن كان أخاه لأبيه[(١)].

نقل أئمتنا الحنفية أن الشَّاهر للسلاح على المسلمين يُقتل[(٢)] ، ولعله يطعنه وهو لا يريد طعنه . ومن ترويعه أن يروعه بالنَّظر الخوف ، خرَّج الطبراني ، قال : قال ﷺ : من نظر إلى مسلم نظرة يخيفه بها بغير حق أخافه الله يوم القيامة[(٣)] .

ومما الناس عنه غافلون ، وعُدَّ من الكبائر : ما يقع بين النَّاس من الممازحة بأن يخفي نعل إنسان أو ثوبه[(٤)] . فعن عامر بن ربيعة ـ رضي الله عنهما ـ أن رجلًا أخذ نعل رجل فغيبها مازحًا ، فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فقال : لا تُرَوِّعُوا المسلم ؛ فإن روعة المسلم ظلم عظيم[(٥)]

وقال ﷺ : من أخاف مؤمنًا كان حقًا على الله أن لا يُؤمِّنهُ من أفزاع يوم القيامة[(٦)] .

وأكل الرِّبا ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[(٧)] .

---

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه مسلم (كتاب البر والصلة ، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم) ١٦/ ١٧٤ ، والترمذي (كتاب الفتن ، باب ما جاء في إشارة المسلم إلى أخيه بالسلاح) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن ، صحيح ، غريب ٤/ ٤٠٣ .

(٢) لم نجده في كتب الفقه .

(٣) الحديث عن عبد الله بن عمرو أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٣/ ٣٢ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في طاعة أولى الأمر ، فصل من ذكر ما ورد في التشديد في الظلم) ٦/ ٥٠ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الحدود والديات ، باب فيمن أخاف مسلمًا) ٦/ ٢٥٣ .

(٤) هذا قول فيه مبالغة .

(٥) الحديث عن عامر بن ربيعة أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الحدود والديات ، باب من أخاف مسلمًا) ٦/ ٢٥٣ ، والبراز في مسنده ٩/ ٢٧١ .

(٦) الحديث عن ابن عمر أخرجه الطبرني في المعجم الأوسط ٣/ ١٨١ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الحدود والديات ، باب من أخاف مسلما) ٦/ ٢٥٤ .

(٧) الآيتان ١٣٠ـ ١٣١ ، من سورة آل عمران .

خرّج الطبراني ، عن عبد الله بن سلام ، قال : قال ﷺ : الدِّرْهَمُ يُصِيبُهُ الرَّجُلُ مِنَ الرِّبا أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ ثَلاثَةٍ وَثَلاثِينَ زَنْيَةً يَزْنِيهَا فِي الإِسْلامِ(١) .

وفي حديث البيهقي : [إن الرَّجل يُصيب من الربا] أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّه فِي الْخَطِيئَةِ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلاثِينَ زَنْيَةً يَزْنِيهَا الرَّجُلُ ، وَإِن أَرْبَى الرِّبا عِرْضُ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ(٢) .

ورد أن أكلَة الربا يُحشرون في صور الكلّاب يوم القيامة ، وفي صور الخنازير من أجل حِيلهم في أكله(٣) . فإن الحيلة في أكله عُدت من الكبائر ، ألا ترى إلى حيلة من حُرمت عليهم الحيتان يوم السبت ، فحفروا لها حفائر لتقع فيها يوم السبت ، فيأخذوها يوم الأحد ، فلما تحيلوا مُسخوا قردة وخنازير(٤) ، غير أنه إكرامًا لهذه الأمة لا مسخ عليهم في الدنيا .

ومرَّ عن «الاختيار»(٥) أن بيع الشيء بالغبن الفاحش حرام ، كبيع لوح من الصابون ، وحصة من الأرز والبن بثمن زائد ، غير أن حرمته دون حرمة الربا ، فإن مُستحلّه لا يكفر ، لوجود العقد الشرعي ، فهذا فيه عوض في الجملة ، فما بالك بمن يبيع سلعة ، ثم يستوهبها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

(١) الحديث عن عبد الله بن سلام أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٣/ ١٧١ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب البيوع ، باب ما جاء في الربا) ٤/ ١١٧ .

(٢) الحديث عن أنس أخرجه البيهقي في الشعب(باب في قبض اليد عن الأموال المحرمة) ٤/ ٣٩٥ ، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب(كتاب البيوع وغيرها ، باب الترهيب من الربا) ، وقال الألباني : صحيح لغيره . ٢/ ٣٧٦ .

(٣) انظر القول غير منسوب في كتاب الكبائر للذهبي(الكبيرة الثانية عشر الربا) ، ص٦٣ ، وكتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيثمي(كتاب البيع ، باب في الكبائر الظاهرة ، فصل الحيل في الربا) ١/ ٣٢٨ .

(٤) وذلك في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ الآية ٦٥ ، من سورة البقرة .

(٥) الاختيار : هو شرح (المختار في فروع الحنفية) لأبي الفضل ، مجدالدين ، عبد الله بن محمود بن مودود ، الموصلي ، الحنفي ، صنف (المختار) ، ثم شرحه وسماه (الاختيار) تُوفي ابن مودود سنة ٦٨٣هـ . انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/ ١٦٢٢ .

وقيل في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾[(١)] : الربا ، والقمار ، والغصب ، والسرقة ، وأخذ المال باليمين الكاذبة .

وما هو من الكبائر أكل ثمن العنب ممن يتخذها خمراً ، وثمن القن الأمرد[(٢)] يُفجر به ، وأكل ثمن الأمة ممن يتخذها للزنا ، وأكل ثمن آلات اللهو ، وأكل ثمن الأسلحة التي تباع لأهل الحرب ، وقطّاع الطريق والأعراب[(٣)] ، وكل ما فيه تقويتهم من بيع الثياب والحبوب ، وأكل ثمن الخمر التي بيعت لشاربها .

ومن الكبائر أهداؤها له[(٤)] ؛ لأن فيه إعانة على المعصية .

ومثله في الحكم : الحشيشة والبنج والأفيون ، وأكل مال اليتيم . في حديث المعراج /[١٦٩و] أن رسول الله ﷺ ، مرّ ليلة عُرج به برجال تُفتح أفواههم ، ويُقذف في بطونهم صخور من النار تخرج من أدبارهم ، فقال : يا أخي جبريل من هؤلاء؟ قال : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[(٥)] .

والتولي يوم الزّحف ، فإن الله تعالى يقول : ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[(٦)] .

وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات بالزنا أو اللواط ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

---

(١) جزء من الآية رقم ٢٩ ، من سورة النساء .

(٢) القن الأمرد : القن : العبد الذي مُلكَ هو وأبواه . لسان العرب(مادة : قنن) .
الأمرد : الشاب الذي بلغ خروج لَحيته وطرّ شاربه ولم تبد لحيته . لسان العرب (مادة : مرد) .

(٣) الأعراب : ساكنوا البادية من العرب الذين لا يقيمون في الأمصار . لسان العرب (مادة : عرب) .

(٤) أي : الخمر .

(٥) الآية رقم ١٠ ، من سورة النساء . والحديث جزء من حديث طويل ـ مع اختلاف في اللفظ ـ عن سمرة بن جندب أخرجه البخاري(كتاب الجنائز ، باب ما قيل في أولاد المشركين) ١/ ٤٦٥ـ ٤٦٧ ، وأحمد في المسند ٣٣/ ٢٨٤ـ ٢٨٨ .

(٦) الآية رقم ١٦ ، سورة الأنفال .

يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١] كقوله لأمرأته أو لأمته أو للأجنبية : يا زانية ، أو يا بغية ، أو يا . . . ، كقوله للرجل : يا زاني ، يا . . . ، يا . . . ، يا . . .[٢] ، وكذا إذا قذف مملوكه أو خادمه .

ومن قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد نزول براءتها من السماء ، فهو كافر يُقتل ولا يُستتاب[٣] ، وكذلك قاذف الشيخان رضي الله عنهما .

خرّج الشيخان أن النبي ﷺ ، قال :من قذف مملوكه بالزِّنا يُقام عليه الحدّ يوم القيامة ، إلا أن يكون كما قاله[٤] .

ومنه قوله : يا مخنث ، ياولد الزّنا ، يا ابن . . .[٥] ، وفي الحديث عن ابن مسعود ، قال : قال ﷺ : سِبابُ المسلم فسق ، وقتالُه كُفرٌ[٦] .

وقال ﷺ : إن الله يبغض الفاحش البذيء[٧] . خصوصًا سب الأموات . قيل : يا رسول الله ، إن الناس يسبون أبا جهل ، فقال :لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات[٨] .

وفي حديث لما ذكر النبي ﷺ [الكبائر][٩] ، فقال له أحد الصحابة ـ رضي الله

(١) الآية رقم ٢٣ ، من سورة النور .
(٢) . . . ألفاظ غير لائقة ، وقد آثرنا حذفها لخروجها عن الحياء .
(٣) وذلك لنزول براءتها رضي الله عنها من السماء .
(٤) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري(كتاب المحاربين ، باب قذف العبيد) ٦/ ٢٥١٥ ، ومسلم(كتاب الأيمان ، باب التغليظ على من قذف مملوكه بالزنا) ١١/ ١٣٣ .
(٥) . . . ألفاظ غير لائقة ، وقد آثرنا حذفها لخروجها عن الحياء .
(٦) الحديث عن عبد الله بن مسعود أخرجه البخاري (كتاب الأدب ، باب ما يُنهى عن السباب واللعن) ٥/ ٢٢٤٧ ، ومسلم (كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ : سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر) ٢/ ٥٧ .
(٧) الحديث عن أسامة بن زيد أخرجه الطبراني في المعجم الكبير١/ ١٦٦ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الأدب ، باب ماجاء في الفحش) ٨/ ٦٤ .
(٨) لفظ الحديث : لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء . عن المغيرة بن شعبة أخرجه الترمذي (كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشتم) وسكت عنه أبو عيسى ٤/ ٣١٠ ، والطبراني في المعجم الكبير ٢٠/ ٤٢٠ ، وأحمد في مسنده ٣٠/ ١٥٠ .
(٩) إضافة يقتضيها السياق .

عنهم ـ أجمعين : وكم الكبائر يا رسول الله؟ قال : تسع ؛ أعظمهن الإشراك بالله ، وقتل النفس بغيرِ الحق ، والفرار من الزحف ، وقذف المحصنة ، والسحر ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، وعقوق الوالدين ، واستحلال البيت الحرام قبلتكم أحياء وأمواتًا[١] . لايموت رجل لم يعمل هؤلاء الكبائر ، ويقيم الصَّلاة ، ويؤتي الزكاة إلا رافق محمداً في بحبوح جنته ـ أي وسطها ـ أبوابها مضاريع الذهب[٢] .

في بعض الصُّحف يقول الله تعالى : يا ابن آدم ، إلى متى تطلب التوبة ، وتُسوف بها ، وإلى متى تطلب الآخرة ، ولا تعمل لها ، تقول قول العابدين ، وتعمل عمل المنافقين ، إن أعطيتك لم تقنع ، وإن ابتليتك تجزع ، تأمر بالخير ولا تفعله ، وتنهي عن الشّر ولا تنتهي عنه ، تحب الصَّالحين ولست منهم ، وتُبغض المنافقين وتعمل بعملهم ، تستوفي الحق الذي لك ولا توفي الحق الذي عليك ، الأرض تقول لك كل يوم تمشي على ظهري ، ومصيرك إلى بطني ، تضحك على ظهري ، وغداً تأكلك الديدان في بطني ، القبر يُناديك كل يوم : يا ابن آدم ، أنا بيت الوحدة ، أنا بيت الوحشة ، أنا بيت الظُلمة ، أعمرني بأعمالك الصَّالحة ، ولا تخربني بأعمالك الطالحة[٣] .

وفي الحديث قال ﷺ : إنَّ الْقُلُوبَ تَصْدأُ كَمَا يَصْدأُ الْحَدِيدُ ، قيل يارسول الله ، ومَا جَلاؤُهَا؟ قال : ذِكْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ وقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ[٤] .

---

(١) الحديث عن عبيد بن عمير عن أبيه أخرجه أبو داود (كتاب الوصايا ، باب ما جاء في التشديد في أكل مال اليتيم) ٣/ ١٨٩ـ ١٩٩ ، والطبراني في المعجم الكبير ١٧/ ٤٧ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الإيمان ، باب منه) ١/ ٤٨ .

(٢) المضارعة للشيء : أن يضارعه كأنه مثله أو شبهه . لسان العرب(مادة : ضرع) .

(٣) القول مع اختلاف في اللفظ ، ذكره الغزالي في المواعظ والأحاديث القدسية (الموعظة الخامسة) ، ص ٦١٠ .

(٤) الحديث عن ابن عمر أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في تعظيم القرآن ، فصل في إدمان تلاوته) ٢/ ٣٥٣ ؛ والحديث عن أبي الدرداء ، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف(كتاب الزهد ، باب ما قالوا في البكاء من خشية الله) ٧/ ٢٢٧ .

فصل

في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا ﴾ أي الذهب والفضة ، ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ / [١٦٩ظ] وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[2] .

أي جُعلت الذهب والفضة صفائح ، فأحمي عليها في نار جهنم ، حتى تبقى جمرًا ، فتكوي جباه مانعي الزكاة ، وجنوبهم ، وظهورهم ، كلما بردت أُعيدت إلى النَّار ، فيُكوى بها ، إلى أن يقضي الله بين العباد في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، فيرى سبيله إما إلى الجنة ، وإمّا إلى النار[3] ، وإن كانت الدراهم أكثر من جسد الإنسان يُكبّر الله جسده ليسعها كلها .

والآية الأولى تدل على أن الذّهب ، والفضة ، والرَّصاص ، والحديد ، والصفر[4] يُجعل أطواقًا يُطوّق به مانع الزكاة ، والإبل تطأوه بأخفافها[5] ، وتعضه بأفواهها ، كلما انتهى إليه آخرها ، عاد أولها ، وكذا البقر والغنم ، بزيادة : وتنطحه بقرونها[6] .

ولما كان مانع الزكاة يعبس بوجهه ، أو يُعطي جنبه ، أو ظهره لمن يطلبها منه ، خصّ الله الجباه والجنوب والظهور بالذكر . وقد قال أبو بكر الصديق : والله لأقاتلنَّ

---

(١) الآية رقم ١٨٠ ، من سورة آل عمران .

(٢) الآية رقم ٣٥ ، من سورة التوبة .

(٣) مصداق ذلك ما أخرجه مسلم عن أبي هريرة ، ولفظه ، قال ﷺ : ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها . . . الحديث(كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة) ٧/ ٦٩ـ ٧٠ . وأخرجه البخاري مختصراً (كتاب الزكاة ، باب إثم مانع الزكاة) ٢/ ٥٠٨ .

(٤) الصفر : ضرب من النحاس . لسان العرب(مادة : صفر) .

(٥) الخفّ : خُف البعير ، وهو للبعير كحافر الفرس . لسان العرب(مادة : خفف) .

(٦) انظر الهامش رقم ٣ .

من فرّق بين الصّلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدّونه إلى النبي ﷺ ، لقاتلتهم على منعه . وسببه أن أبا بكر لما استُخلف بعد النبي ﷺ ، وأراد أن يقاتل مانعي الزّكاة ، فقال له عمر : كيف تقاتلهم ، وقد قال ﷺ : أُمرتُ أنٍ أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمنْ قالَ لا إله إلا الله ، فقدْ عصمَ مني مالُهُ ، ونفسُه إلا بحقّه ، وحسابُهُ على الله ، فقال أبو بكر ، ما ذُكر ، فعند ذلك قال عمر : إن الله قد شرَحَ قَلْبَ أبي بكر لقتالهم ، فعرفتُ أنه الحق[١] .

وفي الحديث قال ﷺ : أوّلُ ثلاثة يدْخُلُونَ النّارَ : أميرٌ مُسَلّطٌ ، وَذُو ثَرْوَة لا يُؤَدِّي حَقَّ الله في مَالِهِ ، وَفَقِيرٌ فخور[٢] . مسلط : أي بظلمه للناس ، والثروة : الغنى ، والفخور : المتكبر .

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ إنه قال : أمر الله النّاس بالزّكاة والصّلاة ، فمن لم يُزَكِ فلا صلاة له[٣] .

وخرّج ابن خزيمة وغيره ، عن ابن مسعود إنه قال : إن لاوي ـ من الإيواء ، وهو الإدخار ـ الصدقة ـ أي مؤخرها ـ من جملة الملعونين على لسان محمد ﷺ[٤] .

أوما يعلم تارك الزكاة أن الدنيا فانية ، وأن الله باق ، وإنما الدار دار الآخرة ، ولمثلها يعمل العاملون ، ومن العمل لها أداء الزكاة ، وإلا كان مانعها هالكًا مع الهالكين .

---

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة) ٢/ ٥٠٧ ، ومسلم (كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله) ١/ ٢٣٩ .

(٢) جزء من حديث أوله : عُرض عليّ أول ثلاثة يدخلون الجنة . . .عن أبي هريرة ، أخرجه أحمد في المسند ١٥/ ٢٩٧ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الزكاة) قال الذهبي : عامر بن شبيب مستقيم الحديث مدني ٢/ ٥٥٠ ـ ٥٥١ ، وعبد بن حميد في مسنده ، ص ٤٢٢ ، وابن خزيمة في صحيحه (كتاب الزكا ، باب الدليل على أن دم المرء وماله إنما يحرمان بعد الشهادة) ٣/ ٩٤ .

(٣) الأثر عن ابن مسعود ، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير١٠/ ١٠٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الزكاة ، باب فضل الزكاة) ٣/ ٦٢ .

(٤) الأثر عن ابن مسعود بألفاظ أطول ذكره أحمد في المُسند ٦/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦ ، وابن خزيمة في صحيحه (كتاب الزكاة ، باب ذكر لعن لاوي الصدقة الممتنع من أدائها) ٣/ ٩٤ .
لاوي الصدقة : المتثاقل عنها . المعجم العربي الأساسي (مادة : لوى) .

يقال : إنه رأى بعض الصالحين في منامه رجلًا في برية ، وأمامه غزالة هاربة منه ، وهو يطلبها ، وخلفه أسدٌ عظيم يعدو ، فلحقه الأسد فقتله ، فوقفت الغزالة تنظر إلى الرّجل المقتول ، فتبعها آخر ، وفرت منه ، وعدا الأسد خلفه ، فقتله ، فرأى مئة رجل قُتلوا ، فعجب لذلك ، فقال الأسد : م تعجب ، هل تعلم من أنا؟ قال : لا ، قال : أنا ملك الموت ، وهذه الغزالة الدنيا ، وهؤلاء القتلى طُلّابها ، أقتلهم واحداً بعد واحداً . فاستيقظ فزعًا ، وقال : علمتُ أن الدُّنيا لا تدوم لأحد .

وما أحسن قول بعضهم :

حتى متى وإلى متى نتوانا ونظن هذا كله نسيانا

والموت يطلبنا حثيثًا مسرعًا إن لم يجئنا

/ [١٧٠و] إنا لنوعظ بكرة وعشية فكأنما نعني بذاك سوانا

يا من يصير غداً إلى دار البلى ويفارق الإخوان والخلانا

إن الأماكن في المعاد عزيزة فاختر لنفسك إن عملت مكانا[١]

في بعض الصُّحف ، يقول الله تعالى : شهدت نفسي لنفسي ، إني أنا لا إله إلا أنا وحدي ، لاشريك لي في ملكي ، محمد عبدي ورسولي ، من لم يرض بقضائي ، ولم يصبر على بلائي ، ولم يشكرني على نعمائي ، ولم يقنع بعطائي ، فليطلب ربًا سواي ، من أصبح حزينًا على الدُّنيا ، فكأنما أصبح ساخطًا عليَّ ، لأني الذي زويتها[٢] عنه ، ومن شكا مصيبة نزلت به لمخلوق ، فقد شكاني لأني الذي قدرتها عليه ، ومن أجلّ غنيا من أجل غنائه ، ذهب ثلثا دينه ، ومن لطم وجهه علي ميت ، فكأنما أخذ رمحًا وهو يريد أن يقاتلني ، فإني الذي أمتُّ من لطم عليه ، ومن لم يكن كل يوم في زيادة من دينه ، فهو في نقصان ، ومن كان في نقصان ، فالموت

(١) انظر الحكاية ذكرها ابن الجوزي في بستان الواعظين(مثل الدنيا والموت) ١/ ١٦٦ . وورد الشعر ضمن الحكاية غير منسوب .

(٢) زوى الشيء : نحاه . لسان العرب(مادة : زوى) .

خير له ، ومن طال أمله لم يك خالصًا عمله ، ومن عمل بما علم أورثته علم مالم يعلم[١] .

ولا تنس قصة ثعلبة بن حاطب لما طلب من النبي ﷺ أن يرزقه الله تعالى مالاً ، فقال له : يا ثعلبة ، إنك لا تطيق شكره ، أما تُحب أن تكون مثلي لو شئتُ أن تسير معي هذه الجبال ذهبًا لسارت ، فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يرزقني مالاً ، والذي بعثك بالحق لأُعطين كل ذي حق حقه ، فدعى له ، فأخذ رأسين من الغنم فبورك له فيهما ، حتى نمت الأغنام كما ينموا الدود والجراد ، وكان مع هذا يشهد الصّلاة مع النبي ﷺ ، نهارًا ، ولا يشهدها ليلاً ، فازدادت ، حتى صار لا يشهد الصّلاة لا ليلاً ولا نهارًا ، إلا الجمعة ، فازدادت ، فكان لا يشهد جمعة ولا جماعة مع النبي ﷺ ، فسأل عنه فأخبروه بخبره ، فقال ﷺ : ويح ثعلبة . ولمّا أنزل الله تعالى على نبيه قوله : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[٢] ، بعث النبي ﷺ رجلًا من بني سليم ، ورجلاً من بني جهينة ليجمعا الصدقة ، وكتب الواجب في الإبل ، والبقر ، والغنم من الضأن والمعز ، وأمرهما أن يمرا بثعلبة ، فلما أتياه قال : أرياني كتابكما ، فأرياه ، فقال : ما هذه إلا جزية ، انطلقا ، فإذا فرغتما من جمع الزكاة مُرا بي ، فسمع بهما رجل من بني سليم ، فلما أتياه استقبلهما ، وأتاهما بخيار إبله ، فقالا : إن ما عليك دون ذلك ، فقال : خذوه فلا أتقرب اليوم إلا بخيار مالي ، فلما فرغا من جمع صدقة الزكاة ، عادا إلى ثعلبة ، فطلب منهما كتابهما أيضًا ، فلمّا نظره ، قال : ما هذه إلا جزية ، فانطلقا ، فلما أتيا المدينة ، وقابلا النبي ﷺ ، قال قبل أن يخبراه بثعلبة : ويح ثعلبة ، ودعا للسلمي بالبركة ، ففي ثعلبة أنزل

(١) جمع المؤلف ـ بتصرف ـ بين عدة أحاديث قدسية متفرقة في كتب مختلفة . انظر : الطبراني في المعجم الكبير ٢٢/ ٣٢٠ ، والبيهقي في شعب الإيمان (القدر خيره وشره من الله عز وجل) ١/ ٢١٨ ، والشوكاني في الفوائد المجموعة ، ص ٢٥٢ ، والطبراني في المعجم الصغير ٢/ ٣٠ .

(٢) جزء من الآية رقم ١٠٣ من سورة التوبة .

الله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾(١) .

/ [١٧٠ظ] فلمَّا سمع أقارب ثعلبة ما أنزل الله به ذهبوا إليه ، وأخبروه بذلك ، وقالوا له : هلكت مع الهالكين ، فقدم على النبي ﷺ ، فقال : يارسول الله ، هذه زكاة مالي ، فقال ﷺ : إن الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقة ، فجعل يبكي ، ويحثو التراب على رأسه ، فقال له ﷺ : هذا عملك بنفسك أمرتك فلم تطعني . فلما توفي رسول الله ﷺ ، وتخلَّف أبو بكر ، جاءه بها ، وقال له : يا صديق ، أقبل صدقتي ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : معاذ الله ، أن أقبل شيئًا ما قبلهُ رسول الله ﷺ ، فبكى ، وحث التراب على رأسه ، فقال له أبو بكر رضي الله عنه : أنت عملت بنفسك . فلما مات أبو بكر ، وولي عمر رضي الله عنه الخلافة ، أتاه ، وقال له : يا عمر ، أقبل صدقتي ، وتشفع عنده بالأنصار والمهاجرين ، وأمهات المؤمنين ، فقال عمر : معاذ الله ، لا أقبل شيئًا ما قبلهُ رسول الله ، ولا صديقه ، فلما مات عمر ، وولي عثمان الخلافة ، هلك ثعلبة مع الهالكين(٢) .

ومما هو محرم كمنع الزكاة ، الذي يمنع الوارث أرثه ، في حديث قال - ﷺ - : مَنْ فَرَّ مِنْ مِيرَاثِ وَارِثِهِ ، قَطَعَ اللَّهُ مِيرَاثَهُ مِنْ الْجَنَّةِ(٣) . وذلك بأن يخص بعض أولاده دون بعض ، أو أن يُوصي بأكثر من الثلث ، أو يُقر بكل ماله أو بعضه لأجنبي ، أو يُقر على نفسه بدين لا أصل له لأجنبي ، أو يُقر بأن الدَّين الذي على فلان استوفاه ، أو

(١) الآيات رقم ٧٥- ٧٧ ، من سورة التوبة .

(٢) انظر قصة ثعلبة عن أبي أمامة في المعجم الكبير للطبراني ٨/ ٢١٨ - ٢١٩ ، وشعب الإيمان للبيهقي (باب في الإيفاء بالعقود) ٤/ ٧٩ - ٨٠ ، ومجمع الزوائد للهيثمي (كتاب التفسير ، سورة براءة ٧٥) ٧/ ٣١- ٣٢ .

(٣) الحديث عن أنس أخرجه ابن ماجه (كتاب الوصايا ، باب الحيف في الوصية) ٣/ ١٩٦ . و بلفظ(من قطع ...) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(باب صلة الأرحام) ٦/ ٢٢٤ .

يبيع شيئًا من ماله لأجنبي ، أو لأحد الورثة بثمن قليل ، أو يشتري شيئًا بثمن كثير ، أو يُوصي بالثلث لا لوجه الله تعالى ، وإنما قصد إضرار الورثة ، قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ سِتِّينَ سَنَةً ، ثُمَّ يَحْضُرُهُ الْمَوْتُ ، فَيُضَارُ فِي الْوَصِيَّةِ ، فَتَجِبُ لَهُ النَّارُ»[1] .

يقول تعالى في بعض الصحف : يا ابن آدم ، لا تفرح بالغنا ، فلست بمخلد ، فإن الغنيَّ عزيز في الدُّنيا ذليل في الآخرة ، إذا لم يعمل بحق ما أتيته ، وعزُّ الآخرة أجل وأبقى . يا ابن آدم ، لا تجزع من الفقر واصبر على طاعتي ، فإني أُعينك في الشدائد ، واترك الذنب ، فإنه يسوق صاحبه إلى النَّار ، واستغفرني ، وتبّ إليَّ فمني المغفرة ، ومني القبول . يا ابن آدم ، منك الشّكر ، ومني المزيد ، ومنك الصبر ، ومني النّصر ، فاطلب العلم تهتدي إلى طريق الجنة .

يا أيها المذنبون من بني آدم ، لا تقنطوا من رحمتي ، فإني أنا الغفور الرحيم ، يا عبادي ، من قصدني عرفني ، ومن عرفني أرادني ، ومن أرادني طلبني ، ومن طلبني وجدني ، ومن وجدني ذكرني ولم ينسني ، ومن ذكرني ولم ينسني ذكرته ولم أنسه[2] .

إخواني ، إن كنتم مذنبين ، فقولوا لا إله إلا الله ، فإنها تُكفّر الذنوب .إخواني ، إن كنتم طائعين ، فقولوا لا إله إلا الله ، فإنها أمان لقائلها من علّام الغيوب ، فأكثروا منها في هذه الأوقات المباركة من غير إهمال ولا /[١٧١و] متاركة[3] .

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الترمذي(كتاب الوصايا ، باب ما جاء في الضرار في الوصية) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٤ / ٣٧٥ ، وأبو داود(كتاب الوصايا ، باب ما جاء في كراهية الإضرار في الوصية) ٣/ ١٩٤ـ ١٩٥ . وبلفظ : سبعين سنة . أخرجه ابن ماجه (كتاب الوصايا ، باب الحيف في الوصية) ٣/ ١٩٦ .

(٢) لم نقف عليه فيما بين أيدينا من كتب .

(٣) كُتب عند هذا الموضع :الثامن عشر من عذب الملافظ في المواعظ .

فصل

في قوله تعالى : ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[١] .

قال زيد بن أسلم : إنهم كانوا يكسرون الدّراهم ويضربونها بالغش[٢] ، وأما كسرها لأجل الخواتم والأساور وحلى النساء فلا بدع فيه ، وأما كسرها وإعادتها كما كانت فلا داعي له ، فإنه مما لا يجوز أيضًا .

وكسرها وخلطها بالنّحاس حرام لوجهين ، الأول : تغيير الضرب القديم الذي جرى به التّعامل .

والثّاني : خلطها بالغش ؛ لأن فيه أكل أموال النّاس بالباطل ، وهذا من الكبائر . ومن ذلك الكيمياء[٣] التي يتعاطاها من لا خلاق له ، فإنها من أعظم الكبائر لما فيها من الغشّ ، وأكل أموال الناس بالباطل .

ومن المحرم البخس في دراهم الناس بأن يقول : هذا القرش أكتع أو أملس مع أن فضته خالصة .

ومن ذلك ردّ الذهب المكسور ، أو قصد كسره لتنقص قيمته .

ومماهو من الكبائر قصّ الدراهم والدّنانير ، فإنه أيضًا من أكل أموال الناس بالباطل . والنّاس من هذا يُكثرون ، وعن حكم هذا غافلون ، فما بالك يا أخي بمن

---

(١) الآية رقم (٤٨) من سورة النمل .

(٢) الأثر عن زيد بن أسلم ذكره القرطبي في التفسير ، سورة هود ، الآية رقم (٨٤ : ٨٥) . وهذا القول عن قوم شُعيب ، وليس عن قوم صالح .

(٣) الكيمياء : علمٌ يُعرف به طرق سلب الخواص من الجواهر المعدنية ، وجلب خاصة جديدة إليها . انظر : كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/ ١٥٢٦ : ١٥٣٢ .

يسوم[١] السِّلعة بثمنٍ ، ويدفع المصاري المقاصيص[٢] بحساب الوزانة[٣] ، ويتسافه على صاحب السلعة .

خرَّج مسلم قوله صلى الله عليه وسلم : تَواضَعُوا ـ وصدره : إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا ـ حتى لا يَبغِي أحدٌ على أحدٍ ، ولا يفخَرَ أحدٌ على أحد[٤] .

وفي بعض الآثار : لَوْ بَغَى جَبَلٌ عَلَى جَبَلٍ لَجَعَلَ اللهُ الْبَاغِيَ مِنْهُمَا دَكًّا[٥] .

البغي : الترفع ، وتجاوز المقدار .

وأعظم من ذلك كله من يأكل ويشرب ويكتسي من أموال النَّاس بغير حق . من حديث صححه الحاكم ، قال : قال ﷺ : من أكَلَ برَجُلٍ مسلم أكلة حرامًا أطعمه الله بها أكلة من نار يوم القيامة ، ومن اكتسى بِرَجُلٍ مسلم ثوبًا حرامًا كساه الله ثوبًا من نار يوم القيامة[٦] .

وذلك بأن يأخذ المأكل والمشرب والملبس بحيلة ، ثم يماطل ربها حتى يترك حقه .

ومنه من استدان مبلغًا وهو يريد أن لا يقضيه ، أو يتزوج امرأة ، ومن نيته أن لا

(١) سوَّم : السوم : عرض السلعة على البيع . لسان العرب (مادة : سوم) .

(٢) المقاصيص : قصقص الشيء كسره . لسان العرب (مادة : قصص) .

(٣) الوزانة : الوزن : المثقال . لسان العرب (مادة : وزن) .

(٤) الحديث عن عياض بن حمار ، أخرجه مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب الصفات التي يُعرف بها في الدُّنيا أهل الجنة وأهل النار) ١٧/ ١٩٢ ؛ وأبو داود (كتاب الأدب ، باب في التواضع) ٥/ ١٣٠ ؛ وابن ماجه (كتاب الزهد ، باب البغي) ٤/ ٧٠١ـ ٧٠٢ .

(٥) الأثر عن محمد بن إسحاق ، ذكره البيهقي في الشعب (باب في تحريم أعراض الناس) ٥/ ٢٩١ .

(٦) جزء من حديث ـ بدون كلمة حرام ـ عن المستورد بن شداد ، أخرجه أبو داود (كتاب الأدب ، باب في الغيبة) ٥/ ١٢٤ـ ١٢٥ ؛ وأحمد في المُسند ٢٩/ ٥٣٩ـ ٥٤٠ ؛ والحاكم في المستدرك (كتاب الأطعمة) ، قال الذهبي : صحيح ٧/ ٢٥٥٨ . ومعناه : الرجل يذهب إلى عدو الرجل ، فيتكلم فيه بغير الجميل ، يجيزه عليه بجائزة .

يعطيها مهرها ، وذلك بعد قضاء شهوته منها ، يضيق عليها حتى تبرئه من ذلك ، قال رسول الله ﷺ : «أَيُّمَا رَجُلٍ تزوّج امْرَأَةً عَلَى مَا قَلَّ مِنَ الْمَهْرِ أَوْ كَثُرَ ، لَيْسَ فِي نَفْسِهِ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَيْهَا حَقَّهَا ، خَدَعَهَا فَمَاتَ وَلَمْ يُؤَدِّ إِلَيْهَا حَقَّهَا لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ زَانٍ ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ اسْتَدَانَ دَيْنًا وهو لَا يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّيَ إِلَى صَاحِبِهِ حَقَّهُ خَدَعَهُ حَتَّى أَخَذَ مَالَهُ ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ سَارِقٌ»[١] . وهذا إذا كان عنده ما يقضي به الدَّين .

ومن المحرَّم أن يستعمل رجلًا ولا يعطيه أجرته أو ينقصه منها ، أو يعطيه الزيوف[٢] ، أو المقصوص[٣] منها .

ومن الكبائر أن لا يقر المريض بالذي عليه ، لأنه تسبب بضياع مال الغير . ومن أكل مال النَّاس بالباطل : خيانة الشريك شريكه ، أو الوكيل موكله ، أو المضارب[٤] رب المال .

خرّج أبو يعلى عن النعمان بن بشير ، قال : قال ﷺ : مَنْ خانَ شريكًا له فيما ائتَمَنَهُ عليه واسْتَرْعاهُ له ؛ فأنا بريءٌ منه[٥] .

---

(١) الحديث عن ميمون الكردي ، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ٥٠٦ ؛ الهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب البيوع ، باب فيمن نوى أن لا يقضِ دينه)٤/ ١٣٤ ؛ والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (كتاب البيوع وغيرها ، باب الترهيب من الدين وترغيب المستدين والمتزوج) ، وقال عنه : صحيح ٢/ ٣٥٢ .

(٢) الزَّيف : من وصف الدراهم . يقال : زافت عليه دراهمه أي صارت مردودة لغش فيها . لسان العرب : (مادة : زيف) .

(٣) المقصوص : قصقص الشيء كسره . لسان العرب(مادة : قصقص) .

(٤) المُضارب : صاحب المال والذي يأخذ المال ، كلاهما مُضارب . والمُضاربة أن تعطي إنسانًا من مالك ما يتجر فيه على أن يكون الربح بينكما . لسان العرب (مادة : ضرب) . والمضاربة : عقد بين طرفين على أن يدفع أحدهما نقدًا إلى الآخر ليتجر فيه ، على أن يكون الربح بينهما حسب ما يتفقان هليه . انظر : فقه السنة للسيد سابق (المضاربة) ٢١٢/٣ .

(٥) الحديث عن النّعمان بن بشير ، أخرجه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب البيوع وغيرها ، باب الترهيب من خيانة أحد الشريكين الآخر) ١/ ٥٥٠ ؛ وعزاه الألباني لأبي يعلى ولم نجده في مسنده ؛ وانظر الزواجر عن اقتراف الكبائر للهيثمي(كتاب البيع ، باب الشركة والوكالة) ، ص ٣٧ .

فيدخل فيه الشركة في الأرقاء والحيوانات ، يصلحها أحد الشريكين دون الآخر فالحُرمة على الآخر . وورد : مَنْ خَانَ من / [١٧١ظ] ائْتَمَنَه فَأَنا خَصْمُهُ[١] . أي يوم القيامة . ناهيك بمن خصمه رسول الله ﷺ . قال بعض العلماء : الخيانات كلها قبيحة ، وليس من خانك في فلس أو درهم كمن خانك في أهلك ومالك .

ومما هو واقع كثيراً أن الإنسان لا يعطي أحداً مبلغًا لعلمه أنه مفلس لا يقضيه إياه ، فيقول لواحد من السفهاء : إني طلبت من فلان دينا فلم يرضى أن يعطيني ، فأكفلني عنده فيكفله ، ولا يقدر على دفعه فيطالب الضامن فيمتنع من أدائه ، فهذا من الكبائر ، ومن مطل الغني ، ومن أكل أموال الناس بالباطل .

ومن ذلك تغيير حدود الأرض ، وأخذ أرض الغير بالباطل ، سيما أراضي الأوقاف . خرَّج مسلم عن علي ، قال : حدثني النبي ﷺ بأربعِ كلمات ، فقيل له : وما هن يا أمير المؤمنين؟ قال : لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من أوى محدثًا ، لعن الله من غيّر منار الأرض[٢] .

ومن تسبب في ذلك فهو في ارتكاب الحُرمة كذلك .

ومن ذلك أن يتخذ أرض الغير ممشى بحيث تصير بسلوكه طريقًا ، وإلا جاز حيث لا ضرر .

ومن الكبائر وأكل أموال الناس بالباطل أن يتصرف بشيء من شوارع المسلمين ، سواء دام أم لم يدم .

---

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب(الموضع السابق) ولم يحكم عليه الألباني١/ ٥٤٩ .

(٢) الحديث عن علي بن أبي طالب أخرجه مسلم (كتاب الأضاحي ، باب تحريم الذبح لغير الله) ١٣/ ١٤٧ ؛ وأحمد في المسند ٢/ ٢١٢ ، وابن أبي شيبة في المصنف (كتاب البيوع والأقضية ، باب في الرجل يسرق من الرجل الحذاء والأرض) ٤/ ٤٥٣ .

في الخبر : قال ﷺ : من اتخذ من طريق الناس شبراً جاء به يوم القيامة ، يحمله من سبع أرضين[١] .

وإنما قلنا : أم لم يدم ؛ ليعم من يضيق الطرقات على المسلمين بوضع الأمتعة ، من مأكول أوغيره ليبيعها ، وهذا مما يكثُر ، وكذلك ربط الدواب ، وإيقافها في الطرق ، خصوصًا على أبواب المساجد .

في بعض الصُّحف الألهية يقول الله تعالى : يا عبادي ، ما خلقت لكم الدَّراهم والدنانير إلا لتأكلوا منها رزقي ، وتكتسوا بها من ثيابي ، فقدسوا سمائي ، واشكروا نعمائي ، واجعلوا ما رزقتكم عونًا على طاعتي ، وطريقًا إلى جنتي ، وهربًا من ناري ، فما بالكم تقويتم بذلك على معصيتي ، وأكلتم أموالكم بينكم بالباطل[٢] .

ياعباد الدنيا ، مثلكم كمثل القبور المجصصة[٣] ، ظاهرها حسن ، وباطنها قبيح ، تخادعون الناس بحلاوة ألسنتكم ، وتغرونهم بجميل أفعالكم ، وقلوبكم عليهم قاسية ، حتى يقعوا في المهالك ، ويضلوا عن المسالك .

يا ابن آدم ، إنما أنت كالمصباح فوق البيت المُظلم ، ظاهره نور ، وداخله ظلَّام ، لا يُغني تكلمك بالخير مع أفعالك الردية ، أخلص لي العمل ، فإني أُعطيك أفضل ما تسل ، يابني آدم ، ما خلقتكم لاستكثر بكم من قلة ، ولا لأستأنس بكم من وحشة ، ولا لأستعين بكم على أمر عجزتُ عنه ، ولا لجر منفعة ، ولا لدفع مضرة ،

---

(١) الحديث ـ مع اختلاف في اللفظ ـ عن سعيد بن زيد ، أخرجه البخاري (كتاب المظالم ، باب إثم من ظلم شيئًا من الأرض) ٢/ ٨٦٦ ، ومسلم (كتاب المساقاة ، باب تحريم الظلم وغصب الأرض ، وغيرها) ١١/ ٥٠ .

(٢) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٣) جصص : طلاه ، الجص : الذي يُطلى به . وهو معرب . لسان العرب(مادة : جصص) .

وإنما خلقتكم لتعبدوني كثيراً ، وتشكروني كثيراً ، وتسبحوني بكرة وأصيلاً ، لو أن أولكم وأخركم وحيّكم وميّتكم ، وصغيركم وكبيركم ، وحركم وعبدكم ، وجنكم وأنسكم ، اجتمعوا على معصيتي ، ما نقص ذلك من ملكي مثقال ذرة ، من جاهد فإنما يُجاهد لنفسه . إني غني عن/ [١٧٢و] العالمين والناس هم الفقراء إليّ ، إني أنا الغني الحميد . يا ابن آدم ، كما تدين تدان ، وكما تزرع تحصد ، زارعوني أزرع لكم ، رابحوني أُخلف لكم ، عاملوني بطاعتي أرحمكم وأُثبكم ، فإن عندي ما لاعين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ماعندي لا ينفد ، وخزائني لا تنقص ، أنا التّواب الرحيم ، أنا الوهاب الكريم ، فوحدوني ، ومجدوني[١] .

(١) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

فصل

في قوله : ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[١] .

قال بعض العلماء : وعُدَّ منها المكر والخديعة .

المكر : إبداء غير ما في النفس ، وهو والخداع سواء .

ويقال : الخداع الفساد في الأرض ، والخداع والمكر والحيلة سواء ، وإنها لخصلة شنيعة . وعُدَّ منها ـ أي الكبائر ـ خرَّج ابن حبان في صحيحه عن ابن مسعود ، قال : قال ﷺ : مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا ، وَالْمَكْرُ وَالْخِدَاعُ فِي النَّارِ[٢] .

وفي رواية :والمكر والخديعة والخيانة في النار[٣] .

وفي حديث قال : قال ﷺ : لايدخل الجنة خبٌّ ـ أي مكّار ـ ولا بخيل ولا منّان[٤] .

ومن الكبائر : الغش ، فمن ذلك إخفاء العيب في السّلعة .

خرّج الحاكم مما صح إسناده ، قال : قال ﷺ : الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، ولا يحل

---

(١) جزء من الآية رقم ٤٣ ، من سورة فاطر .

(٢) الحديث بهذا اللفظ عن عبد الله بن مسعود ، أخرجه ابن حبان في صحيحه(كتاب الحظر والإباحة ، باب ذكر الزجر عن أن يمكر المرء . . .) ٧/ ٤٣٤ ؛ والطبراني في المعجم الكبير١٠/ ١٦٩ ؛ والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب البيوع ، باب في الغش) ٤/ ٧٩ .

(٣) الحديث بهذه الرواية عن أنس أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب الأهوال) ، وسكت عنه الذهبي ٨/ ٣١٥٧ .

(٤) الحديث عن أبي بكر الصديق ، أخرجه الترمذي (كتاب البر والصلة ، باب ماجاء في البخيل) ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب . ٤/ ٣٠٢ـ ٣٠٣ ؛ والحديث بألفاظ أطول في مسند أحمد ١/ ١٩١ ؛ ومسند أبي يعلى ١/ ٢٥٧ .

والخَبُّ : الخَدَّاع ، الذي يسعى بين الناس بالفساد . لسان العرب : (مادة : خبب) .

لمسلم إن باع من أخيه بيعًا فيه عيب أن لا يبينه[١] .

ومن الغش من يخلط اللبن أو الحليب بالماء ، جاء إنه يقال يوم القيامة لمن خلط الماء باللبن : خلّص الماء من اللّبن[٢] . وهذا واقع كثيرًا خصوصًا من يبيع اللّبن البقري المخلوط بالمعز ، ويقول : أنه لبن معز ، على شرط الطبخ وهو كاذب في ذلك ، وإن زكّاه بالحلف وقع المهالك . وخلط السّمن بالدهن ، وصبغه ليُظن أنه دهن ، وخلط اللبن بغيره ، ومنه خلط البر بالشعير والتراب ، أو التبن ليزيد ، فهذا عين المحق[٣] ، وخلط الزعفران بالعُصفر .

ومن الخديعة النجش[٤] ، وهو أن يزيد في ثمن السّلعة لا يريد شراءها ولكن مراده أن يخدع غيره ليشتريها .

ومن الكبائر البيع على البيع . وذلك مثل أن يشتري أحد شيئًا بالخيار إلى الظهر أو العصر أو إلى يومين أو ثلاثة . ويسمع به آخر ويقول له رد هذا على صاحبه ، وأنا أبيعك أحسن منه بأنقص ثمنًا .

ومن الكبائر الشّراء على الشراء ، وذلك مثل أن يقول البائع : السّلعة بالخيار افسخ البيع لأشتريه منك بأزيد ، فكل ذلك من المكر والخديعة ، والمكر والخداع في النّار .

ومن الكبائر بيع الأخشاب والآلات ، لمن يتخذها آلات لهو .

---

(١) الحديث عن عقبة بن عامر أخرجه الحاكم في المُستدرك(كتاب البيوع) ، قال الذهبي : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . ٣/ ٨١٦ ؛ وابن ماجه (كتاب التجارات ، باب من باع عيبًا فليبينه) ٣/ ٣٧ ؛ والطبراني في المعجم الكبير١٧/ ٣١٧ .

(٢) الأثر عن أبي هريرة ذكره البيهقي في شعب الإيمان (باب في الأمانات ووجوب أدائها إلى أهلها) ٤/ ٣٣٤ .

(٣) المحق : النقصان وذهاب البركة . لسان العرب (مادة : محق) .

(٤) النجشُ والتناجُش : الزيادة في السلعة أو المهر ليُسْمَع بذلك فيزاد فيه . لسان العرب(مادة : نجش) . النجش أن يزيد في السلعة لا يريد شراءها ، ليقتدى به المسلم ، فيظن أنه لم يزيد فيها هذا القدر إلا وهي تساويه فيغتر بها ، هذا حرام وخداع . انظر : المغني لابن قدامة ١٦٠/٤ .

ومن الكبائر الواقعة كثيراً منع الفحل من الضِّراب[١] ، يعني لو اضطر أهل ناحية إلى فحل لفقد غيره لتلك الناحية ، لأن في ولادة الإناث حياة للأرواح والأبدان ، باللحوم والألبان ، عن بُريدة ، : قال صلى الله عليه وسلم :أكبر الكبائر الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، ومنع فضل الماء ، ومنع الفحل[٢] . أي من الضِّراب .

ومن الكبائر الواقعة كثيراً ، قصّ اللّحية ، وإعفاء الشّارب ، خرَّج الترمذي عن زيد بن أرقم ، قال : قال ﷺ : مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ ، فَلَيْسَ مِنَّا[٣] .

وإعفاء اللّحية توفيرها .

ومن الكبائر ماهو واقع لشبابنا من الحلق ليستمروا مردا ، ويُكبِّرون شواربهم ، فهولاء فسقة ، تُرد شهادتهم شرعًا ، فمن متفق عليه ، / [١٧٢ظ] قال ﷺ : خَالِفُوا الْمَجُوس . وفي رواية :خَالِفُوا الْمُشْرِكينَ وفِّرُوا[٤] اللِّحى ، وأَحْفُوا الشَّوارب[٥] .

ومرّ معنا : إن المسنون في اللّحية القبضة[٦] ، ويقص ما زاد ، وإحفاء الشوارب . بحيث لا تغطي الشّفة ، وتدخل الفم ، وأما قصّ ما تحت اللّحية أو حلقه ؛ فإن ضر ، بحيث زاد وكثف حتى حصل للرّقبة منها عرق صيفًا ونحو ذلك ، جاز القصّ أو الحلق .

---

(١) الضِّراب : ضَرَبَ الفحل الناقة يضربها ضربًا . نكحها . لسان العرب (مادة/ ضرب) .

(٢) الحديث عن بُريدة ، أخرجه البزار في مسنده ١٠/ ٣١٤ .

(٣) الحديث عن زيد بن أرقم ، أخرجه الترمذي (كتاب الأدب ، باب ما جاء في قص الشارب) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٥/ ٨٧ ، وأحمد في المسند ٣٢/ ٧ ، والطبراني في المعجم الكبير ٥/ ١٨٥ ، وعبد بن حُميد في مسنده ، ص١١٤ .

(٤) وفروا اللّحى : اتركوها موفورة . والموفور الشيء التام . لسان العرب (مادة/ وفر)

(٥) لفظ الحديث : خالفوا المشركين . . . عن ابن عمر أخرجه البخاري (كتاب اللباس ، باب تقليم الأظفار) ٥/ ٢٢٠٩ ، ومسلم (كتاب الطهارة ، باب خصال الفطرة) ٣/ ١٥٠ . ورواية : خالفوا المجوس : انفرد بها مسلم عن أبي هريرة (الموضع السابق) ، وأحمد في مسنده ١٤/ ٣٩٠ .

(٦) كان ابن عمر إذا حجّ أو اعتمر قبض على لحيته ، فما فضل أخذه . انظر الأثر في البخاري (الموضع السابق) ٥/ ٢٢٠٩ ، والبيهقي في شعب الإيمان (فصل في الأخذ من اللحية والشارب) ٥/ ٢١٩ .

ومن الكبائر : سب الدّهر ، خرّج أبو داود والحاكم وصححه ، قال ﷺ : يقول الله تعالى : يؤذينى ابن آدم ، يقول : يا خيبَةَ الدَّهر! فإني أنا الدهر ، وأُقَلب ليله ونهاره(١) .

والذي يتجه في ذلك أن يفصل - إن أراد من يسب الدَّهر - الزمان ، فلا كلام في الكرَّاهة إذ لاذنب للزَّمان ، والمقدر هو الله ، وإن أراد به الله تعالى ، فلا كلام في الكفر ، فهذا مشكل ، وما يقع ويراد هو الأول ، بل ولا يلاحظ الوجه الثَّاني أحد من المسلمين . والذي حققه بعض العلماء أن الدَّهر ليس من أسماء الله تعالى ، وإنما يطلق على الله تعالى مجازاً ؛ فإنه في الحقيقة اسم للزمان ، ولمّا كان الله تعالى مؤثراً في الزَّمان أُطلق على الله تعالى .

ومن الكبائر : كشف العورة من غير ضرورة ، فما بالك بمن يكشفها لصناع الحمام . قال ﷺ : «عَوْرَةُ الرَّجُلِ عَلَى الرَّجُلِ ، كَعَوْرَةِ الْمَرْأَةِ عَلَى الرَّجُلِ ، وَعَوْرَةُ الْمَرْأَةِ عَلَى الْمَرْأَةِ ، كَعَوْرَةِ الْمَرْأَةِ عَلَى الرَّجُلِ»(٢) .

فما بالك بالنساء اللواتي يدخلن الحمام بلا أُزر ، ولذا قال ﷺ : الْحَمَّامُ حَرَامٌ عَلَى نِسَاءِ أُمَّتِي(٣) .

---

(١) الحديث بهذا اللّفظ عن أبي هريرة ، أخرجه مسلم (كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ، باب النهي عن سب الدهر) ١٥/ ٦ ، والحديث بلفظ : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر . . . أخرجه البخاري (كتاب التفسير ، باب ﴿وَما يُهْلِكُنا إلا الدَّهْرُ﴾ الجاثية ٢٤) ٤ / ١٨٢٥ـ ١٨٢٦ ، وأبو داود (كتاب الأدب ، باب في الرجل يسب الدّهر) ٥/ ٢٦٥ـ ٢٦٦ . والحديث بلفظ البخاري ومسلم أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب التفسير) قال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم ٤/ ١٣٨٣ـ ١٣٨٤ .

(٢) الحديث عن علي بن أبي طالب أخرجه الحاكم في المُستدرك (كتاب اللباس) وقال الذهبي : الرافعي ضعَّفوه . ٧/ ٢٦٢٨ .

(٣) الحديث عن عائشة أم المؤمنين أخرجه الحاكم في المُستدرك(كتاب الأدب) قال الذهبي : صحيح ٧/ ٢٧٧٥ ، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (كتاب الطهارة ، باب الترهيب من دخول الرجال الحمام بغير أُزر) ، وقال عنه : صحيح ١/ ١٨٠ .

وقال ﷺ : «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْم الآخرِ ، فَلْيُكْرِمْ جارَهُ ، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّه وَالْيَوْمِ الْآخرِ ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّه وَالْيَوْمِ الْآخرِ فَلْيَقُلْ خيرًا أَوْ لِيَصْمُتْ ، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ مِنْ نِسَائِكُمْ ، فَلاَ تَدْخُلِ الْحَمَّام»[1] .

أي : وإن اتزرت ، إلا أن يتأزر الجميع ، فإن إتزار البعض لا يكفي ، لأنه يلزم من المرأة المستورة أن لاترى عورة صاحبتها ، وقد لعن النبي ﷺ النَّاظر والمنظور إليه[2] .

وفي حديث قال ﷺ : «وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّه وَالْيَوْمِ الْآخرِ فَلَا يَدْخُلِ الْحَمَّامَ إِلَّا بِمِئْزَرٍ ، ومَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُدْخِلْ حَلِيلَتَهُ الْحَمَّامَ»[3] ، لأنه يلزم أن يكون الرَّجل سببًا للعن المرأة بكشف عورتها ؛ فمن أجل ذلك أُدير الحكم عليه .

ومن الكبائر : الدياثة والقيادة ، قال الزركشي : الدياثة : استحسان الفاحشة على أهله ، والقيَّادة استحسانها على الأجنبية[4] .

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال صلى الله عليه وسلَّم : ثَلَاثَةٌ

(١) الحديث بهذا اللفظ عن أبي أيوب الأنصاري أخرجه ابن حبان في صحيحه (كتاب الحظر والإباحة ، ذكر الزجر عن دخول النساء الحمامات . . .) ٧/ ٤٤٥ ، والحاكم في المستدرك دون عبارة : فليقل خيراً أو ليصمت (كتاب الأدب) ، قال الذهبي : صحيح ٧/ ٢٧٧٤ـ ٢٧٧٥ ، والبيهقي في الشعب (باب الحياء ، فصل في الحمام) ٦/ ١٥٧ .

(٢) الحديث عن الحسن أخرجه البيهقي في الشعب (باب الحياء ، فصل في الحمَّام) ٦/ ١٦٢ ، وقال العجلوني في كشف الخفاء : إنه من الأباطيل (خاتمة يختم بها الكتاب) ٢/ ٣٧٥ .

(٣) جزء من حديث عن جابر أخرجه الترمذي (كتاب الأدب ، باب ما جاء في دخول الحمَّام) ، قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ٥/ ١٠٤ ـ ١٠٥ ، وأحمد في المسند ٢٣ / ١٩ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الأدب) ، قال الذهبي : على شرط مسلم ٧/ ٢٧٧٣ .

(٤) قول الزركشي ذكره ابن حجر الهيثمي في الزواجر في اقتراف الكبائر (كتاب النكاح ، باب الطلاق)٢/ ٨٢ ، والزركشي هو : محمد بهادر بن عبد الله المصري الشافعي ، بدر الدين ، تركي الأصل ، مصري المولد والوفاة . له تصانيف كثيرة في عدة فنون منها : البحر المحيط في الفقه ، والديباج في توضيح المنهاج ، وقواعد الزركشي في أصول الفقه . وغيرها كثير . تُوفي ٧٩٤هـ . انظر عنه : الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ٣/ ٣٩٧ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٦/ ٣٣٥ .

لَا يدْخُلُون الجَنَّة : العاقُّ لِوَالِدَيْه ، والدَّيُّوثُ ، وَالرَّجُلَةُ[١] .

وخرَّج من حديث فيه مجهول ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : قال ﷺ : ثَلاثَةٌ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجنَّةَ : مُدْمِنُ الْخَمْرِ ، والعاقُّ ، والدَّيُّوثُ الذى يُقِرُّ الْخبْثَ في أَهْلِه[٢] .

وخرَّج أيضًا : ثَلاثةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، وَلَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ/ [١٧٣و] يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْعَاقُّ لِوَالِدَيْه ، وَالْمَرْأَةُ الْمُتَرَجِّلَةُ ـ الْمُتَشَبِّهَةُ بالرِّجَال ـ وَالدَّيُّوثُ ، وثَلاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْعَاقُّ لوالِدَيْه ، وَمُدْمِنُ الخمر ، وَالْمَنَّانُ بِمَا أَعْطَى[٣] .

قال بعض العلماء : ولاحاجة إلى تقييد الدياثة والقيادة بكونها بين الرِّجال والنساء ، بل هي على المرد[٤] أقبح . فيا أيها المتغافل عن زوجته وأقاربه ما أقل غيرتك .

ومن الأفعال التي تُلعن بها المرأة ، ويُلعن زوجها الرَّاضي بذلك : إظهار الزينة

---

(١) الحديث عن ابن عمر أخرجه البزار في مسنده ١٢/ ٢٦٩ ، والبيهقي في الشعب (باب في بر الوالدين ، فصل في عقوق الوالدين) ٧/ ٤١٢ ، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب(كتاب البر والصلة ، باب الترهيب من عقوق الوالدين) ، وقال عنه : حسن صحيح ٢/ ٦٦٢ ، والحاكم في المُستدرك (كتاب الإيمان) ، قال الذهبي : صحيح ١/ ١٠٦ .

والرَّجُلَةُ : المترجلة اللاتي يتشبهن بالرجال في زيهم وهيئتهم . ويقال إمراة رجُلة إذا تشبهت بالرجال في الرأي والمعرفة . النهاية في غريب الحديث والأثر .(مادة/ رجل) .

(٢) لم نجد الحديث عن عبد الله بن عمرو بن عاص ، والحديث عن عبد الله بن عمر أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب البر والصلة ، باب ماجاء في عقوق الوالدين) ٤/ ١٤٧ـ ١٤٨ ، والألباني في صحيح الترغيب (الموضع السابق) ٢/ ٦٦٢ .

(٣) الحديث بهذا اللفظ عن عبد الله بن عمر أخرجه النسائي (كتاب الزكاة ، باب المنان بما أعطى) ص٣٣٩ ، وأحمد في المسند ١٠/ ٣٢٢ ، والبزار في مسنده ١٢/ ٢٦٩ ، والطبراني في المعجم الكبير١٢/ ٣٠٢ .

(٤) المرد : نقاء الخدين من الشعر . والأمرد : الشاب الذي بلغ خروج لحيته وطَرَّ شاربه ولم تبد لحيته . لسان العرب (مادة : مرد) .

والكحل والخطوط والنقوش والحنا ، وما يُفعل من النقش الذي يُرسم على العجين حرام ؛ لما فيه من إهانة العيش ، فإنه يُلقى على المزابل ، ويُوطأ ولا تأكله الكلاب . والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب ، والتطيب بأنواع الطيب والمرور في مجامع الفساق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ألا أيها الإخوان ، قد أظلكم شهر عظيم الشأن ، ألا وهو شهر شعبان ، فيه تتشعب الخيرات ، وتنزل البركات ، وكان ﷺ يُكثر من الصِّيام فيه[1] ، وقال : صَوْمُوا شَعْبَانَ تَعْظِيماً لِرَمَضَانَ[2] .

فعليكم فيه بالأعمال الصَّالحة ، والأقوال الحسنة ، قال تعالى في بعض الصُّحف : يا ابن آدم ، إذا كان قولك حسنًا وعملك قبيحًا ، فأنت رأس المنافقين ،وإن كان ظاهرك حسنًا وباطنك قبيحًا ، فأنت من جملة الهالكين : ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾[3] ، يا ابن آدم ، آوي الغريب ، وصل القريب ، وواسي الفقير ، وارحم الكسير ، وأكرِمْ اليتيم ، وكن له كالأب الرَّحيم ، وكن للأرملة كالزوج العطوف ، وأكرم الضيوف ، وتول أمر الملهوف ، اعطي من الخيرات أنواع الصنوف ، يا ابن آدم ، كُف من أجلي عن الشهوات ، أرفع لك الدرجات ، يا ابن آدم ، تواضع لعظمتي أُنزل عليك رحمتي ، يا ابن آدم ، إنه لا يدخل جنتي إلا من تواضع لعظمتي ، وقطع أوقاته بذكري فوحدني ومجدني ، وادعني وسلني فمن دعاني

---

(١) جزء من حديث عن عائشة أم المؤمنين أوله : كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول لا يفطر . . .وما رأيته أكثر صيامًا منه في شعبان . أخرجه البخاري (كتاب الصوم ، باب صوم شعبان) ٢/ ٦٩٥ ، ومسلم (كتاب الصيام ، باب صيام النبي ﷺ في غير رمضان) ٨/ ٣٩ .

(٢) لفظ الحديث : صيام شعبان لتعظيم رمضان ، عن أنس أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الصيام ، ما قالوا في صيام شعبان) ٢/ ٣٤٦ ، وأبو يعلى في مسنده ٣/ ٣٤٥ ، والبزار في مسنده ١٣/ ٣٠١ ، والبيهقي في شعب الإيمان(باب الصيام ، صوم شعبان) ٣/ ٣٧٧ .

(٣) الآية رقم ٩ من سورة البقرة .

أجبته ، ومن سألني أعطيته ، وإذا ناداني الملهوف لبّيته ، ومن أكثر من ذكري ذكرته[١] .

قال ﷺ : أحسنكم إيمانًا أكثركم فكرًا ، أفضلكم عبادة أكثركم ذكرًا ، ألا أدلكم على أفضل أعمالكم ، إن أفضل أعمالكم ذكر الله سبحانه ، وكثرة الصدقة[٢] . أبغض القلوب إلى الله سبحانه القلب القاسي ، أبعد القلوب من الله القلب الناسي[٣] . أفضل الذكر قول لا إله إلا الله[٤] ، وأن لا يزال قلبك متحركًا بذكر الله أفضل ما أُمرت به ، وأمر به النبيون من قبلي ، تقوى الله ، أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله[٥] .

أسدُّ الأعمال ثلاث : ذكر الله على كل حال ، ومواساة الأخ ، وإنصاف الرجل من نفسه[٦] . أفضل الشّكر قول : الحمد لله ، أفضل الذكر قول : لا إله إلا الله ،

---

(١) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٢) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٣) لفظ الحديث : أبعد الناس من الله القلب القاسي . جزء من حديث عن ابن عمر أخرجه الترمذي (كتاب الزهد ، باب منه) ، قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ٤/ ٥٢٥ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في حفظ اللسان ، فصل في فضل السكوت عما لا يعنيه) ٤/ ٢٤٥ .

(٤) تتمة الحديث : وأفضل الدعاء الحمد لله . عن جابر بن عبد الله أخرجه الترمذي (كتاب الدعوات ، باب ما جاء إن دعوة المسلم مستجابة) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ٥/ ٤٣١ ، وابن ماجه (كتاب الأدب ، باب فضل الحامدين) ٤/ ٥٥٤ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الدعاء والتكبير) قال الذهبي : صحيح ٢/ ٧٠٠ .

(٥) الحديث مع اختلاف في اللفظ وزيادة في الألفاظ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أخرجه الترمذي (كتاب الدعوات ، باب في دعاء يوم عرفة) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ٥/ ٥٣٤ ، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (كتاب الذكر ، الترغيب في قول لا إله إلا الله) ، وقال عنه : حسن لغيره ٢/ ٢٢٦ ، والحديث عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أخرجه مالك في الموطأ (كتاب القرآن ، باب ما جاء في الدعاء) ص١٣٧ .

(١) الحديث بلفظ : أشد الأعمال . . . عن أبي جعفر أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الزهد ، باب ما ذُكر عن نبينا ﷺ في الزهد) ٧/ ١٠١ ، والحديث بلفظ : أسد الأعمال . . . ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وقال عنه : منكر ٧/ ٣١٦ . والسَّداد : الإصابة في المنطق . لسان العرب (مادة : سدد) .

أفضل التَّوحيد قول : لا إله إلا الله . وفي رواية زيادة : وحده لا شريك له . [قال صلى الله عليه وسلم] : أحق النَّاس بشفاعتي [يوم القيامة] من قال لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه ، أو نفسه[١] .

إخواني ، عظِّموا يوم الجمعة فإنه سيد الأيام . قال نبيكم عليه أفضل الصلاة وأتم السَّلام : الجمعة سيد الأيام وأعظمها[٢] . وهو عند الله أعظم من يوم النحر . اختتموا مجالسكم بالاستغفار ، وأكثروا من الصَّلاة على النبي المختار/ [١٧٣ظ] المُتوج بالأنوار . قال ﷺ لصحابته الأكرمين رضي الله عنهم أجمعين : ألا أُخبركم بأبخل الناس ، قالوا : خاب وخسر يا رسول الله ، قال : من ذُكرت عنده فلم يُصل علي[٣] .

---

(١) لفظ الحديث :أسعد الناس ، وهو جزء من حديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث) ١/ ٤٩ ، وأحمد في المسند ١٤/ ٤٤٦ ، والبزار في مسنده ١٥/ ١٤٥ .

(٢) جزء من حديث عن أبي لبابة بن عبد المنذر ، أخرجه أحمد في المسند ٢٤/ ٣١٤ـ ٣١٥ ، وابن ماجه(كتاب إقامة الصلاة والسُّنة فيها ، باب في فضل الجمعة) ١/ ٣٥٢ ، والطبراني في المعجم الكبير ٥/ ٣٣ .

(٣) الحديث عن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ولفظه : قال رسول الله ﷺ : البخيل الذي من ذُكرت عنده فلم يصل عليَّ . أخرجه الترمذي (كتاب الدعوات ، باب قول رسول الله ﷺ : رغم أنف رجل) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب ٥/ ٥١٥ ، وأحمد في المسند ٣/ ٢٥٨ ، وأبو يعلى في المسند ٥/ ١٨١ . والحديث كما جاء في المتن أخرجه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب عن أبي ذر (كتاب الدعاء ، باب الترغيب في إكثار الصلاة على النبي ﷺ) قال عنه : صحيح لغيره ٢/ ٣٠١ .

فصل

في قوله تعالى : ﴿لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١] .

وسُئل ﷺ عن عمل الجنة ، قال : الصدق . ثم قال : إذا صَدق العبد بَرَّ ، وإذا بَرَّ آمن ، وإذا آمن دخل الجنَّة ، وسئل عن عمل النَّار ، فقال : الكذب ؛ إذا كذب العبد فجر ، وإذا فَجَرَ كفَرَ ، وإذا كفَرَ دخل النَّار[٢] .

وقد يجب الكذب إن خيف على معصوم القتل أو على أمانة الأخذ ، وله أن يدفع ذلك ولو باليمين ، ولا يؤاخذ به . قال العلماء : وليس من الكذب قول الإنسان لصاحبه : جئتك ألف مرة أو عشرين مرة ؛ لأن مراده المبالغة ما لم يحلف ، فليحرر .

ومن الكبائر التهاون في صلاة الجمعة ، عن حفصة رضي الله عنها : رواح الجمعة واجب على كل محتلم[٣] .

ومن حديث أبي داود : من ترك ثلاث جمع تهاونًا بها طبع الله على قلبه[٤] .

ومن خطبه ﷺ ـ أخرجها ابن ماجه ـ : يا أيها الناس ، توبوا إلى الله قبل أن تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصَّالحة قبل أن تُشْغَلُوا ، وصِلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له ، وكثرة الصَّدقة في السر والعلانية ، تُرزقوا وتُجْبروا وتُنصروا . واعلموا

---

(١) جزء من الآية رقم ٦١ ، من سورة آل عمران .

(٢) الحديث بهذا اللفظ عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أخرجه أحمد في المسند ١١/ ٢١٦ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب العلم ، باب ما جاء في ذم الكذب) ١/ ١٤٢ .

(٣) الحديث مرفوعًا عن حفصة أم المؤمنين أخرجه النسائي(كتاب الجمعة ، باب التشديد في التخلف عن الجمعة) ص٢٢٥ ، والطبراني في المعجم الكبير ٢٣/ ١٩٥ . والحديث بألفاظ أطول أخرجه أبو داود (كتاب الطهارة ، باب في الغُسل يوم الجمعة) ١/ ١٧٥ .

(٤) الحديث عن أبي الجعد الضمري ، أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة ، باب التشديد في ترك الجمعة) ١/ ٤٤٥ ، والترمذي (كتاب الصلاة ، باب ما جاء في ترك الجمعة من غير عذر) ، قال أبو عيسى : حديث أبي الجعد ، حديثٌ حسن ٢/ ٣٧٣ ، والنسائي (كتاب الجمعة ، باب التشديد في التخلف عن الجمعة) ، ص٢٢٤ .

أن الله افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا ، في يومي هذا ، في شهري هذا ، من عامي هذا إلى يوم القيامة ، فمن تركها في حياتي أو بعدي وله إمام عادل أو جائر استخفافًا بها ، فلا جمع الله له شمله ، ولا بارك الله له في أمره ، ألا ولا صلاة له ، ولا زكاة له ، ولا حجّ له ، ولا صوم له ، ولا برّ له ، حتى يتوب ، فمن تاب تاب الله عليه[1] .

ونهار الجمعة أفضل النّهار ، وليلتها أفضل الليالي حتى ليلة القدر ، فإن ليلة الجمعة تكون في الدُّنيا والآخرة ، وليلة القدر لا تكون إلا في الدُّنيا ، فإن قيل : إن الجنة لا ليل فيها ، قيل : إن الليل فيها الذي كان في الدُّنيا يكون كيوم يكون فيه الغبُوق[2] ، فبهذا يفرق بين الليل والنّهار في الجنة ، وأما قوله تعالى : ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[3] أي ألف شهر لا يُعد فيه ليلة الجمعة . ويقال : إن ليلة الجمعة في الجنَّة التي هي على فضل من جملة الليالي التي على صفة الغبوق ، أزيد نوراً ، يعلم ذلك المسلمون ، وفيها يتزاورون .

وللصلاة على النبي ﷺ مزيد فضل من الصلاة في غيرها ، فقد قال ﷺ : أكثروا من الصلاة عليَّ في الليلة الغراء ، واليوم الأزهر[4] . فالليلة الغراء ليلة الجمعة ، واليوم الأزهر : يومها .

---

(١) جزء من حديث عن جابر بن عبد الله أخرجه ابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسُّنة فيها ، باب في فرض الجمعة) ٢/ ٣٥٠ـ ٣٥١ ، وأبو يعلى في مسنده ٢/ ٣٧٥ ، وعبد بن حُميد في مسنده ، ص٣٣٤ .

(٢) الغبوق : شرب العشي . وخصَّ بعضهم به اللبن المشروب في ذلك الوقت ، ولقيته ذا غبوق وذا صبوح أي بالغداة والعشي . لسان العرب (مادة : غبق) .

(٣) الآية رقم ٣ ، من سورة القدر .

(٤) تتمة الحديث . . . فإن صلاتكم تُعرض عليَّ . . عن أبي هريرة ، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط١/ ١٨٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الصلاة ، باب الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة) ٢/ ١٦٩ .

وبما أنعم الله به على المؤمنين في الجنة أن لا حر فيها ، ولا برد ، ولا شمس ، ولا قمر ؛ لأن نورها يُغني عن نورهما . وأيضًا إن الله تعالى جعل كل من الشمس والقمر في الدُّنيا لحكمة ؛ منها أن الشّمس لاستواء الفواكه ، والقمر لتحليتها ، وفواكه الجنة مهيأة لا تحتاج إلى استواء وتحلية .

ومن الكبائر إيذاء المسلمين في طرقهم ، ومياههم ، وظلهم ، فمن فعل ذلك فهو رافضي ملعون ، قال ﷺ : من أذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم[١] .

وقال ﷺ : من تغوط على حافة نهر يُتوضأ منه ، ويُشرب منه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين[٢] .

وقال ﷺ : اتقوا الملاعن[٣] الثلاث ، البراز في الموارد[٤] ، وقارعة الطريق ، والظل[٥] . / [١٧٤و] أي الذي اتخذه النّاس مقيلا لا مطلقًا ، فلو تغوط إنسان في مكانْ لم يتخذه النّاس مقيلًا لا بأس به .

ومن الكبائر عدم التنزه عن البول في البدن أو الثوب ، قال تعالى : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٦] ، فإذا كان الثوب مأموراً بطهارته فالبدن ألزم .

---

(١) الحديث عن حذيفة بن أسيد ، أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الطهارة ، باب فيه وفي آداب الخلاء) ١/ ٢٠٤ ، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (كتاب الطهارة ، باب الترهيب من التخلي على طرق الناس أو ظلهم . . .) وقال عنه : حسن١/ ١٧٢ .

(٢) الحديث عن أبي هريرة ، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٣/ ١٧٩ ، والهيثمي في الزواجر عن اقتراف الكبائر (كتاب الطهارة ، باب قضاء الحاجة) ١/ ٥٣٣ .

(٣) الملاعن : مواضع التبرزوقضاء الحاجة . لسان العر ب (مادة : لعن) .

(٤) الموارد : المناهل . واحدها : مورد . لسان العرب (مادة : ورد) .

(٥) الحديث عن معاذ بن جبل أخرجه أبو داود(كتاب الطهارة ، باب المواضع التي نهى النبي ﷺ عن البول فيها) ١/ ٢٧ ، وابن ماجه (كتاب الطهارة ، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق)١/ ١٣٠ ، والحاكم في المستدرك(كتاب الطهارة) قال الذهبي : صحيح ١/ ٢٤٩ .

(٦) الآية رقم ٤ ، من سورة المدثر .

ومن الكبائر الواقعة كثيراً في زماننا المحلل ، والمحلل له . قال ﷺ : لعن الله المحلل ، والمحلل له[1] . أي تزوجته المرأة وتزوجها على هذا الشرط .

خرّج ابن ماجه بإسناد صحيح أن رسول الله ﷺ ،قال لأصحابه الكرام : ألا أُخبركم بالتيس المستعار ، قالوا : ومن هو يارسول الله؟ ، قال : هو المحلل ،لعن الله المحلل ، والمحلل له[2] .

وسُئل ابن عباس رضي الله عنهما عمن طلق امرأته ثلاثًا ، ثم ندم ، قال : هو رجل عصى الله تعالى فأندمه ، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجًا ، قيل له : فكيف ترى في رجلٍ يحلّها ، قال : من يخادع الله يخدعه[3] .

ومن شرط التحليل : الوطأ حقيقة ؛ لما روى أن امرأة رفاعة القرظي جاءت إلى النبي ﷺ ، فقالت : يارسول الله ؛ كنت عند رفاعة ، فطلقني ثلاثًا ، فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير ، وما معه مثل هُدبة[4] الثوب ، فقال ﷺ : أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ ، قالت : نعم ، قال : لا ؛ حتى تذوقي عسيلته ، ويذوق عسيلتك[5] . والمراد بذوق العسيلة : الوطأ .

---

(١) جزء من حديث عن عليٍّ بن أبي طالب أخرجه أبو داود (كتاب النكاح ، باب في التحليل) ٢/ ٣٨٨ ، وابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الرد على أبي حنيفة) ٧/ ٢٩١ ، والبيهقي في السنن(كتاب النكاح ، باب ما جاء في نكاح المُحلل)١٠/ ٤٩٤ .

(٢) الحديث بهذا اللفظ عن عقبة بن عامر أخرجه ابن ماجه(كتاب النكاح ، باب المحلل والمحلل له)٢/ ٦١٦ ، والطبراني في المعجم الكبير ١٧/ ٢٩٩ ، والدار قطني في السنن (كتاب النكاح ، باب المهر)٣/ ٢٥١ .

(٣) الأثر عن ابن عباس أخرجه البيهقي في السُّنن(كتاب الخلع والطلاق ، باب من جعل الثلاث واحدة) ١٥/ ٢٥٤ .

(٤) هُدْبة الثوب : طرف الثوب . أرادت امرأة رفاعة متاعه . لسان العرب(مادة/ هدب) .

(٥) الحديث عن عائشة أم المؤمنين ، أخرجه البخاري(كتاب الشهادات ، باب شهادة المختبى) ٢/ ٩٣٣ ، ومسلم(كتاب النكاح ، باب لا تحل المطلقة ثلاثًا لمطلقها . . .)١٠/ ٥ .

ولا يشترط الإنزال ، لأنه إشباع والذوق يحصل بمجرد الإيلاج ، حتى أن المقارب للبلوغ الذي لا إنزال منه يحلها ، وعلى هذا فلا يكفي مجرد العقد .

وقول من يقول إن تزوج برضيع فترضعه ، فتحرم عليه ، فتحل للأول باطل ، وخرق في الدين وينسب إلى الحنفية ، والحنفية بُرَاء منه[١] .

من أفتى الناس بغير علم فعليه لعنة ملائكة السماوات والأرضين السبع والناس أجمعين .

إخواني ، متى توفرت شروط النِّكاح ، وذلك بالقدرة على المهروالمؤن ، وكان يخشى الإنسان من الوقوع في الزنا ، يجب عليه النِّكاح ، قال ﷺ : لعن الله المتبتليين ـ المنقطعين عن الزواج ـ من الرِّجال الذين يقولون لا نتزوج ، والمُتبتلات اللاتي يقلن ذلك[٢] . قيل في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[٣] ، أي متزوجون .

ومما هو واقع كثيراً وعُدَّ من الكبائر أن يُعِير ما استعار ، وإذا استعار شيئًا مدة أن يستعمله بعد انقضاء المدة ، وأن يستعمل العارية في غير ما استُعيرت له بأن استعار فروة[٤] ليحضر بها مجلسًا فلا يجعلها لحافًا أو فوقه[٥] تلك الليلة ، أو استعار دابة ليركبها بنفسه ، فلا يركبها غيره ، أو يردف معه أحداً أو يحملها حطبًا ، ونحوه ، أو استعار ثوبًا فلا يلبسه غيره ، لأنه يختلف ذلك باختلاف الراكب والمستعمل .

---

(١) لم نجد هذا القول منسوبًا للحنفية . انظر الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري(كتاب النكاح ، شروط الرضاع) ٤/ ١٩١ـ ١٩٢ .

(٢) جزء من حديث عن أبي هريرة ، أخرجه أحمد في المُسند ١٣/ ٢٧١ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في تعديد نعم الله عزَّ وجلَّ وشكرها ، فصل في النوم وآدابه)٤/ ١٧٩ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب النكاح ، باب الحثُّ على النكاح وما جاء في ذلك) ٤/ ٢٥١ .

(٣) الآية رقم ١٠٢ ، من سورة آل عمران .ولم نجد هذا التفسير فيما بين أيدينا من الكتب .

(٤) الفروة : معروف ، الذي يُلبس . لسان العرب(مادة : فرا) .

(٥) فوقه : قَلَنْسُوَتُه . لسان العرب (مادة : فوق) .

اخلصوا إخواني بعبادتكم في هذه الأوقات المُباركة ، فإن الرياء من جملة الكبائر . عن النبي ﷺ ، أنه قال : اليسير من الرياء شرك(١) ، وقال تعالى : ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾(٢) أي ليقال إنه كريم سخي ، حاتم طائي ، يعطي الإحسان لغير مستحقه ، ويعمل المعروف مع غير أهله .قالوا : والرياء يدخل في كل عبادة إلاّ الصوم ، فإنه أمر باطني إلا أن يتفوه بلسانه ويقول إني/ [١٧٤ظ] صائم أو صائم الشهور الثلاث ليعتقده الناس . جاء إنه يُنادى على المرائي يوم القيامة : يافاجر يا غادر يا كافر يا خاسر ، ضل عملك وحبط أجرك ، إذهب فخذ أجرك ممن كنت تعمل له(٣) .

وإذا جزى الله الناس بأعمالهم ، يقول تعالى للمرائيين : اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا ، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟(٤)

قال ﷺ : من فارق الدُّنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، فارقها والله عنه راض(٥) .

---

(١) جزء من حديث عن معاذ بن جبل ، أخرجه ابن ماجه (كتاب الفتن ، باب من ترجى السلامة له من الفتن) ٤/ ٦٢٠ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الإيمان) ، قال الذهبي : صحيح ولا علة له ١/ ٤ ، والطبراني في المعجم الكبير ٢٠/ ١٥٣ ، والبيهقي في الشعب(باب في إخلاص العمل لله وترك الرياء) ٥/ ٣٢٨ .

(٢) جزء من الآية رقم ٢٦٤ من سورة البقرة .

(٣) انظر : إحياء علوم الدين للغزالي (كتاب ذم الجاه والرياء ، بيان ذم الرياء) ٣/ ٢٩٤ ، وتفسير القرطبي (مقدمة الكتاب ، باب تحذير أهل القرآن والعلم من الرياء وغيره) ١٦/١ .

(٤) جزء من حديث أوله : إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر . . . عن محمود بن لُبيد أخرجه أحمد في المسند ٣٩/٣٩ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في إخلاص العمل لله وترك الرياء) ٥/ ٣٣٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الإيمان ، باب ما جاء في الرياء) ١/ ١٠٢ .

(٥) الحديث عن أنس أخرجه ابن ماجه (المقدمة ، باب في الإيمان) ١/ ٤٩ ، والبزار في مسنده ١٣/ ١٣٢ . والحديث بألفاظ أطول أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب التفسير ، التَّوبة : ٥) ، قال الذهبي : صدر الخبر مرفوعًا ، وسائره مدرك فيما أرى . ٤/ ١٢٢٩ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في إخلاص العمل لله وترك الرياء) ٥/ ٣٣٩ـ ٣٤٠ .

وقال ﷺ : الدُّنيا ملعونة ، ملعون ما فيها إلا ما يُبتغى به وجه الله[١] .

يقول تعالى في بعض صحفه المنزلة : ابن آدم ، أَخْلِصْ عملك من الرياء تربح ، ابن آدم ، خلقتك فتكبرت على خلقي ، وعصيت أمري ، ورزقتك علمًا فحسدت ، ومالا تتجر به فخنت ، وعلمتك الصناعات الحسنة فغشَّيت إخوانك ، واستعبدتُك فاتخذت الرياء في عبادتك ، واغنيتك فتجبرت ومنعت حق الفقراء مما أعطيتك إياه ، فبماذا تطلب جنتي وتتمنى لرحمتي ، كل ذلك من أجل حب الدُّنيا ، أخرج حب الدُّنيا من قلبك ، وإني لا أجمع بين حب الدنيا وحبي في قلب واحداً أبدا ، تقول الله وفي قلبك غيري ، فلو عرفتني خفتني واستغفرتني ، فإن الاستغفار مع الإصرار توبة الكذابين ، وما ربك بظلّام للعبيد ، تفرغ لذكري أذكرك عند ملائكتي[٢] .

إخواني ، مقبلة عليكم ليلة النِّصف من شعبان ، فإنها ليلة عظيمة الشأن ظاهرة البرهان ، فانكبوا فيها على طاعة الله ، مقلعين عن الذنوب ، فإن الله تعالى يقبل التوبة عن عباده ، ويستر العيوب ، ويجبر القلوب ، وتباعدوا فيها عن صلاة الرغائب[٣] ، فإنها من أعظم المصائب ، لم يقل بها إلا كل مُدلس كاذب ، لم تثبت عن سيد الأنام ، ونهى عن فعلها العلماء الأعلام ، ولم يفعلها إلا الجاهل ، ومن هو عن رحمة الله متباعد ، وعن ذكره غافل . لا يغفر الله تلك الليلة لمرتكب شيء من الكبائر ، فاقلعوا عما ارتكبتموه من الكبائر والصغائر ، فإنكم يا إخواني عما قريب إلى الله صائرون ، وعلى ما عملتموه محاسبون . قال ﷺ : أربع ليال من أحياهن أحيى

(١) الحديث عن أبي الدرداء أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد(كتاب الزهد ، باب ما جاء في الرياء) ١٠/ ٢٢٢ ، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (كتاب الإخلاص ، باب الترغيب في الإخلاص والصدق . . .) ، وقال عنه : حسن لغيره ١/ ١٠٧ .

(٢) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٣) الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب ،هي ثنتا عشر ركعة تُصلى بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة في رجب ، وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة . وهاتان الصلاتان بدعتان مذمومتان . انظر : المجموع في التهذيب ، للنووي (كتاب الصلاة ، باب في صلاة التطوع) ٤/ ٥٦ .

الله قلبه يوم تموت فيه القلوب ، أول ليلة من رجب ، وليلة نصف شعبان ، وليلتي العيدين[١] ، وفي رواية قال ﷺ : أربع ليال من أحياهن أحيا الله قلبه ، يفرغ الله فيهن الرَّحمة على عباده إفراغًا هن : أول ليلة من رجب ، وليلة نصف شعبان ، وليلتي العيدين[٢] .

أكثروا ذكر الله سبحانه ، فإن العبد إذا قال : سبحان الله وبحمده ، كُتب له بها عشر حسنات إلى مئة ألف ، ومن زاد زاده الله ، ومن استغفر غُفر له[٣] .

أكثروا ذكر الله في الغداة والعشى ، فإنه أرضى للملك العلي . أخي ، أكثر من ذكر الله سبحانه ، فإنه عون لك على كل ما تطلب ، صل على خير الأنام الشافع المُشفع يوم القيام . قال : إنما أنا رحمة مهداة إليكم[٤] ، أنا نعمة من الله عليكم ، أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب[٥] .

---

(١) لفظ الحديث : من أحيا ليلتي العيدين وليلة النصف من الشعبان لم يمت قلبه يوم تموت فيه القلوب . عن ابن كردوس ، عن أبيه مرفوعًا ، أخرجه ابن الجوزي في العلل المتناهية (كتاب الصيام) ٢/ ٧١ .

(٢) الحديث بهذه الرواية عن الحسن البصري ، ذكره الشجري في الأمالي المعروفة بالأمالي الخميسية ، المتوفى سنة ٤٩٩هـ . والحديث فيه بلفظ : أربع ليال يفرغ الله تعالى الرحمة على عباده إفراجًا : أول ليلة من شهررجب . . .(باب في صوم رجب وفضله) ٢/ ١٢٧ .

(٣) جزء من حديث عن ابن عمر أخرجه البيهقي في السنن (كتاب الأشربة والحد فيها ، باب ما جاء في الشفاعة بالحدود) ٨/ ٥٧٧ ، والحديث كما ورد ذكره النسائي في عمل اليوم والليلة (ذكر حديث كعب بن عجرة في المعقبات) ١/ ٢١١ .

(٤) الحديث حتى هذا اللفظ عن أبي صالح ، قال : كان النبي ﷺ ، يناديهم : يا أيها الناس ، إنما أنا رحمة مهداة . أخرجه الدارمي في سننه (المقدمة ، باب ما أكرم الله به نبيه) ، ص ٢٩ ، والحديث عن أبي هريرة أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب الإيمان) قال الذهبي : على شرطهما . ١/ ٤٧ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في حب النبي ﷺ ، فصل في حدبه على أمته ورأفته بهم) ٢/ ١٦٤ .

(٥) جزء من حديث عن البراء بن عازب أخرجه البخاري (كتاب الجهاد والسير ، باب من قاد دابة غيره في الحرب) ٣/ ١٠٥١ـ ١٠٥٢ ، ومسلم (كتاب الجهاد والسير ، باب في غزوة حنين) ١٢/ ١١٣ .

/[١٧٥و] فصل

قال تعالى : ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[١] .

اختُلف في كون الدعاء هل هو مطلوب أم لا؟ الجمهور على أنه مطلوب ؛ يؤيده هذه الآية . وقال بعضهم : ندعوه حالة الضراء ونشكره حالة السّراء ، وقال بعضهم : ندعوه على كل حال .

قيل : ﴿ادْعُونِي﴾ بلا غفلة ، أَسْتَجِبْ لَكُمْ بلا مهلة[٢] . لأن الله تعالى لا يقبل الدعاء من قلب غافل ، أو لاه .

وقيل : ﴿ادْعُونِي﴾ بقلوبٍ خالية ، أَسْتَجِبْ لَكُمْ بإعطاء الدرجات العالية .

وقيل : ﴿ادْعُونِي﴾ بالقلوب الصّافية ، أَسْتَجِبْ لَكُمْ بدوام العافية .

وقيل : ﴿ادْعُونِي﴾ في حالة السراء ، أَسْتَجِبْ لَكُمْ في حالة الضراء .

وقيل : ﴿ادْعُونِي﴾ بالقلوب والجوارح ، استجب بالنجاة وقضاء المصالح .

وقيل : ﴿ادْعُونِي﴾ بالإخلاص والتقوى ، أَسْتَجِبْ لَكُمْ بدخول جنة المأوى .

وقال بعضهم : أود أن تؤخر إجابة أدعيتي إلى الآخرة .

والمعنى عليه : ﴿ادْعُونِي﴾ في دار الخراب والفناء ، أَسْتَجِبْ لَكُمْ في دار الثّواب والبقاء .

وتأخير الإجابة عن بعضهم إما ليبقي رجاءه متصلاً ؛ إذ لو أُعطي مناه لترك دعاه ، وإما لأن في الإجابة فساده وفي عدمها صلاحه ، والله أرحم بعباده .

يقول تعالى في بعض صحفه : عبدي ، ادعني لأسمع دعاك ، فإن كان ما سألته خيرًا لك أعطيتك إياه ، وإن كان شرًا لك صرفته عنك[٣] .

---

(١) جزء من الآية رقم (٦٠) من سورة غافر .

(٢) القول عن أبي بكر الشبلي ذكره البيهقي في شعب الإيمان (باب في الرجاء من الله تعالى ، ذكر فصول في الدعاء يحتاج إلى معرفة)٢/ ٥٤ .

(٣) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

إخواني ، ما كل شجرة تصلح للبستان ، ولا كل سحاب هتان[١] ولا كل خضرة ريحان ، ولا كل نفس تصلح للرحمن ، ولا أحسن من تقوى الملك الدّيان . يقال : مكتوب على ساق العرش ، يقول الله تعالى : من اشتاق إلى رحمتي رحمته ، ومن سألني أعطيته ، ومن لم يسألني ما نسيته ، ومن تقرب إليّ بحب حبيبي محمد غفرت ذنوبه ، ولو كانت مثل زبد البحر[٢] .

ألحوا يا إخواني في الدعاء ، فعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال صلى الله عليه وسلّم : إن الله عز وجلّ يحب الملحين في الدعاء[٣] .

وعن جابر ، قال : قال ﷺ : والذي نفسي بيده أن العبد ليدعو الله عز وجل وهو [عليه] غضبان فيُعرض عنه ، ثم يدعوه فيعرض عنه ، فيقول الله عز وجل للملائكة عليهم السلام : أبى عبدي أن يدعو غيري فقد استحييت منه[٤] .

[أسباب رد الدعاء]

ويُرد الدعاء بالمأكل الحرام ، قال يوسف بن أسباط : بلغنا أن دعاء العبد ينحبس عن السموات لسوء مطعمه[٥] .

ولا يستعجل الإجابة ، فربما كانت المصلحة في التّأخير ، والأولى أيضًا أن يدعو بالأدعية المأثورة ولا يدعو بأدعية من تلقاء نفسه . عن أنس ، قال : قال ﷺ : لا يزال العبد بخير ما لم يستعجل ، قال الصّحابة رضي الله عنهم : يارسول الله ، كيف

(١) هَتَنَ : المطر . لسان العرب(مادة : هتن) .

(٢) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٣) الحديث عن عائشة أم المؤمنين ، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في الرجاء من الله تعالى) ٢/ ٣٨ ، وفتح الباري لابن حجر (كتاب الدعوات) ١١/ ٩٥ ، وكتاب الدعوات للطبراني ١/ ٢٨ .

(٤) الحديث عن جابر ذكره أبو نعيم في الحلية (ترجمة الفضل بن عيسى الرقاشي) ٦/ ٢٠٨ .

(٥) القول ليوسف بن أسباط ، ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا) ١/ ٢٧٥ .

يستعجل؟ قال : يقول دعوت ربي فلم يستجب لي(١) .

ومما يُناسب المطعم الحرَّام ما مر في حديث أبي هريرة ، قال : قال ﷺ : إن الرَّجل يطيل السَّفر أشعث أغبر ، يمد يده إلى السماء ، يقول : يارب يارب ، ومطعمه حرام ، وملبسه حرام ، ومشربه حرام ، وغُذي بالحرام ، فأنى يُستجاب له(٢) .

والدعاء موقوف إذا لم يُصل فيه على النبي ﷺ ، خرَّج الترمذي عن عمر بن الخطاب ، قال : إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض ، لا يصعد منه شيء حتى يُصلي على النبي ﷺ فيه(٣) . فمن صلى على النبي ﷺ ، عشر مرات صارت تلك الصلوات ظلاً على رأس المُصلي يوم القيامة ، تقيه من حر الشَّمس ، ومن صلى عشرين مرة صارت ستراً أمامه ، وإن صلى ثلاثين مرة صارت ستراً خلفه /[١٧٥ظ] وإن صلى أربعين مرة صارت ستراً من عن يمينه ، وإن صلى خمسين مرة صارت ستراً من عن شماله ، وإن صلى ستين مرة كانت درعًا له من نور تدفع عنه الأهوال والشرور ، وتجلب له السرور ، وإن صلى سبعين مرة استغفرت له ملائكة ما بين السماء والأرض ، وإن صلى ثمانين مرة استغفرت له ملائكة السماء الأولى ، وإن صلى تسعين مرة استغفرت له ملائكة السماء الثانية ، وإن صلى مئة مرة استغفرت له ملائكة السماء الثالثة ، وإن صلى مئة وأربعين مرة استغفرت له ملائكة السماء الرَّابعة والخامسة والسَّادسة والسَّابعة ، وإن صلى مئة وخمسين مرة صلى عليه جبريل

(١) الحديث عن أنس ، أخرجه أحمد في المسند ٢٠/ ٣١١ ، والطبراني في المعجم الأوسط ٣/ ٢٤٢ ، وأبو يعلى في مسنده ٣/ ١٨٨ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الأدعية ، باب كراهة الاستعجال في الدعاء) ١٠/ ١٤٧ .

(٢) جزء من حديث عن أبي هريرة أخرجه مسلم (كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيته) ٧/ ١٠٢ ، والترمذي (كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة البقرة) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ٥/ ٢٠٥ .

(٣) الحديث موقوفًا على عمر بن الخطاب ﷺ أخرجه الترمذي(كتاب الصلاة ، باب ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ) وسكت عنه أبو عيسى ٢/ ٣٥٦ .

وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، وحملة العرش والكرسي وملائكة الحُجُب ، وصلى عليه الرب جلت عظمته ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[١] .

إخواني ، عليكم بالمواظبة على الصلوات الخمس ؛ فإن أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة ، فإن كانت تامة هوّن الله عليه الحساب ، وإن كانت ناقصة يقول تعالى لملائكته عليهم السّلام : هل لعبدي من تطوع ، أكملوا له الفريضة منه[٢] . ويُنادى على تارك صلاة الصُّبح يوم القيامة : يا غادر ، وعلى تارك صلاة الظُّهر : ياخاسر ، وعلى تارك صلاة العصر : يافاجر ، وعلى تارك صلاة المغرب : ياكافر ، وعلى تارك صلاة العشاء : ياخائب ، ويقال : يامُضيع ضيعك الله[٣] ، ويقول له الله تعالى عند ذلك : لست لك ربًا ، فأطلب ربًا سواي .

يقال : تحت العرش ملك له أربعة أوجه ، طول كل وجه مسيرة ألف سنة ، وعرضه كذلك ، وبين كل وجه ووجه ألف سنة ، ينظر بأحدها إلى الجنة ، يقول : طوبى لمن دخلك ، وبالثاني إلى النّار ، ويقول : الويل لمن دخلك ، وبالثّالث إلى العرش ، ويقول : إلهي سبحانك ما أعظم شانك ، وما أقوى سُلطانك ، ويسجد بالرّابع ويقول في سجوده : سبحان ربي الأعلى ، وهو أول من قال : سبحان ربي الأعلى ، فكانت سُنّة في سجودنا ، ويجري الماء على ظهره إلى سماء الدُّنيا ، وله كل يوم وليلة خمس حركات ، عند أوقات الصلوات الخمس ، فإذا تحرك تحرك كل شيء على ظهره ، فيأتيه النداء من قِبل الله تعالى : أن اسكن ، ولا يزال متحركًا حتى يأتيه

---

(١) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٢) الحديث بألفاظ أطول عن أبي هريرة ، أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة ، باب قول النبي ﷺ : كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه) ١/ ٣٧٨ـ ٣٧٩ ، والترمذي (كتاب الصلاة ، باب ماجاء إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة) قال أبو عيسى : حديثٌ حسن غريب . ٢/ ٢٧٠ـ ٢٧١ ، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة ، باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة) ٢/ ٤٦٠ .

(٣) الحديث غير مسند ، ومع اختلاف في اللفظ ، ذكره الصفوري في نزهة المجالس (باب فضل الصلاة ليلاً ونهاراً ومتعلقاتها . . .) ١/ ١٢٦ .

النداء من قوله تعالى أن اسكن؟ فيقول : يارب كيف أسكن؟! وقد حان وقت أداء فريضتك من أُمَّة محمد ﷺ ، اغفر لهم بفضلك يا رب ، فيقول تعالى له : إني غفرت لمن توضأ وصلى(١) .

جاء : إن أفضل الأعمال الصلاة لوقتها(٢) فمن أراد أن يُستجاب دعائه فليُصل الخمس ، ومن أراد أن تُقبل أعماله ويُبارك له في رزقه ، ويقهر أعدائه والشَّيطان ، فليُصل الخمس ، وهي تُسهل على الإنسان سكرات]الموت [وتكون له نوراً في قبره ، ومؤنسة له ، وجوابًا لمنكر ونكير ، ويُغرس له ببركتها في قبره ، وأما في القيامة فتُظله من حرّ الشمس ، ويلبس التَّاج ، وأحسن الملابس ، وتستره من النَّار ، وتكون له نوراً في محشره وعلى الصراط ، وتجيزه على الصراط ، وتُثقّل له الميزان .

انكبوا إخواني على صالح الأعمال .

جاء : إن الأعمال عند الله سبع ، عملان موجبان ، وعملان بأمثالهما ، وعمل بعشرة ، وعمل بسبعمائة ، وعمل لا يعلم ثوابه إلا الله ، فالعملان الموجبان : من لقي الله لا يُشرك به شيئًا ، وجبت له الجنة ، ومن لقي الله وقد أشرك به وجبت له النَّار ، ومن عمل سيئة جُزِي بمثلها ، ومن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها أُجزى بمثلها ، ومن أراد أن يعمل حسنة فعملها جُزِي بعشرة ، ومن أنفق درهمًا في سبيل الله جُزِي بثواب /[١٧٦و] سبعمائة درهم ، وأمَّا الصَّوم فلا يعلم ثوابه إلا الله تعالى(٣) .

---

(١) انظر القول مع اختلاف يسير في اللفظ ، في : نزهة المجالس للصفوري (الموضع السابق) ١/ ١٢٥ .

(٢) الحديث بهذا اللفظ عن أم فروة (أخت أبي بكر الصديق) أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة ، باب في المحافظة على وقت الصلاة) ١/ ٢١٣ ، والترمذي (كتاب الصلاة ، باب ما جاء في الوقت الأول من الفضل) وسكت عنه أبو عيسى . ١/ ٣١٩ـ ٣٢٠ ، وأحمد في المسند ٤٥/ ٦٣ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الصلاة) قال الذهبي : رواه الليث ومعتمر وجماعة عن عبيد الله بن عمر ١/ ٢٨٢ .

(٣) الحديث مع اختلاف يسير في اللفظ عن ابن عمر أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في الصيام ، فضائل الصوم) ٣/ ٢٩٨ـ ٢٩٩ ، والطبراني في المعجم الأوسط ١/ ٤٧٧ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الصيام ، باب في فضل الصوم) ٣/ ١٨٢ .

وجاء في الحديث : إن في الجنة غرفًا من الجواهر يُرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، وفيها من النّعيم من لا عين رأت ولا أُذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، قيل لرسول الله ﷺ : لمَنْ هَذه يَا رَسُولَ اللَّه؟ قال : لمَنْ أَفْشَى السَّلامَ ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَأَدامَ الصِّيَامَ ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نيَامٌ ، فقيل : يا رسولَ الله ، ومن يقدر على ذلك؟ ، قال : أُمَّتي ؛ مَنْ لَقِيَ أَخَاهُ الْمُسْلمَ فَسَلَّمَ فَرَدَّ عَلَيْه السَّلامَ فَقَدْ أَفْشَى السَّلامَ ، وَمَنْ أَطْعَمَ عيَالَهُ وأقاربه منَ المطاعم الحلال حتَّى أشْبعَهُمْ فَقَدْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ وَثَلاثَةَ منْ كُلِّ شَهْر فَقَدْ أَدامَ الصِّيَامَ ، وَمَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ الأَخيرَةَ بالجَمَاعَةِ فَقَدْ صَلَّى بالليل وَالنَّاسُ نيَامٌ[1] .

إخواني ، تباعدوا في هذه الأوقات المباركة عن الأشياء المُحرَّمة ؛ لتظهر عليكم علّامة المؤمنين . فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قيل للنبي ﷺ : يا رسول الله ، ما علامة المؤمن؟ قال : أربع ، أن يُطهر قلبه من الكبر والعداوة ، وأن يُطهر لسانه من الكذب والغيبة والنميمة ، وأن يُطهر عمله من السمعة والرياء ، وأن يُطهر جوفه من الحرام[2] .

قيل لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما : يا أمير المؤمنين ، علِّمنا عملاً ننجو به من النَّار ، وندخل به الجنة دار القَرار ، فقال : عليكم بملازمة خمسة عشر شيئًا : خمسة بلسانكم ، وخمسة بقلوبكم ، وخمسة بجوارحكم ، أما الخمسة التي بلسانكم ، فقولوا : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول

---

(١) الحديث بهذا اللفظ والترتيب ، عن جابر بن عبد الله ذكره أبو نعيم في الحلية (ترجمة محمد بن واسع) ٢/ ٣٥٦ ، والحديث مع اختلاف في الألفاظ والترتيب عن عبد الله بن عمرو ، أخرجه أحمد في المسند ١١/ ١٨٦ ، والحديث عن علي رضي الله عنه أخرجه الترمذي (كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في قول المعروف) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب . ٤/ ٣١١ ، والحاكم في المُستدرك (كتاب التطوع) . قال الحاكم : على شرط مسلم ٢/ ٤٦٤ .

(٢) الحديث موقوفًا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ذكره إسماعيل حقي في روح البيان (الصافات : ٣٦) ٧/ ٤٥٧ .

ولاقوة إلا بالله العلي العظيم[١] ، وأما الخمسة التي بجوارحكم فهي الصلوات الخمس ، وأما الخمسة التي في قلوبكم ، فحب النبي ﷺ ، وحب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين[٢] .

فأما الكلمات الخمس فهن الباقيات الصَّالحات تُعظِّم لقائلها الحسنات ، وأما الصلوات الخمس فإنها مُكفِّرة للسيئات ، وأما حب النبي ﷺ ، وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ، فإنها من أكبر الواجبات الموصلة لأعلى الجنات .

جاء إن النبي ﷺ ، قال : لقيت ليلة أُسرى بي أبي إبراهيم الخليل ، فقال لي : يا محمد ، أقريء أمتك مني السَّلام ، وأخبرهم أن الجنة طيبة التُّربة عذبة الماء ، وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر[٣] .

إخواني ، عليكم بحسن الأخلاق ، وإكرام الجيران ، فقد قال رسول الله ﷺ لأصحابه الكرَّام رضي الله عنهم : عليكم بأخذ طريق الجنَّة ، فقالوا : كيف لنا أن نأخذ بطريق الجنة؟ قال : حسنوا أخلاقكم ، ولاطفوا جيرانكم ، وأكرموا نساءكم ، تدخلوا جنة ربكم بلا حساب ، ولا عذاب[٤] .

---

(١) لم نجد الأثر بهذا اللفظ عن ابن عباس . والحديث حتى هذا اللفظ مرفوعًا عن أبي موسى الأشعري ، ولفظه : قال النبي ﷺ : عليكم بهذه الخمس : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم . انظر : مجمع الزوائد للهيثمي (كتاب الأذكار ، باب ما جاء في الباقيات الصالحات) ١٠/ ٩٠ .

(٢) لم نجد الأثر فيما بين أيدينا من كتب .

(٣) الحديث بهذا اللفظ عن عبد الله بن مسعود أخرجه الترمذي (كتاب الدعوات ، باب ٥٩) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ٥/ ٤٧٦ ، والطبراني في المعجم الأوسط ٥/ ٩٨ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الأذكار ، باب ما جاء في الباقيات الصالحات) ١٠/ ٩١ ، والبزار في مسنده ٥/ ٣٦١ .
قيعان : طين حُر ينبت السدر . لسان العرب(مادة : قوع)

(٤) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

وقال ﷺ : اتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق النَّاس بخلقٍ حسن[١] . حديث صحيح حسن .

واعمل يا أخي بمضمون هذه المناجاة الواقعة للسيد الكليم من مولاه الملك العظيم تفز بالخير الجسيم ، قال جلَّ وعلا : يا موسى ، أتحب أن أنظر إليك بكرة وعشية؟ قال : نعم يارب ، قال : أحب للناس كما تحب لنفسك . يا موسى ، أتحب أن أكون لك ناصراً في الدنيا والآخرة؟ قال : نعم ، قال : أحسن إلى خلقي أنشر عليك رحمتي صباحًا ومساءً ، وتصافحك الملائكة ، وأُثقل ميزانك ، يا موسى ، أتحب أن أنظر إليك كل يوم سبعين مرة؟ /[١٧٦ظ] قال : نعم ، قال : فرج عن المهمومين ونفس عن المكروبين ، ورُد لهفة الملهوفين ، يا موسى ، أتحب أن أكون لك عونًا ، ومعينًا ، وحافظًا ، وأمينًا؟ قال : نعم ، قال : أحسن للفقراء والمساكين ، وكن لليتيم كالأب الشفوق ، وللأرملة كالزوج العطوف ، ياموسى ، أتحب الأمان من العطش الأكبر ، والأمن من فزع المحشر؟ قال : نعم ، قال : لا تقل في مسلم بهتانًا ، ياموسى ، أتحب الأمان من عذاب القبر؟ قال : نعم ، قال : لا تخوف مسلمًا أبدًا ، ياموسى ، أتحب أن تكثر حسناتك؟ قال : نعم ، قال : لا تظلم أحدًا من خلقي[٢] .

عن عبد الله بن عمر رضيْ الله عنهما : الإسلام ثمانية أسهم ، الإنقياد سهم ، الصلاة سهم ، الزكاة سهم ، صوم رمضان سهم ، الحج سهم [الجهاد سهم] ، الأمر بالمعروف سهم ، النَّهي عن المُنكر سهم ، خسر من لاسهم له من هذه الأسهم[٣] .

---

(١) الحديث عن أبي ذر أخرجه الترمذي(كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في معاشرة الناس) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٤/ ٣١٣ ، والدارمي في سننه(كتاب الرقاق ، باب في حسن الخلق) ص٩١٧ ، وأحمد في المسند ٣٥/ ٢٨٤ .

(٢) الحديث غير مسند ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين(باب ما جاء في الذنوب) ص ٣٦٨ .

(٣) الحديث مرفوعًا عن علي بن أبي طالب ، أخرجه أبو يعلى في مسنده وفيه : الإسلام سهم ، بدلا من : الانقياء سهم ١/ ٤٣٤ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الإيمان ، باب منه في بيان فرائض الإسلام وسهامه) ١/ ٣٨ .

أوحى الله تعالى إلى موسى : يا موسى ، لولا من يقول لا إله إلا الله ما نزل من السماء قطرة ، ولا نبت في الأرض ورقة خضراء ، يا موسى ، إني كتبت على نفسي من قبل أن أخلق السموات والأرض : من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله صادقًا من قلبه كُتبت له براءة من النار[١] .

إخواني ، ترقبوا لأنفسكم الخلاص من قبل أن تؤخذوا بالقصاص ، وحاسبوا أنفسكم من قبل أن تُحاسبوا ، وزنوها من قبل أن تُوزنوا ، واتقوا يوم العرض على ربكم ، حفاة عراة جياعًا عطاشًا ، فهول الموقف شديد ، ويومه مديد ، فيه يُنادى الشيخ : واخجلتاه ، ويُنادي الشاب : واحسرتاه ، وتنادي المرأة : وا هتك ستراه ، وينادى الصبي ، وا أماه . فيؤخذ الرجال من اللحى ، والنساء من الذوائب[٢] ، ويُسحبون في نار جنهم على وجوههم ، يقولون : يارب ، غلبت علينا شقوتنا ، وكنا قومًا ضالين ، يا مالك ، أرفق بنا ، يا مالك ، إرحم أمة محمد ﷺ ، فعند ذلك يُنادى الله تعالى جبريل أن انطلق مع محمد إلى النّار ، فلا تُبق فيها أحداً أقر لي بالوحدانية ، ولحبيبي محمد بالرسالة .

هذه ليلة النّصف من شعْبان ، ليلة المحو والإثبات يمحو الله فيها ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب ، لا يغفر الله فيها لمرتكب شيء من الكبائر ، فاقلعوا فيها من الكبائر والصغائر ، وكل منا عما قريب إلى ربه الكريم صائر ، والدنيا فانية ، والآخرة باقية ، فيا فوز لمن زرع في الفاني للباقي .

---

(١) جزء من حديث طويل عن كعب ، ذكره أبو نعيم في الحلية (ترجمة كعب الأحبار) ٦/ ٣٢-٣٧ ، والحديث بلفظه ذكره شمس الدين بن الجزري في : الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح (إثم عقوق الوالدين) ص٥٥ .

(٢) الذُّؤَابة : منبت الناصية من الرأس ، والجمع الذوائب . لسان العرب(مادة/ ذأب) .

أخي ، من أصبح وأكبر همه الدنيا ألزم الله قلبه ثلاث خصال : همًّا لا ينقطع عنه أبدًا ، وشُغلاً لا يتفرغ منه أبدًا ، وفقرًا لا يبلغ منتهاه أبدًا[1] . أمرُها سديد ، لا يُعرف منا الشقي والسّعيد .

أخي ، تركض في طلب درهم وأخذ المزيد ، وتجمع فانيًا ، وتقول هل من مزيد؟ وعند حضور الصّلاة تتكاسل ، وإذا وجبت الزّكاة في إعطائها تتباخل ، وعن المواعظ تتغافل ، هكذا يكون حال العبيد .

(١) مصداق ذلك حديثٌ مرفوع عن أبي هريرة لفظه : من أصبح والدُّنيا أكبر همه ، ألزم الله قلبه أربع خصال : همٌّ لا ينقطع أبدًا ، وشغلٌ لا يفرغ أبدًا ، وفقرٌ لا يبلغ غني أبدًا ، وأمل لا يبلغ منتهاه . أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار ٢/ ٢٩٦ .

/[١٧٧و] فصل

في قوله تعالى : ﴿وقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[١] .

وهو برهما وإكرامهما ؛ فإنهما كانا يغسلان الأذى عن ولدهما يريدان حياته ، وهو إن غسل أذاهما يريد موتهما .قال أبو أُسيد السَّاعدي : كنا عند النبي ﷺ يومًا ، فجاءه رجل من بني سلمة ، فقال : يارسول الله ، هل بقى من بر والدي شيء أبرهما بعد موتهما؟ قال : نعم ، الدعوات لهما ، والاستغفار لهما ، والإحسان إلى من كان يُحسنان إليه وإكرامه[٢] .

وفي سنن أبي داود أن رجلًا جاء النبي ﷺ يستأذنه في الجهاد ، فقال له : ألك أبوان؟ قال : نعم ، قال : ففيهما فجاهد[٣] .

ويُبر الوالدين ولو كانا راغبين عنه ، فعن أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما ، قالت : قدمت عليَّ أمي وهى راغبة[٤] ، فقلتُ : يا رسول الله ، أفأصلها؟ قال : نعم[٥] .

وجاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : يارسول الله ، أصبت ذنبًا عظيمًا فهل لي

---

(١) جزء من الآية رقم (٢٣) من سورة الإسراء .

(٢) الحديث بألفاظ أطول عن أبي أُسيد الساعدي ، أخرجه أبو داود (كتاب الأدب ، باب في بر الوالدين) ٥/ ٢٢١- ٢٢٣ ، وابن ماجه (كتاب الأدب ، باب صِلْ من كان أبوك يَصِلُ) ٤/ ٥١٧- ٥١٨ ، وأحمد في مسنده ٢٥/ ٤٥٧ ، والحاكم في المُستدرك (كتاب البر والصلة) قال الذهبي : صحيح ٧/ ٢٥٩٢ .

(٣) الحديث عن عبد الله بن عمرو أخرجه البخاري (كتاب الجهاد ، باب الجهاد بإذن الأبوين) ٣/ ١٠٩٤ ، ومسلم (كتاب البر والصلة ، باب بر الوالدين وأنهما أحق به) ١٦/ ١٠٤ ، وأبو داود (كتاب الجهاد ، باب في الرجل يغزو وأبواه كارهان) ٣/ ٢٩ .

(٤) قال النووي في شرح صحيح مسلم : راغبة : قيل معناها راغبة عن الإسلام وكارهة له . انظر : مسلم (كتاب الزكاة ، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين) ٧/ ٩٠ .

(٥) الحديث عن أسماء بنت أبي بكر ، أخرجه البخاري (كتاب الهبة ، باب الهدية للمشركين) ٢/ ٩٢٤ ، ومسلم (الموضع السابق) ٧/ ٩٣ .

من توبة ، فقال : هل لك أم؟ قال : لا ، قال : فهل لك من خالة؟ ، قال : نعم ، قال : فبرها[١] .

وعن أبي الدرداء ، قال : قال ﷺ : الوالدان أوسط أبواب الجنة ، فإن شئت فأضع ذلك الباب ، أو احفظه[٢] .

قال أبو الطفيل ، رأيت النبي ﷺ ، يُقسِّم لحمًا بالجعرانة[٣] ، إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه ، فبسط لها رداءه ، فجلست عليه ، فقلتُ : من هذه يا رسول الله؟ قال بعض القوم : هي أمه التي أرضعته[٤] ، وفي رواية أحمد أنه بسط لها رداءه ، فجلست عليه ، وقعد معها ، فجاء زوجها ، فقام فأقعده ، وقعد صلى الله عليه وسلم على الأرض ﷺ .

وكان عثمان بن مظعون لم يتمكن من النّظر إلى أمه[٦] . وكان حارثة بن النعمان ، يطعمها ويسقيها بيده[٧] .

(١) الحديث عن ابن عمر أخرجه أحمد في المسند ٨/ ٢٤١-٢٤٢ ، والحاكم في المستدرك (كتاب البر والصلة) قال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم ٧/ ٢٥٩٣ ، وابن حبان في صحيحه (كتاب البر والإحسان ، باب ذكر استحباب بر المرء خالته إذا لم يكن له والدان)١/ ٣٣٠ .

(٢) الحديث عن أبي الدرداء أخرجه الترمذي (كتاب البر والصلة ، باب ماجاء من الفضل في رضا الوالدين) قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح ٤/ ٢٧٥ ، وابن ماجه (كتاب الطلاق ، باب الرجل يأمره أبوه بطلاق امرأته) ٢/ ٦٦٧ ، وأحمد في المسند ٣٦/ ٤٩ ، والحديث فيه بلفظ الوالد .

(٣) الجعرانة : ماء بين الطائف ومكة ، وهي إلى مكة أقرب . نزلها النبي صلى الله عليه وسلم لما قسم غنائم حُنين . انظر معجم البلدان لياقوت ٢/ ٨٥ .

(٤) الحديث عن أبي الطُفيل ، أخرجه أبو داود (كتاب الأدب ، باب في برّ الوالدين) ٥/ ٢٢٢ ، والبزار في مسنده ٧/ ٢٠٨-٢٠٩ ، وأبو يعلى في مسنده ٢/ ٣٢ .

(٥) لم أجد الحديث بهذه الرواية في مسند أحمد . وذكره سراج الدين عمر الأنصاري في : زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام ، ص ١٧ .

(٦) انظر : زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام لسراج الدين عمر الأنصاري ، ص١٧ .

(٧) انظر : التبصرة لابن الجوزي : الكلام على قوله تعالى : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ . .الإسراء﴾ ١/ ١٨٣ .

و ابن عون[١] نادته أمُه يومًا ، فأجابها بصوت عالٍ ، فأعتق رقبتين[٢] .

وكان ظبيان بن علي من أبرّ النَّاس بأمه ، فنامت أمُه ذات ليلة ، وهي متعكرة عليه ، فقام على رجليه حتى ضعف عن القيام ، فدعى بغلامين من غلمانه ، فتوكأ عليهما حتى استيقظت ، ورضيت عنه ، فأعتق الغلامين[٣] .

وعن سفيان بن عيينة أن رجلاً قدم من سفر ، فوجد أمه قائمة تُصلي ، فكره أن يقعد وأمه قائمة ، فأطالت الصلاة ، قصد أن يضاعف أجره[٤] .

قيل : سماع الرَّجل كلام أمه أفضل من القتال في سبيل الله ، والنَّظر إليها أفضل من كل شيء[٥] .

واختصم رجل مع زوجته إلى النبي ﷺ ، فقال الرَّجل : يا رسول الله ، إنه ولدي من صلبي ، وقالت أمه : يا رسول الله ، حمله وهو خفيف ، ووضعه شهوة ، وحملته كرهًا ، ووضعته كرهًا ، وأرضعته حولين كاملين ، فقضى به لها[٦] .

أوحى الله تعالى إلى العُزير : يا عزير ، لا تحلف بي كاذبًا ، فإن من حلف بي كاذبًا لا أُزكيه ، يا عزير ، لا تعق والديك ، فإن من /[١٧٧ظ] عقَّ والديه أبغضته ، ومن أبغضته لعنته ، ومن لعنته أضررته ولو بعد حين ، ومن أطاعهما أحببته ، ومن أحببته نفعته ولو بعد حين[٧] .

---

(١) ابن عون هو : عبد الله بن عون بن أرطبان المزني ، مولاهم ، البصريُّ ، أحد الأعلام ، الحافظ ، كان من أئمة العلم والعمل ، ورعًا ، قال ابن مهدي : ما أحد أعلم بالسنة بالعراق من ابن عون . وقال روح بن عبادة : ما رأيت أعبد منه . مات سنة ١٥١هـ . انظر عنه : سير أعلام النبلاء للذهبي ٦/ ٣٦٤ـ ٣٧٥ .

(٢) انظر : التبصرة لابن الجوزي : الكلام على قوله تعالى : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ . .الإسراء﴾ ١/ ١٨٤ .

(٣) انظر : التبصرة لابن الجوزي : الكلام على قوله تعالى : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ . .الإسراء﴾ ١/ ١٨٣ .

(٤) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٥) القول عن بشر الحافي ذكره ابن الجوزي في التبصرة (الموضع السابق) ١/ ١٨٤ .

(٦) انظر : تاريخ دمشق لابن عساكر (ترجمة أبي الأسود الدؤلي ، امرأة أبي الأسود الدؤلي)٧ / ٢٧١ .

(٧) الحديث عن وهب بن منبه أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الزهد ، كلام ابن منبه) ٧/ ١٩١ـ ١٩٢ .

أوحى الله تعالى إلى داود ﷺ : يا داود ، إنك تتاجر ، التِّجارة تجارتي ، والبضاعة بضاعتي ، والرِّبح ربحي ، وأنت المخصوص بذلك دوني ، فإن رغبت في التِّجارة معي ، فارغب في رضي الوالدين وطاعتهما[١] .

قيل : إن الأب أحق بالطاعة لفضل عقله ، والأم أحقّ بالبر لوفور شفقتها[٢] .

يقال إن رجلاً من بني إسرائيل اشترى لؤلؤة نفيسة بخمسين ألف درهم ، فطالبه البائع بثمنها ، فقال المُشتري : إن الثَّمن في الخزانة ، والمفتاح تحت وسادة أمي ، وهى نائمة ، فلو رفعت الوسادة انتبهت ، اصبر عليَّ إلى أن تنتبه ، فإني أدفع إليك ستين الفًا ، فقال البائع : ادفعه الآن ، وأنا أرضى منك بأربعين ألفًا ، فمازالا كذلك إلى أن بلغ البائع إلى عشرة آلاف درهم ، والمُشتري إلى مئة ألف ، فلم يرض البائع إلا الأخذ ، فأخذ لؤلؤته وذهب بها ، فلما انتبهت والدته أخبرها بذلك ، فدعت له ، وقالت من جملة كلامها : بارك الله لك في تجارتك ، فتُقبلت دعوتها ، فوُجد قتيل في بني إسرائيل ، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة صفراء بالصفة التي ذكرها الله تعالى ، فلم يجدوها بهذه الصفة إلا عند ابن تلك المرأة ، فاشتروها منه بقنطار من الذهب[٣] .

ويقال إن كهمس بن الحسن كان يخدم والدته بنفسه ، فبلغ أمره إلى أمير زمانه ، فبعث إليه بجارة لتخدم أمه فردها ، وقال : أنها لم تُسلّم في صغري خدمتي

---

(١) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٢) القول لابن المبارك ذكره العجلوني في كشف الخفاء ١/ ٢٠ ، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (الترغيب في بر الوالدين) ١/ ٢٨٤ .

(٣) انظر الحكاية في تفسير الطبري : سورة البقرة ، من الآية ٦٧ ـ ٦٨ ، وابن كثير في تفسيره ، سورة البقرة ، الآية رقم ٦٧ .وجاءت الحكاية فيهما بلفظ : وسادة أبي ، وليست وسادة أمي كما ذكرها المؤلف .

إلى غيرها ، وأنا لا أجعل خدمتها في كبرها إلى غيري[١] .

ويقال إن امرأة جاءت إلى عيسى عليه السلام ، فقالت له : يا رسول الله ، ادع الله أن يُحيي ولدي لأسأله عن حاله ، فدعا ربه فأجابه ، فأحياه بإذن ربه ، فقالت له أمه : يا ولدي ، كيف حالك؟ قال : يا أُماه ، كل صيحة صحتُها في وجهك ، صاحني عوضها مالك خازن النّار عليه السلام سبعين صيحة ، أظن كل صيحة صاحني إياها كأن أهل المشّرق والمغرب صاحوني بها[٢] .

ومن حق الوالدين إذا دعيا الولد أن يجيبهما بلبيك ، وأن يواسيهما بما عنده ، وأن لا يُمن عليهما ، وأن يخضع لهما ، وأن يُلين لهما القول ، وأن يدعو لهما بعد الموت ، ويُرضى خصماهما ، ويهديهما ثواب القرآن ، ويتصدق عنهما . يقال : إن رجلاً هرِم والده ، فصار يحمله على عاتقه ، فوضعه يومًا ليستريح ، فضحك الأب ، فقال الابن : أتضحك عليَّ يا أبتي ، وأنا أحملك على عاتقي ، فقال : يا ولدي ، إنما ضحكت لصدق قول النبي ﷺ : / [١٧٨و] بَرُّوا آباءَكُم تبركُم أبنَاؤُكُم[٣] ، يا ولدي ، إن والدي بلغ من السن مثل ما بلغت ، فحملته إلى هذا المكان على عاتقي ، فتعبت ، فوضعته هنا كما وضعتني فيه ، فعاملتني كما عاملته .

(١) انظر الحكاية في حلية الأولياء لأبي نعيم (ترجمه كهمس بن الحسن) ٦/ ٢١٢ ، وكهمس هو كهمس بن الحسن التميمي ، أبو الحسن البغوي . البكاء ، الورع ، وثقه أحمد وابن معين . قال ابن حبان تُوفي سنة ١٤٩هـ . انظر عنه : حلية الأولياء لأبي نعيم ٦/ ٢١١ـ ٢١٥ ، والخلاصة للخزرجي ، ص ٣٢٢ .

(٢) انظر بستان الفقراء ونزهة القراء لصالح بن عبد الله المعروف بالعماد (باب في التحذير من عقوق الوالدين) ٢/ ٤١ـ ٤٢ .

(٣) الحديث عن ابن عمر أخرجه الطبراني في المعجم المعجم الأوسط ٢/ ٨ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتب البر ، باب ما جاء في البر وحق الوالدين) ٨/ ١٣٨ ، والحديث بألفاظ أطول عن جابر بن عبدالله أخرجه الحاكم في المُستدرك (كتاب البر والصلة) قال الذهبي : علي بن قتيبة ٧/ ٢٥٩٢ . ولم نجد الحكاية فيما بين أيدينا من كتب .

من عقّ والديه ، فماتا ، ثم ندم بعد موتهما ، تصدّق عنهما ، واستغفر لهما ، وزار قبرهما ، فمن زار قبرهما ، فكأنما زارهما .

يا من تُعوض عن البر بالعقوق ، قد ضيعت آكد الحقوق ، بر الوالدين زين ، لا تُبْدله يا أخي بالشّين ، أخي ، تطلب الجنّة بزعمك ، والجنة تحت أقدام أمك .

فصل

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾(١) : أي صادقة .

عن أنس، قال: قال ﷺ : كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ(٢) .

وعن أبي واقد الليثي، قال: كُنَّا نَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ، فإذَا نَزَلَ شيء يُحَدِّثُنَا به، فَقَالَ لَنَا يومًا، إن الله تعالى قال: إنّا أنزَلْنَا الْمَالَ لإقَامِ الصَّلاة، وَإِيتَاء الزَّكَاة، وَلَوْ أَنَّ لابْنِ آدَمَ [واد من مال، لأحب أن يكون له ثان، ولو كان له واديان] مِنْ مَال، لأَحَبَّ أَنْ يَكُونَ إِلَيْهِمَا الثَّالِثَ، وَلا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إلا التُّرَابُ، ويَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ(٣) .

وعن علي، أنه قال لمن كان بحضرته: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر عملك، ويعظُم حلمك، وتُباهي النَّاس في عبادة ربك، إن أحسنت حمدت الله تعالى، وإن أسأت استغفرتُ الله تعالى(٤)، لا خير في الدُّنيا إلا لرجلين، رجل أذنب ذنوبًا، فهو يتدارك ذلك بتوبة، أو رجل يسارع في الخيرات(٥) .

---

(١) جزء من الآية رقم (٨) من سورة التحريم .

(٢) الحديث عن أنس أخرجه الترمذي (كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ٤٩) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب ٤/ ٥٦٨- ٥٦٩، وابن ماجه (كتاب الزهد، باب ذكر التوبة)٤/ ٧١٢، والدارمي (كتاب الرقاق، باب في التوبة) ص٨٩٦ .

(٣) الحديث عن أبي واقد الليثي أخرجه أحمد في المسند ٣٦/ ٢٣٧، والطبراني في المعجم الكبير ٣/ ٢٤٨، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب التفسير: سورة البينة الآية رقم ١) ٧/ ١٤٠، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في الزهد وقصر الأمل) ٧/ ٢٧٢ .

(٤) القول حتى هذا الموضع منسوبًا لأبي الدرداء ذكره ابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الزهد، باب كلام أبي الدرداء) ٧/ ١٢٨ .

(٥) القول كاملا منسوبًا لعلي ابن أبي طالب ذكره الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب الترغيب في التوبة) ١/ ٤٢٦، وأبو نعيم في الحلية (ترجمة أبو عبد الله محمد بن خفيف) ١٠/ ٣٨٨ .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : النَّادمُ يَنْتَظِرُ من الله الرَّحمة ، وَالْمُعْجَبُ يَنْتَظِرُ من الله الْمَقْتَ ، واعلموا عباد الله أن كُلَّ عَامِلٍ سَيَقْدمُ عَلَى عمله ، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حُسن عمله ، وسوء عمله ، وإنما الْأَعْمَال بخَوَاتيمها ، وَاللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَطيَّتَانِ ، فأحسنوا السير عليهما إلى الآخرة ، واحذروا التَّسْوِيفَ ؛ فإن الموت يأتي بغتة ، ولا يغترن أحدكم بحِلْمِ اللَّهِ ـ عز وجل ـ فإنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْله ، ثم قرأ ﷺ قوله تعالى : ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾[١] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : كان رجل في بني إسرائيل يُقال له نصوح ، وكان كثير الذنوب ، تفكّر ذات ليلة فيما ذهب من عمره في معاصي الله تعالى ، فوقع في قلبه خوف الله تعالى ، وأدركه التَّوفيق ، فخرج هاربًا في يوم حرٍّ شديد ، تائبًا إلى الله تعالى ، فجدَّ في السير ، حتى أدركه الجوع والعطش ولم يجد شيئًا ، فغرز عصًا كانت معه ليستظل بها من حرّ الشَّمس ، ويستريح من تعبه ، فأخضرت العصى بقدرة الله تعالى ، ونبع الماء من تحتها أبرد من الثَّلج ، وأحلى من العسل ، فشرب منه حتى ارتوى ، وتوضأ وصلى ، ثم قال : يارب ، ارزقني رزقًا حلالًا طيبًا ، أعبدك في هذا المكان ، فناداه الهاتف أن يا نصوح ، إلتفت عن يمينك ، فالتفت ، فإذا هو بعنزة ، فأخذها ، فَوضَعت في تلك السنة مرتيْن ، فدُّر حليبها ، فصار يأْتَدمُ من لبنها ، وكثرت سخولها[٢] ونمت بقدرة الله تعالى ، واتخذ ثمة بيتين ، بيتًا للعبادة ، وبيتًا للسخول ، وكثرت عنده الإبل/ [١٧٨ظ] والبقر والغنم والدّواب ، فلما مضى من ذلك أربعة وعشرون سنة ، بعث الله تعالى إلى نصوح ملكًا على صورة

(١) الأيات ٧ ، و٨ من سورة الزلزلة ، والحديث بهذا اللفظ عن ابن عباس أخرجه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب التوبة والزهد ، باب الترغيب في التوبة) وقال عنه : ضعيف ٢/ ٢٩٢ـ ٢٩٣ .

(٢) السخلة : ولد الشاة من المعز والضأن ذكرًا كان أو أنثى . لسان العرب (مادة : سخل) .

شيخ كبير ، فأنزله في دار الضيافة ، فلما كان اليوم الرَّابع قال نصوح للملك الذي على صورة الشيخ : أيها الشيخ ، ما حاجتك لتُقضى؟ فقال : كان ضاع لي منذ أربعة وعشرين سنة عنزة ، وأنا في طلبها ، فقال نصوح له : إن رأيت العنزة أتعرفها؟ ، قال الملك : نعم ، فأتاه بها فعرفها ، فقال الملك : الحمد لله الذي رد الحق إلى أهله ، فقال له نصوح : خذها ، فقال الملك : يا نصوح ، ومن أين لك هذه الإبل ، والأغنام ، والبقر ، والدَّواب؟ قال : اتخذتُها من عنزتك ، قال : فردها عليَّ ، فأنا أحق بها منك ، فقال نصوح : خذها جميعها ، فقال الملك : يا نصوح ، ومن أين لك هذا الكساء؟ قال : اتخذته من عنزتك ، قال : رده عليَّ ، فإني أحق به منك ، فقال نصوح : يا أيها الشيخ ، أمهلني يومًا ، فأمهله ، فدخل نصوح إلى غيضة[1] ، واصطنع فيها مئزراً من خوص ، فاستتر به ، ورد الكساء على الملك ، فعند ذلك قال الملك : يا نصوح ، رددت كل ذلك عليَّ بطيب نفس ، وانشراح صدر؟ قال : نعم . فأوحى الله إلى الملك أن رد على نصوح جميع ما أخذته منه ، فرده .

وارتفع الملك ناشراً أربعة وعشرين جناحًا ، بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب ، كل جناح مكلل بالدُّر والياقوت ، وقال : يا نصوح ، إني رسول الله إليك ، وإني أُبشرك أن الله عزَّ وجلَّ قد قبِل توبتك ، وأعطاك هذا المال ، وأعطاك مئة حاجة ، عجَّل لك منها ثلاثة في الدُّنيا ، وأخَّر لك الباقي إلى الآخرة ، فاطلب ما تريده من حوائجك الثلاث في الدُّنيا ، فقال نصوح : يارب ، أقدرني أن لا يسألني جائع إلا أطعمته ، ولا عار إلا كسوته ، وأسألك أن لا تُنزل على أنبيائك كتبًا إلا ذكرتني فيها . فذكره الله تعالى في توراة موسى ، وزابور داود ، وإنجيل عيسى ، وفرقان محمد ، عليهم الصلاة والسَّلام ، فالذي أنزله على نبينا محمد ﷺ : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾[2] .

---

(١) الغيضة : ماء يجتمع فينبت فيه الشجر . لسان العرب(مادة : غيض) .

(٢) جزء من الآية رقم (٨) من سورة التحريم .

إخواني ، دخل عليكم شهر رمضان ، شهر مبارك عظيم الشأن ، لله تعالى فيه مزيد البرّ والإحسان ، الصلاة فيه بسبعين ألف صلاة[1] ، والتسبيحة بسبعين ألفًا ، والتهليلة بسبعين ألفًا ، وكل عبادة وذِكرٌ بسبعين ألفًا ، ولكن شرط التباعد عن المُحرمات ، وعن الوقوع في الشُبهات . جاء : إن لا إله إلا الله مفتاح الجنة[2] ، والمفتاح يحتاج إلى أسنان ، والأسنان ذكرٌ طاهرٌ من الغيبة ، والنميمة ، والبهتان ، والكذب ، وإشغال الجوارح بطاعة الله تعالى نافية للمعاصي .

ويقال : إن لله ملكًا نصفه من ماء ونصفه من نار ، وملكًا نصفه من ريح ونصفه من تراب ، وملكًا نصفه من ضوء ونصفه من ظلمة ، وملكًا نصفه من رصاص ونصفه من نار ، وملكًا نصفه من نار ونصفه من ثلج ، فلا النَّار تذيب الثَّلج ، ولا الثَّلج يطفيء النَّار ، وملكًا نصفه من فضة ونصفه من ذهب ، وإن لله ملكًا لهُ ألف رأس ، في كل رأس ألف وجه ، في كل وجه ألف ألف فم ، في كل فم ألف ألف لسان ،/ [١٧٩و] تُسَبح الله تعالى ، وتذكره بأنواع اللغات والتَّسبيح والذكر ، وإن لله ملكًا له أربعة أجنحة ، جناح بالمشرق ، وجناح بالمغرب ، وجناح في السماء السَّابعة ، وجناح في الأرض السَّابعة ، تبكي هذه الملائكة بأجمعها على مذنبي أمة محمد ﷺ فيسمع [الله] تعالى بكاء هؤلاء الملائكة عليهم السلام ، فيأتيهم النداء من قبل الله تعالى : أن يا ملائكتي ، أتبكون على أمة محمد ، وهم يعملون المعاصي؟ فتقول الملائكة عليهم السَّلام : أو ليس يا سيدنا ؛ وإن نبيهم محمد ، وقد أعطيتهم شهر رمضان؟ فيقول تعالى : صدقتم يا ملائكتي ، أرحمهم كل يوم من رمضان خمسين مرة ، ببركة

---

(١) هذا الكلام ليس صحيحًا لما ورد عن النبي ﷺ أنه قال : من أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه . . . عن سلمان الفارسي أخرجه ابن خزيمة في الصحيح (كتاب الصوم ، باب فضائل شهر رمضان إن صح الخبر) ٢/ ٤٧٥ـ ٤٧٦ .

(٢) الحديث بلفظ : مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله . عن معاذ بن جبل أخرجه أحمد في المسند ٣٦/ ٤٨١ ، والبزار في مسنده ٧/ ١٠٣ـ ١٠٤ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الأذكار ، باب ماجاء في فضل لا إله إلا الله) ١٠/ ٨٢ .

محمد ، وشهر رمضان[١] .

ويقال : إن لله تعالى ملكًا له أربعة أوجه ، ما بين الوجه والوجه مئة ألف سنة ، وجه ساجد لله تعالى أبدًا ، يقول في سجوده : سبحانك ما أعظمك ، سبحانك ما أحلمك ، ووجه ينظر به إلى جهنم ، ويقول : الويل لمن دخلك ، ووجه ينظر إلى الجنة ، ويقول : طوبى لمن دخلك ، ووجه ينظر به إلى عرش الرحمن ، ويقول : رب اغفر وارحم أمة محمد ، ولا تعذب صائمي رمضان منهم[٢] ويأمر] الله[تعالى أن يكتب الكتبة في شهر رمضان لأمة محمد ﷺ الحسنات ، ولا يكتبون لهم السيئات ، وأن تمحو عنهم ذنوب السنة الماضية[٣] .

وعن أبي سليمان الداراني[٤] قدس سره العزيز ، أنه صام يومًا من رمضان ، فنام تلك الليلة ، فرأى تلك الليلة قائلاً يقول له : أتبيع صومك في هذا اليوم بمئة دينار؟ قال : لا ، قال : أتبيعه بمئة ألف دينار؟ قال : وعزة ربي وجلاله ، وصفات جماله وكماله ، لا أبيع ثواب هذا اليوم بالدُّنيا وما فيها ، ولكني أتقرب به إلى ربي جلّت عظمته ، ليُمتعني بالنَّظر إلي وجهه الكريم ، في جنات النَّعيم ، فقال القائل له : صمّ ، سوف ترى ذلك إن شاء الله تعالى[٥] .

فعليكم بأعمال البر في هذا الشهر المبارك . قال تعالى في بعض صحفه المنزلة : يا أهل الكتاب ، ليس لأحد فضل على أحد ، إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، الذين يُحسنون لمن أساء إليهم ، ويصلون من قطعهم ، ويُكرمون من أهانهم ، ويُكلمون

---

(١) القول ـ مع اختلاف في الألفاظ ـ غير مسند ذكره الصفوري في نزهة المجالس (باب فضل رمضان والترغيب في العمل الصالح فيه) ١/ ١٨٨ـ ١٨٩ .

(٢) انظر المصدر السابق .

(٣) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٤) سبق ترجمته ، ص ١١٨ ظ .

(٥) انظر إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد ، لزين الدين المليباري (باب الصوم ، فصل في فضل عاشوراء) ، ص٨٠ـ ٨١ .

من هجرهم ، قد جاءكم برهان من ربكم ، وشفاء لما في الصُّدور ، لا تُحسنون إلا لمن أحسن إليكم ، ولا تصلون إلا من واصلكم ، ولا تُكلمون إلا من كلمكم ، ولا تُطعمون إلا من أطعمكم ، ولا تُكرمون إلا من أكرمكم ، اصنعوا المعروف مع جميع خلقي ، ولا تصنعوا إلا لوجهي الكريم ، لأمتعكم بجنات النَّعيم ، واعملوا ، فإني مطّلع على أعمالكم ، إني بأعمالكم عليم خبير[١] ، فوحدوني ، ومجدوني .

(١) انظر الحديث في المواعظ في الأحاديث القدسية للغزالي (الموعظة العاشرة) ، ص٥٦٨ .

فصل

في قوله ﷺ : بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عبده و رَسُولُه ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ الْبَيْتِ ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ[١] . رواه الشيخان .

الأساس الأول- فهذه دعائم الإسلام : أي أساسه- والمراد من الشّهادتين الإيمان بالله تعالى ورسوله ، ففي رواية : بُني الإسلام على خمسٍ : إيمان بالله ورسوله[٢] .

وشرط الإيمان برسوله : /[١٧٩ظ] الإيمان بجميع الأنبياء والمُرسلين ، لأن نبينا جاء بتصديقهم ، فإن انتقص الإنسان بواحد من الأنبياء والمرسلين ، أو جحد نبوته ورسالته ، لم يصح إيمانه بنبينا محمد ﷺ ، ففي الرواية إشارة إلى أن الشهادتين لا تكفيان بالقول ، مالم يطابق القول العمل[٣] ، وإلا كان منافقًا .

والأساس الثّاني إقامة الصلاة : أي المداومة عليها ، قال تعالى : ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾[٤] أي حافظوا عليها ، يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[٥] أي حافظوا عليها بإكمال واجباتها ، وسننها ، وصلواتها في أوقاتها ، فمن ترك شيئًا من واجباتها عمداً : ارتكب كراهة التّحريم ، ووجبت إعادتها مادام الوقت باقيًا . أو سهواً : وجب سجود السهو ، ومن ترك شيئًا من سننها عمداً ارتكب كراهة التنزيه ، قال ﷺ : خمس صلوات كتبهن الله على العباد ، فمن جاء

---

(١) الحديث عن ابن عمر أخرجه البخاري(كتاب الإيمان ، باب الإيمان وقول النبي ﷺ : بني الإسلام على خمس) ١/ ١٢ ، ومسلم (كتاب الإيمان ، باب أركان الإسلام ودعائمه العظام)١/ ٢١٧ .

(٢) الحديث بهذه الرواية موقوفًا على ابن عمر أخرجه البخاري(كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ البقرة ١٩٣) ٤/ ١٦٤١ .

(٣) في الأصل : اللفظ ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) جزء من الآية رقم (٤٣) من سورة البقرة .

(٥) الآية رقم (٢٣٨) من سورة البقرة .

بهن ولم يضيع منهن شيئًا ، وصلَّاهن لوقتهن ، كان له عهد عند الله أن يُدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ، إن شاء عذّبه ، وإن شاء أدخله الجنة(١) .

وقال ﷺ : عَلَمُ الإيمان الصلاة(٢) .

وقال ﷺ : إن العبد إذا قام يُصلي ، أُتي بذنوبه ، ووُضعت على عاتقه وعلى رأسه ، فكلما ركع أو سجد ، تساقطت(٣) .

وعن رابعة العدوية أنها كانت تُكثر من الصلاة ، حتى أنها كانت تُصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ، وكانت تقول : ما أُريد بذلك ثوابًا ، ولكن أُريد أن يُسر رسول الله ﷺ ، ويقول للأنبياء يوم القيامة [انظروا] إلى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة(٤) .

فإياكم إخواني أن تشتغلوا عن الصلاة بأموالكم وأولادكم ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٥) قال صلى الله عليه وسلَّم : لاسهم في الإسلام لمن لا صلاة له ، ولا

---

(١) الحديث عن عبادة بن الصامت أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة ، باب فيمن لم يوتر) ٢/ ٨٨ ، والنسائي (كتاب الصلاة ، باب المحافظة على الصلوات الخمس) ، ص٨٠ ، ومالك في الموطأ (كتاب صلاة الليل ، باب الأمر بالوتر) ، ص٨٢ـ ٨٣ ، وأحمد في المسند ٣٧/ ٣٦٦ .

(٢) جزء من حديث عن أبي سعيد الخدري أخرجه ابن الأعرابي في معجمه ، ص ٣٣١ ، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الترغيب في الإيمان وفضله ، فصل في صفة المؤمنين) ١/ ٧٤ـ ٧٥ ، والحديث أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار عن ابن مسعود ٢/ ٦٩ .

(٣) الحديث عن ابن عمر أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٣/ ٣١٦ ، وابن حبان في صحيحه (كتاب الصلاة ، باب ذكر تساقط الخطايا عن المصلي بركوعه وسجوده) ٣/ ١١٧ ، والبيهقي في شعب الإيمان (كتاب الصلاة ، باب تحسين الصلاة) ٣/ ١٤٦ .

(٤) انظر المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي (الفصل الثاني في الصلاة وفضلها) ١/ ١٨ . ورابعة : هي رابعة بنت إسماعيل العدوية ، مولدها بالبصرة ، ووفاتها بالقدس ، اشتهرت بزهدها ونسكها وشعرها التعبدي . ماتت سنة ١٣٥هـ . انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ١/ ١٨٢ .

(٥) الآية رقم (٩) من سورة المنافقون .

صلاة لمن لا وضوء له[١] .

وقال ﷺ : لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا صلاة لمن لا طُهر له ، ولا دين لمن لا صلاة له ، إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد[٢] .

وإياكم أيضًا أن تجمعوا بين صلاتين من غير عُذر ، فقد خرَّج الحاكم حديثًا : قال ﷺ : من جمع بين صلاتين من غير عُذر ، فقد أتى بابًا من الكبائر[٣] .

والأساس الثَّالث : إيتاء الزكاة ، أمر الله بذلك ، فكانت فرضًا ، قال تعالى : ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[٤] وينبغي لمن يؤدي الزكاة أن يشيعها لئلا يُتهم بتركها ، لكن لا يقول لمن هو من ذوي البيوت[٥] : هذه زكاتي خذها ، وهي قنطرة الإسلام ، قال صلى الله عليه وسلَّم : الزكاة قنطرة الإسلام[٦] .

---

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البزار في مسنده ١٥/ ١٧٦ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الصلاة ، باب فرض الصلاة) ١/ ٢٩٢ ، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب الصلاة ، باب الترهيب من ترك الصلاة) قال الألباني : ضعيف جداً ١/ ١٦١ .

(٢) الحديث عن ابن عمر أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٣/ ١٥٤ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (الموضع السابق) ١/ ٢٩٢ ، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (الموضع السابق) وقال عنه : ضعيف ١/ ١٦١ .

(٣) الحديث عن ابن عباس أخرجه الترمذي (كتاب الصلاة ، باب ما جاء في الجمع بين الصلاتين) قال أبوعيسى : حَنَش هذا هو أبو علي الرحبي ، وهو حسين بن قيس : ضعيف عند أهل الحديث ١/ ٣٥٦ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الصلاة) قال الذهبي : حنش : ضعفوه ١/ ٤٠٢ ، وأبو يعلى في المسند ٣/ ١٥٥ ، والطبراني في المعجم الكبير ١١/ ٢١٦ .

(٤) جزء من الآية رقم ٤٣ من سورة البقرة .

(٥) ذوي البيوت : يقال للفقير : المستبيت . وفلان لا يستبيتُ ليلةً ، أي ليس له بيت ليلة من القوت . لسان العرب (مادة : بيت) .

(٦) الحديث عن أبي الدرداء أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٩/ ٤٣٢- ٤٣٣ ، والبيهقي في شعب الإيمان (كتاب الزكاة ، باب التشديد على مانع الزكاة) ٣/ ١٩٥- ١٩٦ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الزكاة ، باب فرض الزكاة) ٣/ ٦٢ .

ولها فوائد كثيرة ، منها : النمو في المال ، والبدن ، والأجر ، قال صلى الله عليه وسلَّم : إن [الله] يُربِّي الصَّدقة حتى تكون كالجبل[١] ، ولا ينقص المال بإيتائها ، ولا بالصدقة ، فمن زعم ذلك فهذا زعم فاسد ، قال ﷺ : ما نقص مال من صدقة[٢] .

ومن فوائدها الزيادة في العمر ، ومن ذلك الطهارة من الذنوب ، ومن البخل .

اعلموا إخواني أن الأخلاء ثلاثة : أحدهم المال ، يقول لك : ما أنفقت فلك ، وما أمسكت فليس لك ، والثَّاني : الأهل والخدم والأبناء / [١٨٠و] والأصحاب يقولون : نحن معك إلى أن تنزل في قبرك ، ثم نتركك ونرجع عنك ، والثالث : العمل وهذا لا يفارقه ، يقول الصالح منه : أنا لك ، والطالح[٣] يقول : أنا عليك[٤] ، قال ﷺ : ما تلف مالٌ في بر ولا بحر إلا بمنع الزّكاة ، فأحرزوا أموالكم بالزكاة[٥] .

---

(١) لم نجد الحديث بهذا اللفظ . والموجود : من تصدق بعدل تمرة ... ثم يربيها لصاحبه ... حتى تكون مثل الجبل . عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب الزكاة ، باب لا يقبل الله صدقة من غلول ...) ٢/ ٥١١ ، ومسلم (كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها) ٧/ ١٠٢ .

(٢) جزء من حديث رواه عدد من الصحابة مع اختلاف في اللفظ واتفاق في المعنى . رواه الطبراني في المعجم الأوسط عن أم سلمة ٣/ ١٤١ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الزكاة ، باب ما نقص مال من صدقة) ٣/ ١٠٥ ، والحديث بلفظ : ما نقص مال عبد من صدقة ... أخرجه الترمذي عن أبي كبْشة الأنماري (كتاب الزهد ، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر ...) قال أبو عيسىْ : هذا حديث حسن صحيح ٤/ ٤٨٧ ، وأحمد في المسند ٢٩/ ٥٦١ـ ٥٦٢ .

(٣) الطالح : خلاف الصالح . طَلَحَ ، يَطْلُح ، طلاحًا : فسد . لسان العرب (مادة : طلح) .

(٤) الحديث ـ مع اختلاف في اللفظ ، وبألفاظ أطول ـ عن أنس أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب الإيمان) وقال الذهبي : على شرطهما ١/ ١٠٨ ، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (كتاب الصدقات ، الترغيب في الإنفاق في وجوه الخير) قال عنه : صحيح ١/ ٥٤٨ ، والبزار في مسنده ١٣/ ٤٧٢ ، والطبراني في المعجم الأوسط ٣/ ٢٥١ .

(٥) الحديث حتى لفظ الزكاة عن عمر أخرجه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب الصدقات ، باب الترهيب من منع الزكاة) قال عنه : ضعيف ١/ ٢٤٠ـ ٢٤١ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الزكاة ، باب فرض الزكاة) ٣/ ٦٣ . والحديث كما ورد في المتن جزء من حديث طويل عن عبادة ابن الصامت ، ذكره الطبراني في الدعاء (باب ماجاء في فضل لزوم الدعا والإلحاح فيه) ص ٣١ـ ٣٢ .

جاء : إن الفقراء يخاصمون الأغنياء يوم القيامة في الحضرة الرّبانية ، فيقولون : يا ربنا ، هولاء الأغنياء ظلمونا حقوقنا التي فرضتها لنا في أموالهم ، فعند ذلك يقول الله تعالى : وعزتي وجلالي لأدنيتكم مني ، ولأباعدنهم(١) .

وفي الحديث قال ﷺ : مانع الزكاة في النّار(٢) .

يقول تعالى في بعض الصحف : عبدي ، لا تفرح بالغنى فلست في الدنيا بمخلد ، عبدي ، الغني عزيز في الدُّنيا ذليل في الآخرة ، فاترك الفاني ، وأعمل للباقي بالمداومة على طاعتي(٣) .

إخواني ، هذا شهر رمضان فضله عظيم ، وثوابه كثير ، ولا ينال الإنسان ثواب الصائمين إلا بأكل الحلال ، والامتناع عن الحرّام ، فمن لم يترك الحرّام في شهر رمضان لم يعرف مقداره . [في الحديث] : نوم الصائم عبادة ، ونفسه تسبيح ، ودعائه مُستجاب ، وذنبه مغفور ، وعمله مُضاعف(٤) ، فأكثروا فيه من توحيد الله ، وطاعته .

الأساس الرّابع : حجّ البيت : أي قصد البيت لأداء المناسك ، ويفرض في العمر مرة واحدة ، خرّج الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه قال : خطبنا النبي ﷺ يومًا ، فقال : أيُها النّاس ، إن الله كتب عليكم الحجّ ، فقام الأقرع بن حايس ،

---

(١) الحديث عن أنس أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ٢/ ١٣ ، والديلمي في فردوس الأخبار ٢/ ٣٩٨ .

(٢) الحديث عن أنس أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ٢ : ١٤٥ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الزكاة ، باب فرض الزكاة)٣/ ٦٤ ، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب(كتاب الزكاة ، باب الترهيب من منع الزكاة) قال عنه : حسن ١/ ٤٦٧ .

(٣) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٤) الحديث ـ مع اختلاف في اللفظ ـ عن ابن أبي أوفى ، أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في الصيام ، أخبار وحكايات في الصيام) ٣/ ٤١٥ ، والثعلبي في تفسيره سورة البقرة ، الآيات (١٨٣ـ ١٨٧) .

وقال : يارسول الله ، أفي كل عام؟ قال : لو قلتها لوجبت ، ولو وجبت لم تعملوا بها ، ولن تستطيعوا أن تعملوا بها ، الحجّ مرة ، فمن زاد فمتطوع[١] .

قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[٢] ، أوجب الله تعالى الحج على المستطيع من النّاس ، واسْتُفِيد الوجوب في الآية من لفظ : ﴿عَلَى﴾ . خرَّج الشيخان عن أنس ، أن النبي ﷺ سُئل عن تفسير السبيل ، فقال : زاد وراحلة[٣] . قال العلماء رضي الله عنهم : الرَّاحلة : أما مملوكة أو مستأجرة ، أي أن يملك زادًا وراحلة تبلّغه إلى بيت الله الحرَّام إلى حين عوده إلى منزله ، وأن يملك نفقة عياله إلى حين عوده .

خرَّج الترمذي حديثًا عن النبي ﷺ ، أنه قال : من ملك زادًا وراحلة تبلّغه إلى بيت الله تعالى ولم يحج ، فلا عليه أن يموت يهوديًا ، أو نصرانيًا[٤] . أي وقت الندامة .

وفي «تنبيه الغافلين» من حديث ، قال ﷺ لأصحابه الكرَّام ذات يومًا : أيها النَّاس ، إن الله فرض الحجّ على من استطاع إليه سبيلا ـ وفي رواية : فحجوا ـ ومن لم

---

(١) الحديث عن ابن عباس أخرجه أبو داود(كتاب المناسك ، باب فرض الحج)٢/ ٢٣٧ـ ٢٣٨ ، والنسائي(كتاب مناسك الحج ، باب وجوب الحج) ص٤٠٩ ، وابن ماجه(كتاب المناسك ، باب فرض الحج) ٣/ ٢٦٠ .

(٢) الآية رقم ٩٧ من سورة آل عمران .

(٣) الحديث بهذا اللفظ عن أنس أخرجه الحاكم في المستدرك(كتاب المناسك) قال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم ٢/ ٦٢٢ ، والدارقطني في السنن (كتاب الحج)٣/ ٢١٩ ، والحديث عن ابن عمر أخرجه الترمذي(كتاب الحج ، باب ماجاء في إيجاب الحج بالزاد والراحلة) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن ٣/ ١٧٧ ، و ابن ماجه (كتاب المناسك ، باب ما يوجب الحج) ٣/ ٢٦٤ ، ولم نجد الحديث في البخاري ومسلم .

(٤) جزء من حديث عن علي بن أبي طالب أخرجه الترمذي (كتاب الحج ، باب ماجاء في التغليظ في ترك الحج) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ٣/ ١٧٦ـ ١٧٧ ، والبزار في مسنده ٣/ ٨٧ ، والبيهقي في شعب الإيمان(باب في المناسك) ٣/ ٤٣٠ .

يحج فليمت إن شاء يهوديًا أو نصرانيًا أو مجوسيًا ، إلا أن يكون به مرض حابس ، أو مُنع من سلطان جائر ، ألا لا نصيب له من شفاعتي ، ولايرد على حوضي[١] . ومتى كان له عُذر شرعي مما ذُكر لا يُلام . والمراد من السّلطان ما يعم الحاكم ، لا نصيب له في شفاعتي : لا ينالها ، ولا يرد على حوضي : أي يصير محرومًا منه ، فيه إشارة / [١٨٠ظ] إلى الخوف من سوء الخاتمة لتاركي الحجّ .

والحجّ ثلاثة أنواع[٢] ، قِران : وهو أفضلها عند الإمام الأعظم ، وما يقال إن التّمتع أفضل لا يُعول عليه ، والقران عبارة عن أن يحرم الإنسان من الميقات بالعمرة والحجّ ، فيقول بلسانه : اللهم إني أريد العمرة والحجّ فيسرهما لي ، وتقبلهما مني . ويُسنّ تقديم لفظ العمرة على الحجّ . والتمتع : أن يحرم بالعمرة فقط من الميقات ، فإذا وصل إلى مكة طاف وسعى لها ، فإن كان ساق الهدي معه من الميقات لم يتحلل ، ويدخل معه إحرام الحجّ على إحرام العمرة ، فإذا حلق يوم النّحر فقد حلّ من إحراميه ، وإن لم يكن ساق الهدي تحلل من العمرة ، فإذا كان اليوم السّابع من الحجة أحرم بالحجّ .

وحج الإفراد : وهو أن يحرم بالحج فقط من الميقات ، فإذا نوى بقلبه ولبى بلسانه فقد أحرم ، فليتق الرّفث ، والفسوق ، والجدال ، فمن حديث متفق عليه ، عن أبي هريرة ، قال : قال ﷺ : مَنْ حجّ فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع كيوم ولدته أمه[٣] .

(١) جزء من حديث طويل عن علي بن أبي طالب ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين (باب الرفق) ، ص٤٦٤ . وكتاب : تنبيه الغافلين ، لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي المتوفي سنة ٣٧٣هـ . وقد نقل منه المؤلف كثيراً من الأخبار والحكايات .

(٢) للمزيد عن أنواع الحج الثلاثة ، انظر : الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري(كتاب الحج ، مبحث القران ، والتمتع ، والإفراد ، وما يتعلق بها) ١/ ٥٢٣ـ ٥٢٨ .

(٣) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري(كتاب الحج ، باب فضل الحج المبرور) ٢/ ٥٥٣ ، ومسلم (كتاب الحج ، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة) ٩/ ١١٨ .

وخرَّج البغوي في «المصابيح» ، عن أبي هريرة ﷺ ، أن النبي ﷺ ، سُئل ، فقيل له : يارسول الله ، أي الأعمال أفضل؟ قال : إيمان بالله ورسوله ، قيل : يارسول الله ، ثم ماذا؟ قال : الجهاد في سبيل الله ، قيل : يا رسول الله ، ثم ماذا؟ قال :حج مبرور[١] .

والحجّ المبرور : الخالي من المحرمات ، من نفقة أوغيرها ، قال صلى الله عليه وسلَّم : الحجّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنة[٢]ـ وزاد أبو أيوب ـ وما سبَّح الحاج من تسبيحة ، ولا هلَّل من تهليلة ، ولا كبّر من تكبيرة إلا بُشر بها بتبشيرة[٣] .

وعن أبي أمامة ، قال : قال ﷺ : أربعة حق على الله تعالى عونهم : الغازي ، والمتزوج ، والمكاتب ، والحاج[٤] .

وعن بُريدة الأسلمي ، قال : قال ﷺ : النفقة في الحجّ ، كالنفقة في سبيل الله

---

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب الإيمان ، باب من قال إن الإيمان هو العمل) ١/ ١٨ ، ومسلم (كتاب الإيمان ، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال) ٢/ ٧٥ـ ٧٦ ، والبغوي في «المصابيح ـ من الصحاح ـ (كتاب المناسك) ١/ ١٦٨ .

(٢) الحديث بلفظ : العمرة إلى العمرة كفارة ما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة . عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب أبواب العمرة ، باب وجوب العمرة وفضلها) ٢/ ٦٢٩ ، ومسلم (كتاب الحج ، باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة) ٩/ ١١٧ .

(٣) الحديث بهذه الزيادة عن عبيد الله بن عمر أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في المناسك ، فضل الحج والعمرة) ٣/ ٤٧٢ . وذكر الألباني الزيادة من هذا الحديث فقط في ضعيف الترغيب والترهيب (باب الترغيب في الحج والعمرة) وقال عنه : ضعيف١/ ٣٤٢ .

(٤) الحديث عن أبي أُمامة وواثلة بن الأسقع أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب الترغيب في الحج) ٢/ ٥ . والحديث دون لفظ : والحاج ، عن أبي هريرة أخرجه الترمذي (كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب وعون الله إياهم) قال أبو عيسى : هذا حديث صحيح ٤/ ١٥٧ـ ١٥٨ .

والمكاتب : العبد يكتب على نفسه بثمنه ، فإذا سعى وأدَّاه عُتِق . لسان العرب(مادة : كتب)

سبعين ضعفًا[١] .

وههنا بشارة لمن حج ، ولمن لم يحج . عن جابر بن عبد الله ، قال : قال صلى الله.عليه وسلَّم : إذا كان يوم القيامة زُفَّت الكعبة بيت الله الحرَّام إلى قبري ، فتقول : السَّلام عليك يامحمد ، فأقول : وعليكِ السَّلام يا بيت الله ، ما صنع بك أمتي من بعدي؟ فتقول : يا محمد ، من أتاني فأنا أكفيه ، وأكون له شفيعًا ، ومن لم يأتني فأنت تكفيه ، وتكون له شفيعًا[٢] .

والطَّواف في البيت أفضل في حق الأفاقي[٣] ؛ لأنه لا يحصل له ذلك كل وقت ، وكلّما زاد في الطَّواف فهو أفضل . عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال ﷺ : من طاف بالبيت خمسين مرة ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه[٤] .

وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال ﷺ : إن الله تعالى يُباهي بالطائفين[٥] .

---

(١) الحديث بلفظ : بسبع مئة ضعف ، عن بريدة الأسلمي أخرجه أحمد في المسند ٣٨/١٠٥ـ١٠٦ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في المناسك ، فضل الحج والعمرة) ٣/ ٤٨١ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الحج ، باب فضل الحج والعمرة) ٣/ ٢٠٨ ، والحديث بلفظ : سبعين ضعفًا ، عن بريدة الأسلمي أخرجه البيهقي في السنن (كتاب الحج ، باب من اختار الركوب) ٤/ ٥٤٢ .

(٢) الحديث عن جابر بن عبد الله أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب(باب الترغيب في الحج) ٢/ ٨ ، والسيوطي في الدُّر المنثور (البقرة : ١٢٧) ١/ ٧٠٥ـ ٧٠٦ .

(٣) الأفاقي : رجل أفقي ، إذا كان من آفاق الأرض ، أي نواحيها . لسان العرب(مادة : أفق) .

(٤) الحديث عن ابن عباس أخرجه الترمذي (كتاب الحج ، باب ما جاء في فضل الطواف) قال أبو عيسى : حديث غريب ٣/ ٢١٩ ، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب الحج ، الترغيب في الطواف) ، وقال عنه الألباني : ضعيف ١/ ٣٦٠ .

(٥) الحديث عن عائشة أم المؤمنين أخرجه أبو يعلى في مسنده ٤/ ٧٤ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في المناسك ، فضل الحج والعمرة) ٣/ ٤٧٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الحجّ ، باب فضل الحج والعمرة) ٣/ ٢٠٨ .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : من طاف بالبيت سبعًا كان كعدل رقبة ، وما من رجل يطوف فيرفع رِجلا ويضع أخرى ، إلا كُتب له بكل خطوة حسنة ، ومُحي عنه بها سيئة ، ورُفع له بها درجة[1] .

وعن محمد بن المنكدر[2] ، أنه حجّ ثلاثًا وثلاثين مرة ، فلمّا كان في آخر حجة ، قال وهو بعرفات : اللهم إنك تعلم أني قد وقفت ثلاثًا وثلاثين وقفة ، واحدة عن فرضي ، وواحدة عن أبي ، وواحدة عن أمي ، وأُشهدك أني قد وهبت الثلاثين لمن وقف هنا ولم يُتقبل منه ، فلمّا دفع من عرفات نودي : يا ابن المنكدر ، أتتكرم /[١٨١و] على من خلق الكرم ، وعزتي وجلالي لقد غفرت لمن وقف بعرفات قبل أن أخلق عرفات بألف عام[3] .

وعن بعض الصّالحين أنه نسى هِميانه[4] بعرفات ، فرجع ليأخذه ، فوجد فيها قردة وخنازير ففزع منهم ، فقالوا : لا تخف نحن ذنوب الحجاج ، تركونا وذهبوا طاهرين ، فأخذ الهميان ، وانصرف متعجبًا من عظيم قدرة الله تعالى .

قال تعالى في بعض صحفه المنزّلة : يا بني آدم ، إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوًا ، واعملوا لليوم الذي تُحشرون فيه إلى الله تعالى أفواجًا ، تقفون بين

---

(١) الحديث مرفوعًا مع اختلاف في اللفظ عن ابن عمر أخرجه الترمذي (كتاب الحج ، باب ما جاء في استلام الركنين) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن . ٣/ ٢٩٢ ، وأبو يعلى في مسنده ٤/ ٤٠٢ ، وابن خزيمة في الصحيح (كتاب المناسك ، باب فضل الطواف) ٣/ ٣٥١ ، وأحمد في المسند ٨/ ٣١ـ ٣٢ .

(٢) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله بن الهديد ، أبو عبد الله ، تابعي ، سمع أبا هريرة وابن عباس وأنسًا ، وطائفة . وروى عنه أبناء المنكدر ، وشعبة ، والسفيانان ، ومالك ، وخلق . قال عنه مالك : كان سيد القراء . توفي بالمدينة سنة ١٣٠هـ ، أو سنة ١٣١هـ . انظر عنه : صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/ ٧٩ـ ٨٢ ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ١/ ٩٦ ، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٣/ ١٤٦ـ ١٥٨ .

وانظر قوله في : إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين ، للبكري الدمياطي (باب الحج) ٢ : ٣٢٦ .

(٣) كُتب عند هذا الموضع : الكراس التاسع عشر من عذب الملافظ في المواعظ .

(٤) الهِميان : هميان الدراهم ، الذي تُجعل فيه النفقة . لسان العرب(مادة : همن) .

وانظر الحكاية في نزهة المجالس للصفوري(باب فضل الحج) ١/ ١٧١ .

يديه صفًا صفًا ، وُتسألون عما عملتم سراً وجهراً ، يوم يُساق المتقون إلى الجنة وفدًا[١] ، والمجرمون إلى جهنم وردًا[٢] ، يكفي لكم ذلك وعيداً ووعداً ، إنني أنا الله لا أله إلا أنا ، لا شبيه لي في ذاتي ، ولا صفاتي ، ولا أفعالي ، ولا سلطان كسلطاني ، فمن ظل في نهاره صائمًا ، نظرته بأنواع الكرامات ، ومن ظل في ليله قائمًا ، رفعت له الدرجات ، ومن غض بصره عن محارمي أمّنته عن حرّ نيراني ، أنا الرّب فأعرفوني ، أنا المُنعم فاشكروني ، أنا الحافظ فاستحفظوني ، أنا النّاصر فاستنصروني ، أنا المقصود فاقصدوني ، أنا المعبود فاعبدوني ، أنا العالم بالسّرائر فاحذروني ، أنا الإله الحق فوحدوني ، ومجدوني[٣] .

الأساس الخامس : صوم رمضان ، قال تعالى : ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾[٤] إما ثلاثون ، وإما تسع وعشرون ، ووجب على كل أمة من الأمم . فُرض في شعبان السنة الثانية من الهجرة ، جاحده كافر ، ومن لم يصم يمنع نهاره من الأكل والشرب والجماع ليكون على صورة الصائمين ، وهو عبارة عن ترك المفطرات ، فمن أكل في رمضان عامداً أو شرب وجبت عليه الكفارة عندنا مع قضاء ذلك اليوم ، وإن جامع عامداً فبالأجماع[٥] .

ومن أكل شهرة بين النّاس بلا عُذر حلّ قتله[٦] .

---

(١) وفد : الوفد هو الركبان المكرمون . لسان العرب (مادة : وفد) .

(٢) وردًا : أي مشاة عطاشا . لسان العرب(مادة : ورد) .

(٣) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٤) الآية رقم ١٨٣ من سورة البقرة ، وجزء من الآية رقم ١٨٤ من السورة نفسها .

(٥) لمعرفة ما يوجب القضاء والكفارة ، وما يوجب القضاء دون الكفارة ، وما لا يوجب شيئًا ، انظر : الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري(كتاب الصيام ، ما يوجب القضاء والكفارة) ١/ ٥٠٩-٥١٦ .

(٦) لم نجد هذا الحكم في كتب الفقه .

خرَّج البخاري عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ? : قال الله تعالى : كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي ، وأنا أجزي به ، والصيام جُنة - أي حماية من النار- فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ، ولا يفسق ، ولا يصخب ، فإن سابَّه أحداً أو قاتله فليقل : إني صائم ، والذي نفسْ محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيبُ عندَ الله من ريح المسك- الصَّخب : الصياح والمخاصمة ، والرَّفث : فُحش الكلام- للصَّائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح ، وإذا لقي ربه فرح[1] . الفرحة عند إفطاره بإتمام نعمة الصَّوم مع الصِّحة ، والفرحة عند اللقاء بحصول المغفرة والرِّضا .

وفي رواية له : يترك طعامه ، وشرابه من أجلي ، الصيام لي ، وأنا أجزي به ، والحسنة بعشر أمثالها[2] .

وفي رواية لمسلم : كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف ، قال تعالى : إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وطعامه من أجلي[3] . الحديث .

ومرَّ من حديث متفق عليه عنه ، قال : قال ﷺ : من أنفق زوجين في سبيل الله ، نودي من أبواب الجنة : يا عبد الله ، هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من/[١٨١ظ] باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دُعي منْ باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصيام دُعي من باب الرَّيان ، ومن كان من أهل الصَّدقة دُعي من باب

---

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري(كتاب الصوم ، باب هل يقول : إني صائم إذا شُتم) ٢/ ٦٧٣ ، ومسلم (كتاب الصيام ، باب فضل الصيام) ٨/ ٣٢ .

(٢) الحديث بهذه الرواية عن أبي هريرة أخرجه مالك في الموطأ (كتاب الصيام ، باب جامع الصيام) ص ١٩٧ ، وأحمد في المسند ١٢/ ٤٦٢ .

(٣) الحديث عن أبي هريرة أخرجه مسلم (الموضع السابق) ٨/ ٣٢ ، وابن ماجه (كتاب الصيام ، باب ما جاء في فضل الصيام) ٤/ ٥٢٥ ، والنسائي (كتاب الصيام ، ذكر الاختلاف على أبي صالح في هذا الحديث) ص٣٥٠ .

الصدقة ، قال أبو بكر : بأبي أنت وأمي يارسول الله ، ما على أحد يُدعي من تلك الأبواب من ضرورة ، فهل يُدعى من تلك الأبواب كلها أحد؟ قال : نعم ، وأرجو أن تكون منهم[١] .

ومن المتفق عليه عن سهل بن سعد ، قال : قال ﷺ : إن في الجنة بابًا يقال له الرَّيان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم ، يقال : أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أُغلق فلم يدخل منه أحد[٢] .

ومن المتفق عليه عن أبي هريرة ، قال : قال ﷺ : من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا ـ الإيمان التَّصديق بما وعد الله من ثواب ، والاحتساب الإقبال على الله والخشوع له ـ غفر الله ما تقدم من ذنبه[٣] . وفي رواية : وما تأخر[٤] .

ومن المتفق عليه أيضًا عنه ، قال : قال ﷺ : إذا جاء رمضان فُتحت أبواب الجنة ، وغُلقت أبواب النَّار ، وصُفِّدت الشياطين[٥] .

وفي الحديث : قال رسول الله ﷺ : لو يعلم النَّاس ما في رمضان من اليُمن

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب الصوم ، باب الريان للصائمين) ٢/ ٦٧١ ، ومسلم(كتاب الزكاة ، باب من جمع الصدقة وأعمال البر) ٧/ ١١٩ .

(٢) الحديث عن سهل بن سعد أخرجه البخاري (الموضع السابق) ٢/ ٦٧١ ، ومسلم (كتاب الصيام ، باب فضل الصيام) ٨/ ٣٣ .

(٣) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب الإيمان ، باب صوم رمضان احتسابًا من الإيمان) ١/ ٢٢ ، ومسلم ، والحديث فيه بلفظ : من قام رمضان . . .(كتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح) ٦/ ٤٤ .

(٤) الحديث بهذه الرواية عن أبي هريرة انفرد به أحمد في المسند ١٤/ ٥٤٨ .

(٥) الحديث بهذا اللفظ عن أبي هريرة ، أخرجه مسلم (كتاب الصيام ، باب فضل شهر رمضان) ٧/ ١٨٥ ، والحديث ـ مع اختلاف يسير في اللفظ ـ عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده) ٣/ ١١٩٤ .

والبركة لتمنوا أن يكون حولاً كاملاً[١] .

وعن زيد بن خالد الجهني ، قال : قال ﷺ : من فطَّر صائمًا ، أو جهَّز غازيًا ، فله مثل أجره[٢] .

وكان حمّاد بن أبي سليمان يُفطّر كل ليلة من شهر رمضان خمسين إنسان ، فإذا كانت ليلة الفطر كساهم[٣] .

وعن عمر ، قال : قال ﷺ : ذاكر الله في رمضان مغفور له ، وسائل الله عزّ وجل فيه لا يخيب[٤] .

وعن أنس بن مالك ، قال : سُئل النبي ﷺ ، فقيل : يارسول الله ، أي الصدقة أفضل؟ ، قال : صدقة في رمضان[٥] .

---

(١) جزء من حديث طويل أوله : لو علم العباد ما في رمضان لتمنت أمتي أن يكون رمضان السنة كلها . عن ابن مسعود أخرجه أبو يعلى في مسنده ٤/ ٢٨٩ـ ٢٩٠ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الصيام ، باب شهود البركة وفضل شهر رمضان) ٣/ ١٤١ .

(٢) جمع المؤلف بين حديثين كلاهما عن زيد بن خالد الجهني ، الأول لفظه : من فطَّر صائمًا كان له مثل أجره . . .أخرجه الترمذي (كتاب الصوم ، باب ما جاء في فضل من فطَّر صائمًا) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٣/ ١٧١ .
والحديث الثاني : من جهز غازيًا في سبيل الله فقد غزا . . . أخرجه الترمذي (كتاب فضائل الجهاد ، باب ما جاء في فضل من جهز غازيًا) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٤/ ١٤٥ .
والحديث كما ذكره المصنف عن زيد بن خالد الجهني ، أخرجه البيهقي في الشعب (باب في الصيام ، فصل فيمن فطَّر صائمًا) ٣/ ٤١٨ـ ٤١٩ .

(٣) انظر الحكاية عن حماد بن أبي سليمان في الخلاصة للخزرجي ، ص٩٢ .
وهو حمّاد بن أبي سليمان مسلم الأشعري ، أبو إسماعيل الكوفي ، الفقيه . عن أنس ، وأبي وائل والنخعي ، وخلق . وعنه ابنه إسماعيل ومغيرة وأبو حنيفة ومسعر ، وخلق مات سنة ١٢٠هـ . انظر عنه : سير أعلام النبلاء للذهبي ٥/ ٢٣١ ، والخلاصة للخزرجي ، ص٩٢ .

(٤) الحديث عن عمر بن الخطاب أخرجه الطبراني في الأوسط ٨/ ١٦٧ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الصيام ، باب احترام شهر رمضان ومعرفة حقه) ٣/ ١٤٣ .

(٥) جزء من حديث عن أنس أخرجه الترمذي (كتاب الزكاة ، باب ما جاء في فضل الصدقة) قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ٣/ ٥١ـ ٥٢ ، والبزار في مسنده ١٣/ ٣٠١ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في الصيام ، فضائل شهر رمضان) ٣/ ٣١١ـ ٣١٢ .

وعن إبراهيم النخعي أنه قال : صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم ، وتسبيحة في رمضان أفضل من ألف تسبيحة ، وركعة في رمضان أفضل من ألف ركعة(١) .

وعن البراء بن عازب ، قال : قال ﷺ : فضل الجمعة في شهر رمضان على سائر أيامه كفضل رمضان على سائر الشهور(٢) .

وعن أبي أُمامة الباهلي ، أنه قال : أتيت النبي ﷺ ، فقلتُ له : يارسول الله ، مرني بعمل يُدخلني الجنة ، قال : عليك بالصوم(٣) .

ومن المتفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه ﷺ كان أجود النّاس بالخير ، وكان أجود ما يكون في رمضان(٤) .

وجاء : إن الله تعالى يقول في كل ليلة من شهر رمضان ثلاث مرّات : هل من سائل فأُعطيه سؤله؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مُستغفر فأغفر له؟ ، ويُنادي مناد كل يوم من شهر رمضان : إن لله كل يوم ألف ألف عتيق من النّار ، ويعتق ليلة الجمعة بقدر ما أعتق في الأيام قبلها(٥) .

---

(١) الأثر عن إبراهيم النخعي ، ذكره الأصبهاني في الترغيب الترهيب(باب الترغيب في الصوم) ٢/ ٣٦٥ .

(٢) الحديث عن البراء بن عازب ذكره الأصبهاني في الترغيب والترهيب(الموضع السابق) ٢/ ٣٦٤ ، والسيوطي في الدُّر المنثور(البقرة : ١٨٥)١/ ٤٥٤ .

(٣) جزء من حديث عن أبي أُمامة الباهلي أخرجه النسائي(كتاب الصيام ، ذكر الاختلاف على محمد في حديث أبي أمامة) ص ٣٥١ ، وأحمد في المسند ٣٦/ ٤٦٥ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الصوم) قال الذهبي : صحيح ٢/ ٥٩٢ .

(٤) جزء من حديث عن ابن عباس أخرجه البخاري (كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ) ١/ ٦ـ ٧ ، ومسلم (كتاب الفضائل ، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة)١٥/ ٧٣ .

(٥) جزء من حديث طويل عن ابن عباس أخرجه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب(كتاب الصوم ، باب الترغيب في صيام رمضان احتسابا) وقال عنه : موضوع ١/ ٣٠٠ـ ٣٠٢ ، وابن الجوزي في الموضوعات(كتاب الصيام ، باب الغفران في أول ليلة من رمضان) ٢/ ١٩٠ .

والتراويح سُنة مؤكدة في ليالي رمضان وصلاتها بالجماعة سنة كفاية[١] ، وصلَّاها النبي ﷺ بعض ليالي بالجماعة ، ثم ترك ذلك خشية أن تفرض على الأمة ، وكان يصليها في حجرته الشريفة منفرداً[٢] ، وذكر فضلها من ذلك ما يروى عن عمر ، قال : قال ﷺ : إن لله موضعًا حول العرش يُسمى حظيرة القدُس ، وهو من النور ،/[١٨٢و] فيه ملائكة لا يُحصي عددهم إلا الله تعالى ، يعبدون الله تعالى حق عبادته ، لا يفترون ساعة ، فإذا كانت ليالي شهر رمضان استأذنوا ربهم أن ينزلوا إلى الأرض ليصلّوا مع بني آدم ، فإذا أُذن لهم نزلوا كل ليلة إلى الأرض ، فكل من مسهم أو مسوه سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً[٣] .

فلما سمع عمر ذلك من رسول الله ﷺ ، قال : نحن أحق بهذا . فجمَّع التراويح ، ونوَّر المساجد ، فلما مرّ عثمان وعلي رضي الله عنهما ، ورأيا المساجد منورة ، قالا : نوَّر الله قبر عمر ، كما نوَّر مساجدنا[٤] .

ويقال إن لله مرجًا[٥] أخضر تحت العرش ، فيه ملائكة لا يحصون يستغفرون

---

(١) صلاة التروايح سنة عين مؤكدة للرجال والنساء عند ثلاثة من الأئمة . وخالف المالكية فقالوا : هي مندوبة ندبًا أكيداً لكل مصل من رجال ونساء . وقالت الحنفية : الجماعة فيها سنة كفاية لأهل الحي . انظر الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري (كتاب الصلاة ، صلاة التراويح وحكمها)١/ ٢٦٤- ٢٦٥ .

(٢) ورد حديث عن عائشة أم المؤمنين ولفظه : كان رسول الله ﷺ ، يصلي من الليل في حجرته . . . فقال : إني خشيتُ أن تكتب عليكم صلاة الليل . أخرجه البخاري (كتاب الجماعة والإمامة ، باب إذا كان بين الإمام وبين القوم حائط أو سترة) ١/ ٢٥٥- ٢٥٦ ، و(كتاب التراويح ، باب فضل من قام رمضان) ٢/ ٧٠٨ ، ومسلم (كتاب صلاة المسافرين ، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح) ٦/ ٤٥ .

(٣) الحديث مرفوعًا عن عمر ذكره السمرقندي في التنبيه (باب فضل شهر رمضان) ص٢٧١ ، والحديث موقوفًا على عمرٍ أخرجه البيهقي في الشعب (باب في الصيام ، فصل في ليلة القدر)٣/ ٣٣٧ .

(٤) انظر قول علي بن ابي طالب في الترغيب والترهيب للأصبهاني(الترغيب في صلاة التراويح) ٢/ ٣٦٨ .

(٥) المرج : الأرض الواسعة ذات نبات كثير . لسان العرب(مادة : مرج) .

طول السَّنة لمصلي التراويح في رمضان ، فإذا جاء رمضان أستأذنوا ربهم أن ينزلوا إلى الأرض ليصلُّوا التراويح مع أمة محمد ﷺ ، فإذا أذن لهم نزلوا وصلُّوا التراويح معهم ، وصافحوهم ، فإذا مضى شهر رمضان ارتحلوا(١) .

وليلة القدر هى ليلة السابعة والعشرين(٢) ، يُستحب إحياؤها بعبادة الله تعالى ، ويُستحب فيها أن يقول : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني(٣) ، العبادة فيها أفضل من العبادة في ألف شهر ، يعتق الله فيها بقدر ما أعتق من أول الشهر إلى تلك الليلة ، ويُسن الاعتكاف في العُشر الأخير من رمضان في مسجد تقام فيه الجماعة ، وللمرأة في بيتها(٤) .

فاشكروا أنعم الله تعالى في هذه الأيام المُباركة من غير متاركة .

يقول الله تعالى في بعض صحفه : يابني آدم ، اشكروا نعمتي أزدكم إنعامًا ، وأوفوا بعهدي ، وإياي فاتقون ، يا بني آدم ، كما أنكم لا تجمعون المال إلا بالتعب ، لا تدخلون جنتي إلا بالتعب ، فتقرَّبوا إليَّ بأداء ما افترضته عليكم ، وبالنوافل ، واطلبوا رضائي بحب المساكين ومجالسة العلماء العاملين ، فإن رحمتي لا تفارقهم طُرفة

---

(١) القول غير منسوب ، وبألفاظ أطول ذكره ابن الجوزي في التبصرة(المجلس السادس : استفتاح شهر رمضان) ص ٧٠ـ ٧١ .

(٢) لم يرد ما يؤكد أن ليلة القدر هي ليلة السابع والعشرين .

(٣) مصداق ذلك حديث عائشة أم المؤمنين ، قالت : قلتُ يا رسول الله ، أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ، ما أقول فيها؟ قال : قولي : اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني . أخرجه الترمذي (كتاب الدعوات ، باب ٨٥) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٥/ ٤٩٩ ، وابن ماجه (كتاب الدعاء ، باب الدعاء بالعفو والعافية) ٤/ ٥٧١ ، وأحمد في المسند ٤٢/ ٢٣٦ .

(٤) عن الاعتكاف ، قالت الحنابلة والشافعية : هو سُنة مؤكدة . والحنفية قالوا : هو سنة كفاية مؤكدة ، والمالكية قالوا : هو مستحب في رمضان وغيره من الشهور ، ويتأكد في رمضان مطلقًا ، وفي العشر الأواخر منه آكد . انظر الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري (كتاب الاعتكاف ، أقسامه ومدته) ١/ ٤٤٥ .

عين ، من تكبر على مسكين نشرته يوم القيامة على صورة الذر ، ومن تواضع لعالم أو لوالديه رفقته في الدُّنيا والآخرة ، ومن تعرض لهتك ستر مسلم هتكت ستره سبعين مرة ، ومن أحب مؤمنًا في الله صافحته ملائكتي في الدُّنيا والآخرة ، فاعملوا بطاعتي أمتعكم بجنتي ، ومجدوني أمنحكم رؤيتي ، فأكثروا من توحيدي وتمجيدي[1] .

(١) انظر الحديث القدسي ـ مع اختلاف يسير في اللفظ ـ في روح البيان لإسماعيل حقي (سورة فصلت ١٩ـ ٢٠) .

فصل

في قوله تعالى : ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1] .

وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ : عدة أيام الشهر ، قال ﷺ : الشهر بضع وعشرون ، فلا تصوموا حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروه[2] ، أو بالمرض أو بالسَّفر[3] .

وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ : تعظموه بالحمد على ما هداكم إلى طاعة الصيام ، ويقال ولتكبروا الله ليلة الفطر ، ويوم الفطر ، وكان كيفية تكبيره ﷺ : الله أكبر كبيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ، لاإله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، لاإله إلا الله ، والله أكبر[4] . وفي رواية : لا إله إلا الله وحده لاشريك /[١٨٢ظ] له ، له المُلك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده[5] .

قال إمامنا الإمام الأعظم[6] أنه يُكبر في الفطر سراً ، وهو ذاهب إلى المُصلى ،

(١) جزء من آية رقم ١٨٥ من سورة البقرة . وسيبدأ المؤلف في شرحها ، حتى ص ١٨٣ظ .

(٢) الحديث بلفظ : الشهر تسع وعشرون ليلة . . .عن ابن عمر أخرجه البخاري (كتاب الصوم ، باب قول النبي ﷺ : إذا رأيتم الهلال فصوموا) ٢/ ٦٧٤ ، ومسلم (كتاب الصيام ، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال . . .)٧/ ١٨٧ .

(٣) وذلك في قوله : ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ البقرة الآية ١٨٥ .

(٤) انظر : الأم للشافعي (كتاب صلاة الكسوف ، كيفية التكبير في العيد) ١/ ٢٧٦ ، ومعرفة السنن والآثار للبيهقي(كتاب صلاة العيدين ، باب كيف التكبير)٥/ ٩٠٩ .

(٥) جزء من حديث طويل عن جابر بن عبد الله أخرجه مسلم (كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ)٨/ ١٦٥ـ ١٦٨ ، وأبو داود (كتاب المناسك ، باب صفة حجة النبي ﷺ) ٢/ ٣١٢ـ ٣١٨ .

(٦) أي الإمام أبي حنيفة النعمان ، وسبق التعريف به .

وقالا[١] : والأئمة تكبر جهراً .

ويُستحب إحياء ليلة العيد ، خرّج الطبراني عن أبي أُمامة ، قال : قال ﷺ : من أحيا ليلتي العيد ، لم يمت قلبه يوم تموت القلوب[٢] .

إحياؤها يكون بالصلاة ، وقراءة القرآن ، والذّكر ، وأفضل ما تُحيا به : الصلاة ، فإنها جامعة للقرآن والأذكار ، قال رسول الله ﷺ : من قام ليلتي العيد محتسبًا لله ـ أي مقبلًا على الله بطاعته ـ لم يمت قلبه يوم تموت القلوب[٣] .

ويُستحب أن يفطر بأن يأكل قبل الخروج إلى المُصلى ، دون الأضحى ، خرّج الحاكم بإسناد صحيح من رواية أنس رضي الله عنه ، قال : كان ﷺ ، لا يخرج يوم الفطر حتى يطعم ، ولا يطعم يوم الأضحى[٤] ، وكان لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات ، ويأكلهن وتراً[٥] . ويُكره التنفل قبل صلاة العيدة وبعدها . من المتفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه قال : لم يتنفل ﷺ قبل العيد ، ولا بعدها[٦] .

---

(١) أي أبو يوسف يعقوب ، وهو الرجل الثاني من رجال المذهب المتوفي سنة ١٨٢هـ ، ومحمد بن الحسن الشيباني الرجل الثالث من رجال المذهب المتوفي سنة ١٨٩هـ ، وسبق التعريف بهما .

(٢) الحديث عن عبادة بن الصامت أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب العيدين ، باب إحياء ليلتي العيد) ٢/ ١٩٨ . وانظر الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب العيدين والأضحية ، باب الترغيب في إحياء ليلتي العيد) وقال عنه : موضوع ١/٣٣٤ .

(٣) الحديث عن أبي أُمامة أخرجه ابن ماجه (كتاب الصيام ، باب فيمن قام في ليلتي العيدين) ٢/ ٥٦٦ . والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (الموضع السابق) وقال عنه : موضوع ١ : ٣٣٤ .

(٤) الحديث عن بريدة عن أبيه أخرجه الترمذي (كتاب الصلاة ، باب ما جاء في الأكل في يوم الفطر قبل الخروج) قال أبو عيسى : حديث غريب ٢/ ٤٢٦ ، والحاكم في المستدرك والحديث فيه دون عبارة : ولا يطعم يوم الأضحى . . .(كتاب صلاة العيدين) قال الذهبي : صحيح ٢/ ٤٢٥ ، والطبراني في الأوسط ٤/ ٧٠ .

(٥) الحديث عن أنس أخرجه البخاري (كتاب العيدين ، باب الأكل يوم الفطر قبل الخروج) ١/ ٣٢٥ ، والحاكم في المُستدرك (كتاب صلاة العيدين) قال الذهبي : على شرط مسلم ٢/ ٤٢٥ .

(٦) الحديث عن ابن عباس أخرجه البخاري (كتاب العيدين ، باب الصلاة قبل العيد وبعدها) ١/ ٣٣٥ ، ومسلم (كتاب صلاة العيدين ، باب ترك الصلاة قبل العيد وبعدها) ٦/ ١٩١ .

ويُكره الصَّوم يومي العيد ، وأيام التشريق ؛ لورود النهي ، قال صلى الله عليه وسلَّم : لا تصوموا هذه الأيام - أيام التشريق - فإنها أيام أكل وشرب[١] . خرَّجه أحمد ، وفي رواية ، قال ﷺ : يوم الفطر ، ويوم النَّحر ، وأيام التَّشريق عيدنا أهل الإسلام ، وهى أيام أكل وشرب[٢] . وقال ﷺ :لا يصلح الصيام في يومين يوم الأضحى ، ويوم الفطر من رمضان[٣] . لا يصلح : أي لا يُشرع .

وأيام التَّشريق هى ثلاثة أيام بعد يوم الأضحى ، سُميت به لأن أهل منى كانوا يُشرّقون[٤] اللحوم فيها ، أي يُقددونها[٥] لكثرتها .

ولا يأتي صلاة العيد راكبًا ، نقل علماء الحديث أنه ﷺ ما ركب في عيد ولا جنازة[٦] . كيف حال من يأتي المساجد الجامعة راكبًا ، ويوقف دابته على باب المسجد ، به يضيق الطريق على المسلمين ، وقد تضرب برجلها أو ذَنَبَها فتضر أحد من أبناء المؤمنين ، فهذا حرَّام ، ويضمن ما تلف به المُتسبب كما نقله الفقهاء الكرّام ،

---

(١) الحديث بلفظ : أيام التشريق أيام أكل وشرب ، عن نبيشة الهذلي أخرجه مسلم (كتاب الصيام ، باب تحريم صوم أيام التشريق)٨/ ٢٠ ، وأحمد في المسند ٣٤/ ٣٢٢ ، وانظر التعليق التالي .

(٢) الحديث بلفظ : يوم عرفة ، ويوم النحر . . .عن عقبة بن عامر أخرجه أبو داود (كتاب الصوم ، باب صيام أيام التشريق) ٢/ ٥٥٨ ، والترمذي (كتاب الصوم ، باب ما جاء في كراهية الصوم في أيام التشريق) قال أبو عيسى : حسن وصحيح ٣/ ١٤٣ .

(٣) الحديث عن أبي سعيد الخدري أخرجه مسلم (كتاب الصيام ، باب النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الاضحى) ٨/ ١٨ ، والبخاري (كتاب الصوم ، باب الصوم يوم النحر) والحديث فيه بألفاظ أطول عن أبي سعيد الخدري٢/ ٧٠٣ .

(٤) شرقت اللحم : نشرته في الشمس ليجف . لسان العرب (مادة : شرّق) .

(٥) القديد : اللحم المملوح المجفف في الشمس . لسان العرب (مادة : قدد) .

(٦) الحديث عن الزهري أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار (كتاب صلاة العيدين ، باب المشي إلى العيدين) ٥/ ٥٧ ، والحديث بدون لفظ : في عيد . . .عن الزهري أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٤٥٣ ، وأخرج ابن ماجه عن ابن عمر قال : كان رسول الله ﷺ يخرج إلى العيد ماشيًا ويرجع ماشيًا (كتاب إقامة الصلاة ، باب ما جاء في الخروج إلى العيد ماشيًا) ٢/ ٤١٨ .

وكذلك حكم بقية الصلوات . من المتفق عليه عن أبي هريرة ، قال : قال ﷺ : إذا أتيتم الصلاة فأتوها تمشون ، ولا تأتوها تسعون[١] .

وفي صحيح البخاري ، عن جابر ، قال : كان النبي ﷺ ، إذا كان يوم عيد خالف الطريق[٢] . يعني رجع من طريق غيْر الذي جاء منه ، كما في رواية .

قال العلماء : ويستحب أن يلبس أحسن ثيابه ، أي أعلاها وأغلاها ثمنًا ، وإن كان أبيض فهو أفضل ، خرَّج الحاكم من رواية ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال ﷺ : إلبسوا البياض فإنها خير ثيابكم[٣] .

ويُسن الغُسل للعيدين[٤] ، والتطيب بما له رائحة لا لون ، ولا بريق ، فماله لون أوبريق من طيب النساء ، البريق : اللمعان .

قال الإمام الرَّافعي[٥] : أول عيد صلاه النبي ﷺ عيد الفطر ، السَّنة الثانية من الهجرة ، ثم قال : لم يزل يواظب على صلاة العيدين حتى فارق الدُّنيا ، وقال أيضًا هذا مستفيض يقْرب من التواتر ، أقول : وهذا مؤيد للقول بوجوب صلاة العيد ، ومرت

---

(١) جزء من حديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري(كتاب الجمعة ، باب المشي إلى الجمعة) ١/ ٣٠٨ ، ومسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار . . .)٥/ ١٠١ .

(٢) الحديث عن جابر بن عبد الله أخرجه البخاري(كتاب العيدين ، باب من خالف الطريق إذا رجع يوم العيد) ١/ ٣٣٤ ، وابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في الخروج يوم العيد من طريق والرجوع من غيره) ٢/ ٤١٩ .

(٣) الحديث بألفاظ أطول عن ابن عباس أخرجه الترمذي (كتاب الجنائز ، باب ما يستحب من الأكفان) قال أبو عيسى : حديثٌ حسن صحيح ٣/ ٣١٩ـ ٣٢٠ ، وأبو داود (كتاب اللباس ، باب في البياض) ٤/ ٢١٥ ، والحاكم في المستدرك(كتاب الجنائز) ٢/ ٥٠٧ ، وأحمد في المسند ٤/ ٩٤ .

(٤) قال ابن عباس : كان رسول الله ﷺ ، يغتسل يوم الفطر ويوم الأضحى . أخرجه ابن ماجه (كتاب إقامة الصلاة ، باب ما جاء في الاغتسال في العيدين) ٢/ ٤٢٣ .

(٥) هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم ، أبو القاسم ، الرافعيُّ ، القزوينيّ ، فقيه ، من كبار الشافعية ، له : التدوين في ذكر أخبار قزوين ، والإيجاز في أقطار الحجاز ، والمحرر ، وفتح العزيز في شرح الوجيز للغزالي ، وغير هذا كثير . توفي ٦٢٣هـ . انظر عنه : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥/١١٩ ، وفوات الوفيات للكتبي ٢/ ٣ . وانظر قول الرافعي في كتاب فتح العزيز بشرح الوجيز للغزالي(كتاب الصلاة ، باب صلاة العيدين) ٥/ ٣ .

أقوال الأئمة فيها[١] .

وجاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ ، أمر بإخراج صدقة الفطر قبل الغدو إلى الصلاة[٢]/[١٨٣و] أي الذهاب إلى الصلاة ، وخرّج الحاكم من صحيح الإسناد عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ ، فرض زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرَّفث ، وطعمة للمساكين[٣] . وخرّج أيضًا أن النبي ﷺ ، قال : أغنوهم عن الطلب في هذا اليوم[٤] .

يقال : إن الصّوم يُعلق بين السماء والأرض حتى تؤدى صدقة الفطر[٥] ، أي لا يُرفع إلى السماء أي لا يُقبل ما لم تؤد صدقة الفطر .

إخواني ، ليس العيد لمن لبس الجديد ، إنما العيد لمن أمن الوعيد ، ليس العيد لمن يتجر بالعَوْد ، إنما العيد لمن تاب ولا يعود ، ليس العيد لمن نصب القدور ، إنما العيد

(١) الشافعية قالوا : صلاة العيدين سنة عين مؤكدة لكل من يؤمر بالصلاة ، والمالكية قالوا : هي سنة عين مؤكدة تلي الوتر في التأكيد ، والحنفية قالوا : هي واجبة في الأصح على من تجب عليه الجمعة بشرائطها ، والحنابلة قالوا : هي فرض كفاية على كل من تلزمه صلاة الجمعة . انظر الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري (حكم صلاة العيدين ووقتها) ١/ ٢٦٧ـ ٢٦٨ .

(٢) الحديث عن ابن عمر أخرجه البخاري (كتاب صدقة الفطر ، باب الصدقة قبل العيد) ٢/ ٥٤٨ ، ومسلم(كتاب الزكاة ، باب الأمر بإخراج زكاة الفطر قبل الصلاة)٧/ ٦٩ .

(٣) جزء من حديث عن ابن عباس أخرجه أبو داود (كتاب الزكاة ، باب زكاة الفطر)٢/ ١٧٩ ، وابن ماجه (كتاب الزكاة ، باب صدقة الفطر) ٢/ ٥٨٣ ، والحاكم في المستدرك(كتاب الزكاة) قال الذهبي : على شرط البخاري ٢/ ٥٧٧ .

(٤) جزء من حديث عن ابن عمر أخرجه البيهقي في السنن(كتاب الزكاة ، باب وقت إخراج زكاة الفطر) ٤/ ٢٩٢ ، ولم نجد الحديث بهذا اللفظ في المستدرك للحاكم .

(٥) الحديث بلفظ : شهر رمضان معلق . . . عن جرير أخرجه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب الصوم ، باب الترغيب في صدقة الفطر) وقال عنه : ضعيف ١/ ٣٣٣ .

لمن سعد بالمقدور ، وتوفرت له الأجور ، ليس العيد لمن جلس على اللبود[١] والبساط ، إنما العيد لمن جاز الصراط ، ليس العيد لمن بنى القصور ، إنما العيد لمن عمّر بطاعته القبور .

جاء : من قال يوم العيد ثلاث مئة مرة سبحان الله وبحمده ، وجعل ثوابها للأموات ، دخل في كل قبر من قبور المؤمنين ألف نور ، ويجعل الله لقائلها في قبره الذي يدفن فيه ألف نور ، ومن قال قبل صلاة العيد أربع مئة مرة لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له المُلك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، زوّجه الله أربع مئة حوراً ، وكأنما أعتق أربع مئة عبد ، ووكّل الله له ملائكة يبنون له المدائن والقصور ، ويغرسون له الأشجار . قال الزهري : منذ سمعت بهذا ما تركته قط[٢] .

ويقال خلق الله تعالى الجنة ، والعرش وشجرة طوبى يوم عيد الفطر ، وفيه اصطفى جبريل للوحي ، وتاب على سحرة موسى[٣] . دخل رجل على علي بن أبي طالب ، فنظره يأكل خبزاً يابساً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، تأكل خبزاً يابساً يوم العيد؟ فقال : يارجل ، العيد لمن قُبِل صومه ، وشُكر سعيه ، وغُفر ذنبه ، وكل يوم لايعصي الله فيه فهو عيد[٤] .

وعن سعد بن أوس عن أبيه ، قال : قال ﷺ : إذا كان غداة الفطر قامت الملائكة على أفواه الطرق ، فنادوا : يا معشر النّاس ، أغدوا إلى رب رحيم ، يُمنّ بالخير

---

(١) اللبود : القُراضُ : سُمي بذلك لأنه يلبد بالأرض أي يلصق . والملبد : اللاصق بالأرض . لسان العرب (مادة : لبد) .

(٢) الحديث عن أنس ذكره الصفوري في نزهة المجالس(باب فضل عرفة والعيدين ، والتكبير ، والأضحية) ١/ ١٦٢ .

(٣) القول غير منسوب ذكره الصفوري في نزهة المجالس(الموضع السابق) ١/ ١٦٢ .

(٤) انظر الحكاية في نهج البلاغة للشريف الرضي(قصار الحكم)ص١٨٨ .

ويُثيب الجزيل ، أمركم بصوم النَّهار ، فصمتموه ، فإذا أطعتم ربكم فاقبضوا أجوركم ، قال : فإذا صلّوا نادى مناد من السَّماء : ارجعوا إلى منازلكم راشدين ، فقد غفرت ذنوبكم ، ويُسمى ذلك اليومُ في السَّماء يوم الجائزة(١) .

إخواني ، فاشكروا أنعُم الله ، فإنه قال : ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٢) ، قال تعالى في بعض صحفه المنزلة : ابن آدم ، تشرب الماء العذب ، ولم تحمدني ، وتأكل أنواع المطاعم ، ولم تشكرني ، ابن آدم أقيك من كل هول هائل ، وأنت عني غافل ، إلى متى تجمع الحرَّام؟ إلى متى ترتكب الآثام؟ ألم تخف من ناري؟ كيف بك إذا صرت في جواري؟ ابن آدم ، تقول أنا عبد الله ، وتعصيني ، وتظن أنك بلقلقة(٣) اللسان تُرضيني ، ابن آدم ، استقامت السماوات والأرضون باسم واحد من أسمائي ، وقلبك ما استقام بالمواعظ ، يا ابن آدم ، كما أن /[١٨٣ظ] الحجر لا يلين بالماء ، كذلك القلب القاسي لا تُلينه المواعظ ، ابن آدم ، لا تلعن أحداً من خلقي ، فمن لعن أحداً من خلقي فكأنما قتله ، ابن آدم ، لا تظلم أحداً من خلقي ، فإن الظلم حرَّام ، حرّمته على جميع الأنام ، يا ابن آدم ، اذكرني أُمتعك بنظري ، فوحدني ومجدني(٤) .

يا أيها الإخوان ، لم يبق من رمضان إلا أيام قلائل ، وعما قريب عنكم راحل وزائل ، ليت شعرِي هل أنصفتموه فكان من الشهودْ لكم ، أم عصيتموه فكان من الشهود عليكم ، حاسبوا أنفسكم ، فإن السَّاعة آتيه لا ريب فيها ، والحساب فيها بين يدي الله عظيم ، فخافوا الله تعالى واحذروه ، يا أرباب العزائم ، هذه الأوقات أوقات

---

(١) الحديث عن سعيد بن أوس عن أبيه ، أخرجه الطبراني في المعجم الكبير١/ ٢٢٦ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب العيدين ، باب فضل يوم العيد) ٢/ ٢٠١ ، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب العيدين والأضحية ، باب الترغيب في التكبير في العيد وفضله) وقال عنه : ضعيف ١/ ٣٣٥ .

(٢) تتمت شرح الآية رقم ١٨٥ من سورة البقرة .

(٣) اللقلقة : شدة الصوت في حركة واضطراب . لسان العرب(مادة : لقق) .

(٤) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

الغنائم ، يا أرباب العزائم ، فاز الصائم القائم ، وخسر المهمل النَّادم ، يا أرباب الهمم ، هذه الأوقات تُحترم ، يا أرباب الهمم ، هذه الأوقات تُغتنم ، حذار حذار من ارتكاب ما يوجب النَّدم ، حذار حذار من زلات القدم .

ذكر الحليمي[١] من السَّادة الشافعية في : منهاجه في شعب الإيمان ، عن عبدالعزيز أبي روّاد ، قال : كان المسلمون يقولون إذا دخل شهر رمضان : اللهم قد أظل شهر رمضان وحضر فسلّمه لنا وسلّمنا له ، وارزقنا صيامه وقيامه صبراً واحتساباً ، وارزقنا فيه الجد والاجتهاد ، والقوة والنَّشاط ، وأعذنا فيه من الفترة[٢] ، والكسل ، والنُّعاس ، ووفقنا فيه لليلة القدر التي هي خيرٌ من ألف شهر . وذكر أيضًا أن عليا كان إذا نظر إلى هلال رمضانٍ ، يقول : اللهم هذا شهر رمضان الذي أنزلت فيه القرآن ، وفرضت فيه الصيام ، وفضلّته على من سواه من الليالي والأيام ، أدخله علينا بالسَّلامة والإسلام ، والأمن والأمان ، وارزقنا فيه صحة الأجسام ، والفراغ لطاعتك ولا تشغلنا فيه عن عبادتك ، يارحيم يارحمن[٣] .

---

(١) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني ، أبو عبد الله ، فقيه شافعي ، له : المنهاج في شعب الإيمان . تُوفي سنة ٤٠٣هـ . انظر عنه : طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٤/ ٣٣٣-٣٤٤ ، وهدية العارفين للبغدادي ١/ ٣٠٨ .وانظر القول في المنهاج (باب في الصيام) ٢/ ٤٠١ .

(٢) الفترة : الانكسار والضعف . لسان العرب(مادة : فتر) .

(٣) انظر قول علي بن أبي طالب في المنهاج للحليمي(باب في الصيام) ٢/ ٤٠٠ .

فصل [في العمرة والحج]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم : العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحجّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنة(١) . يعني كفارة للصغائر الواقعة بين العمرتين كما بين الرمضاني والصلاتين ، وفيما بين الجمعتين ، كذلك بزيادة ثلاثة أيام . وأما الكبائر فلابد لها من التّوبة ، وإنما كان جزاء الحجّ المبرور الجنة ؛ لأنه عبادة مركبة من شيئين أحدهما : المال ، والآخر البدن ، ومن هذا الوجه قال العلماء : مالم يحصل عذر مانع إلى الموت لاتجوز فيه النيابة .

ومثل الحج والجهاد وفي العبادات ماله مشقة ، قال تعالى في حق الحج : ﴿لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُس﴾(٢) ، ومتى كانت العبادة مشقة ؛ كان ثوابها أكثر . قال رأس فخر العالم بالسعادة محمد ﷺ : أفضل الأعمال أحمزها(٣) .

ومهما يتحمل الإنسان من الصرف في الزّاد والزّوادة وكراء(٤) الرّاحلة ، أو اشترائها ، وما أعطاه لعياله دفعة واحدة ، وما تصدق به على فقراء المسلمين ومساكينهم عن طيب نفس ، كتب الله له بكل قطعة سبعمائة ألف قطعة ، كأنه

---

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب العمرة ، باب وجوب العمرة وفضلها) ٢/ ٦٢٩ ، ومسلم (كتاب الحج ، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة) ٩/ ١١٧ .

(٢) وذلك في قوله تعالى : ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ النحل ٦ . ولكن الآية في فضائل الأنعام التي خلقها الله لنا ، وهذا الفضل عام في كل أنواع الانتقال من بلد إلى بلد ، وليس مقصوراً على الحجّ .

(٣) الحديث بلفظ : أفضل العبادات أَحْمَزُهَا . وأَحْمَزُهَا : أي أقواها وأشدها . لسان العرب (مادة : حمز) . والحديث مرفوعًا عن ابن عباس ذكره ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر . وذكره القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة ، وقال عنه : ومعناه صحيح لما في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين : الأجر على قدر التعب . ص١٢٣ـ ١٢٤ . وحديث عائشة أم المؤمنين لفظه . . .ولكنها على قدر نفقتك أو نصبك ، أخرجه البخاري (كتاب العمرة ، باب أجر العمرة على قدر النصب) ٢/ ٦٣٤ ، ومسلم (كتاب الحج ، باب بيان وجوه الإحرام) ٨/ ١٣٢ .

(٤) كرى ، والكراء : أجر المستأجر . لسان العرب (مادة : كرا) .

بالقطعة الواحدة صرف سبعمائة ألف قطعة ، وهلم جرا . وكلما بعدت بلاده وإزداد مصرفه ، إزداد ثوابه بشرط أن يكون ما صرفه من الحلال ؛ لأن النبي ﷺ قال : الحج/[١٨٤و] المبرور ـ أي الخالي عن المال الحرام والكلام الحرَّام ـ ليس له جزاء إلا الجنة[١] . ولا ينبغي له أن يندم على ما صرفه ، ولا يقول صرفت كذا وكذا تحسراً ؛ بل تشكراً لأنعم الله سبحانه وتعالى ، وإلا صار محروماً من الثواب ، وإن كان مصرفه من الحرَّام لم يكن حجه مبروراً ، وإن صح حجه ؛ إلا أنه حُرم الثواب ، كالصلاة مع كراهة التحريم ، وإن قصد الثواب بالحرام صار كافراً . فإياكم ثم إياكم من الوقوع في الحرام ، وجدوا في تحصيل الثواب ، لتصلوا إلى أعلى مقام .

واعلموا أيها الإخوان ، أن العمرة عندنا ـ أيها الحنفية ـ سُنة ليس منها واجب إلا بالنّذر[٢] . خرَّج التِّرمذي وغيره من حسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ ، سُئل عن العمرة أواجبة؟ فقال : لا ، وإن تعتمروا فهو أفضل[٣] . وقال صلى الله عليه وسلَّم : الحجّ فريضة والعمرة تطوع[٤] ـ أي نفل ـ . ووافقنا على سُنيتها الإمام مالك ، وقال الشّافعي وأحمد : إنها فرض ، وهي : إحرام ، وطواف ، وسعي ، وتحلل . ومحل الإحرام بها من الحل لا الحرم ، وأقرب مكان للحل جهة المدينة ، فإن

---

(١) الحديث سبق ص ١٨٠ ظ .

(٢) العمرة فرض عين في العمر مرة واحدة كالحج . وخالف المالكية والحنفية فقالوا : العمرة سنة مؤكدة في العمر مرة لا فرض . انظر : الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري (كتاب الحج ، مبحث العمرة) ١/ ٥١٩ـ ٥٢٠ .

(٣) الحديث عن جابر بن عبد الله أخرجه الترمذي (كتاب الحج ، باب ماجاء في العمرة أواجبةٌ هي أم لا؟) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح٣/ ٢٧٠ ، وانظر السنن الكبرى للبيهقي(كتاب الحج ، باب من قال العمرة تطوع) ٤/ ٥٧٠ ، والمصنف لابن أبي شيبة(كتاب الحج ، باب من قال العمرة تطوع) ٣/ ٢١٥ .

(٤) الحديث عن عبد الله بن مسعود أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (الموضع السابق) ٣/ ٢١٥ ، وذكره الطبري في التفسير (سورة البقرة : ١٩٦) .

المسافة منها ثلاثة أميال ، قال العلامة ابن الملقن[١] : [البحر الطويل]

وللحرم التحديد من أرض طيبة ثلاثة أميال إذا رُمْت اتقانه
وسبعة أميال عراق وطائف وجدة عشر ثم تسع جعرانه

وليس لها وقت معين ، فإنها تجوز في كل السّنة ، وتكره يوم عرفة والأضحى وأيام التّشريق ؛ لاشتغال الحجاج بأفعال الحجّ ، فمن كان هناك غيرحاج هل تكره له؟ لم أره . وظاهر شرح عبارة «النقايه»[٢] : أنها تكره للكل إلا القارن ، حيث قال : وكُرهت لغير القارن يوم عرفة وأربعة بعدها . فالإحرام شرط أداء العمرة ، والحلق شرط الخروج منها . وقال قاضي خان[٣] : ركنها الإحرام والطّواف ، وواجبها السعي والحلق . وروي عن عائشة رضي الله عنها ، أنها كانت تكرهها في هذه الأيام[٤] .

ومن الوارد أن الإنسان يشرب من ماء زمزم . عن جابر ، قال : قال رسول

(١) هو عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي ، سراج الدين ، أبو حفص . من كبار العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال ، مولده ووفاته بالقاهرة . له مصنفات كثيرة ، منها : إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، والتذكرة في علوم الحديث ، وعمدة المحتاج إلى كتاب المنهاج (للنووي) ، وخلاصة الفتاوي في تسهيل أسرار الحاوي . وغيرها كثيرة . تُوفي سنة ٨٠٤هـ . انظر عنه : الضوء اللامع للسخاوي ٦/ ١٠٠ـ ١٠٥ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٧/ ٤٤ـ ٤٥ . وانظر الأبيات غير منسوبة ، في شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام للتقي الفاسي (ذكر تحديد حدّ الحرم من جهة اليمن) ١/ ١٠٢ .

(٢) النقاية : كتاب مختصر في أربعة عشر علماً مع زبدة مسائلها لجلال الدين السيوطي المتوفي ٩١١هـ . ثم شرحه وسماه (إتمام الدراية لقراء النقاية) . انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/ ١٩٧٠ .

(٣) هو : حسن بن منصور بن أبي القاسم محمود بن عبد العزيز ، فخر الدين ، فقيه حنفي ، له مصنفات ، منها : الفتاوى ، الأمالي ، الواقعات . وغيرها كثير . تُوفي ٥٩٢هـ . انظر عنه : هدية العارفين لإسماعيل البغدادي ١/ ٢٨٠ .

(٤) ورد أثر عن عائشة أم المؤمنين ، ولفظه : حلّت العمرة في السنة كلها إلا في أربعة أيام : يوم عرفة ، ويوم النحر ، ويومان بعد ذلك . أخرجه البيهقي في السنن (كتاب الحج ، باب العمرة في أشهر الحج) ٤/ ٥٦٥ .

الله:?ماء زمزم لما شُرب له[١] . أي على نية شربة الإنسان حصل له ما نواه من صحة وحفظ وغنى وتزوج وغير ذلك ، سُئل سفيان بن عيينه عنه ، فقال : حديث حسن .

ومن أهم المهمات زيارة صاحب المعجزات ، قال ﷺ : من زارني بعد موتي ؛ فكأنَّما زارني في حياتي[٢] . وقال : من زار قبري فلّه الجنة[٣] . ومن وصل مكة ، ونظر إلى البيت يقول : اللهم أنتَ السَّلام ومنك السّلام ، فحينا ربنا بالسَّلام[٤] . وعبارة أئمتنا الحنفية : كبّر ، أي قال : الله أكبر ، والمعنى : أيها البيت ، إنما جئتك امتثالًا لأمر الله تعالى فأنت عظيم بتعظيم الله لك ، والله أكبر : أي أعظم أن يُتبع أمره .

ومن المهمات معرفة الحجّ عن الغير ، شرط أن يكون المحجوج عنه ميتًا ، أو واقعًا في مرض لا ينجو منه إلى الممات ، فيُحْرِمِ المأمور عنه ، قائلاً : لبيك اللهم ، بحجة عن فلان ، فيسرها وتقبل ذلك منه ، واجعل لي مثل ثوابه . وفي شرح «المجمع» لابن الملكِ[٥] : اللهم إني أُريد الحجّ عن فلان ، فيسره لي وتقبله منه ومني . ثم الأصح من أقاويل العلماء من أئمتنا الحنفية ، إن الحجّ يكون عن الآمر ، وللمأمور ثواب حجة

(١) الحديث عن جابر أخرجه ابن ماجه(كتاب المناسك ، باب الشرب من زمزم) ٣/ ٣١٧ ، وأحمد في المسند ٢٣/ ١٤٠ ، والطبراني في المعجم الأوسط ١٣/١٠ .

(٢) الحديث عن ابن عمر أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ٤٠٦ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الحج ، باب زيارة رسول الله ﷺ)٤/٢ ، والبيهقي في شعب الإيمان (كتاب المناسك ، باب فضل الحج والعمرة) ٣/ ٤٨٩ .

(٣) الحديث غير مسند ذكره عبد الحق بن سيف الدين البخاري المتوفي١٠٥٣هـ ، في : لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح (الفصل الثاني) ٩/ ٥٨٩ .

(٤) جزء من حديث عن سعيد بن المُسيب أخرجه البيهقي في السنن (كتاب الحج ، باب القول عن رؤية البيت) ٥/ ١١٨ ، وابن أبي شيبة في المصنف (كتاب الحج ، باب الرجل إذا دخل المسجد الحرام ما يقول) ٣/ ٤٢٢ .

(٥) هو : عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين المعروف بابن ملك ، فقيه حنفي ، تُوفي سنة ٨٠١هـ ، وقيل : ٨٨٥هـ . شارح مجمع البحرين وملتقى النهرين لابن الساعاتي . انظر عنه : شذرات الذهب لابن العماد ٧/ ٣٤٢ ، كشف الظنون لحاجي خليفة ٢/ ١٦٠١ ، وهدية العارفين للبغدادي ١/ ٦١٧ .

كاملة . فهذا شخص حجّ حجة واحدة ، وتكتب بحجتين : حجة للآمر المحجوج عنه ، وثواب حجة للمأمور . وإنما قلتُ الأصح لأن صاحب «النّظائر»[1] ، نقل : إن أكثر العلماء أنّه يقع الحج عن فرض المأمور والآمر جميعًا ، وفي قولٍ : عن المأمور لا عن الآمر . وظاهر الرواية ما اشتبه في المواعظ ، ولا يعدل عن ظاهر الرواية .

/[١٨٤ظ] والحج عن الغير جائز بالإجماع ، ولكن في إنابة من لم يحج عن نفسه : خلاف ، فقال الأئمة الثلاثة ـ رحمهم الله تعالى ـ : إنما يقع عن فرض المأمور لا عما نواه[2] ، فقد روي أن النبي ﷺ ، سمع رجلًا يلبي عن شبرمة ، فقال له : هل حججت عن نفسك؟ ، قال : لا يارسول الله ، قال ﷺ : حج يارجل عن نفسك ، ثم حج عن شبرمة[3] .

وعندنا عمّا نواه ، ولنا أن النبي ﷺ أجاز حج الخثعمية عن أبيها ، ولم يسألها عن حجّ نفسها[4] . وفيه إشارة إلى جواز نيابة المرأة عن الرَّجل ، والعبد عن الحُرّ ، وغيرهما ، وغير من لم يحج أولى ، خروجًا من الخلاف .

ومهما فضل من النفقة يجب ردّها ، وحرّم الانتفاع بها ، مالم يقل له : افعل بها ما شئت ، أو لا حقٍ لي بما فضل . فيا عجبًا لمن يأخذ نيابات كثيرة ، ويطمع في

(١) النظائر في الفقه على مذهب الإمام مالك ، لأحمد بن محمد بن حسن بن علي بن زكريا ، العبدي ، البصري ، المعروف بابن الصواف ، المتوفي سنة ٤٩٠هـ . انظر عنه : سير أعلام النبلاء ١٩/ ١٥٦ـ ١٥٧ .

(٢) للمزيد عن الحج عن الغير ، انظر : الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري (كتاب الحج ، مبحث الحج عن الغير) ١/ ٦٣٤ـ ٦٣٧ .

(٣) الحديث عن ابن عباس أخرجه أبو داود (كتاب المناسك ، باب الرجل يحج عن غيره) ٢/ ٢٧٧ ، وابن ماجه (كتاب المناسك ، باب الحج عن الميت) ٣/ ٢٦٦ ، والطبراني في المعجم الكبير ١٢/ ١٤٢ .

(٤) في الحديث عن ابن عباس عن الفضل أن امرأة من خثعم قال : يا رسول الله ، إن أبي شيخ كبير ، عليه فريضة الله في الحج ، وهو لا يستطيع أن يستوي على ظهر بعيره . فقال البي (ﷺ) فحجي عنه . وذلك في حجة الوداع . أخرجه البخاري (كتاب الحج ، باب وجوب الحج وفضله) ٢/ ٥٥١ ، ومسلم (كتاب الحج ، باب الحج عن العاجز لزمانة . . .) ٩/ ٩٨ .

سُحت الدُّنيا ، ولا يحج أصلاً ، أو يحج عن واحد دون الباقي ، فهذا عليه لعنة الله وغضب الله . ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم . فهذا أضر بنفسه حيث تسبب لها بالعذاب في جهنم ، وأضرّ بالنَّاس بأكلِ أموالهم ، فيظنون أنه حج عنهم . فقد قال ﷺ : خير النَّاس من ينفع النَّاس ، وشرّ النَّاس من يضُرّ النَّاس[١] .

وقال ﷺ : خصلتان لاشيء أفضل منهما : الإيمان بالله والنَّفع ، وخصلتان لا شيء أخبث منهما للمسلمين : الإشرّاك بالله ، والإضرار للمسلمين[٢] . وانظر كيف قرن النبي ﷺ النَّفع بالإيمان ، والضرر بالكفر ، ليزيد الإنسان في الرَّغبة في نفع النَّاس ، ويتباعد عن الضرر . وفيه إشارة إلى قوة إيمان من ينفع النَّاس ، وضعف إيمان من يضرهم ، وإن النَّفع لايصدر إلا من كامل الإيمان ، وإن الضَّرر لا يصدر إلا من ضعيف الإيمان .

ومما ينفع النَّاس : السَّلام عليهم بالبشاشة ، والتَّكلم في حقهم بما يعود نفعه عليهم ، سيما في أبواب الحكَّام . فقد قال ﷺ : والكلمة الطيبة صدقة[٣] .

يعني الكلمة الحسنة لها ثواب الصدقة ، والمكالمة مع النَّاس بالكلام الحُلو مع التَّواضع من غير رفع صوته عليهم من الصَّدقة . وجاء : إن الإنسان ليتكلَّم بالكلمة الواحدة يهوي بها في جهنّم سبعين خريفًا[٤] ، فهذا من المضرين . ومنهم

---

(١) ذكر القضاعي في مسنده الجزءالأول من الحديث عن جابر ٢/ ٢٢٣ . ولم نجد الجزء الثاني من الحديث فيما بين أيدينا من الكتب .

(٢) الحديث غير مسند ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (كتاب آداب الألفة والأخوة ، باب حقوق المسلمين) ٢/ ١٨٥ . والحديث بلفظ : اثنتان لا تقربهما : الإشراك بالله ، والإضرار بالناس . ذكره الألباني في السلسة الضعيفة ١/ ٦٣ .

(٣) جزء من حديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري(كتاب الجهاد ، باب من أخذ بالركاب ونحوه) ٣/ ١٠٩٠ ، ومسلم(كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف) ٧/ ٩٦ .

(٤) الحديث مع ـ اختلاف يسير في اللفظ ـ عن أبي هريرة أخرجه الترمذي (كتاب الزهد ، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ٤/ ٤٨٣ ، وابن ماجه (كتاب الفتن ، باب كف اللسان في الفتنة) ٤/ ٦١٤ .

أعونة الظَّلمة .

يقول تعالى في بعض صحفه المنزلة : أيها الناس ، لاورع كالكف عن الأذى ، ولاحسب أرفع من الأدب ، ولا شفيع كالتَّوبة ، ولا سعادة كالتَّوفيق ، ولا أزين من العقل ، ولاعبادة كالعلم ، ولاشقاوة كالجهل ، ولاعُدة كالتدبير ، ابن آدم ، تفرّغ لعبادتي أرزقك وأرّح جسدك ، يا ابن آدم ، لو علمت بما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ، أنا الذي وفقتك لطاعتي ، وقويتك على أداء ما أفترضته عليك ، بفضلي تعيش ، وفي رزقي تتقلب ، وبعافيتي تتجمل ، فهل يليق أن تصرف ذلك في عصياني؟ وتشتغل بأمر دنياك وتنساني ، وتلهو بذكر غيري ، وأنا أحق أن تذكرني ، لا تغفل عن ذكري ، فوحدني يا عبدي ومجدني[١] .

(١) انظر : المواعظ في الأحاديث القدسية للغزالي(الموعظة العشرون) ص ٦١ .

فصل الإحرام من الميقات

وإن قدَّمه كان أفضل ؛ لما خرَّجه البيهقي عن أبي هريرة قال : قال ﷺ : أفضل الحج أن يحرم به من دويرة أهله[(١)] . وفي رواية : من تمام الحجّ أن تحرم من دويرة أهلك[(٢)] . ومن المتفق عليه عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حجة الوداع ، فمنا من أهلّ بالحج ، ومنا من أهلّ بالعمرة ، ومنا من أهلّ بهما[(٣)] ، وكان إذا أراد أن يحرم غسل رأسه بالشنان وخطمي[(٤)] ـ والخطمي : نبت معروف بالعراق له رائحة طيبة .

ويُسن الاغتسال للإحرام ، فإنه ﷺ تجرد لإهلاله واغتسل[(٥)] . والإهلال بالشيء : الإحرام به . وخرَّج أبو عوانه في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال ﷺ : ليحرم أحدكم في إزار ورداء[(٦)] . وعن ابن عباس رضي الله عنهما ،

---

(١) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٢) الحديث مرفوعًا عن أبي هريرة أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (كتاب المناسك ، باب في فصل الإحرام والتلبية) ٣/ ٤٤٧ ، والحديث موقوفًا على علي ، أخرجه الحاكم في المُستدرك (كتاب التفسير) قال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم ٣/ ١١٥٨ ، وابن أبي شيبة في المصنف (في تعجيل الإحرام . . .) ٣/ ١٢٣ .

(٣) الحديث عن عائشة أم المؤمنين أخرجه البخاري (كتاب الحج ، باب التمتع والإقران والإفراد بالحج) ٢/ ٥٦٧ ، ومسلم (كتاب الحج ، باب بيان وجوه الإحرام) ٨/ ١٣٤ .

(٤) الشنان : الماء البارد . لسان العرب(مادة : شنن) .

والحديث بألفاظ أطول عن عائشة أم المؤمنين أخرجه أحمد في المسند ٤١/ ٣٨ ، والطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ٨٨ ، والهيثمي في مجمع الزوائد(كتاب الحج ، باب الاغتسال للإحرام) ٣/ ٢١٧ .

(٥) الحديث عن زيد بن ثابت ، أخرجه الترمذي(كتاب الحج ، باب ماجاء في الاغتسال عند الإحرام) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ٣/ ١٩٣ ، والدارمي(كتاب المناسك ، باب في الاغتسال في الإحرام) ص ٥٣٩ ، وابن خزيمة في صحيحه (كتاب المناسك ، باب استحباب الاغتسال للإحرام) ٣/ ٢٧٤ .

(٦) جزء من حديث عن ابن عمر أخرجه أحمد في المسند ٨/ ٥٠٠ ، وابن خزيمة في صحيحه(كتاب المناسك ، باب الإحرام في الأزر والأردية والنعام)٣/ ٢٧٦ .

وفي البخاري عن ابن عباس قال : انطلق النبي ﷺ من المدينة بعد ما ترجل وادهن ولبس إزاره ورداءه هو وأصحابه فلم ينه عن شيء من الأردية والأزر تلبس إلا المزعفرة . . . الحديث (كتاب الحج ، باب ما يلبس المحرم من الثياب والأردية والأزر) ٢/ ٥٦٠ .

أنه صلى الله عليه وسلَّم أهلَّ في دبر الصلاة[١] . وهذا في غير الحائض ، فتكتفي بالنِّية والتلبية ، وتغتسل لمجرد النَّظافة . فمن المتفق عليه أنه ﷺ ، قال لعائشة رضي الله عنها لما حاضت : افعلي ما يفعل الحاج ، غير أن لا تطوفي بالبيت[٢] .

وعن جابر بن عبد الله ، أنه ﷺ ، كان يُلبي في حجه إذا لقى ركبًا ، أو علا شرفًا ، أوهبط واديًا ، وفي أدبار المكتوبة ، ومن آخر الليل[٣] . وقال : أمرني جبريل أن آمر أصحابي فيرفعوا أصواتهم بالتَّلبية[٤] . وقال : أفضل الحجِّ العجّ والثَّج[٥] . العجّ : رفع الصَّوت ، والثَّج : نحر البُدن .

وكان يقول في تلبيته : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنِّعمة ، لك والمُلك لاشريك لك[٦] . وإن زاد بعد تمام هذه الألفاظ فحسن . وقد ثبت أنّه ﷺ ، قال : لبيك اللهم لبيك ، لبيك إن الخير خير الآخرة[٧] . وكان يقول

(١) الحديث عن ابن عباس أخرجه الترمذي (كتاب الحج ، باب ما جاء متى أحرم النبي ﷺ) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ٣/ ١٨٢ ، والنسائي (كتاب مناسك الحج ، باب العمل في الإهلال) ص ٤٢٩ .

(٢) جزء من حديث عن عائشة أم المؤمنين أخرجه البخاري (كتاب الحيض ، باب كيف كان بدء الحيض) ١/ ١١٣ ، ومسلم (كتاب الحج ، باب بيان وجوه الإحرام . . .) ٨/ ١٣٤ .

(٣) الحديث بهذا اللفظ عن جابر ذكره ابْن الملقن في كتاب البدر المنير (باب سنن الإحرام) ٦/ ١٥١ .

(٤) جزء من حديث عن زيد بن خالد الجهني أخرجه ابن ماجه (كتاب المناسك ، باب رفع الصوت بالتلبية) ٣/ ٢٧٢ ، والنسائي (كتاب الحج ، باب رفع الصوت بالتلبية) ص ٤٢٩ ، والحاكم في المستدرك (كتاب المناسك) وسكت عنه الذهبي ٢/ ٦٣٥ .

(٥) الحديث عن أبي بكر الصديق أخرجه الترمذي (كتاب الحج ، باب ماجاء في فضل التلبية والنحر) ٣/ ١٨٩ ، وابن ماجه (كتاب المناسك ، باب رفع الصوت بالتلبية) ٣/ ٢٧٢ ، والدارمي(كتاب المناسك ، باب أي الحج أفضل) ص ٥٤٠ . الغج : رفع الصوت بالتلبية ، الثج : سيلان دماء الهدى . لسان العرب (مادتي : عجج ، ثجج) .

(٦) الحديث عن ابن عمر أخرجه البخاري(كتاب الحج ، باب التلبية) ٢/ ٥٦١ ، ومسلم (كتاب الحج ، باب التلبية ، وصفتها ووقتها)٨/ ٨٧ .

(٧) الحديث عن ابن عباس أخرجه الحاكم في المستدرك(كتاب المناسك) قال الذهبي : صحيح ٢/ ٦٥٤ ، وابن خزيمة في الصحيح(كتاب المناسك ، باب إباحة الزيادة على التلبية) ٣/ ٣٨٧ ، والطبراني في المعجم الأوسط ٦/ ٢٠٠ .

بعد فراغه من التَّلبية : اللهم إني أسألك رضوانك والجنة ، وأستعيذ برحمتك من النَّار(١) . وكان إذا رأى البيت رفع يديه ، وقال : اللهم زد هذا البيت تشريفًا ، وتعظيمًا ، وتكريمًا ، ومهابة ، وزد من شرَّفه وعظَّمه ممن حجه واعتمر ، تشريفًا وتعظيمًا وبرًا(٢) .

وأول شيء بدأ به حين قدم أن توضأ وطاف(٣) ، وقال : الطَّواف بالبيت قبل الصلاة(٤) ، وهو أفضل في حق الأفاقي من الصلاة ، وابتدأ في طوافه بالحجر الأسعد(٥) ، وطاف سبعًا(٦) ، حتى بالحجر ، وقال لعائشة رضي الله عنها : إنما هو قطعة من البيت ، وأن قومك اقتصروا حين بنوا الكعبة ، فأخرجوه من البيت(٧) ، وصلَّى بعد الطَّواف ركعتين ، وقرأ : ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾(٨) ، قرأ في

---

(١) الحديث غير مسند ذكره السخاوي في القول البديع (حكم الصلاة على النبي ﷺ) ١/ ١٨٣ .

(٢) الحديث عن حذيفة بن أُسيد ، أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٧/ ٨١ ، والبيهقي في السنن(كتاب الحج ، باب القول عند رؤية البيت)٧/ ١٥٨ ، والحديث عن مكحول أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (باب ما يدعو به الرجل إذا دخل المسجد الحرام) ٦/ ٨٢ .

(٣) جزء من حديث طويل عن عائشة أم المؤمنين ، أخرجه البخاري (كتاب الحج ، باب الطواف على وضوء) ٢/ ٥٩١ـ ٥٩٢ ، ومسلم (كتاب الحج ، باب ما يلزم من طاف بالبيت) ٨/ ٢١٥ـ ٢١٦ .

(٤) الحديث موقوفًا على ابن عباس أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب التفسير ، البقرة : ١٢٥) وسكت عنه الذهبي ٣/ ١١٤٧ .

(٥) عنون البخاري بهذا الحديث في (كتاب الحج ، باب استلام الحجر الأسود حين يقدم مكة أول ما يطوف) ٢/ ٥٨١ ، والحديث عن ابن عمر أخرجه مسلم (كتاب الحج ، باب استحباب الرمل في الطواف والعمرة وفي الطواف الأول من الحج)٩/٩ـ ١٠ .

(٦) جزء من حديث عن ابن عمر أخرجه البخاري(كتاب أبواب القبلة ، باب قول الله تعالى ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾) ١/ ١٥٤ ، (كتاب العمرة ، باب متى يحل المعتمر)٢/ ٦٣٦ ، ومسلم (كتاب الحج ، باب ما يلزم من أحرم بالحج) ٨/ ٢١٣ .

(٧) جزء من حديث عن عائشة أم المؤمنين أخرجه أبو داود(كتاب المناسك ، باب الصلاة في الحجر) ٢/ ٣٦٠ ، والترمذي (كتاب الحج ، باب ما جاء في الصلاة في الحجر) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح٣/ ٢٢٥ ، وأحمد في المسند ٤١/ ١٦٣ـ ١٦٤ ، وانظر البخاري (كتاب الحج ، باب فضل مكة ودنيانها)٢/ ٥٧٤ .

(٨) جزء من الآية ١٢٥ من سورة البقرة .

الأولى : الكافرون ، وفي الثّانية : الإخلاص[١] . وهاتان الرّكعتان واجبتان ، إلا أنهما في حكم النفل ، لا يُصليان في وقت مكروه ، ويؤخران إلى وقت مُباح ، ولا تُتركان . وكان يقول في طوافه : ربنا آتنا /[١٨٥ظ] في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النّار[٢] ، وكان يقول : اللهم قنعني بما رزقتني ، وبارك لي فيه ، واخلف عليّ كل غائبة لي بخير[٣] .

ويُرمّل في الثّلاثة الأول من طوافه ، وهو واجب ، ويُسرع في ذلك ، كما أن السّعي بين الصفا والمروة واجب[٤] ، ويقول فيه : اللهم اغفر وارحم ، وأنت الأعز الأكرم[٥] ، ومن عجز عن الطّواف والسّعي ماشيًا جاز الحمل في ذلك على ظهر الرّجل أو الدّابة خارج المسجد ، وسُنّ تقبيل الحجر ، إن أمكن من غير أن يؤذي أحدًا .

والوقوف في عرفة ركن ، والوقوف في المزدلفة واجب يجب بتركه الدّم[٦] ،

(١) جزء من حديث طويل عن جابر بن عبد الله أخرجه مسلم (كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ) ٨/ ١٦٥ـ ١٦٨ ، وأبو داود (كتاب المناسك ، باب صفة حجة النبي ﷺ) ٢/ ٣١٢ـ ٣١٨ .

(٢) الحديث عن عبد الله بن السائب أخرجه أبو داود (كتاب المناسك ، باب الدعاء في الطواف)٢/ ٣٠٨ ، وأحمد في المسند ٢٤/ ١٢٠ .

(٣) الحديث عن ابن عباس أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب الدعاء والتكبير) قال الذهبي : صحيح ٢/ ٧١٦ ، وابن أبي شيبة في المصنف (ما يدعو به الرجل بين الركن والمقام) ٦/ ٨٣ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في الزهد وطول الأمل) ٧/ ٢٩١ .

(٤) السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج ، بحيث لو لم يفعله بطل حجه ، عند ثلاثة من الأئمة ، وخالف الحنفية في ذلك فقالوا : إن السعي واجب لا ركن ، فلو تركه لا يبطل حجه ، وعليه فدية . انظر : الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري(كتاب الحج ، الركن الثالث من أركان الحج ، السعي بين الصفا والمروة) ١/ ٥٠١ـ ٥٠٢ .

(٥) الحديث عن ابن مسعود أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٣/ ٣٦٣ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الحج ، باب ما جاء في السعي) ٣/ ٢٤٣ ، والبيهقي في السنن الكبرى (كتاب الحج ، باب الخروج إلى الصفا والمروة) ٥/ ١٥٣ .

(٦) الوقوف على عرفة ركن باتفاق الأئمة الأربعة ، والوجود بالمزدلفة واجب باتفاق الأئمة الأربعة . وللمزيد انظر : الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري(كتاب الحج ، الركن الرابع الحضور بأرض عرفة ، واجبات الحج) ١/ ٥٩٧ـ ٦٠٢ .

والنَّاس عنه غافلون . وكان يقول في عرفة : لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له المُلك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، اللهم اجعل في قلبي نورًا ، وفي سمعي نورًا ، وفي بصري نوراً ، اللهم اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري(١) .

ويطوف للزيارة يوم النَّحر ، وهو أفضل أو اليوم الذي يليه أو الثَّالث ، فإن أخَّره عنها وجب عليه دم عند الإمام الأعظم ، وهو الأصح . وهذا الطَّواف ركن أيضًا ، وطواف القدوم سُنَّة غير طواف العمرة ، وطواف الوداع واجب ؛ فإن طاف أكثر الزيارة وترك باقيه أو ترك طواف الوداع ، وجب عليه دم ، وإن ترك أكثر الزيارة بقيَّ مُحرمًا ، حتى يطوف الأكثر ، وإن ترك طواف القدوم وجب عليه التَّصدق ، ويجب الذَّبح على القارن والمتمتع ، ويُستحب للمفرد(٢) .

ورمي الجمرات من الواجبات ؛ متى ترك الرمي بالكلية ، أو ترك رمي يوم واحد ، وجب الدم والحلق في حق الرِّجال ، وفي حق النساء التقصير واجب أيضًا ، متى أُخر ذلك إلى رابع العيد وجب الدَّم .

ويجوز للمحرم شد الهِميان والسَّيف والخاتم ، ويحرم عليه لبس المخيط ، وتغطية رأسه إلا الاستظلال ببيتٍ أومحمل ، وله قتل الحدأة والعقرب والغراب والفارة ، والكلب العقور والسَّبع الصَّائل(٣) ، والبراغيث دون القمل والجراد ، فإن قتل واحدة تصدق ، ولو بلقمة من خبز ، وفي الثَّلاث نصف صاع(٤) من بُرٍّ ، أو صاع من شعير ،

---

(١) جزء من حديث عن علي بن أبي طالب ،أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف(مايدعو به عشية عرفة) ٦/ ٨٥ ، والبيهقي في السنن (كتاب الحج ، باب أفضل الدعاء يوم عرفة) . . . ، والأصفهاني في الترغيب والترهيب (باب في ذكر يوم عرفة) ١٠/ ٧١-٧٢ .

(٢) عن سنن الحج : انظر الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري(كتاب الحج ، سنن الحج) ١/ ٥٠٩ـ ٥١١ .

(٣) صال : صولا وصيالا : سطا . لسان العرب (مادة : صول) .

(٤) الصاع : مكيال لأهل المدينة يأخذ أربعة أمداد ، وهو رطل وثلث بالعراق ، وقيل هو رطلان . لسان العرب (مادة : صوع) .

أو صام يومًا ، وله ذبح الدّجاج ، والماعز والضأن والبعير والجاموس والبقر ، دون صيد البّر إلا البحر فإنه مباح ، ولا يرعى حشيش الحرم إلا الأذْخر[١] ، ومتى تضرر الإنسان بسبب التّجرد ، أو كشف الرأس ، أو عدم الحلق : لبس وستر وحلق ، وله أن يفدي إما بذبح ، أو تصدق بثلاثة أصوع على ستة مساكين ، أو صيام ثلاثة أيام عن كل صاع يومًا ، وحيلة من معه ماء زمزم ، ولا يخاف العطش ، وحمله للهدية أن يخلطه بشيء طاهر يغلب عليه ، أو يهبه على وجه يمنع الرّجوع ، كالهبة للقريب أو الزوجة ، ثم يستوهبه منه ، وهلم جرا . وتُكره المجاورة ؛ / [١٨٦و] لأن السيئات هناك تضاعف كما يضاعف الحسنات ، فإن أمن فلا كراهة بالإجماع .

إخواني ، من خرج من منزله حاجًا أو معتمرًا ، فكلّما رفع قدمًا تناثرت الذنوب من قدميه ، كما يتناثر الورق اليابس من الشّجر ، فإذا جاء المدينة وسلّم على النّبي ﷺ ، صافحته الملائكة وسلّموا عليه ، فإذا جاء الميقات واغتسل وأحرم ، طهره الله من الذنوب ، وإذا لبس ثوبين جديدن أو غسيلين ؛ جدد الله له الحسنات ، فإذا قال الإنسان : لبيك اللهم لبيك ، جاءه النداء من الله تعالى : لبيك ياعبدي وسعديك ، أنا أسمع كلامك ، وأنظر إليك ، سلني تعطه . وإذا دخل مكة وطاف وسعى ، وصّل الله له الخيرات ، وإذا وقف بعرفات ، وضجت الأصوات بالحاجات ، باهى الله بالواقفين ملائكته ، قائلًا : أو ماترون إلى عبادي ،أتوني من كل فجٍّ عميق ، انفقوا الأموال ، وأتعبوا الأبدان ، فوعزتي وجلالي ، لأهبن مُسيئهم لُمحسنهم ، ولأخرجنهم من الذّنوب كيوم ولدتهم أمهاتهم ، فإذا رموا الجمار ، وحلقوا الرؤوس ، وزاروا البيت ، نادى منادٍ من تحت العرش : ارجعوا ، فقد غفر الله لكم ، واستقبلوا طاعات ربكم[٢] .

وقال ﷺ لعليٍّ : ياعليٍّ ، أُسس هذا البيت في دار الدُّنيا كفارة لذنوب أمتي . ،

(١) الأذْخر : حشيشة طيبة الرائحة يُسقف بها البيوت فوق الخشب . لسان العرب(مادة : ذخر) .

(٢) القول من كلمة : من خرج من منزله . . . ، ذكره عبد القادر الجيلاني في الغنية (كتاب الآداب) ص ٤٦ .

ومن الكبائر : إفشاء السِّر الذي وقع بينه وبين زوجته ، خرَّج أيضًا عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال صلى الله عليه وسلم : إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّه مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ ، يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِه ، أو تُفْضِي إِلَيْه ، ثُمَّ يَنْشُرُ أحدهما سِرَّ صَاحبه[1] .

وفي رواية : إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمَانَة عِنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَنْشُر أحدهما سِرَّ صَاحبه[2] .

وفي مسند أحمد عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها ، قالت : كنت عند النبي ، وعنده الرجال والنساء ، فقال : لعل رجلًا يقول ما فعل بأهله ، ولعل امرأةً تخبر ما فعلت مع زَوْجِهَا ، فسكتوا ، قالت : إي وَالله يَا رَسُولَ الله ، إِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ وَإِنَّهُنَّ لَيَفْعَلْنَ ، فقَالَ ﷺ : لا تَفْعَلُوا ، فَإِنَّما مِثْلَ من يفعل ذلك كمثل شَيْطَان لَقِيَ شَيْطَانَةً فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إليه[3] .

ومن الكبائر : أن يطأ زوجته بحضرة أجنبية أو أجنبي ، لأنه يؤدي إلى إفساده بالأجنبية ، وإفساد الأجنبي بحليلته .

/[٢٠٠و] ومن الكبائر : فضحه لأخيه المُسلم ، خرَّج الحاكم من حديث صحيح الإسناد أنَّه كان رجل كاتبًا عند عقبة بن عامر ، فقال له : إِنَّ لَنَا جيرَانًا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ ، وَأَنَا أُريد أن أُخبر بهم الشُّرَطَ لِيَأْخُذُوهُمْ ، فقَالَ : لا تَفْعَلْ ، وَعِظْهُمْ وَهَدِّدْهُمْ ، قَالَ : إِنِي نَهَيْتُهُمْ ، فَلَمْ يَنْتَهُوا ، وَإِنِي أُريد أن أُخبر بهم الشُّرَطَ لِيَأْخُذُوهُمْ ، قال عقبة :

---

(١) لفظ الحديث : . . .ثم ينشر سرها . عن أبي سعيد الخدري أخرجه مسلم (كتاب النكاح ، باب تحريم إفشاء سر المرأة) ١٠/ ١١ ، والطبراني في الكبير ٨/ ١٢٢ .

(٢) الحديث بهذا اللفظ : . . .ثم ينشر سرها . عن أبي سعيد الخدري أخرجه مسلم (الموضع السابق) ١٠/ ١١ ، وأبو داود (كتاب الأدب ، باب في نقل الحديث) ٥/ ١٢١ ، وأحمد في المسند ١٨/ ١٩٧ .

(٣) الحديث مع اختلاف يسير في اللفظ عن أسماء بنت يزيد أخرجه أحمد في المسند ٤٥/ ٥٦٤ـ ٥٦٥ ، والطبراني في الكبير ٢٤/ ١٤ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب النكاح ، باب ماجاء في الجماع والقول عنه والتستر) ٤/ ٢٩٤ .

ويحَكَ لاَ تَفْعَلَ ، فَإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ ، يقول : مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ مُؤْمنٍ ، فَكَأَنَّما أحيا مَوْؤدَةً فِي قَبْرِهَا[(١)] .

الشرط : جمع شرطي بضم ففتح فيهما ، وهم أعوان الولاة ، والظلمة .

ومن الكبائر : أن يحب الإنسان القيام له ، خرَّج الترمذي بإسناد صحيح عن معاوية ، قال : قال رسول الله : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فلْيتَبَوَّأْ مقْعدَهُ منَ النَّارِ[(٢)] .

وخرَّج ابن ماجه بإسناد حسن ، عن أبي أُمامة الباهلي ، قال : خَرَجَ رَسُولُ الله وهُو متوكئ عَلَى عَصى ، فَقُمْنَا له ، فَقَالَ : لا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الأَعَاجِمُ يُعَظِّمُ بَعْضُهُم بَعْضًا[(٣)] .

قال العلماء رضي الله عنهم : المراد بالقيام الذي نهى ﷺ عنه ، أن يقعد من القيام له ، ويستمر القائمون على قيامهم ، كعادة الجبابرة ، أما من أحب ذلك إكرامًا لعلمه ، أو شرفه ، أو إسلامه ، فليس بحرامٍ ، كيف وقد اتخذه النَّاس عادة لكبرائهم ، وعلمائهم ، وأشرافهم ، ومعتقديهم ، فإن فيه تأكيد المحبة ، وفي تركه جلب العداوة .

---

(١) الحديث مع اختلاف في اللفظ عن عقبة بن عامر أخرجه أبو داود (كتاب الأدب ، باب في الستر على المسلم) ٥/ ١٢٨ ، وأحمد في المسند ٢٨/ ٦١٧ ، والطبراني في الكبير ١٧/ ٨٨٣ ، والحاكم في المستدرك ـ والحديث فيه مختصراً ـ (كتاب الحدود) قال الذهبي : صحيح ٨/ ٢٨٩٨ .

(٢) الحديث عن معاوية أخرجه أبو داود(كتاب الأدب ، باب في قيام الرجل للرجل) ٥/ ٢٤٩ـ ٢٥٠ ، والترمذي (كتاب الأدب ، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن٥/ ٨٤ ، وأحمد في المسند ٢٨/ ٤٠ .

(٣) الحديث عن معاوية أخرجه أبو داود (كتاب الأدب ، باب في قيام الرجل للرجل) ٥/ ٢٤٩ـ ٢٥٠ ، والترمذي(كتاب الأدب ، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن٥/ ٨٤ ، وأحمد في المسند ٢٨/ ٤٠ .

قال الطرسوسي[١] رحمه الله : لا بأس بالقيام للرجال ، كما هو المعتاد في الأحوال ، فإن كان رياء كان حرامًا .

ومن الكبائر الواقعة في زماننا : عدم استبراء الجواري المشرية ، لما يترتبْ على وطئهن بلا استبراء من اختلاط المياه ، وضياع الأنساب ، فيجب [أي الاستبراء] ولو كان المشرى منه امرأة أو من مال صغير ، طردا للباب ، وتُكره الحيلة فيه .

ومن الكبائر : استخدام الحُرّ وجعله رقيقًا ، وذلك بأن يعتقه ويُنكر عتقه ، ويستخدمه كرهًا عليه . خرَّج ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، قال : قال ﷺ : ثَلَاثَةٌ لَا تُقْبَلُ منهُمْ صَلَاةٌ ، مَنْ تَقَدَّمَ قَوْمًا وهُمْ لَهُ كَارِهُونَ ، وَرجُلُ أتِي الصَّلَاةَ دبَارًا ـ أي بعد فواتها ـ ورجل اعْتَبَدَ مُحَرَّرَه[٢] .

﴿وَادْعُوهُ﴾[٣] ـ أي الله ـ ﴿خَوْفًا﴾ لقصور أعماركم ، ﴿وَطَمَعًا﴾ في إجابة دعائكم بما هو الخير لكم ، خصوصًا إذا طلبتم منه التوفيق إلى طاعته ، وحسن الختام ؛ لعله يجبكم تفضلًا ورحمة بكم ، فإنه أوعد الداعين بإجابة دعائهم ، فقال :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾[٤] ، أي يا محمد ، ﴿عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ، مطّلع على الأفعال ، والأقوال ، وما يكنّ في الصدور ، ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ، نزلت لما

---

(١) هو إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ، نجم الدين الحنفي ، الدمشقي . قاض ، مصنف ، له مؤلفات منها : الإشارات في ضبط المشكلات ، والإعلام في مصطلح الشهود والحكام ، والفتاوى الطرسوسية ، وذخيرة الناظر في الأشباه والنظائر ، وغيرها . مات سنة ٧٥٨هـ . انظر عنه : الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني ١/ ٤٣ ؛ وكشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٩٧ .

(٢) الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه أبو داود(كتاب الصلاة ، باب الرجل يؤم القوم وهم له كارهون) ١/ ٢٨٢ ، وابن ماجه(كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب من أم قومًا وهم له كارهون) ١/ ٣١٨ .

(٣) تتمة شرح آية ٥٦ من سورة الأعراف ، والتي بدأها ص ١٩٧ظ .

(٤) الآية رقم ١٨٦ من سورة البقرة ، وسوف يشرحها المؤلف أثناء شرحه للآية ٥٦ من سورة الأعراف .

قال إعرابي : يا رسول الله ، أقريب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه .

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ ، إذا دعوتهم إلى الإيمان والطّاعة كما أجبت دعاهم لمهماتهم ، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ ، يثبتوا ، ويدوموا على الإيمان والطّاعة ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون﴾ ، يفوزون بالنّجاة .

﴿إِنَّ رَحْمَتَ الله قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١) ، أي المؤمنين .

إخواني ، شهركم شهر الحجة ما بقى منه إلا القليل ، وقد أذن في الرحيل ، فتداركوه/ [٢٠٠ظ] بالطاعة قبل ترحاله ، ليكون شاهداً لكم عند ربكم بصالح أعمالكم ، واعلموا أن الدُّنيا فانية ، وفناءوها بمرور الليالي والأيام ، ومُضِيّ الشهور والأعوام ، فلا تكونوا غافلين كيلا تكونوا نادمين . فقد رؤي بعضهم بعد موته فسئُل عن أحوال الموتى ، فقال : ما عندنا أكثر من النَّدامة ، وما عندكم أكثر من الغفلة . إخواني ، بقية عمر المؤمن لا قيمة لها [إلا] تسبيحة فيما بقى من عمره ، أو ركعة ، أو سجدة ، أو صدقة ، أو طاعة من الطاعات تأتي في الصحيفة يوم القيامة ، وهى خير من الدُّنيا وما فيها ، وقد خسر من فرّط بقية غير متلافية ، وهو يسوف ولا يدري أن الموت ملاقيه .

في سنن الترمذي ، قال ﷺ : أعمارُ أُمّتي ما بين السّتّين إلى السّبعين ، وأقلُّهم من يجوزُ ذلك(٢)

يا غافلاً عن نفسه والعمر ينقرض ، يا مغرورا ببسط الأمل ، وقد كان قد قبض عباد الله . تفكروا في سلفكم قبل تلفكم ، وانظروا في أموركم قبل حلولكم في قبوركم ، وتأهبوا لرحيلكم قبل قرب تحويلكم ، أين الأقران ، أين الإخوان ، أين من

---

(١) جزء من الآية ٥٦ من سورة الأعراف .

(٢) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الترمذي (كتاب الدعوات ، باب في دعاء النبي ﷺ) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ٥/ ٥١٧ ، وابن ماجه (كتاب الزهد ، باب الأمل والأجل) ٤/ ٧٠٨ .

كان زين المكان ، هتف به نذيره : يا أهل العرفان ، كل من عليها فان ، تقلبت والله بهم الأحوال ، ولعبت بهم أيدي الأيام والليالي ، وشُغلوا عن الأهل والأموال ، ونسيتهم أحبائهم بعد أيام قلائل ، وعانقوا التراب ، وفارقوا البيوت المعمَّرة ، وكل قصر عال ، فلو أذن لصامتهم في المقال لقال : اللهم اجعلنا مهتدين بنور هداك ، مُعْرضين عمن سواك ، ذاكرين للمآل والمنتهى ، متفكرين في أعمال الخير ، عاملين بها .

وينبغي الدعاء في آخر يوم من العام ، فإن الشيطان يقول : تعبت عليه طول سنته ، فأُفسده في ساعته ، وهو [أي الدعاء] : اللهم ما عملت في هذه السنة مّما نهيتني عنه ، ولم ترضه ، ولم تكتبه ، وحلمت عليَّ بعد قدرتك على عقوبتي ، ودعوتني إلى التَّوبة بعد جرأتي على معصيتك ، فإني أستغفرك منه ، وأتوب إليك ، وما عملت فيها من عمل ترضاه ، ووعدتني عليه الثَّواب ، فأسألك أن تتقبله مني ، ولا تقطع رجائي منك يا كريم . يدعو به ثلاثًا . اللهم حقق رجاءنا فيك ، يا أكرم الأكرمين ، ويا أرحم الراحمين .

كان هذا آخر كتابة الجلد نهار الخميس اليوم الثالث والعشرون من ذي الحجة على يد جامعه إسماعيل بن اليازجي الواعظ ، والمدرس والإمام بجامع دمشق والشام . سنة أربعة عشر ومئة وألف . أناله الله مطلوبه ، وغفر بفضله ذُنوبه ، أحسن الله ختامنا .

الكشافات

كشاف الآيات القرآنية

الآية	الجزء والصفحة
١٨٦	٢/ ٤٨٣
١٨٧	٢/ ٢٠٣
١٩١	٢/ ٣١٣
١٩٥	١/ ٤٥٣
١٩٧	١/ ٤٠٩
١٩٧ - ٢٠٢	١/ ١١١ - ١٢٢
٢٠٠	١/ ٤٠٧
	٢/ ٤٦٩
٢١٠	١/ ٣٧٧
	٢/ ٤٧٠
٢١٥	١/ ٤٠٩
٢١٩	١/ ٨٩
	٢/ ٣١٧
٢٢٢	١/ ٣٦٦، ٤٦٥
٢٢٥	١/ ٥٥٣
٢٣٥	١/ ٤٠٧
	٢/ ٢٥٢
٢٣٧	١/ ٧٥، ٣٥٤، ٤٨٣
٢٣٨	١/ ٧١، ٤٣٦
	٢/ ٢٥٠، ٣٧٨
٢٤٣	٢/ ٤٧٥
٢٥٣	٢/ ٥٤
٢٥٥	١/ ٥٠١
٢٥٧	٢/ ٦٧
٢٦٤	١/ ٢٥٠
	٢/ ٤٤، ٣٥٣
٢٦٧	١/ ٤٥٠، ٤٥٢
٢٧١	١/ ٤٠٢
٢٧٥	١/ ٥٢٨، ٥٣٠
٢٧٦	١/ ١٩٩
٢٨٣	٢/ ٤٤٣

آل عمران

الآية	الجزء والصفحة
٤	٢/ ٣١٥
٥	٢/ ٢١٨
٧	٢/ ١٠٧
١٦ - ١٧	١/ ٥٥٦
١٨	٢/ ٣١٥، ٤٥٦
٢٢	١/ ١٦٨، ١٦٩
٣١	١/ ١٠٥، ٣٦٨
٦١	٢/ ٣٤٨
٨٥	٢/ ٤٥١
٩٢	١/ ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٤٧
٩٧	٢/ ٣٨٣
١٠٢	١/ ٣٩٢، ٣٨٦
	٢/ ٣٥٢، ٤٣٧

استقرضك أقرضته ، وإن إعْورَ[١] سترته . إعْورَّ : أي ظهرت لك منه خطيئة . ويروى : وإن استغاثك أغثته ، وإن احتاج أعطيته .

هل تفقهون ما أقول لكم ، لن يؤدي حق الجار إلا قليل ممن رحم الله .

ويروي : وإن افتقر عُدت عليه ، وإن أصابه خير هنئته ، وإن أصابته مصيبة عزّيته ، إلى أن قال : ولا تستطل عليه بالبناء ، فتحجب عنه الرّيح إلا بإذنه ، ولا تؤذه بقتار[٢] قِدرك إلا أن تغرف له منها ، وإن اشتريت فاكهة ، فاهد له منها ، فإن لم تفعل ، فادخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده[٣] . يقال : أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أمر بشاة ، فذبُحت ، فقال لقِيِّمهُ : هل أهديت لجارنا اليهودي شيئًا؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ ، يقول : مازال جبريل ، يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورّثه[٤] . وقال ﷺ لأبي ذرّ : يا أبا ذر ، عليك بالورع ، تكن أعبد العابدين ، يا أبا ذر ، عليك بالقنوع تكن أشكر الشّاكرين ، وأقِلَّ من الضّحك فإنه ممرضة للقلب ، وأحْسِن إلى جارك ، وإذا قال قد أحسنت ، فقد أحسنت[٥] .

---

(١) الأعور : الرديء من كل شيء من الأمور والأخلاق . لسان العرب (مادة : عور) .

(٢) القتْار : ريح القِدر ، وقد يكون من الشواء . لسان العرب (مادة : قتر) .

(٣) جزء من حديث عن معاذ بن جبل أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب(باب الترهيب من الإمساك عن الطعام) ١/ ٢٦٧ . والحديث عن معاوية بن حيدة ـ مختصراً ـ أخرجه الطبراني في الكبير ١٩/ ٤١٩ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب البر والصلة ، باب حق الجار والوصية بالجار) ٨/ ١٦٥ .

(٤) الحديث كاملا عن عبد الله بن عمرو أخرجه الترمذي (كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حق الجوار) قال أبو عيسى : حديث حسن غريب٤/ ٢٩٤ .
والحديث بلفظ : مازال جبريل يوصيني . . . دون حكاية ذبح الشاة ، عن عبد الله بن عمر أخرجه البخاري (كتاب الأدب ، باب الوصاة بالجار) ٥/ ٢٢٣٩ ، ومسلم (كتاب البر والصلة والآداب ، باب الوصية بالجار ، والإحسان إليه) ١٦/ ١٨٢ .

(٥) الحديث عن أبي ذر أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في الإحسان ، فصل في الإحسان إلى الجار) ١/ ١٣٨ .

فشهادة الجار مقبولة عند الله وعند العباد ؛ فعن أنس ﷺ ، قال : قال ﷺ : ما من ميت يموت ، فيشهد له رجلان من جيرانه ، فيقولان : اللهم إنا لا نعلم منه إلا خيراً ، إلا قال الله لملائكته : أُشهدكم أني قد قبلت شهادتهما ، وغفرتُ له ما لا يعلمان[١] . وعن أبي هريرة ، قال : جاء رجل إلى النبيّ ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، دلّني على عمل إذا عملت به دخلتُ الجنة؟ ، فقال : كنْ محسنًا ، فقال : وكيف أعلم أني مُحسن؟ فقال : سل جيرانك؟ فإن قالوا إنك محسن ، فإنك مُحسن ، و إن قالوا إنك مُسيء ، فأنت مسيء . وأتاه آخر ، فقال : يا رسول الله ، دلّني عن عمل ، إذا عملت به دخلتُ الجنة ، ولا تُكثر عليّ؟ فقال : لا تغضب[٢] .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : قال ﷺ : ليس بمؤمن الذي يبيت شبعان ، ويبيت جاره إلى جنبه جائعًا[٣] .

وعن أبي هريرة ، قال : جاء إلى النبيّ ﷺ رجل ، فقال : يا رسول الله ، إن لي جاراً يؤذيني ، فقال : اذهب ، فأخرج متاعك وضعه /[١٨٩ظ] على الطّريق . ففعل ، فجعل النّاس يمرّون فيقولون : يا فلان ، ما شأنك؟ فيقول : شكوت جاري إلى رسول الله ﷺ : فأمرني أن أخرّج متاعي ، وأضعه على الطّريق ، فجعلوا يقولون :

---

(١) الحديث مع اختلاف في اللفظ عن أنس أخرجه الحاكم في المستدرك(كتاب الجنائز) قال الذهبي : على شرط مسلم ٢/ ٥٣٨ ـ ٥٩٣ ، وأحمد في المسند ٢١/ ١٧٤ ، وأبو يعلى في مسنده ٣/ ٣٦٣ .

(٢) الحديث كاملاً مع اختلاف في ترتيب العبارات عن أبي هريرة أخرجه البزار في مسنده ١٦/ ١٤٨ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في حسن الخلق ، فصل في ترك الغضب) ٦/ ٣٠٧ ، والجزء الأول من الحديث عن أبي هريرة أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب الجنائز) قال الذهبي : على شرطهما ٢/ ٥٣٩ .

والجزء الثاني من الحديث عن أبي هريرة أخرجه الترمذي (كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في كثرة الغضب) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب ٤/ ٣٢٦ ، وأحمد في المسند ١٤/ ٣٥٧ .

(٣) الحديث عن ابن عباس أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب البر والصلة) قال الذهبي : صحيح ٧/ ٢٦٠٩ ، والحديث عن أنس أخرجه الطبراني في الكبير ١/ ٢٥٩ ، والبزّار في المسند ١٤/ ٢٦ .

اللهم العنه ، اللهم اخزه ، فبلغ ذلك جاره ، فأتاه ، فقال : ارجع إلى منزلك ، فو الله لا أؤذيك أبداً[(١)] .

وعنه قال : قال ﷺ : تعوَّذوا بالله من ثلاث فواقر ، تعوَّذوا بالله من مجاورة جار السوء الذي إذا رأى خيراً دفنه ، وإن رأى شراً أذاعه ، تعوَّذوا [بالله] من زوجة السوء ، إن دخلت عليها لَسِنتك ، وإن غبت عنها خانتك ، وتعوَّذوا بالله من إمام السوء ، إن أحسنت لم يقبل منك ، وإن أسأت لم يغفر لك[(٢)] .

الفواقر : الدّواهي ، لَسِنتك : أي أخذتك بلسانها ، وأذتك بكلامها .

وعن أنس ، قال : قال ﷺ : المؤمن من أمنه النّاس ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر السوء ، والذي نفسي بيده ، لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه[(٣)] . وعن المقداد قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم : ما تقولون في السرقة؟ قالوا : حرام ، حرمها الله عز وجل ورسوله ، قال : لأن يسرق الرّجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره ، قال : فما تقولون في الزّنا؟ ، قالوا :حرام ، حرَّمه الله ورسوله ، قال : لأن يزني الرَّجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره[(٤)] . فأحسنوا إلى جيرانكم ؛ بل وإلى عموم الناس ، فإن الدُّنيا

---

(١) الحديث مع اختلاف يسير في اللفظ عن أبي هريرة أخرجه أبو داود (كتاب الأدب ، باب في حق الجوار) ٥/ ٢٢٥ ، والحديث بلفظه عن أبي هر يرة أخرجه الحاكم في المستدرك(كتاب البر والصلة) وسكت عنه الذهبي ٧/ ٢٦٠٧ـ ٢٦٠٨ ، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب(كتاب البر والصلة) وقال عنه الألباني : حسن صحيح ٢/ ٦٨٢ .

(٢) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في إكرام الجار) ٧/ ٨٢ ، والأصبهاني في الترغيب والترهيب (باب في حق الجار) ١/ ٤٨٧ ، والألباني في السلسة الضعيفة ٧/ ٤٢١ .

(٣) الحديث عن أنس أخرجه أحمد في المسند ٢٠/ ٢٩ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الإيمان) وسكت عنه الذهبي ١/ ١٣ـ ١٤ ، وأبو يعلى في مسنده ٣/ ٥٦٠ .

(٤) الحديث مع اختلاف في ترتيب العبارات عن المقداد بن الأسود أخرجه أحمد في المسند ٣٩/ ٢٧٧ ، والبزار في مسنده ٦/ ٥٠ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في أذى الجار) ٨/ ١٦٨ .

زائلة ، ولا يبقي إلا عمل الخير تنتفعون به ، واحذروا من العصيان ، فإنكم مؤاخذون به بإتقان .

قال تعالى في بعض صحفه المنزلة : يا بني آدم ، أطيعوني بقدر حوائجكم إليّ ، فإني لا أكلف فوق الطّاقة ، واحذروا من ناري ، واكسبوا من الدُّنيا بقدر مسكنكم في القبور ، فإنها بيوت أعمالكم ، ولا تنظروا إلى تأخر أجلكم ، وحضور أرزاقكم ، وذنوبكم المُستترة ، فإن كل شيء هالك إلا وجهي ، لي الحكم وإليّ تُرجعون ، يا بني آدم ، لو خفتم من النار كما تخافون من القبر ، لأنجيتكم منها ، وأغنيتكم من حيث لا تحتسبون ، ولو رغبتم في الجنة كما ترغبون في [الدنيا][1] ، لأسعدتكم في الدّارين ، ولو أحسنتم لعبادي الصالحين المساكين كما أحسنتم لأبناء الدُّنيا الأغنياء ، لأكرمتكم كرامة المسلمين ، إلى متى تُميتون قلوبكم بحب الدُّنيا وزوالها قريب ، ولو ذكرتموني كما تذكرون بعضكم بعضا لسلّمت عليكم الملائكة ، فأحيوا قلوبكم بذكري[2] ، فأطيعوني ، واعبدوني ، ومجدوني ، ووحدوني .

---

(١) في الأصل الآخرة ، والصواب ما أثبتناه .

(٢)انظر : المواعظ في الأحاديث القدسية للغزالي(الموعظة : الرابعة عشر ، والموعظة : الحادية والثلاثون) وقد نقل المؤلف من كل منهما ، ص ٦١٢ ، وص ٦١٩ .

فصل في شيء من التقوى

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[١] أي بقدر ما يجب منها ، وهو استفراغ الوسع في القيام بالأوامر ، والاجتناب عن المناكر/[١٩٠و] فهذه الآية على ما فسرنا مساوية لقوله تعالى : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[٢] ، وعن ابن مسعود : التقوى أن يُطاع فلا يُعصى ، وأن يشكر الإنسان أنعمه ، ولا يكفر بها ، ويستزيد منها بالشكر ، قال تعالى : ﴿وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ، وأن يُذكر فلا يُنسي[٣] فذكره دليل على محبته تعالى .

ويقال : التقوى أن لايلتفت الإنسان إلى طاعته ، وأن لا يطلب المجازاة عليها ، وإنما يكون مطلوبه وجه الله تعالى . ومن فوائد التقوى ما قاله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ [٤] ، مخرجا من المضايق ، من مضايق الدنيا والآخرة ، ويرزقه فرجًا من سعة الرزق ، وذهاب المضايق عنه .

﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ : لا يدري ولا يخطر بباله ، وقد جاء عوف الأشجعي إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إن ابني سالمًا قد أسره العدو ، فدلني على شيء إذا فعلته فك الله أسر ابني ، فقال : اتق الله ، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله .ففعل ، فلم تمض حقبة من الزمان إذ قرع ابنه سالم الباب ، ومعه مئة من الإبل غفل عنها العدو ، فاستاقها[٥] .

---

(١) جزء من الآية رقم ١٠٢ من سورة آل عمران .

(٢) جزء من الآية رقم ١٦من سورة التغابن .

(٣) جزء من الآية رقم ٧ من سورة إبراهيم .
والأثر عن ابن مسعود ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب التفسير ، باب ومن سورة آل عمران)٦ / ٣٢٦ ، والحاكم في المستدرك (كتاب التفسير) قال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم ٣/ ١١٨٢ .

(٤) جزء من الآيات ٢ـ ٣ من سورة الطلاق .

(٥) الحديث بألفاظ أطول عن محمد بن إسحاق أخرجه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب الذكر ، باب الترغيب في قول لا حول ولا قوة إلا بالله) قال عنه : ضعيف ١/ ٤٢٨ .

ومن فوائد التقوى أن الطاعة لا تُقبل إلا من المتقي، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[١]، ولا يخاف المتقي ببركة تقواه سوء العاقبة، فإنه تعالى قال: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢]، أي العاقبة الحسنة، وهي ختام الخير، أو الجنة، أو الذرية للمتقين. يقال: كان عامر[٣] بن قيس يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، فلما وقع في النزع، بكى، فقيل له ما يبكيك مع كثرة عبادتك؟، قال: قوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾. ومن فوائدها النجاة من النار، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾[٤]، فإذا نجى من النار، حصلت له الجنة، كما قال تعالى في حق الجنة: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾[٥]. ومن فوائدها أن المتقي في جوار الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾[٦]. ومن فوائدها أن الله تعالى مع المتقي بالنصر والتأييد، وأن المتقي محبوب الله تعالى، مكرم معزز، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[٧]، أي إلى عباد الله بالقول، والعطاء، واتقاء الشح كما قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٨]، ﴿وَاسْمَعُوا﴾ أي مواعظه التي وعظكم بها في كتابه، وعلى لسان نبيه، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

(١) جزء من الآية رقم ٢٧ من سورة المائدة.

(٢) جزء من الآية رقم ١٢٨ من سورة الأعراف.

(٣) هو عامر بن عبد الله بن قيس، تابعي، أول من عُرف بالنسك من عُباد التابعين بالبصرة. مات ببيت المقدس سنة ٥٥هـ. انظر عنه: حلية الأولياء لأبي نعيم ٢/ ٨٧ـ ٩٥، وصفة الصفوة لابن الجوزي ٢/ ١١٩ـ ١٢٤. وانظر القول في صفة الصفوة ٢/ ١٢٠.

(٤) جزء من الآية ٧٢ من سورة مريم.

(٥) الآية رقم ٦٣ من سورة مريم.

(٦) الآيتان ٥٤ ـ ٥٥ من سورة القمر.

(٧) الآية رقم ١٢٨ من سورة النحل.

(٨) الآية رقم ١٦ من سورة التغابن.

شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1] ، لمن خالف ، ﴿وَأَنفِقُوا﴾ في وجوه الخير ، مخلصين ﴿خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ : أي افعلوا ما هو خيرٌ لأنفسكم ، ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ : من البخل على نفسه ، وعلى عياله ، وعلى خلق الله ، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ النَّاجون عند الله تعالى .

وفرق بين البخيل والشحيح[2] ، إن البخيل من يبخل على النَّاس بفضل الله الذي أتاه ، ولا يبخل على نفسه ، ولا على عياله ، والشحيح من يبخل حتى على نفسه وعلى النَّاس . /[١٩٠ظ] ويقال : إن البخيل من يبخل على نفسه وعلى خلق الله بما أتاه الله من فضله ، والشحيح من يبخل بماله ، ويأمر غيره بالبخل . وقال تعالى مُعلمًا بمحبة المتقين : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾[3] ، وبإكرامهم وإعزازهم بقوله : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[4] .

قال صلى الله عليه وسلَّم : من شاء أن يكون أكرم النَّاس فليتق الله[5] .

ومن فوائد التقوى حصول اليُسر لصاحبها في أموره ، وتُكفِّر سيئاته ، ويعْظُم أجره ، ويصْلُح عمله ، قال تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[6] ،

---

(١) جزء من الآية رقم ٧ من سورة الحشر .

(٢) البخل في اللغة : ضد الكرم ، وهو إمساك المال والمقتنيات عمًا لا يحق حَبْسُها عنه .
الشح في اللغة : أشدُّ البخل ، وفيه حرص ، ويشمل المال والمعروف كما أنه عادة متأصلة ثابتة في النفوس . قال تعالى : ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾ النساء ١٢٨ ، و﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر (٩) ، والتغابن ١٦ . انظر : معجم الفروق الدلالية في القرآن للدكتور محمد محمد داود ، ص١٠٥ـ ١٠٧ .

(٣) جزء من الآية رقم ٤ من سورة التوبة .

(٤) جزء من الآية رقم ١٣ من سورة الحجرات .

(٥) جزء من حديث طويل بلفظ : من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله . عن ابن عباس أخرجه الأصبهاني في الترغيب والترهيب (الترغيب في التوكل) ١/ ٣٨١ ، وعبد بن حميد في مسنده ص ٢٢٥/ ٢٢٦ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الأدب) وسكت عنه الذهبي ٧/ ٢٧٤٩ ـ ٢٧٥٠ .

(٦) جزء من الآية رقم ٤ من سورة الطلاق .

وقال : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[١] ، وقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[٢] ، ومن فوائدها أن المتقي يُبعث من قبره ، ويذهب إلى محشره راكبًا على نوق[٣] الجنة ، حتى يصل إلى قصورها ، قال تعالى : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾[٤] والوفد لا يكون إلا راكبًا . ومنها أنه لا يضره كيد أحد ، كما قال تعالى : ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾[٥] ، ومنها أنه تحصل له البشارة بالخير عند الموت ، قال تعالى : ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾[٦] . ومنها حفظ الأخوة والصداقة بعدم انقلابها عداوة ، كما قال تعالى : ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[٧] ، ومنه الخلود في الجنة ، قال تعالى : ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[٨] ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٩] .

فعليكم إخواني بخصال الخير ، ولا تكونوا ممن قال تعالى في بعض صحفه في حق أهل الكتاب : يا أهل الكتاب ، لم تقولون ما لا تفعلون ، وتنهون عما لستم عنه تنتهون ، وتأمرون بما لا تعملون؟ يا أهل الكتاب ، لم تجمعون ما لا تأكلون ، فهل عندكم من الموت أمان؟ أم أتتكم براءة من النار؟ أم تحققتم الفوز بالجنان دار الأبرار؟ ، أم أمَّنكم الرحمن من عذابه في كتابه ، أو على لسان أنبيائه؟ يا أهل الكتاب ، من كثرة النِّعم أفسدتم الإحسان ، واغتررتم بطول الإمهال ، يا أهل الكتاب ، لا تَغُرَّنكم

(١) جزء من الآية رقم ٥ من سورة الطلاق

(٢) الآية رقم ٧٠ من سورة الأحزاب ، وجزء من الآية ٧١ من السورة نفسها .

(٣) النوق : الناقة : الأنثى من الإبل . لسان العرب (مادة : نوق) .

(٤) الآية رقم ٨٥ من سورة مريم .

(٥) جزء من الآية رقم ١٢٠ من سورة آل عمران .

(٦) جزء من الآية رقم ٦٣ ، و ٦٤ من سورة يونس .

(٧) الآية رقم ٦٧ من سورة الزخرف .

(٨) جزء من الآية ١٩٨ من سورة آل عمران .

(٩) جزء من الآية ١٣٣ من سورة آل عمران .

الصّحة ، فإنها أيام معلومة ، وأنفاس معدودة ، وأسرار مكشوفة ، يراها من لا يخفي عليه خافية ، فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون ، وقدموا مما في أيديكم لما بين أيديكم لعلّكم تُرحمون ، يا ابن آدم ، إنما مثلك في الدّنيا وحلاوتها ومكرها بك كمثل الذباب في العسل ، كلما يليط(١) فيه يهلك ، يا ابن آدم ، لا تكن كالحطب يحرق نفسه لمنافع النّاس ، فانكب على طاعتي ، واغتنم شكري ، ومجدني ، ووحدني(٢) .

واعلم أنه قيل في قوله : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ ، أي في أمر النساء في الطلاق ، بأن لا يُطلقهن الرجال في الحيض ، لأنه إضرار بهن بطول العدة عليهن ، لأن تلك الحيضة تكون هدرا ، وتحتاج الحرة إلى ثلاث حيض غير الحيضة التي طُلقت فيها ، والأمة إلى حيضتين ، وهذا يُسمى طلاق البدعة(٣) ، تجب المراجعة(٤) ، ليخرج عن البدعة ، فإن أراد أن يُطلقها بعد ذلك طلقها في الطهر ، وهذا في الموطؤة ، وأما غيرها فلا /[١٩١و] بدع إذ لا عدة عليها .

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ في أمر النساء بأن لا يخرجهن من المسكن الذي طُلقن فيه ،

---

(١) يليط : ليطًا ولياطًا إذا لصق به . والكلمة واوية ويائيه . لسان العرب(مادة : لوط) .

(٢) الحديث مع اختلاف في اللفظ ذكره الغزالي في المواعظ في الأحاديث القدسية (الموعظة السادسة عشر) ص ٦١٢ .

(٣) الطلاق البدعي : هو المخالف للمشروع ، كأن يطلقها ثلاثًا بكلمة واحدة ، أو يطلقها ثلاثًا متفرقات في مجلس واحد ، أو يطلقها في حيض أو نفاس ، أو في طهر جامعها فيه . انظر الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري(كتاب الطلاق ، مبحث الطلاق السني والبدعي) ٤/ ٢٢٤ـ ٢٢٥ .

(٤) أي مراجعتها . كما قال ﷺ لعمر بن الخطاب لما سأله عن ابنه عبد الله طلق امرأته وهي حائض ـ فقال له ﷺ ـ مُرْهُ فليراجعها ، ثم ليتركها حتى تتطهر ، ثم تحيض ، ثم تتطهر ، ثم إن شاء أمسك بَعْدُه ، وإن شاء طلق قبل أن يمس . فتلك العدة التي أمر الله عز وجل أن يُطلق لها النساء . أخرجه البخاري (كتاب الطلاق) ٥/ ٢٠١١ ، ومسلم (كتاب الطلاق ، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها) ١٠/ ٦٣ .

لوجوب السكني عليه ، والنفقة إلى انقضاء عدتهن ، ولو كان الطَّلاق بائنًا[١] خلافًا للأئمة الثلاثة ، فمن فعل ما حكم الله به يجعل له مخرجًا ، ويرزقه زوجة خيراً منها .

﴿مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ : لا يشعر[٢] .

والحاصل إن أمر الطَّلاق للرجال ، وأمر العدة للنساء ، قال صلى الله عليه وسلَّم : الطلاق للرّجال والعدّة للنساء[٣] . والصَّواب أنه أثر من كلام ابن عباس .

خرَّج أبو داود وابن ماجه وغيرهما ، من رواية ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال صلى الله عليه وسلّم : أبغض المُباح إلى الله الطلاق[٤] .

قال العلماء : ومن الكبائر أن تسأل المرأة طلاقها من غير إضرار الرَّجل بها ، وإلا كانت الحرّمة على الزّوج بإضرارها ، يقول الله في حديث إسرائيلي : أنا خصم كل امرأة يطلقها زوجها ، ويكون السبب منها[٥] . خرَّج ابن حبان في صحيحة عن ثوبان : قال : قال ﷺ : أيما امرأة سألت زوجها الطَّلاق من غير بأس فحرّام عليها رائحة

(١) الطلاق البائن هو الطلاق قبل الدخول ، وينقسم إلى بائن بينونة صغرى ، وهو كان بما دون الثلاث ، وللزوج أن يعيد المطلقة إلى عصمته بعقدٍ ومهر جديد دون أن تتزوج زوجًا آخر . أما طلاق البائن بينونة كبرى : لا يحل للرجل أن يعيدها إلى عصمته إلا بعد أن تنكح زوجًا آخر نكاحًا صحيحًا ويدخل بها دون إرادة التحليل . انظر الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري . (كتاب الطلاق ، باب الطلاق الصريح) ٤/ ٢٤٠ـ ٢٤٢ .

(٢) كُتب عند هذا الموضع : الكراس العشرون من عذب الملافظ فيما يسره الله من المواعظ .

(٣) الحديث عن سعيد بن المسيب أخرجه مالك في الموطأ (كتاب الطلاق ، باب جامع عدة الطلاق) ص ٣٥٦ ، وابن أبي شيبة في المصنف(كتاب الطلاق ، باب من قال : الطلاق للرجال والعدة للنساء) ٤/ ١٠٥ ، والهيثمي في مجمع الزوائد(كتاب الطلاق ، باب طلاق الرجعة) ٤/ ٣٣٧ .

(٤) الحديث بلفظ : أبغض الحلال . . .عن ابن عمر أخرجه أبو داود (كتاب الطلاق ، باب في كراهية الطلاق) ٢/ ٤٣٨ ، وابن ماجه (كتاب الطلاق ، باب حدثنا سويد ابن سعيد) ٢/ ٦٤٢ .

(٥) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

الجنة[1] . ويحرم على الرجل الإيلاء ـ بعدم قربانها ـ أربعة أشهر أو أكثر لما فيه من الإضرار بها حيث آيسها من الوطيء ، فإن مضت أربعة أشهر ، ولم يطأها بانت حيث قدر على الوطيء ، وإلا كفاه أن يقول بلسانه : فئتُ[2] إليها ، فلا يقع بشيء ، وإن وطيء كفّر ليمينه ، وقال مالك والشّافعيّ : إن طلّقها الزوج بمضي أربعة أشهر فبها ، وإن أبى فرّق الحاكم بينهما .

وعُلم من قولنا أمر الطّلاق للرّجال ، أنّه لا يجوز له كتمانه ، ووطؤها بالحرّام ، ومن قولنا : وأمر العدة للنساء ، أنه لا يجوز لها التّزوج قبل انقضاء العدة ، فيحرم على شهود الطّلاق الكتمان ، ولذا قيل في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ : إن الخطاب لشهود الطّلاق ، أي من يتق الله في عدم كتمانها ، ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ : من ضيق سيقع فيه ، ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ : شاهد حق ، ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ : لا يشعر عند الاحتياج إليه .

قال ﷺ : كما تدين تُدان[3] ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[4] ، وقال ﷺ : من كتم شهادة إذا دُعى إليها كانت كمن شهد بالزُّور[5] ، قال العلماء : وقوله : إذا دُعى إليها في غير الطلاق والعتاق ، وفيهما تجب

(١) الحديث عن ثوبان أخرجه أبو داود (كتاب الطلاق ، باب في الخلع) ٢/ ٤٦٣ ، والترمذي (كتاب الطلاق ، باب ما جاء في المختلعات) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن ٣/ ٤٩٣ ، وأحمد في المسند ٣٧/ ٦٢ ، وابن حبان في صحيحه (كتاب النكاح ، ذكر تحريم الله جل وعلا الجنة على السائلة . . .) ٦/ ١٩١ .

(٢) أي رجعتُ إليها . فاء : رجع . لسان العرب (مادة : فيأ) . وعن أركان الإيلاء وشروطه انظر : الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري (كتاب الطلاق ، أركان الإيلاء وشروطه) ٤/ ٣٥٠ـ ٣٦٤ .

(٣) لفظ الحديث : البر لا يبلى ، والذنب لا يُنسى ، والديان لا يموت ، فكن كما شئت فكما تدين تدان . عن ابن عمر أخرجه الديلمي في فردوس الأخبار١/ ٢٨٢ ، وقال عنه العجلوني في كشف الخفاء : في سنده ضعف ٢/ ١١٥ـ ١١٦ .

(٤) جزء من الآية رقم ٢٨٣ من سورة البقرة .

(٥) الحديث عن أبي موسى الأشعري أخرجه الطبراني في الأوسط ٥/ ٩٧ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الأحكام ، باب في الشهود) ٤/ ٢٠٠ ، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب(كتاب القضاء ، باب الترهيب في شهادة الزور) وقال عنه : ضعيف ٢/ ١٠٠ .

الشهادة ، وإن لم يدع إليها كما في رؤية هلال الصيام ، أو الفطر ، أو الحجة .

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ : كافيه ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ لا يفوته شيء ، ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[1] من زمن العدة ، وعدد الطلاق لا يمكن تغييره .

فمن الكبائر : منع نفقة الزوجة ، والأقارب التي تجب نفقتهم ، والمماليك من الأرقاء والدّواب ، فإنه تضييع للعيال ، قال ﷺ : ضيع الله من ضيع عياله[2] .

جاء في حديث ما معناه ، قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها :يا عائشة ، أي رجل منع حق أهله من نفسه ، فإن الله يمنعه من نعيم الجنة[3] ، وأي رجل كانت له امرأتان أو أكثر ولم يعدل بينهما في المضجع والنفقة والملبس والمطعم إلا هدده الله/ [١٩١ظ] يوم القيامة[4] .

يقال : من خففت عن زوجها ، أو وهبته صداقها كان لها بكل درهم حجة مبرورة ، وغفر الله لها ما تقدم من ذنوبها ، ولا تموت الصّابرة على أذى زوجها ، إلا كُتبت من الشهداء[5] .

وجاء : من مسح امرأته بيده فله عشر حسنات ، ومن ضمها إلى صدره فله عشرون حسنة ، ومن قبلها فله ثلاثون حسنة ، ومن جامعها فله ثلاث مئة حسنة ،

---

(١) جزء من الآية رقم ٣ من سورة الطلاق .

(٢) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٣) انظر : تفسير البغوي (النساء : ١٢٩) .

(٤) الحديث بهذا اللفظ عن عائشة أم المؤمنين ذكرها الحسين بن يحيى الزندوستي الحنفي ، المتوفي سنة ٣٨٢ في كتاب : روضة العلماء ونزهة الفضلاء(باب حق الزوج على المرأة) ص٣٤٠ ، والحديث بلفظ : من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل . عن أبي هريرة أخرجه أبو داود (كتاب النكاح ، باب في القسم بين النساء) ٢/ ٤١٥ ، والترمذي (كتاب النكاح ، باب ما جاء التسوية بين الضرائر) ٣/ ٤٤٧ .

(٥) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

فإذا اغتسلا من الجنابة خلق الله تعالى من كل قطرة تقطر منهما ملكًا يستغفر لهما إلى يوم القيامة ، ومن أسقت زوجها شربة من الماء غفر لها ستون خطيئة . ويقال : يُبني لها مدينة في الجنة . ويقال : خير من عبادة ألف سنة ، قيام ليلها وصيام نهارها(١) .

فاتقوا الله إخواني في أمر النساء وعلموهن أمور دينهن ، يُكفر الله سيئاتكم ، ويكتب لكم عشرة آلاف حسنة ، ويرفع لكم ألف درجة في الجنة ، ولا تُزوجوا أخواتكم وبناتكم ، وقريباتكم : الفساق ، كي لا يحل عليكم غضب الله في الدنيا والآخرة ، وإن رضيت المرأة به فهي منافقة .

وعليكم إخواني بتزوج الصَّالحات ، فما من بلدة يكون فيها رجلٌ صالح ، أو امرأة صالحة إلا رفع الله البلاء عن تلك البلدة بدعائهما . والمرأة الصَّالحة خير من ألف رجل غير صالح ، ومن خدمت زوجها سبعة أيام ، أُغلقت عنها أبواب النيران السبعة ، وفُتحت لها أبواب الجنة الثمانية ، وأي رجل قذف ولده فهو ملعون ، وأي امرأة قذفت ولدها أخرج الله لسانها من قفاها ، ويكوى بنار جهنم .

[يقول الله تعالى] يا ابن آدم ، اتق الله فإن ملائكتي عليك يتعاقبون ليلًا ونهاراً ، يكتبون ما تقول وتفعل ، والأرض تشهد عليك بما عليها تعمل ، والسَّماء تشهد عليك بما إليها يصعد ، والشَّمس والقمر يشهدان عليك بما يشاهدان منك ، وكفى بالله شهيداً ومطَّلع عليك ، عالم بخطواتك ولحظاتك ، وما توسوس به نفسك ، يا ابن آدم ، اعلم أن الحلال يأتي إليك قطرة قطرة ، والحرَّام يأتي كالسيل ، فمن صفى عيشه صفى دينه ، فأطعني ، واعبدني ، ومجدني ، ووحدني(٢) .

(١) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب الحديث .

(٢) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

فصل

[حب رسول الله صلى الله عليه وسلم] قال ﷺ : والذي نفسي بيده ، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والنَّاس أجمعين[١] ؛ لأنه أنقذنا من النار بالهداية ، ولولاه لكنا في ظلمات الغواية . فلما قال ذلك ، قام عمر ، وقال : يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق نبيًا ورسولًا ، لأنت أحب إليَّ من والدي وولدي ، ومن أهلي ، ومن النَّاس أجمعين ، فقال ﷺ : ومن نفسك يا عمر؟ قال : والذي بعثك بالحق ، ومن نفسي[٢] .

عن نوح بن أبي مريم ، عن يونس ، قال : قال ﷺ : رأيتُ في المنام كأني في الجنة ، فإذا بخشخشة[٣] أمامي ، فظننتُ أنه أبو بكر وعمر ، وكان جبريل معي ، فقلتُ : من هذا يا أخي جبريل؟ ، قال : بلال ، قلتُ : ما بلغ به هذه المنزلة؟ ، قال : إنه كان لا يُحْدِث إلا توضأ ، ولا يتوضأ إلا صلى ركعتين ، قال : فرفعتُ رأسي إلى أعالي الجنة فإذا فقراء/[١٩٢و] المهاجرين والأنصار ، فقلتُ : يا أخي جبريل ، مالي لا أرى الأغنياء؟ ، قال : إنهم يُمحصون ذنوبهم ، ويحاسبون ، قلتُ : والنساء؟ ، قال : ألهاهن الأحمران ، الذهب والحرير ، قال ﷺ : ثم جئتُ باب الجنة ، فإذا عبد الرحمن بن عوف ، فقلتُ له : ما أبطاك يا ابن عوف؟ قال : بأبيْ أنت وأمي يا رسول الله ، مازلت أُمحص ذنوبي وأُحاسب ، حتى ظننتُ أني لا ألتقي أنا وأنت ، قال صلى الله عليه وسلم : فخرجتُ من باب الجنة ، فأُدلى لي الميزان ، فوُضعت في

---

(١) الحديث عن أنس أخرجه البخاري (كتاب الإيمان ، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان) ١/ ١٤ ، ومسلم (كتاب الإيمان ، باب وجوب محبة رسول الله ؟ أكثر من الأهل والولد والوالد . . .) ٢/ ١٨ .

(٢) الحديث ـ مع اختلاف في اللفظ ـ عن عبد الله بن هشام أخرجه البخاري (كتاب الأيمان والنذور ، باب كيف كانت يمين النبي ﷺ) ٦/ ٢٤٤٥ـ ٢٤٤٦ ، وأحمد في المسند ٢٩/ ٥٨٣ ، والحاكم في المستدرك (كتاب معرفة الصحابة) ٦/ ٢١٥٦ .

(٣) الخشخشة : حركة لها صوت كصوت السلاح . لسان العرب (مادة :خشش) .

كفة ، وجميع أمتي في كفة ، فرجحتُ عليهم ، ثم جيء بأبي بكر ، فوضُع في كفة ، وجميع أمتي في كفة ، فرجح بهم[١] .

ويقال : إن السّكين التي ذُبح بها إسماعيل ، لم تقطع ؛ لأن نور محمد ﷺ كان يلوح بين عينيه ، فلذا لم تقطع ، وما أهرقت له دمًا[٢] . فالبُشرى لأمته ، كيف لا يُحفظون من الأكدار ، وهم يصلون عليه بالليل والنهار ، ويُحفظون أيضًا في غد من عذاب النار ببركة المبرقع[٣] بالأنوار . فرّ من السّكين إبراهيم ، وجعل يبكي ، فأذن الله للسكين أن تخاطبه ، فقالت : يا خليل الله ، لا تغضب ، ولا تتعب نفسك ، أنا بين أمرين ، أمر الملك الجليل وأمر إبراهيم الخليل ، وأمر الملك الجليل مقدم على أمر إبراهيم الخليل ، وقد ضعُف حدي ، ولم أقطع لما رأيت من نور المصطفى الحبيب في جبينه يسطع . فيا هنيئًا لهذه الأمة به ﷺ . فمِن رأفته بهم أن قال : يارب ، اجعل حساب أمتي على يدي ، فأوحى الله إليه : صدقت يا حبيبي ، لكن أمتك كثيرة جمة ، وأنا أحق بهم بالرحمة ، فلو اطلعت على ذنوبهم غم عليك ، فأنا أُحاسبهم وأُكرمهم من أجلك ، فإن رأينا عيبًا سترناه ، أو ذنبًا غفرناه[٤] . فانتظروا إخواني الفرج من الله ، وتوكلوا عليه .

خرّج النسائي ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ، قال : قالْ ﷺ : لا يستكمل

---

(١) الحديث عن أبي أمامة ـ مع اختلاف في ترتيب العبارات ـ أخرجه أحمد في المسند ٣٦/ ٥٦٥ـ ٥٦٧ ، والطبراني في الكبير ٨/ ٢٣٦ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب المناقب ، باب فيما ورد من الفضل لأبي بكر وعمر وغيرهما من الخلفاء وغيرهم) ٩/ ٥٩ ، ولم نجد الحديث عن نوح بن أبي مريم عن يونس .

(٢) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٣) مبرقع : أخذت غرّته جميع وجهه ، وقد جاوز بياض الغُرّة سُفْلًا إلى الخدين من غير أن يصيب العينين . لسان العرب (مادة : برقع) .

(٤) انظر تذكرة الموضوعات للفتني (كتاب العلم ، باب خاتمة في سعة رحمته وشفاعة النبي ﷺ)ص ٣٢٧ .

العبد الإيمان حتى يكون فيه خمس خصال : التّوكل على الله ، والرضى بقضاء الله ، والصّبر على بلاء الله ، والنّصح لخلق الله ، وانتظار الفرج من الله[١] . ويقال : إن النّار تهرب من تحت أقدام التائبين النادمين على ما سلف منهم ، فيغضب مالك خازن النّار ، ويقول : يا نار ، خذيهم واحرقيهم ، فتُنادى النار أن كلمي مالكًا ، فتقول : يا مالك ، لا تغضب ، أنت تقول احرقي ، والملك الجبار يقول لا تحرقي ، وأمر الجبار مقدم على أمرك ، أُقسم عليك أن لا تنظر إليهم بوجه كلوح[٢] ، أو ما ترى إلى أنوار سيد الخلائق على وجوههم تلوح[٣] . فيا أيها العصاة لكم البشارة فيمن أحبه واصطفاه .

عن عائشة رضي الله عنها : إن النبي ﷺ ، صلى أول ليلة من المُحرم ، وكانت ليلتي ، فانتبهتُ فما رأيته ، فتتبعته ، فرأيته يتوضأ ، فقلتُ : حتى انظر إلى صلواته ، فلما فرغ من وضوئه ، رفع رأسه إلى السماء وجعل يقول : سبحان الملك القدوس ، ثلاثًا ، ثم دخل المسجد فصلى ركعتين قرأ فيهما بفاتحة الكتاب ، وفي كل ركعة أحد عشر مرة سورة الإخلاص ، ثم قال :اللهم هب لي كل أمتي ، فرأيتُ في البيت نورًا يسطع ، فعجبتُ ، ثم خرج وقال ثلاثًا : / [١٩٢ظ] سبحان الملك القدوس ، ثم دخل المسجد فصلى ركعتين مثل الأوليين ، ثم قال : اللهم هب لي كل أمتي ، فرأيت نورًا أضوأ من الأول ، ثم جاءني ، وقال :يا عائشة ، أنائمة أنت؟قلتُ : لا يا رسول الله ، قال : أسمعتِ خفق أجنحة الملائكة؟ ، قلتُ : لا يا رسول الله ، قال ﷺ : نزل عليَّ جبريل عليه السلام ، ومعه سبعون ألف ملك بالبشارة لأمتي ، يا عائشة ،لقد دعوتُ الله أن يهب لي كل أُمتي ، فصليتُ ركعتين ، فنزل جبريل ومعه سبعون ألف ملك ، ومعه نور من أنوار العرش ، وقال : يا محمد ، الرحمن يقرئك السّلام ، ويقول : وهبتُ لك ثلث أُمتك ، قال : فاجتهدتُ تلك الليلة ، ودعوتُ الله ، وقلتُ سبحان الله الملك

(١) الحديث بهذا اللفظ موضوع . انظر الموضوعات لابن الجوزي(كتاب الإيمان) ١/ ١٣٦ .
(٢) الكلوح : العبوس . لسان العرب(مادة : كلح) .
(٣) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

القدوس ثلاثا ، وصلّيتُ ركعتين ، ثم قلتُ : يارب ، هبني كل أُمتي ، فنزل جبريل مع الملائكة المذكورين والنور ، وقال لي : الرحمن يُقرئك السّلام ، ويقول : وهبتُ لك ثلثي أُمتك ، ففعلتُ ذلك مرة أخرى ، فوهبني جميعهم ، قالت عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله ، إن الله تعالى قد أعطاك هذه الكرامة في هذه الليلة ، فما لأُمتك من بعدك؟ قال : يا عائشة ، ليس أحد من الرجال والنساء يُصلي مثل صلواتي ، ويدعو مثل دعائي إلا شفَّعه الله في أهل بيته الذين استوجبوا النّار[١] .

فعليكم إخواني بقراءة القرآن ، والتلّذذ به ، فمن قرأه أو استمعه وتلّذذ ، كان ذلك دليلاً على حبه لله ولرسول الله ، ومن نفر منه ، فهو مبغض لله ولرسوله . ولا تمسوه إلا بطهر . قال تعالى : ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[٢] . قالت عائشة رضي الله عنها : رأيتُ النبي ﷺ ، يومًا فرحًا مسرورًا ، ووجهه أضوأ من القمر ، فقلتُ : يا رسول الله ، مالي أراك فرحًا مسرورًا ، بشرني فداك الله بأبي وأمي؟ ، قال ﷺ : سألتُ ربي سبحانه وتعالى في أبناء الأربعين[٣] من أمتي ، فقال : يا محمد ، قد غفرتُ لمن استغفرني منهم ، فقلتُ : يا رب ، وأبناء الخمسين؟ قال : قد غفرتُ للنادمين منهم ، قلتُ : يا رب ، فأبناء الستين؟ ، قال : غفرتُ للتائبين منهم ، قلتُ : يا رب ، فأبناء السبعين؟ قال : يا محمد ، إني لأستحي من عبدي إذا عمّرته سبعين سنة ـ وهو يعبدني لا يشرك بي شيئًا ـ أن أُعذبه ، قلتُ : يا رب ، فأبناء الثمانين والتّسعين والمئة؟ قال : أُقبل عليهم يوم القيامة ، وأقول لهم : أنتم أحبائي ، أفنيتم أعماركم في خدمتي ، وتوحيدي ، وطاعتي ، وحمّلتم أنفسكم فوق طاقتها ، فأنا اليوم أرفع عنكم

---

(١) الحديث بهذه الألفاظ عن عائشة أم المؤمنين ذكره الغزالي في كتاب سلوة العارفين(باب فضيلة المحرم) ١/ ٢٨٩ـ ٢٩١ .

(٢) الآية رقم ٧٩ من سورة الواقعة .

(٣) أي من مات في الأربعين .

الأثقال ، وأبلغكم الآمال ؛ طالما في الدُّنيا ذكرتموني ، وعلى نعمتي شكرتموني ، وفي الأسحار استغفرتموني[(١)] . فأكثروا إخواني من قول : لا إله إلا الله .

يقول تعالى في بعض كتبه المنزلة : يا عبادي ، أكثروا من قول لا إله إلا الله ، فإنها حصني ، ومن دخل حصني أمِن من عذابي[(٢)] . واعلموا أن ساعات الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة ، وحروف لا إله إلا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفًا ، فمن قالها بإخلاص غُفر بكل حرف ذنوب /[١٩٣و] ساعة ، فلا يبقي عليه ذنب فعله في تلك الساعات ، فكيف من يُكثر من ذكرها؟ .

إخواني ، إن كنتم عاصين فقولوا لا إله إلا الله ؛ فإن ببركتها تُكفَّر الذنوب ، وإن كنتم طائعين فمجدوا الله بقول لا إله إلا الله ، فإن ببركتها يحصل لكم الأمن والأمان ، الأمن من زوال الإيمان ، والأمان من المخوفات في الدُّنيا والآخرة ، فيا أيها العصاة ، أكثروا من قول لا إله إلا الله ، فإن ببركتها يحصل لكم العفو والغفران من الملك المنان .

[يقو الله تعالى] يا ابن آدم ، من عصاني وندم ، سترته ، ومن آيس من رحمتي أهلكته ، يا ابن آدم ، من عرف الحق فاتبعه فاز ، ومن عرف الباطل فاجتنبه آمن .

يا ابن آدم ، منْ عرفني فأطاعني نجا ، ومن عرف الآخرة فطلبها وصل إليها بحسن الإلتجاء ـ والله يهدي من يشاء ـ فالعبيد عبادي ، والهداية هدايتي ، يا ابن آدم ، حيث تكفلتُ لك بالرزق ، فاهتمامك فضول ، وإذا أدريتُ عليك النِّعم فالبخل غير معقول ، يا ابن آدم ، إذا كان العقاب في النَّار ، فالاستراحة لماذا؟ ، وإذا كان

(١) الحديث عن عائشة أم المؤمنين ـ مع اختلاف في اللفظ ـ أخرجه الديلمي في الفردوس المأثور للخطاب ٢/ ٣١١ ، والمناوي في فيض القدير ٤/ ٥٧ .
(٢) الحديث مرفوعًا عن علي أخرجه القضاعي في مسنده ٢/ ٣٢٣ .

إبليس عدوك ، فطاعته لماذا؟ وإذا كان كل شيء بقضائي وقدري ، فالجزع لماذا؟ ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[1] ، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[2] ، فاطلب ما ينجيك ، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[3] ، فأطعني ، ووحدني[4] .

(١) الآية رقم ٢٣ من سورة الحديد .

(٢) جزء من الآية رقم ٨٨ من سورة القصص .

(٣) جزء من الآية رقم ٨٥ من سورة آل عمران .

(٤) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

فصل

في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾(١) .

إن وعْد الله بالجزاء على أعمالكم يوم الحشر ، حق محقق قريب ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، فإنكم غير مخلدين فيها ، إنما الدُّنيا متاع ، ليس له قرار . إلى متى هذا الذُّهول وطول الأمل ، فاطلبوا الآخرة بصالح العمل ، ولا يغرنكم بالله الغرور ـ الشيطان الملعون ـ بأن يمنيكم المغفرة ، وأنتم مصرون على المعصية .

إخواني ، من نظر إلى الدنيا ندم ، ومن ترك هواه سلم ، ألا تنظرون إلى فعلها بأهلها ، طحنتهم كطحن الحصيد(٢) ، ووارتهم في أكفانهم تحت الصعيد ، فأصبحت قصورهم قبوراً ، وما جمعوه هباءً منثوراً ، وكان ذلك على العباد مقدوراً : كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ(٣) .

يُنقل عن عيسى ، أنه قال : مثل الدنيا كرجلٍ يسير في مفازة ، فتبعه جمل هائج ، فيفر حتىٰ ينتهي إلى جُب يريد أن يطرح نفسه به ، فطرح نفسه فوقع على شجرة ، فتعلق بها ، يقول : كيف يصير حالي ، الجمل فوقي ، ثم نظر إلى أسفل

---

(١) الآيات من ٥ ـ ٧ من سورة فاطر . وسيبدأ المؤلف في شرحها .

(٢) الحصيد : حصد الزرع وغيره من النبات : قطعه بالمنجل . لسان العرب (مادة : حصد) .

(٣) الحديث عن ابن عمر أخرجه البخاري (كتاب الرقاق ، باب قول النبي ﷺ : كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) ٥/ ٢٣٥٨ ، والحديث ـ بألفاظ أطول ـ عن ابن عمر أخرجه الترمذي (كتاب الزهد ، باب ما جاء في قصر الأمل) ٤/ ٤٩٠ ـ ٤٩١ ، وابن ماجه (كتاب الزهد ، باب مثل الدنيا) ٤/ ٦٧٣ ، وأحمد في المسند ٣/ ٣٨٣ .

الجُب ، فإذا ثعبان فاتح فاه ، يريده ، فازداد وجلاً / [١٩٣ظ] وجعل يقول : الجمل يطلبني من فوقي ، والثعبان يطلبني من تحتي ، وقال : حتى أنظر إلى أصل الشجرة ، فإذا أصلها عرقان دقيقان ، عندهما فأرتان ، أحدهما سوداء ، والأخرى بيضاء ، يقطعان العرقين بأسنانهما ، فازداد وجلاً خيفة السقوط ، فنظر إلى غصن من أغصان الشجرة ، فإذا عليه ثمرات ، فتناول منها ، فاستحلَّاها ، فنسى الجمل ، والثعبان ، والفأرتين وما تفعلان بالعرقين[١] .

قالوا : أما الجمل فملك الموت يطلبه ، وأما الشجرة المتعلق بها فأجل الإنسان المتعلق به ، وأما الفأرتان فالليل والنهار يُقطعان من أجله ، وأما الثعبان فالقبر والنار ، والتمرات حلاوة الدُّنيا التي أنسته ملك الموت وجهنم والقبر ، والليل والنَّهار اللذان يُقطعان من أجله .

يقال إن موسى ، مرَّ بكافر ومؤمن يصيدان السمك ، فجعل الكافر يرمي الشَّبكة على اسم اللَّات والعزى ، فتخرج شبكته مملوءة ، والمؤمن يسجد لله ويذكره ، ويرمي شبكته ، فتخرج خالية ، فعجب موسى من ذلك ، فعل كل منهما ثلاثا ، فبكى موسى ، وقال : يا رب ، لم يبق لي صبر من غم هذا المؤمن ، فأوحى الله لموسى أن ارفع رأسك ، وانظر لما أعددته للمؤمن ، فنظر إلىْ أعلاه فمثُلت له الجنة ، مفتحة الأبواب مكتوب على بابها اسم ذلك الرجل ، وفيها من النَّعيم ما لا يُعد ولا يُحصى ، وفيها حوض من الذهب ، وحوض من الفضة ، فقال تعالى : يا موسى ، قل لعبدي المؤمن أيُما أحب إليه؟ أن أسوق له حسان البحر بدلًا عن هذا النَّعيم ، أم هذا النعيم؟ فأخبر موسى الرجل بما قال ربه عزَّ وجلَّ ، فبكى الرَّجل فقال : إلهي إن

---

(١) الأثر عن عيسى عليه السلام ذكره الصفوري في نزهة المجالس (باب الزهد والقناعة والتوكل)٢/ ٢٨ .

منعت عني الرِّزق رضيتُ طمعًا في رضاك ، فكيف إن منعت عني الحيتان؟[١] .

فهذا رجل رضى بالنعيم الجليل ولم يرض بمتاع الدنيا ، فإن متاعها قليل .

ويقال إن نبيًا من الأنبياء عليهم السلام ، شكا إلى الله تعالى احتباس الرِّزق ، فأوحى الله إليه إن أتيت البحر ، فاستخرج منه حجراً وشقه ، ففعل كما أُمر ، واستخرج حجراً من البحر فشقه ، فوجد فيه دودة في فمها ورقة رطبة تلوكها ، فقال تعالى : يا نبي ، إني ما ضيعت هذه الدودة داخل هذا الحجر ، أفتراني أُضيع نبيًا من أنبيائي ، فإن خطر لك هم الرزق بعد هذا لأسلبنك ثوب النبوة ، ولأعذبنك عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين[٢] .

قال علماء الحرف : من داوم على قراءة الفاتحة ، درّ الله عليه الرزق[٣] .

ويقال إن رجلاً قال لموسى : يا كليم الله ، ادع الله أن يرزقني ، فلما ناجى ربه سأل ربه أن يرزق الرَّجل ، فقال تعالى : يا موسى ، أتسأل له قليلاً أم كثيراً ، قال : يا رب كثيراً ، فلما أصبح موسى ، وقصده الرَّجل فافترسه السبع وأكله ، فعجب موسى ، وقال : يا رب ، هذا ما سألته له؟ فأوحى الله إليه أن : يا موسى ، سألت له الكثير ، وكل ما في الدنيا قليل ، فأعطيته الكثير في الآخرة[٤] .

عن عليٍّ ، أنه قال في وصفه الدُّنيا : هى دار / [١٩٤و] من صح فيها أمِن ،

(١) الأثر غير منسوب وبألفاظ مختلفة ذكره السمرقندي في تنبيه الغافلين (باب الصبر على البلاء والشدة) ٢٠٥-٢٠٦ ، والصفوري في نزهة المجالس (باب الزهد والقناعة والتوكل) ٢/ ١١ ، والصحيح في الأثر عدم نسبته إلى موسى عليه السلام ؛ وذلك لعدم وجود اللات والعزى في زمن موسى عليه السلام .

(٢) انظر الحكاية في روح البيان لإسماعيل حقي (سورة هود : ٦) .

(٣) علم الحرف : الحروف هي الحقائق البسيطة من الأعيان عند مشايخ الصوفية . انظر التعريفات للجرجاني ، ص ١٤٨ .

(٤) انظر الحكاية مع اختلاف بعض ألفاظها ، في روح البيان لإسماعيل حقي (سورة الزمر : ٨) .

ومن افتقر فيها حزن ، ومن استغنى فيها فتن ، في حلالها الحساب ، وفي حرامها العقاب[١] .

وقال ابن مسعود : الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له[٢] . وقال يونس بن عبيد : ما شُبهت الدُّنيا إلا برجلٍ ، نام فرأى في منامه ما يكره وما يحب ، ثم انتبه[٣] .

أخي ، ألا تتعظ بمرور الأيام والليالي والشّهور ، أخي ، ألم تدر أن الحزن يعقب السّرور ، أخي ، أو لم تعلم أن آخر الأمر القبور ، كم خلت في الدُّنيا دور ، كم هُدمت فيها القصور ، وما الحياة الدُّنيا إلا متاع الغرور ، إن هي إلا قنطرة ، والنَّاس عليها عبور ، أعميت الأبصار؟ لا والله ، ولكن تعمى القلوب التي في الصّدور .

واعلم يا أخي ، أن الفاتحة أمان لهذه الأمة من النَّار بالحفظ من المِلل الضالة ، فمن قرأها نجا منها ، وهي خالية من سبعة : الثاء من الثبور ، والجيم من الجحيم ، والخاء من الخزي ، والزاي من الزَّقوم ـ شجر في النَّار ـ إذا أكل منها الجهنميون خرجت للحال من أدبارهم ، والشين من الشقاء ، والظاء من لظى ، والفاء من الفراق ، فمن قرأها أمِن ذلك كله ؛ لأن آياتها سبع ، وأبواب جهنم سبع ، فبكل آية يُغلق باب من تلك الأبواب ، وبكلٍ ينجى . من أخذ هذه السَّبع ، والسماوات سبع ، والأرضون سبع ، والبحار سبع ، وأقاليم الدُّنيا سبع ، يدعو لقارئها ملائكة السماوات والأرض ، وحيتان البحار ، وكل ما في الأقاليم من الأحجار ، والرِّمال ، والأشجار ، والنبات . تمناها الخضر وإلياس عليهما السَّلام ، فلم يُعْطِيانها ، فلمّا طال تضرعهما ، أوحى الله إليهما : إن تلك ذخيرة ادخرتُها لمحمد وأمته ، ولكن اشربا من ماء الحياة لتبقيا إلى

---

(١) الأثر عن علي بن أبي طالب ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا ، ص ٢٦ .

(٢) الأثر عن ابن مسعود أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في الزهد وقصر الأمل) ٧/ ٣٧٥ ، والحديث مرفوعًا عن عائشة أم المؤمنين أخرجه أحمد في المسند ٤٠/ ٤٨٠ .

(٣) الأثر عن يونس بن عبيد ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الدنيا ، ص ٢٨

زمن حبيبي محمد ، فأتياه ، وتعلماها منه . فلما أدركا النَّبي ﷺ ، جاءَاه ، وتعلماها منهُ ، وقالا له : ياحبيب الله ، الآن تمت نعمة الله علينا ، لا نريد الحياة بعد هذا ، فقال لهما النبي ﷺ : لا تقولا ذلك ، يا خضر ، أنت عون أمتي في المفاوز ، يا إلياس ، أنتَ عون أمتي في البحار(١) .

يقال : إن لله ملكًا تحت العرش ، لم يزل يعبد الله قائمًا ، رأسه كرأس الآدمي ، له سبعون ألف جناح عن يمينه ، وسبعون ألف جناح عن يساره ، في كل جناح اثنى عشر ألف ريشة ، كل ريشة كما بين المشرق والمغرب ، على كل ريشة صف من الملائكة الكرّام ، مكتوب على جبهته سورة الفاتحة ، وعلى خدّه الأيمن سورة الإخلاص ، وعلى خده الأيسر قوله تعالى : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾(٢) ، وبين يديه سبعون ألف صف من الملائكة الكرام ينظرون إلى جبهته ، ويقرؤون سورة الفاتحة ، فإذا بلغوا إلى قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(٣) سجدوا ، لا يرفعون رءوسهم ، فيوحِي الله إليهم أن ارفعوا رءوسكم يا ملائكتي ، قد رضيت عنكم ، فيقولون : يا إلهنا وسيدنا ، نسألك أن ترضى عمن قرأ الفاتحة من أمة محمد ، فيأتيهم الخطاب إني أجبت سؤالكم ، ورضيتُ عنكم(٤) .

إخواني ، خمسة أشياء من قالها دخلْ الجنة بغير/ [١٩٤ظ] حساب ، من قال : بسم الله الرحمن الرحيم أول كل عمل ، ومن قال : استغفر الله عقيب كل ذنب ، ومن إذا قال : إنا لله وإنّا إليه راجعون عقيب كل مصيبة ، ومن قال : الحمد لله رب العالمين عقيب كل نعمة أُعطيها ، ومن قال : لا إله إلا الله معتصمًا بها .

---

(١) لم نجده فيما بين أيدينا من الكتب .

(٢) جزء من الآية رقم ١٨ من سورة آل عمران .

(٣) الآية رقم ٥ من سورة الفاتحة .

(٤) انظر القول غير منسوب ذكره الصفوري في نزهة المجالس (فصل في فضل البسملة)٢/ ٤٣- ٤٤ .

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ﴾[١] إبليس اللعين ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ ظاهر العداوة ، عداوته قديمة من زمن أبيكم آدم ، ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ ، احذروه .

وخافوا على عقائدكم منه ، بأن يحبب إليكم المعاصي ، فإنها بريد الكفر ، واحذروه ، بأن يحبب إليكم ما يُبطل طاعاتكم ، وهو الكفر والعياذ بالله تعالى ، ﴿إِنَّمَا﴾ الشيطان اللعين ﴿يَدْعُو حِزْبَهُ﴾ حزبه : الذين كفروا بالله وبرسوله إلى الركون إلى الدُّنيا ، واتباع الهوى ، هوى النَّفس ، أو الأهواء ، أي ملة من الملل المبدعة ليكونوا ﴿ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ .

أخي ، ألا ترى رسول الله ترك الدُّنيا حتى إن عمر دخل عليه ، فوجده متكئًا على حصير أثَّرت في جنبه ، فبكى عمر ﷺ ، فقال له ﷺ : ما يبكيك ياعمر؟ ، قال : يا رسول الله ، إن كسرى وقيصر على فرش الديباج ، وأنت على حصير أثَّر في جنبك ، فقال : يا عمر ، حبذا خشونة حصير بعدها اللين في النَّعيم ، إنّا تركنا الدُّنيا لأهلها ، وهم تركوا لنا الآخرة ، يا عمر ، مامثلي ومثل الدُّنيا إلا كراكب سائر في يوم مصيف ، استظل تحت شجرة ، ثم ذهب وتركها[٢] .

أخي ، ألا ترى الصديق أنفق على النبي ﷺ أربعين ألف دينار في السر ، وأربعين ألف دينار في العلانية[٣] ، فلم يبقَ عنده شيء ، حتى إنه لم يخرج من داره ثلاثة أيام لقدم الثَّوب ، ولم يحضر مجلس النبي ﷺ ، فجاء ﷺ منزل فاطمة رضي الله عنها ، نقما[٤] على أبي بكر ﷺ ، وقال :يا فاطمة ،ليس عندنا شيء نطعمه أبا

(١) تتمة شرح آيات سورة فاطر .

(٢) الحديث دون عبارة : ياعمر ، حبذا خشونة حصير بعدها اللين في النعيم ، إنّا تركنا الدنيا لأهلها ، وهم تركوا لنا الآخرة . عن ابن عباس ، أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٤٧٤ ، وعبد بن حميد في مسنده ، ص٢٠٦ ، والحاكم في المستدرك(كتاب الرقاق) قال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم٨/ ٢٨٠١-٢٨٠٢ .

(٣) انظر مكاشفة القلوب للغزالي(باب في الغفلة) ، ص٢٣ .

(٤) نقما : يقال :نقمت على الرجل ، فأنا ناقم إذا عتبت عليه .ما نقمت منه إلا الإحسان . لسان العرب (مادة : نقم) .

بكر ، فقالت فاطمة رضي الله عنها : يا أبي ، ليس عندنا شيء أطعمه إياه ، فخرج من عندها حزينًا ، وحزنت فاطمة رضي الله عنها لحزن أبيها على أبي بكر رضي الله عنه [١] .

أخي ، ألا ترى حين زوج النبي ﷺ فلطمة من علي رضي الله عنهما ، دعى أبا بكر وعمر وسلمان وأسامة ، رضي الله عنهم ، ليحملوا جهاز فاطمة رضي الله عنها ، فحملوا طاحونة ، وجلدًا مدبوغًا ، ووسادة حشوها من الليف ، وسُبْحَةُ[٢] من النَّوى[٣] ، وركوة[٤] ، وقصعة ، فبكى أبو بكر ، وقال : هذا جهاز فاطمة ابنة رسول الله ، فقال له ﷺ : هذا كثير لمن كان في الدُّنيا عابر سبيل[٥] .

أخي ، كان من أمر فاطمة رضي الله عنها في بيتها تطحن الشّعير بيدها ، وتقرأ القرآن بلسانها ، وتفسره بقلبها ، وتحرك مهد الحسن والحسين برجلها ، وكان عليها ثوبٌ به اثنى عشر رقعة ، وتبكي من خشية الله تعالى ، لا حزنًا على الدُّنيا بعينها . والمرأة في زماننا تضرب على الدُّف بيدها ، وتحب الدُّنيا بقلبها ، وتغتاب بلسانها ، وتغمز بعينها ، وترقص برجلها ، فكيف تدخل/ [١٩٥و] الجنة؟

واعلم أن أبا بكر ، لما لم يخرج ثلاثة أيام من بيته لعدم السّاتر ، وقد صعب على النبيّ ﷺ ، فعند ذلك عمدت فاطمة رضي الله عنها إلى وسادة دخلت معها في جهازها ، وكانت نسجتها بنفسها ، فبعثت بها مع خادمتها إلى أبي بكر ، وقالت لها : ادخلي على أبي بكر وسلّمي عليه ، وقولي له : تقول لك فاطمة ، قد علمنا ما فعلت

(١) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٢) السُّبْحَةُ : الخرزات التي يَعُد المسبح بها تسبيحه . لسان العرب(مادة : سبح) .

(٣) النوى : جمع نوات التمر . لسان العب(مادة : نوى) .

(٤) الركوة : إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء . لسان العرب(مادة/ركا) .

(٥) لم نجده بهذا اللفظ . وروي أحمد في مسنده عن علي ، قال : جهّز رسول الله ﷺ فاطمة في خميل ، وقربة ، ووسادة أدم حشوها ليف الإذخر . أحمد في مسنده ٢/ ٧٣ ، والنسائي (كتاب النكاح ، باب جهاز الرجل ابنته) ص٥٢٣ .

في حق أبينا ، وليس عندها شيء سوى هذه الوسادة ، فلما أقبلت الخادمة على منزل أبي بكر ، قالت : السَّلام عليكم أهل بيت الصّديق والإيمان ، سيدتي فاطمة ابنة رسول الله ، تُقرئكم السلام ، فعند ذلك عجّل أبو بكر بالخروج ليرى وجه النبي ﷺ ، لكثرة اشتياقه إليه ، وقد خلل ثوبه بخلال النّخل[1] ، فجاء النبي ﷺ ، فنزل جبريل ، وقد لبس ثوبًا من صوف متخللاً بخلال النخل ، فقال له ﷺ : يا أخي جبريل ، مالي أراك هذا اليوم بهذا الزّي؟ ، قال : يا رسول الله ، لا تعجب مني ، فإنه لم يبق في الملكوت الأعلى ملكٌ ؛ إلا تزيّا بهذا الزّي حبًا لأبي بكر ، وموافقة لفعله ، وقال : يا محمد ، الحق يقرئك السَّلام ، ويقول لك قل لأبي بكر ، أنا راضٍ عنه ، فهل هو راضٍ عني بفقره ، فبكى أبو بكر ، وقال : يا رسول الله ، أنا عند الله تعالى بهذه المنزلة؟ فقام مترجلاً ، وقال : أنا عن ربي راضٍ ، أنا عن ربي راضٍ ، أنا عن ربي راضٍ[2] ، ما بقى لي مال لأنفقه في وجوه البر ، ولكن أشهدك يا رسول الله ، أني جعلتُ جميع حسناتي شفاعة للمذنبين من أمتك يوم القيامة ، فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلّم : يا أيها الناس ، ما نفعني مال كمال أبي بكر[3] . كان نصرة للمؤمنين

---

(١) خل الكساء وغيره يخُلُّه خلًا : جمع أطرافه بخلال . لسان العرب (مادة : خلل) . الحكاية حتى هذا اللفظ لم نجدها فيما بين أيدينا من كتب . ومما يُرجع عندنا أن هذه الحكاية بعيدة عن الصحة لأن السيدة فاطمة رضي الله عنها لم يكن عندها خادمة كما ورد في الحديث .

(٢) لم نجد الحكاية بهذه الألفاظ . والموجود عن ابن عمر ، قال : بينا النبي ﷺ جالس ، وعنده أبو بكر الصديق وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال إذ نزل عليه جبريل ، وقال : يا رسول الله ، مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال؟ قال : يا جبريل أنفق ماله عليٌّ قبل الفتح . قال : فأقرئه من الله السلام ، وقل له يقول لك ربك : أراض أنتَ عني في فقرك هذا . انظر : صفة الصفوة لابن الجوزي (ترجمة أبو بكر الصديق) ١/ ٩٥ ، والحلية لأبي نعيم (ترجمة سفيان الثوري) ٧/ ١٠٥ .

(٣) الحديث دون عبارة أبي بكر الصديق ، جزء من حديث أبي هريرة أخرجه الترمذي (كتاب المناقب ، باب مناقب أبي بكر الصديق)قال عنه أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ٥/ ٥٦٨- ٥٦٩ ، والحديث مختصراً عن أبي هريرة أخرجه أحمد في المسند ١٢/ ٤١٤ ، وابن ماجه (المقدمة ، باب فضل أبي بكر الصديق) ١/ ٥٨ .

في الدُّنيا ، وجعل حسناته شفاعة للمذنبين في الآخرة ، يدل عليه قوله ﷺ : أرحم أمتي بأمتي أبو بكر(١) .

فانظر يا أخي ، إلى ما كان من أبي بكر ، قد حصل منه النَّفع في الدُّنيا والآخرة ، فكيف لا تجب علينا محبته ، قال صلى الله عليه وسلَّم : حُبّ أبي بكر واجب على أمتي(٢) . وكيف لا نرضي عنه ، وكيف لا نحب محبيه ، ونبغض مبغضيه ، وهو أول من أسلم من الرّجال ، وأظهر الإسلام ، بأعلى مقال ، وقال له النبي ﷺ : يا أبا بكر ، إن الله قد أعطاك الرِّضوان الأكبر ، فقال : وما هو يا رسول الله؟ ، قال ﷺ : هو أن يتجلى الله عز وجل يوم القيامة لعباده عامة ، ولك خاصة(٣) .

ويقال إن الله تجلى على جنة عدن في الليلة التي ولد فيها أبو بكر رضي الله عنه ، فقال عزَّ وعلا : وعزتي وجلالي لا أُدخلك إلا من أحب هذا المولود(٤) . وتباشرت الملائكة ليلة مولده رضي الله عنه(٥) . ويقال إن النبي ﷺ ، قال ليلة الإسراء لجبريل عليه السلام ، في الملأ الأعلى فوق السماوات العلى : يا أخي جبريل ، هل على أمتي حساب؟ ، قال :

---

(١) جزء من حديث عن أنس بن مالك أخرجه الترمذي (كتاب المناقب ، باب مناقب معاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت . . .) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٥/ ٦٢٣ ، وابن ماجه (المقدمة ، باب فضائل خباب) ١/ ٧٤ـ ٧٥ ، وأحمد في المسند ٢١/ ٤٠٦ .

(٢) الحديث عن أنس ذكره الصفوري في نزهة المجالس (باب مناقب أبي بكر الصديق) ٢/ ١٨٩ .

(٣) الحديث مع اختلاف يسير في اللفظ ـ عن جابر بن عبد الله أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب معرفة الصحابة) قال الذهبي : تفرَّد به محمد بن خالد . . . وأحسب محمداً وضَعَهُ ٥/ ١٦٨٥ ، وانظر : كشف الخفاء للعجلوني ١/ ٢١٨ .

(٤) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٥) القول لابن عمر ذكره الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٣/ ٤٢٥ . وتباشرت الملائكة : أي تناقلت البُشرى .

نعم ، ما خلا أبا بكر فينادى يوم القيامة : يا أبا بكر ادخل الجنة ، فيقول : لا أدخلها حتى يدخل معي من أحبني في الدُّنيا[١] .

ويقال : إن لله علمًا من نور مكتوب عليه : لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله ، أبو بكر الصديق[٢] . وعن النبي ﷺ ، أنه قال : رأيتُ ليلة أُسرى [بي] في وجه / [١٩٥ظ] الشمس سطرين مكتوبين ، الأول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أبوبكر الصّديق ، الثاني : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، عمر الفاروق[٣] .

قالوا سُمِّيَ بالصديق على لسان جبريل ، لتصديقه النبي ﷺ ، في قصة المعراج[٤] .

ولما أسلم جاء طلحة - له على لسان[٥] قريش - وقال له : قم إلى اللّات والعُزى ، فقال الصديق لطلحة : ومن اللات والعزى؟ قال : بنات الله ، قال الصديق لطلحة : ومن أمهم؟ فسكت ، وسكتت قريش ، فعند ذلك قال طلحة : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، فأخذه أبو بكر ، وجاء به إلى النبي ﷺ[٦] . ولا يرد سبق عليٍ وورقة بن نوفل رضي الله عنهما ، لأن عليًا ، كان صغيراً ، وأما ورقة فإنه لم يصل إلى فضل أبي بكر ، لجهاد أبي بكر ، في سبيل الله بيده ولسانه .

---

(١) الحديث موضوع ذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية ١/ ١٩٠ ، والشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، ص٣٥ .
(٢) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .
(٣) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .
(٤) انظر : البداية والنهاية لابن كثير (قصة الإسراء برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس) ٣/ ١١٥ .
(٥) أي على قول قريش .
(٦) عن قصة إسلام طلحة بن عبيد الله انظر : البداية والنهاية لابن كثير (فصل أول من أسلم من متقدمي الإسلام والصحابة وغيرهم) ٣/ ٣١- ٣٢ ، ولم نجد فيها قصته مع أبي بكر وسؤاله القيام إلى اللات والعزى .

قالوا : رأى أبو بكر في الغار طيراً مضى عليه ثلاثة أيام لم يأكل فيه ولم يشرب ، فعجب لذلك ، فسأل النبي ﷺ ، فسأل الله تعالى ، فأوحى الله تعالى إليه : يا محمد ، قل لأبي بكر يسأله ، فسألِ الطَّير أبو بكر ، فأنطق الله الطَّير له ، فقال : يا أبا بكر ، إن الله تعالى خلقني قبل أن يخلق الدُّنيا بأثنى عشر ألف سنة ، وأجلسني على هذا الجبل ، فإذا احتجت إلى الطعام أدعو لمحبيك فأشبع ، وإذا عطشت أدعو على مبغضيك فأُروى(١) .

قالوا : أو لم يسجد لصنم قط؟ فقال له عمر : عشت كذا وكذا في الجاهلية ، فكيف لم تسجد للأصنام؟ فقال : يا عمر ، أخذني والدي يوماً لبيت الأصنام ، وقال لي : هذه ألهتك ، وتركني عندها ، فدنوت من صنم ، وقلت له : إني جائع فأطعمني ، فلم يجبني ، ثم قلتُ له : إني عطشان فاسقني ، فلم يجبني ، ثم قلتُ له : إني عارٍ فاكسني ، فلم يجبني ، ثم أخذتُ حجراً فقلتُ له : إني ملق عليك هذا الحجر ، فإن كنت إلهاً فادفع عن نفسك ، فلم يجبني ، فألقيت الحجر عليه فوقع على وجهه ، فلما رأي أبي ذلك مني ، أخبر بذلك أمي ، فقالت : دعه فإنه الذي نجانا من النَّار(٢) .

ويقال مات رجل في المدينة ، فنزل جبريل ، وقال : يا محمد ، لا تصلي عليه ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، ما علمت منه إلا خيراً ، فنزل جبريل ، ثانيا ، وقال : يا محمد ، صلي عليه ، فإن شهادة أبي بكر مقدمة على شهادتي(٣) .

قيل : لم قال تعالى لموسى : ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾(٤)؟

---

(١) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٢) انظر : الأثر في المصباح المضيء ، لابن حديدة الأنصاري ، ص ٣٨ـ ٣٩ .

(٣) انظر الحكاية في نزهة المجالس للصفوري (مناقب أبا بكر) ٢/ ١٤٩ .

(٤) جزء من الآية رقم ١٣ من سورة طه .

قيل : لأن أبا بكر ، خُلق من ذلك التراب[١] .

جاء في الحديث عن النبي ﷺ ، أنه قال : إن الله خلقني من نور ، وخلق أبا بكر من نوري ، وخلق عمر وعائشة من نور أبي بكر ، وخلق المؤمنين من نور عمر ، والمؤمنات من نور عائشة ، فمن لم يحبني ويحب أبا بكر ، وعمر ، وعائشة ، فما له من نور[٢] .

يقال : رأى النبي ﷺ ، ليلة الإسراء خيولاً من نور ، فقال لجبريل : يا أخي ، لمن هذه؟ ، قال : لمحبي أبي بكر وعمر ـ أي فيركبونها عند خروجهم من قبورهم ، حتى توصلهم إلى باب الجنة ، وتدخلهم فيها فلا يجدون / [١٩٦و] تعبا أبداً[٣] .

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾[٤] من بعد ما كانوا كفاراً في الجاهلية .

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ : الطاعات ومجاهدة الكفار ، وخالفوا الشيطان ، وهوى النفس ، وأطاعوا الله ورسوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صدقًا أو مستقيمًا ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ يتقبل حسناتكم ، ويُزكي أعمالكم ، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ، كما قال تعالى ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم : ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٥] ، ظفر بالخير كله ، كما قال تعالى : ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ، أي لهم أجر عظيم .

أو يقال : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ولدوا مسلمين وداموا على الإيمان مثلنا . ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الطاعات ، وفعل الخيرات . ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ، ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدره قدره .

---

(١) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٢) الحديث عن أنس ذكره القرطبي في التفسير (سورة النور : الآية رقم ٤٠) .

(٣) انظر الفوائد المجموعة للشوكاني ١/ ٣٣٧ ، والموضوعات لابن الجوزي ١/ ٣٢٢ .

(٤) تتمة شرح الآيات من ٥ـ ٧ من سورة فاطر .

(٥) الآيتان ٧٠ ، ٧١ من سورة الأحزاب . وقد شرحهما المؤلف في سياق شرحه لآيات سورة فاطر .

وليُعلم أن الله تعالى فضَّل هذه الأمة بعشر خصال ، فإنه يُنقل عن موسى أنه قال في مناجاته : يارب ، أمة محمد أحب إليك أم بنو إسرائيل؟ ، قال تعالى : أمة محمد أحب إليَّ من جميع الأمم ، قال موسى : يارب ، فبم فضلتهم على سائر الأمم؟ قال تعالى : بعشر خصال ، قال موسى : يارب ؛ وما هي حتى آمر بنو إسرائيل بها؟ ، قال تعالى : يا موسى ، بالصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصيام ، والجهاد ، وصوم عاشوراء ، وصلاة الجمعة ، والجماعة ، وصوم النفل ، ورياض الجنة ، قال موسى : يارب ، وما رياض الجنة؟ قال تعالى : يا موسى ، هي المجالس التي يجلسها أمة محمد لسماع العلوم ، ولذكر نعمائي ، لا يقومون منها إلا قد غفرتُ لهم ، يا موسى ، أمرتُ أمة محمد بصلاة ركعتين مابين طلوع الفجر والشمس ، فمن صلاهما أكتب له رحمة ومغفرة ، وأمرتُهم بأربع ركعات بعد الزوال ، فمن صلاها رحمته ، وأمنتُه من عذابي ورضيتُ عنه ، وأدخلتُه جنتي بفضلي ، وأمرتُهم بأربع ركعات إذا صار ظل كل شيء مثليه ، فمن صلاها أعطيته بكل ركعة قصراً في الجنة ، كل قصر بقدر الدُّنيا ، وأمرتُهم بثلاث ركعات بعد غروب الشمس فمن صلاها أعطيته بكل ركعة بيتًا في الجنة ، كل بيت بقدر الدُّنيا ، وأمرتُهم بأربع ركعات بعد مغيب الشفق[1] ، فمن صلّاها أمنته من سكرات الموت ، وغياهب[2] القبر ، وأسمع ندائه ، واستجب دعاءه ، وأمرتُهم بالغُسل من الجنابة ، فما تُقطر من جسدهم قطرة إلا كتُبت لهم بها عشر حسنات ، ومحوتُ عنهم عشر سيئات ، ورفعتُ لهم عشر درجات ، وأمرتهم بزكاة أموالهم فإذا أدوها قبلتُ حسناتهم وتجاوزتُ عن سيئاتهم ، واستجبتُ دعواتهم ، وأمرتُهم بالحج إلى بيتي الحرام ، فإذا حجوا أو اعتمروا ؛ كتبتُ لهم بكل خطوة ثواب عتق رقبة مؤمنة ، وأعتقتُهم من النار ، يا موسى ، أكرمتُ أمة محمد إكرامًا لحبيبي محمد . فعند ذلك قال موسى : يارب ، واشوقاه إلى محمد وأمته ، وقال : يارب ؛

---

(١) الشفق : الحمرة بعد غروب الشمس إلى وقت العشاء الأخيرة ، فإذا ذهب ، قيل : غاب الشفق . لسان العرب(مادة : شفق) .

(٢) غياهب : الغيهب : الظلمة ، والجمع : الغياهب . لسان العرب(مادة : غهب) .

أرني إياهم؟ قال تعالى : يا موسى ، لن تراهم ، فإن أحببت أن تسمع كلامهم أسمعتك ، قال موسى : أسمعني كلامهم يارب ، فناداهم الجليل جلت عظمته ، فقال : يا أمة محمد ، أجيبوا ربكم ، فأجابوا من أصلاب/ [١٩٦ظ] الآباء وأرحام الأمهات : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، فقال : يا موسى ، هذا جواب أمة محمد من أصلاب آبائهم وأرحام أمهاتهم ، فحن إليهم موسى ، ودعا لهم .

قال العلماء رضي الله عنهم : فمن أجاب بالتلبية ذلك اليوم حج واعتمر عدد ما لبى ، ومن لم يجب ، لم يحج ولم يعتمر ، ولو كان أقرب الناس إلى مكة المُشرفة ، وهذه إجابة ثانية غير التي أجابوا بها نداء إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

يا موسى ، من تقرّب إلي بالنوافل ألحقتُه بالصالحين ، والعابدين ، ومن ناداني منهم في شرف[(١)] بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله ، الله أكبر ، الله أجلّ وأعظم ، رحمتُ محسنهم ، ورضيتُ عنه ، وتجاوزتُ عن مسيئهم ، ومن جاء منهم إلى صلاة الجماعة كتبتُ له بكل خطوة عبادة سنة ، يا موسى ، إني أخلقهم آخر الزمان ؛ لأن خير كل شيء ختامه ، ولئلا يطول مكثُهم تحت التراب ، يا موسى ، وإني مُقصر لأعمارهم كي لا يرتكبوا الذنوب ، وجعلتُ محسنهم شافعًا لمسيئهم ، كل ذلك إكرامًا لمحمد ، يا موسى ، من بلغ منهم الأربعين حفظته من البرص[(٢)] ، والجنون ، والجذام[(٣)] ، ومن بلغ الخمسين غفرتُ له الآثام ، ومن بلغ الستين غفرتُ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ومن بلغ السبعين باركتُ في حسناته ، ومن بلغ الثمانين حببته لملائكتي ، فلا يزالون يستغفرون له إلى يوم القيامة ، ومن بلغ التسعين غفرتُ له جميع ذنوبه ، ورضيتُ عنه ، ومن بلغ المئة رفعتُ عنه القلم وأدخلته جنتي بلا حساب ، يا موسى ، لقد فضلتهم على جميع العالمين ، فعند ذلك قال موسى :

---

(١) الشرف : العلو والمكان العالي . لسان العرب (مادة : شرف) .

(٢) البرص : داء معروف ، وهو بياض يقع في الجسد . لسان العرب(مادة : برص) .

(٣) الجذام : من الداء ، معروفٌ لتجذم الأصابع وتقطعها . لسان العرب(مادة : جذم) .

يارب ، أقرء محمداً وأمته مني السَّلام ، واحشرني تحت لوائه ، واجعلني من أمته ، قال تعالى : يا موسى ، قد فعلتُ ذلك ، وأنا الحليم الكريم ، فقال موسى : شكراً لك يارب[١] .

هذا واعلموا أيها الإخوان أنكم في شهر عظيم الشأن ، ألا وهو شهر ذي الحجة الحرام ، الحري بالإكرام والاحترام ، وإكرامه واحترامه بعدم التجرأ على المعاصي فيه ، وبالخصوص عشره الأول ، فقد خرَّج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أنه قال : قال رسول الله ﷺ : ما من أيام العمل فيها أحب أو أفضل ـ شك الراوي ـ من هذه الأيام ـ يعني أيام العشر ـ قيل يا رسول الله ، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله ؛ إلا رجلًا خرج بنفسه وماله ، ثم لم يرجع بشيء من ذلك[٢] .

وأيام العشر أفضل من الجمعة ، فكيف إذا وافق نهار الجمعة فيها سيما إذا كان يوم عيد ، فالجمعة نفسها [عيد] ، والعيد فيها عيد ، ولقاء الأحباب عيد ، وما أحسن ما قال[٣] : [البسيط]

عِيدٌ وعِيدٌ وعِـيدٌ صرن مجتمعة ... وَجه الحبيب ويوم العيد والجُمعة

أقول وصحة الإنسان عيد ، ولزومه لطاعة الله عيد ، وكونه من المؤمنين عيد ، واجتماعه مع العلماء والصَّالحين عيد ، فأعياد المؤمنين كثيرة .

سُمي عيداً / [١٩٧و] لعوده على المؤمنين بالسرور ، فمن كان من أهل الصحة ، فصحته عيد ، ومن كان من أهل البلوى والفقر ، فتوفر الأجور لهم عيد .

---

(١) لم نجده فيما بين يدينا من كتب .

(٢) الحديث ـ مع اختلاف يسير في اللفظ ـ عن ابن عباس أخرجه البخاري(كتاب العيدين ، باب فضل العمل في أيام التشريق) ١/ ٣٢٩ ، وأبو داود (كتاب الصوم ، باب في صوم العشر) ٢/ ٥٦٦ ، وأحمد في المسند ٣/ ٤٣٣ .

(٣) البيت غير منسوب ذكره الحصكفي في الدر المختار شرح تنوير الأبصار(كتاب الصلاة ، باب العيدين) ، ص١١٢ .

[فصل]

قيل في قوله تعالى : ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾[(١)] ، الفجر طلوعه ، أو صلاة الفجر ، أو النهار ، وقيل فجر معين من العشر ، قيل فجر عرفة ، وقيل فجر عيد النحر[(٢)] ، وقيل فجر نهار الجمعة المصادف في أيام العشر ، وذكر الليالي ستتبع الأيام . وأفضل الأشهر الحرم ذو الحجة ، ومن حديث ضعيف : سيد الشهور رمضان[(٣)] ، وأعظمها حرمة ذو الحجة . وقال صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يوم النحر وهو يخطب :ألا إن أحرم الأيام يومكم هذا ، ألا إن أحرم الشهور شهركم هذا ، ألا وإن أحرم البلاد بلدكم هذا[(٤)] .

ومرَّ من حديث ، قال رسول الله ﷺ : ألا إن الله حرم عليكم دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم ، كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، ألا هل بلغت؟ قال الصحابة : نعم يا رسول الله ، قال ثلاثًا : اللهم أشهد ، انظروا لا ترجعوا بعدي كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض[(٥)] . خرَّجه الشيخان .

قيل في قوله تعالى : ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍوَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾[(٦)] . الشفع : يوم النحر ،

---

(١) الأيتان ١ ، و٢ من سورة الفجر . وسيبدأ المؤلف في شرحهما حتى الآية رقم٣ .

(٢) أنظر تفسير ابن كثير : سورة الفجر (١ ، و٢) والموجود فيه قيل فجر عرفة ، وقيل فجر عيد النحر .

(٣) الحديث عن أبي سعيد الخدري أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (باب في الصيام ، فضائل شهر رمضان) قال عنه : في إسناده ضعف ٣/ ٣١٤ . والحديث بزيادة عبارة : وسيد الأيام الجمعة ، عن ابن مسعود أخرجه الطبراني في الكبير ٩/ ٢٠٥ ، والهيثمي في مجمع الزوائد(كتاب الصيام ، باب في شهور البركة) ٣/ ١٤٠ .

(٤) جزء من حديث عن أبي سعيد الخدري أخرجه ابن ماجه(كتاب الفتن ، باب حرمة دم المؤمن وماله) ٤/ ٦٠٠ ، وأحمد في المسند ١٨/ ٢٨٥ـ ٢٨٦ .

(٥) الحديث عن ابن عمر ـ بألفاظ أطول ـ أخرجه البخاري (كتاب المغازي ، باب حجة الوداع) ٤/ ١٥٩٨ـ ١٥٩٩ . والحديث مع اختلاف في ترتيب العبارات عن أبي بكرة أخرجه مسلم (كتاب القسامة ، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال) ١١/ ١٦٩ـ ١٧٠ .

(٦) الأيتان ٢ ، و٣ من سورة الفجر .

والوتر : الصلوات الخمس(١) ، والليالي العشر : عشر الحجة(٢) . وهي أيام لا يرد الله فيها الدعاء ، كيف ومعظم أفعال الحج يقع فيها ، ومن أعظمها الوقوف بعرفة . متى فات يوم عرفة وليلة العيد ، ولم يقف الإنسان فاته الحج . ويشارك أهل الأمصار أهل عرفة في الذكر والتضحية ، والدعاء والصلوات والصدقات ، إلا ما هو خاص بأهل عرفة . وجاء في هذا العشر : ما من مسلم إلا يغفر الله له في هذه الأيام كل يوم خمس مرات إلا لُعّاب الشطرنج(٣) . فإذا كان اللعب به مانعًا من المغفرة ، فما بالك بغيره من الكبائر ، وقد ورد النهى عن صوم يومي العيد وأيام التشريق(٤) لأنها أعيادنا أيها المسلمون ، وإن وافق الصوم معتاد صومه . حتى قال العلماء : إن من نذر صيامها أفطر وجوبًا وقضاها ، فإن صامها أجزأه الصوم ؛ لأنه أداه كما ألتزمه .

فأكثروا إخواني فيها من كلمة التوحيد ، جاء : من قالها مئة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب(٥) . وجاء : من قال حين يصبح ويمسي ، اللهم إني أصبحت أو أمسيت أشهدك وأشهد حملة عرشك ، وملائكتك ، وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت ، وأن محمداً عبدك ورسولك ، أعتق الله ربعه من النار ، ومن قالها مرتين

---

(١) القول لابن عباس ولفظه : الشفع : يوم النحر ، والوتر : يوم عرفة ، ولم نجد قول الوتر : الصلوات الخمس . انظر : تفسير الطبري ، سورة الفجر ٢ ، و٣ .

(٢) القول لابن عباس وعكرمة ومجاهد . انظر تفسير الطبري ، سورة الفجر٢ .

(٣) الحديث غير مسند ذكره الصفوري في نزهة المجالس(باب فضل عرفة والعيدين) ١/٢٣٠ .

(٤) عن النهي عن صوم يومي العيد أخرج البخاري حديثًا عن أبي عبيد قال : شهدت العيد مع عمر بن الخطاب فقال : هذان يومان نهى رسول الله ﷺ عن صيامهما . (كتاب الصوم ، باب صوم يوم الفطر) ٢/ ٧٠٢ ، ومسلم (كتاب الصيام ، باب النهي عن صوم يوم الفطر ويوم الأضحى) ٨/ ١٧ .
وعن أيام التشريق أخرج البخاري حديثًا عن ابن عمر قال : لم يرخص في أيام التشريق أن يُصَمْن ، إلا لمن لم يجد الهدي (كتاب الصوم ، باب صيام أيام التشريق) ٢/ ٧٠٣ . والحديث عن نُبيشة الهزلي بلفظ : أيام التشريق أيام أكل وشرب . أخرجه مسلم (كتاب الصيام ، باب تحريم صوم أيام التشريق) ٨/ ٢٠ .

(٥) جزء من حديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري(كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده) ٣/ ١١٩٨ـ ١١٩٩ ، ومسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) ١٧/ ٢٠ـ ٢١ .

أعتق الله نصفه ، ومن قالها ثلاثًا أعتق الله ثلاثة أرباعه ، ومن قالها أربعا أعتق الله كله[١] ، ومن قال في يوم : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، عشرة آلاف مرة أعتقه الله من النار ، كما أنه لو جاء بدية من قتله عشرة آلاف درهم قُبلت منه[٢] .

جاء إنه يثاب قائل لا إله إلا الله ، عدد كل كافر وكافرة[٣] ؛ لأنها رادة عليهما ، ونورها حقيقي يبطل به النور المجازي الذي هو نور الشمس ، والقمر ، وكان صلى الله عليه وسلم يمشي في الطرقات ، ويقول : قولوا لا إله إلا الله تفلحوا[٤] . وعن الثوري : لذتها في الآخرة كلذة / [١٩٧ظ] شرب الماء البارد في الدنيا[٥] .

فائدة

قالوا عند تفسير قوله تعالى : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ﴾[٦] : إن القضا يأتي لمعان : بمعنى الفراغ من الشيء كما في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾[٧] ، وبمعنى التمام قال تعالى : ﴿لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى﴾[٨] ، وبمعنى الفصل ، قال تعالى : ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾[٩] ، وبمعنى وجوب العذاب ، قال

---

(١) الحديث عن أنس أخرجه أبو داود (كتاب الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح) ٥/ ١٩٦ ، والحديث ـ مع اختلاف في اللفظ ـ عن سلمان الفارسي أخرجه الحاكم في المستدرك (كتاب الدعاء والتكبير) قال الذهبي : صحيح ٢/ ٧٣٢ ، والبزار في مسنده ٦/ ٤٩٥ ، والطبراني في الكبير ٦/ ٢٢٠ .

(٢) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٣) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٤) الحديث عن ربيعة بن عباد الديلي أخرجه أحمد في المسند ٢٥/ ٤٠٤ـ ٤٠٥ ، والمستدرك في الحاكم (كتاب الإيمان) قال الذهبي : وإنما استشهدتُ بابن أبي الزناد فقد استشهدوا به ١/ ١٩ـ ٢٠ .

(٥) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٦) جزء من الآية ٢٣ من سورة الإسراء .

(٧) جزء من الآية رقم ٢٠٠ من سورة البقرة .

(٨) جزء من الآية رقم ٦٠ من سورة الأنعام .

(٩) جزء من الآية رقم ٤٧ من سورة يونس .

تعالى: ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾(١)، وبمعنى الحتم، قال تعالى: ﴿قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾(٢)، وبمعنى الخبر، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾(٣)، وبمعنى الأمر، قال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾(٤)، وبمعنى الفعل، قال تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾(٥)، وبمعنى الخلق، قال تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾(٦)، وبمعنى الموت، قال تعالى: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾(٧).

فصل [في آداب الدعاء]

قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾(٨)، تضرعًا: بتضرع وابتهال، وخُفية: بلا جهر، فإنه يدل على الإخلاص وعدم الرياء: ﴿إِنَّه﴾: أي الله تعالى، ﴿لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾: في الدعاء وغيره، المتجاوزين ما أُمروا به، قيل الاعتداء في الدعاء: الصياح بالدعاء، قال رسول الله: سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول: اللهم إني أسألك الجنة، وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النَّار وما قرب إليها من قول أو عمل، ثم قرأ: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(٩)، وقيل: الاعتداء أن يطلب الإنسان ما لا يليق من رتبة الأنبياء، والصعود إلى السماء، أو يطلب شيئًا من المحرمات.

---

(١) جزء من الآية ٢١٠ من سورة البقرة.

(٢) جزء من الآية رقم ٤١ من سورة يوسف.

(٣) جزء من الآية رقم ١٠ من سورة الإسراء.

(٤) جزء من الآية رقم ٢٣ من سورة الإسراء.

(٥) جزء من الآية رقم ٧٢ من سورة طه.

(٦) جزء من الآية رقم ١٢ من سورة فصلت.

(٧) جزء من الآية ٧٧ من سورة الزخرف.

(٨) جزء من الآية رقم ٥٥ من سورة الأعراف.

(٩) جزء من حديث عن مولى لسعد بن أبي وقاص أخرجه أبو داود (كتاب الصلاة، باب الدعاء) ٢/ ١٠٩ـ ١١٠، وأحمد في المسند ٣/ ٧٩ـ ٨٠، وأبو يعلى في المسند ١/ ٥٠٥.

ومما يُدعي به في الشدائد ، ما رُوي عن علي ﷺ ، قال : قال لي النبي ﷺ : يا علي ، إذا أصابتك شدة ، فقل : اللهم بحق محمد وآل محمد أن تنجيني مما أخاف[١] .

وقال بعضهم : كنتُ في المدينة بين القبر والمنبر ، فسمعت رجلًا يقول : اللهم إني أسألك عملًا باراً ، ورزقًا داراً ، وعيشًا فائزاً ، فلازمتُ هذا الدعاء فلم أر إلا خيراً[٢] .

ومما يُنقل لأجل الدَّين ، فإنه يحصل له الغناء فيوفى ، يقول صباحًا ومساءًا : لا إله إلا الله الملك الحق المبين ، محمد رسول الله الصَّادق الوعد الأمين[٣] . ومما يُدعي به لدفع السحر : حسبي الله لا إله إلا هو

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾[٤] بالكفر والمعاصي ، ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾[٥] ببعثه الأنبياء والمُرسلين ، والشرائع التي أُنزلت عليهم .

ومن المعاصي التطفل من غير دعوة ، خرَّج أبو داود من حديث قال : قال ﷺ : مَنْ دُعِيَ فلم يُجِبْ فقد عَصَى اللهَ ورَسُولَه ، ومَن دخلَ على غير دَعوَة دخلَ سارِقاً وخرجَ مُغيراً[٦] .

وقد أضاف النبي ضيفًا كافراً ، فأمر له بشاة ، فحُلبت ، فشرب حدَّهُ[٧] بها ، ثم وثم إلى سبع شياه ، ثم أصبح فأسلم ، فأمر له بشاةٍ فحُلبت ، فشرب ، ثم بأخرى ،

---

(١) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٢) الحكاية عن سعيد بن المسيب ذكرها ابن عبد ربه في العقد الفريد(كتاب الدعاء) ٣/ ١٧٣ .

(٣) الحديث ـ مع اختلاف في اللفظ ـ عن عليّ ﷺ أخرجه الألباني في السلسلة الضعيفة ٧/ ٣١٥ .

(٤) سورة الأعراف ، جزء من الآية رقم ٨٥ .

(٥) سورة الأعراف ، جزء من الآية ٨٥ .

(٦) الحديث عن ابن عمر أخرجه أبو داود (كتاب الأطعمة ، باب ما جاء في إجابة الدعوة) ٤/ ٨٢ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في إكرام الضيف ، فصل في التكلف للضيف) ٧/ ١٠٤ .

(٧) الحد : منتهى كل شيء . لسان العرب (مادة : حدد) .

فشرب ولم يستتمه ، فقال ﷺ : إن المؤمن يشرب في معي واحد ، والكافرُ يشرَبُ في سبعةِ أمعاء[١] .

ولا ينبغي أن يأكل الإنسان إلى حد الشبع ، فإنه يضُر بالبدن ، ويورث الجشأ الذي فيه إساءة الأدب ، فإن أبا جحيفة رضي الله/ [١٩٨و] عنه تجشأ يومًا ، فقال له النبي : إنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا ، أَكثرهُمْ جُوعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ[٢] ، فما أكل أبو جحيفة بعد ذلك ملء بطنه حتى فارق الدنيا ، كان إذا تغدى لا يتعشى ، وإذا تعشى لا يتغدي .

وقد أصاب النبي ﷺ الجوع يومًا من الأيام ، فعمد إلى حجر فوضعه على بطنه ، ثم قال : أَلَا رُبَّ نَفْس طَاعِمَة نَاعمَة في الدُّنْيَا جَائعَة عَارِيَة يَوْمَ الْقِيَامَة ، أَلَا رُبَّ مُكْرِمٍ لنَفْسَه وَهُوَ لَهَا مُهِينٌ ، أَلَا رُبَّ مُهِينٌ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُكْرِمٌ[٣] .

وقال ﷺ : من الإسراف أن يأكل الإنسان كلَّ مَا يشتهي[٤] .

وقال : سَيَكُونُ رِجَالٌ مِنْ أُمَّتِي يَأْكُلُونَ أَلْوَانَ الطَّعَامِ ، وَيَشْرَبُونَ أَلْوَانَ الشَّرَابِ ،

---

(١) الحديث عن أبي هريرة أخرجه مسلم (كتاب الأشربة ، باب المؤمن يأكل في مَعيٍّ واحد) ١٤/ ٢٧ ، والبخاري بلفظ : المؤمن يأكل . . .(كتاب الأطعمة ، باب المؤمن يأكل في معي واحد) ٥/ ٢٠٦٢-٢٠٦٣ . والمعي : المصارين ، وقال الأزهري : وهو جميع ما في البطن . والجمع أمعاء . لسان العرب (مادة : معي) .

(٢) الحديث عن أبي جحيفة أخرجه الطبراني في الكبير ٢٢/ ١٢٦ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الرقاق) قال الذهبي : فهد بن عوف كذّبه ابن المديني ٨/ ٢٨٠٤ ، والبزار في مسنده ١٠/ ١٦٢ .

(٣) الحديث عن ابن بجير أخرجه البيهقي بألفاظ أطول في شعب الإيمان (باب في حب النبي ﷺ ، فصل في زهده وصبره) ٢/ ١٧٠ ، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب الطعام ، باب الترهيب من الإمعان في التشبع) وقال عنه : ضعيف جدا ٢/ ٥٥ ، والقضاعي في مسنده ٢/ ٣٠٨ .

(٤) الحديث عن أنس أخرجه ابن ماجه (كتاب الأطعمة ، باب من الإسراف أن تأكل كل ما اشتهيت) ٤/ ٤٢٩ ، والبيهقي في شعب الإيمان (باب في المطاعم والمشارب ، فصل في ذم كثرة الأكل) ٥/ ٤٦ ، وأبو يعلى في مسنده ٣/ ١٦٠ ، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (الموضع السابق) قال عنه : موضوع ٢/ ٥٦ .

وَيَلْبَسُونَ أَلْوَانَ الثِّيَابِ ، يَتَشَدَّقُونَ فِي الْكَلَامِ ، أُولَئِكَ شِرَارُ أُمَّتِي[١] ، لأن ذلك يؤدي إلى التكبر على الفقراء . وإصابة الجوع له صلى الله عليه وسلم لا لمنع الله له من الأكل ، وإنما كان يحب أن يجوع في الدنيا حتى لا يشبع منها ، ولا يلتذ بها ، ومطمعه الآخرة ، ومراده التأسي به .

ومن المعاصي خروج المرأة من بيتها معطرة ، ولو كان ذلك بإذن الزوج ، قال رسول الله : أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ ، فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا ، فَهِيَ زَانِيَةٌ[٢] ، وَكُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ[٣] ، خرَّجه الحاكم وصححه ، والكلية[٤] ليست على بابها ، فالمراد غير عين من عُصم وحُفظ .

ومن المعاصي المعدُودة من الكبائر : أن يتبرأ من نسبه ، أو أنه ينتسب إلى غير أبيه .

---

(١) الحديث عن أبي أمامة أخرجه الطبراني في الأوسط ٣/ ١٨٢ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب المناقب ، باب في فضل أهل البيت) ٩/ ١٧٠ ، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (كتب الأطعمة ، باب الترهيب من الإمعان في الشبع) قال عنه : صحيح لغيره ٢/ ٥٠٥ .

(٢) الحديث ـ مع اختلافي اللفظ ـ عن أبي موسى الأشعري أخرجه أبو داود(كتاب الترجل ، باب ماجاء في المرأة تتطيب للخروج) ٤/ ٢٥٨ ، والترمذي(كتاب الأدب ، باب ماجاء في كراهية خروج المرأة متعطرة) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ٥/ ٩٨ـ ٩٩ ، والنسائي(كتاب الزينة ، باب ما يكره للنساء من الطيب) ص ٧٧٦ ، والحاكم في المستدرك (كتاب التفسير) قال الذهبي : صحيح ٤/ ١٣١٢ .

(٣) الحديث بهذا اللفظ عن أبي موسى الأشعري أخرجه أحمد في المسند ٣٢/ ٢٧٣ ، والبزار في مسنده ٨/ ٤٧ ، وابن خزيمة في صحيحه (كتاب الإمامة في الصلاة ، باب التغليظ في تعطر المرأة عند الخروج) ٢/ ٣٧٢ .

(٤) الكلية : كل عين .

[فصل ومن المعاصي المعدودة من الكبائر] خرّج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص ، قال : قال رسول الله ﷺ : مَنِ ادَّعَى إلى غيرِ أبيه وهُو يَعْلَمُ أنه غيرُ أبيه ؛ فالجَنَّةُ عليه حرامٌ[١] ، وفي حديث آخر خرَّجاه ، : وَمَنْ ادَّعَى مَا لَيْس لَهُ ، فَلَيْسَ مِنَّا ، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ، وَمَنْ دعا رَجُلًا بِالْكُفْرِ ، أَوْ قَالَ : عَدُوُّ اللَّه ، وَلَيْس كَذَلِك ، فقد حَارَ عَلَيْه[٢] ، بالحاء المهملة ، أي رجع عليه ، وفي رواية : من رمى مؤمنًا بكفرٍ فهو كقتله[٣] . حتى لو قال لمسلم : سلبه الله الإيمان ونحوه ، كفر على ما رجحه بعض المتأخرين . وفي البخاري : لاَ تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ فَقَد كفْر[٤] ، وهذا واقع كثيراً ، والنّاس عنه غافلون .

ومن المعاصي المعدودة من الكبائر أن تُدخل المرأة في نسب القوم من ليس منهم ؛ إما بوطيءِ بشبهة ، أو بالزنا ، أو باتخاذ طفل ولد مع الإيهام وإدعاء أنها ولدته . والرَّجل الجاحد لولده أيضًا- خرَّج ابن حبان وغيره عن أبي هريرة ﵁ ، أن رسول الله ﷺ ، قال- لما نزلت آيات الْمُلاعَنَة : أَيُّمَا امْرَأَة أَدْخَلَتْ عَلَى قَوْمٍ مَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ ، فَلَيْسَتْ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ، وَلَنْ يُدْخِلَهَا جَنَّتَهُ ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ جَحَدَ وَلَدَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ ، احتجب الله عنه ، وفضحه على رءوس الخلائق من الأولين والآخرين[٥] .

---

(١) الحديث عن سعد أبي وقاص وأبي بكرة ، أخرجه البخاري(كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف) ٤/ ١٥٧٢- ١٥٧٣ ، ومسلم(كتاب الإيمان ، باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم) ٢/ ٥٤- ٥٥ .

(٢) الحديث عن أبي ذر ، أخرجه مسلم (الموضع السابق) ٢/ ٥٢ ، وأحمد في المسند ٣٥/ ٣٦٩ ، والحديث مختصراً عن أبي ذر أخرجه البخاري(كتاب المناقب ، باب نسبة اليمن إلى إسماعيل) ٣/ ١٢٩٢ .

(٣) الحديث بلفظ : من قذف مؤمنًا . . . وبألفاظ أطول عن ثابت ابن الضحاك أخرجه البخاري (كتاب الأدب ، باب ما يُنهى من السباب واللعن) ٥/ ٤٤- ٤٥ ، وأحمد في المسند ٢٦/ ٣١٢ ، والطبراني في الكبير٢/ ٧٣ .

(٤) الحديث عن أبي هريرة أخرجه البخاري (كتاب الفرائض ، باب من ادعى لغير أبيه) ٦/ ٢٤٨٥ ، ومسلم (كتاب الإيمان ، باب بيان حال من رغب عن أبيه وهو يعلم) ٢/ ٥٤ .

(٥) الحديث عن أبي هريرة أخرجه أبو داود(كتاب الطلاق ، باب التغليظ في الانتفاء) ٢/ ٤٨٢ ، والنسائي(كتاب الطلاق ، باب التغليظ في الانتفاء من الولد) ، ص ٥٤١ ، وابن ماجه(كتاب =

ومن المعاصي المعدة من الكبائر ، ترك الختان إلى ما بعد البلوغ ، فما بالك بمن يتركه بالكلية ، فإنه يترتب على ذلك مفاسد ، من/ [١٩٨ظ] ذلك- على مذهب من يقول بافتراض الاستنجاء- أنه يجب عليه أن يغسل ما تحت القلفة[1] ، وكثير من النَّاس من يتهامل في ذلك ، أو لا يعلمْ الحكم لجهله ، لا سيما في الجنابة ، ما لمْ تكن ملصوقة ، فلا يتكلف إلى فسخها ، ومر نحوه .

ومن المعاصي المعدة من الكبائر : الفرار من الطاعون ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾[2] هم أهل واسط ، فرَّ غالبهم ، وبقيت منهم بقية ، لم يُبق الطاعون إلا أقلهم مرضى ، فلما ارتفع عاد الفارون ، وقد نجوا ، فقال المرضى : ليتنا فررنا بأجمعنا لما أصابنا الطعن ، ولئن جاء الطاعون مرة أُخرى نفر بأجمعنا ، فجاءهم القابلة[3] ففروا بأجمعهم ، حتى كانوا في واد أفيح[4] ، وظنوا النجاة فيه ، وكانوا - قيل - ثلاثة الآف ، وقيل بضعة وثلاثون ألفًا ، وقيل سبعون ألفًا ، فنادهم ملكان ملك من أعلى الوادي ، وملك من أسفله : أن موتوا ، فماتوا جميعًا ، وبليت أجسادهم ، وتفرقت عظامهم ، فمر بهم نبي من الأنبياء عليهم السلام ، يقال له حُزْقَيل عليه السلام : فوَقف مفكرًا فأوحى الله إليه : أتريد أن أُريك آية ، قال : نعم ، فقيل له : ناد يا أيتها العظام إن الله يأمرك أن تجتمعي ، فتطاير بعضها إلى بعض حتى تمت ، ثم قيل له :

= الفرائض ، باب من أنكر ولده) ٣/ ٢١١ ، والدارمي (كتاب النكاح ، باب من جحد ولده وهو يعرفه) ، ص٧٠٧ ، وابن حبان في صحيحه(كتاب النكاح ، ذِكر نفي دخول الجنة على المرأة الداخلة على قوم بولد ليس منهم) ٦/ ١٦٣ . وآيات الملاعنة من ٦ - ١٠ من سورة النور .

(١) القلفة : جلدة الذكر التي أُلبِستها الحشفة ، وهي التي انقطع من ذكر الصبي . لسان العرب(مادة : قلف) .

(٢) جزء من الآية رقم ٢٤٣ ، من سورة البقرة

(٣) أي العام الذي يليه .

(٤) وادي أفيح : الفَيَحُ ، الفَيَّاح : كل موضع واسع . لسان العرب(مادة فيح) .

نادها يا أيتها العظام ، إن الله يأمرك أن تكتسي لحمًا ، فكُسيت ، ثم قيل له : نادها بأن الله يأمرك أن تقومين ، فقاموا أحياء بإذن الله ، قائلين : سبحانك ربنا وحدك لا إله إلا أنت ، ثم رجعوا إلى قومهم ، وأمارة الموت ظاهرة عليهم ، فبقوا مدة ثم ماتوا[(١)] .

قال العلماء رضي الله عنهم : إنه رحمة وشهادة للصالحين ، ونقمة وعقوبة للعصاة والكافرين . خرّج أحمد عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قال رسول الله ﷺ : لا تَفْنَى أُمتي إلَّا بالطَّعْنِ وَالطَّاعُون ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، أما الطَّعْنُ فإنا عَرَفْنَاهُ ، فَمَا الطَّاعُونُ؟ قَالَ : غُدَّةٌ الإبِلِ ، الْمُقيمُ بها كَالشَّهِيد ، وَالْفَارُّ منْهَا كَالْفَار منَ الزَّحْف[(٢)] ، وفي رواية لأبي يعلى : قال صلى الله عليه وسلم : وَخزٌ - أي طعنة - تصيب أمتي من أعْدَائِهِمْ منَ الجن ، كَغُدَّةِ الْبَعير ، من أقام عليها كان مرابطًا ، ومن أصيب به كان شهيداً ،ومن فرّ منْه كان كَالْفَارِّ منَ الزَّحْف[(٣)] .

وعن عبد الرحمن بن عوف ، قال : سمعت رسول الله ، يقول : إذا سَمعْتُمْ به - أي بالوباء - بأرضٍ فلا تَقْدَمُوا عَليه ، وإذا وَقَع بأرضٍ وأنتُمْ بِها فلا تَخرُجُوا فراراً منْهُ[(٤)] . سبحان من يفني العباد بالموت .

واعلم أن ملك الموت في السماء السادسة من نور له سبعون ألف قائمة ، وأربعة أجنحة ، جسده مملوء من الألسنة والأعين بعدد كل ذي روح ، كل عين ناظرة إلى صاحبها ، فإذا مات ذهبت تلك العين . إحدى قوائمه على سرير/ [١٩٩و] من سرر

---

(١) انظر : الحكاية عن السُّدي ذكرها الطبري في تفسيره (البقرة : ٢٤٣) .

(٢) الحديث عن عائشة أم المؤمنين ، أخرجه أحمد في المسند ٤٢/ ٥٣ ، وأبو يعلى في مسنده ٤/ ١٨ ، والهيثمي في مجمع الزوائد(كتاب الجنائز ، باب في الطاعون والثابت فيه والفار منه) ٢/ ٣١٤ .

(٣) الحديث مع اختلاف في اللفظ عن أبي موسى الأشعري ، أخرجه أبو يعلى في مسنده ٥/ ٣٦١ ، والطبراني في الأوسط ٤/ ٢٥٣ ، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب(كتاب الجهاد ، باب الترهيب من أن يموت الإنسان ولم يغزو) قال عنه : صحيح لغيره ٢/ ١٥٧ .
وغُدّة الإبل : طاعون الإبل . لسان العرب(مادة : غدد) .

(٤) جزء من حديث عن عبد الرحمن بن عوف أخرجه البخاري(كتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاعون) ٥/ ٢١٦٣- ٢١٦٤ ، ومسلم (كتاب السلام ، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها) ١٤/ ٢١٥- ٢١٦ .

الجنة ، وأخرى على جسر جهنم ، ينزل لقبض أرواح الأنبياء والمرسلين ، ويقبض أرواح المؤمنين ، وله خلفاء على قبض أرواح السباع والبهائم ، وملك الموت آخر خلق الله موتًا ، وأنه لا يموت حتى تُطفأ الأعين من جسده كلها ، إلا ثمانية أعين ، وبها يُعرف أن الله تعالى قد أفنى خلقه .

وأكرم ما يكون الله على عبده ، منذ يوضع في لحده ، فإذا انصرف النَّاس عنه يجيئه النداء من الله تعالى : عبدي ، كيف حالك؟ عبدي ، أين مالك؟ عبدي ، أين إخوانك؟ عبدي ، أين جيرانك؟ عبدي ، أين خدمك وحشمك؟ عبدي ، على التراب وضعوك ، وانصرفوا فليتهم نبهوك ، عبدي ، إلى باب كرمي وجهوك ، ولو قاموا عندك ما نفعوك ، أتعرف ذنب كذا ، وقد أغلقتَ عليك الباب حياء من خلقي ، فحق عليك أن تستحي مني ، أو لم تعلم أني مُطلع عليك .

فعند ذلك يخجل العبد ، وييأس من رحمة الله خوفًا فيقول : سبق يارب بذلك القلم ، وغرَّني حلمك والكرم ، إلهي ، ليس منك مهرب ، وأنت إلى العفو أقرب ، فيقول تعالى : وعنك قد عفوت ، طب نفسًا ، وقر عينًا ، فأنت ضيفي في هذه الليلة ، وقد أمنَّتك من الخوف ، ثم كنومة العروس لا يوقظه إلا أحب الخلق إليه ، فوحدوه ، ومجدوه تعالى[1]

كل كلمة يصعد بها الملك إلا لا إله إلا الله ، فتصعد بنفسها ، قال تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[2] .

في قوله تعالى : ﴿وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾[3] : إن البئر المعطلة : قلب الكافر ، والقصر المشيد : قلب المؤمن ، فإن الأول خالٍ من لا إله إلا الله ، والثاني معمورٌ بلا

(١) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٢) جزء من الآية رقم ١٠ ، من سورة فاطر .

(٣) جزء من الآية رقم ٤٥ ، من سورة الحج .

إله إلا الله[١] . قيل في قوله تعالى : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٢] ، أي بلا إله إلا الله ، ويقال : إن آخر الزمان ليس لشيء من الطاعات فضل كفضل لا إله إلا الله ، فإن الصلاة والصيام يشوبهما الرياء ، والصدقة يشوبها الحرام ، ولا إخلاص إذ ذاك إلا : لا إله إلا الله[٣] .

ومن المعاصي أيضًا ما يكثر بيننا من التنابز بالألقاب ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٤] ، سواء كان اللقب صفة له أو لأبيه أو لأمه . ﴿وَلَا تَنَابَزُوا﴾[٥] : لا تداعوا بالألقاب ، والإنباز الألقاب . واحدها : نبز .

ومن المعاصي الاستهزاء بالمسلمين ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾[٦] ، خرّج البيهقي من حديث قال : قال ﷺ : إِنَّ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالنَّاسِ يُفْتَحُ لِأَحَدِهِمْ في الآخرة بَابٌ من أبواب الْجَنَّة ، فَيُقَالُ لَهُ : هَلُمَّ هَلُمَّ ، فَيَجِيءُ بِكَرْبِهِ وَغَمِّه ، فإذا جَاءَ أُغْلِقَ دُونَهُ الباب ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ آخَرُ ، فَيُقَالُ لَهُ : هَلُمَّ هَلُمَّ ، فَيَجِيءُ بِكَرْبِهِ وَغَمِّه ، فإذا جاءَ أُغْلِقَ دُونَهُ الباب ، فَمَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى تُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابِ الْجَنَّة الثَّمَانِيَة ، فَمَا يَأْتِيه إلا يَأْسِ السخرية[٧] والاحتقار ، والإهانة .

---

(١) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٢) جزء من الآية ٢٠ من سورة لقمان .

(٣) لم نجده فيما بين أيدينا من كتب .

(٤) جزء من الآية ١١ ، من سورة الحجرات .

(٥) التنابز : التداعي بالألقاب ، وهو يكثر فيما كان ذمًّا . والنبز كاللمز . لسان العرب (مادة : نبز) .

(٦) الجزء الأول من الآية رقم ١١ من سورة الحجرات . وقد شرح المؤلف الجزء الثاني من الآية ثم الجزء الأول .

(٧) الحديث عن الحسن أخرجه البيهقي في الشعب (باب في تحريم أعراض الناس) ٥/ ٣١٠-٣١١ ، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب(كتاب الأدب وغيره ، الترهيب من احتقار المسلم) قال عنه : مرسل وضعيف ٢/ ٢٥٩ .

وتبيين العيوب على وجه يُضحك عليه به ، ويُنتقص به/ [١٩٩ظ] ، وقد يكون ذلك بالقول والإشارة أو الإيماء ، أو الضحك على كلامه إذا تلجلج أو غلط فيه ، أو على صفته ، أو قبّح صورته ، ومع ذلك إن خالقه هو الله ، فإن كان شريف أو عالم ، يُخشى على فاعله معه الكفر . ومن ذكر إنسانًا بما ليس فيه فهو البهتان ، قالوا : وهذا أشد من الغيبة في حديث أحمد ، قال : قال رسول الله : خَمْسٌ لَيْسَ لَهُنَّ كَفَّارَةٌ : الشِّرْكُ بالله ، وَقَتْلُ النَّفْسِ بغَيْرِ حَقٍّ ، وَبَهْتُ مُؤْمِنٍ ، وَالْفِرَارُ من الزَّحْف ، وَيَمِينٌ صَابِرَةٌ يَقْطَعُ بِهَا مَالًا بغَيْرِ حَقٍّ[1] ، وفي حديث الطبراني ، قال ﷺ : مَنْ ذَكَرَ امْرَءًا بِشَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ لِيَعِيبَهُ بِهِ حَبَسَهُ اللَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَأْتِيَ بِنَفَادِ مَا قَالَ فِيهِ[2] .

ومن المعاصي : ذات الوجهين ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أنه لما قيل له : إنا لندخل على سلطاننا ، فنقول بخلاف ما نتكلم إذا خرجنا [من عنده] ، فقال عبد الله : كنا نعد ذلك نفاقًا على عهد النبي ﷺ[3] ، وفي حديث الطبراني ، قال ﷺ : ذُو الْوَجْهَيْنِ فِي الدُّنْيَا ، يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَهُ وَجْهَانِ مِنْ نَارٍ[4] .

وفي صحيح ابن حبان ، قال ﷺ : من كان له وجهان في الدُّنْيَا كان لَهُ يَوْمَ

---

(١) جزء من حديث عن أبي هريرة أخرجه أحمد في المسند ١٤/ ٣٥٠ـ ٣٥١ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الإيمان ، باب في الكبائر) ١/ ١٠٣ ، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب(كتاب الجهاد ، باب الترهيب من الفرار من الزحف) قال عنه : صحيح لغيره ٢/ ١٢٠ .

(٢) الحديث عن أبي الدرداء أخرجه الطبراني في الأوسط ٩/ ٤٣٢ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الأحكام ، باب في الشاهد واليمين) ٤/ ٢٠١ ، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب الأدب وغيره ، باب الترهيب من السباب) قال عنه : ضعيف٢/ ٢١٦ .

(٣) الحديث عن عبدالله بن عمر مع اختلاف يسير في اللفظ ، أخرجه البخاري(كتاب الأحكام ، باب ما يكره من ثناء السلطان وإذا خرج قال غير ذلك) ٦/ ٢٦٢٦ ، وابن ماجه(كتاب الفتن ، باب كف اللسان في الفتنة) ٤/ ٦١٦ ، وأحمد في المسند ١٠/ ٨٨ .

(٤) الحديث عن سعد بن أبي وقاص أخرجه الطبراني في الأوسط ٧/ ١٥٢ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب الأدب ، باب في ذي الوجهين واللسانين) ٨/ ٩٥ ، والألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (كتاب الأدب ، باب ترهيب ذي الوجهين) قال عنه : موضوع ٢/ ٢٥٨ .

الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ[١] .

ومن المعاصي : عضْل[٢] الولي قريبته ، فإنه كبيرة ، وذلك أن يطلبها كفوها ، وهى بالغة عاقلة ، فيمتنع من تزويجها .

ومن الكبائر : أن يخطب الإنسان ما خطبه أخوه المسلم[٣] ، وإنما يكون كبيرة إن تم الكلام على تلك المرأة ، ولم يبق إلا العقد .

ومن الكبائر : إفساد زوجة إنسان أو مملوكه عليه ، والحلف بالأمانة . خرّج ابن حبان في صحيحه عن بريدة ، قال : قال رسول الله : مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ ، وَمَنْ خَبَّبَ عَلَى امْرِيءٍ زَوْجَتَهُ أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ منّا[٤] ، وفي مسلم وغيره : إنَّ إبْلِيسَ اللعين يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ ، ثُمَّ يبْعَثُ سَرَايَاهُ ، فَأَدْنَاهُمْ منه مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً ، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئًا ، ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ ، فَيَقُولُ : مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زوجته ، قَالَ : فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ : نِعْمَ أَنْتَ ، فَيَلْتَزِمُهُ[٥] .

---

(١) الحديث عن عمار بن ياسر أخرجه أبو داود(كتاب الأدب ، باب في ذي الوجهين) ٥/ ١٢٢ ، والدارمي(كتاب الرقاق ، باب ما قيل في ذي الوجهين) ، ص ٩٠٨ ، وأبو يعلى في مسنده ٢/ ٣٠٢ ، وابن حبان في الصحيح(كتاب الحظر والإباحة ، باب ذي الوجهين) ٧/ ٥٠٣ .

(٢) عضل : عضل الرجل أيمه : منعها الزوج ظلماً . قال الله تعالى : (وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ) البقرة : ٢٣٢ .

(٣) مصداق ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة ، قال : نهى رسول الله ﷺ ، أن يبيع حاضر لباد . . .ولا يخطب على خطبة أخيه . . .(كتاب البيوع ، باب لا يبيع على بيع أخيه)٢/ ٧٥٢ ، ومسلم (كتاب النكاح ، باب تحريم الخطبة على خطبة أخيه حتى يأذن أو يترك) ٩/ ١٩٦ .

(٤) الحديث بهذا اللفظ عن بريدة أخرجه أحمد في المسند ٣٨/ ٣٢ ، والحاكم في المستدرك (كتاب الأيمان) قال الذهبي : صحيح ٨/ ٢٧٨٦ ، واقتصر أبو داود على قوله : من حلف بالأمانة فليس منا . (كتاب الأيمان والنذور ، باب في كراهية الحلف بالأمانة) ٣/ ٣٧١ ، وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة (كتاب الأيمان ، ذكر الزجر عن حلف المرء بالأمانة إذا أقسم بالله) ٢٧٩/٦ .

(٥) الحديث عن جابر بن عبد الله أخرجه مسلم(كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه) ١٧/ ١٥٣ ، وأحمد في المسند ٢٢/ ٢٧٥ ، وعبد بن حميد في مسنده ، ص٣١٦ .

ومن الكبائر : إفشاء السِّر الذي وقع بينه وبين زوجته ، خرَّج أيضًا عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال صلى الله عليه وسلم : إنَّ منْ شرِّ النَّاسِ عنْدَ اللَّه مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ ، يُفْضِي إِلَى امْرَأَته ، أو تُفْضِي إِلَيْه ، ثُمَّ يَنْشُرُ أحدهما سِرَّ صاحبه(١) .

وفي رواية : إنَّ منْ أعْظَمِ الْأَمَانَة عنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَته وَتُفْضِي إِلَيْه ، ثُمَّ يَنْشُر أحدهما سِرَّ صَاحِبه(٢) .

وفي مسند أحمد عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها ، قالت : كنت عند النبي ، وعنده الرجال والنساء ، فقال : لعل رجلًا يقول ما فعل بأهله ، ولعل امرأةً تخبر ما فعلت مع زَوْجِهَا ، فسكتوا ، قالت : إي وَالله يَا رَسُولَ الله ، إِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ وإِنَّهُنَّ لَيَفْعَلْنَ ، فقَالَ ﷺ : لا تَفْعَلُوا ، فَإِنَّما مثَلَ من يفعل ذلك كمثَل شَيْطَان لَقِيَ شَيْطَانَة فَغَشِيَهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إليه(٣) .

ومن الكبائر : أن يطأ زوجته بحضرة أجنبية أو أجنبي ، لأنه يؤدي إلى إفساده بالأجنبية ، وإفساد الأجنبي بحليلته .

/[٢٠٠و] ومن الكبائر : فضحه لأخيه المُسلم ، خرَّج الحاكم من حديث صحيح الإسناد أنَّه كان رجل كاتبًا عند عقبة بن عامر ، فقال له : إنَّ لَنَا جيرَانًا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ ، وَأَنَا أُريد أن أُخبر بهم الشُّرَطَ ليَأْخُذُوهُمْ ، فقَالَ : لا تَفْعَلْ ، وَعِظْهُمْ وَهَدِّدْهُمْ ، قَالَ : إِنِّي نَهَيْتُهُمْ ، فَلَمْ يَنْتَهُوا ، وَإِنِّي أُريد أن أُخبر بهم الشُّرَطَ ليَأْخُذُوهُمْ ، قال عقبة :

---

(١) لفظ الحديث : . . .ثم ينشر سرها . عن أبي سعيد الخدري أخرجه مسلم (كتاب النكاح ، باب تحريم إفشاء سر المرأة) ١٠/ ١١ ، والطبراني في الكبير ٨/ ١٢٢ .

(٢) الحديث بهذا اللفظ : . . .ثم ينشر سرها . عن أبي سعيد الخدري أخرجه مسلم (الموضع السابق) ١٠/ ١١ ، وأبو داود (كتاب الأدب ، باب في نقل الحديث) ٥/ ١٢١ ، وأحمد في المسند ١٨/ ١٩٧ .

(٣) الحديث مع اختلاف يسير في اللفظ عن أسماء بنت يزيد أخرجه أحمد في المسند ٤٥/ ٥٦٤ـ ٥٦٥ ، والطبراني في الكبير ٢٤/ ١٤ ، والهيثمي في مجمع الزوائد (كتاب النكاح ، باب ماجاء في الجماع والقول عنه والتستر) ٤/ ٢٩٤ .

ويحَكَ لاَ تَفْعَلَ ، فَإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ ، يقول : مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ مُؤْمِنٍ ، فَكَأَنَّمَا أحيا مَوْؤدَةً فِي قَبْرِهَا[١] .

الشرط : جمع شرطي بضم ففتح فيهما ، وهم أعوان الولاة ، والظلمة .

ومن الكبائر : أن يحب الإنسان القيام له ، خرَّج الترمذي بإسناد صحيح عن معاوية ، قال : قال رسول الله : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فلْيتَبَوأْ مقْعدَهُ مِنَ النَّارِ[٢] .

وخرَّج ابن ماجه بإسناد حسن ، عن أبي أُمامة الباهلي ، قال : خَرَجَ رَسُولُ الله وهُو متوكئ عَلَى عَصى ، فَقُمْنَا له ، فَقَالَ : لا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الأَعَاجِمُ يُعَظِّمُ بَعْضُهُم بَعْضًا [٣] .

قال العلماء رضي الله عنهم : المراد بالقيام الذي نهى ﷺ عنه ، أن يقعد من القيام له ، ويستمر القائمون على قيامهم ، كعادة الجبابرة ، أما من أحب ذلك إكرامًا لعلمه ، أو شرفه ، أو إسلامه ، فليس بحرامٍ ، كيف وقد اتخذه النَّاس عادة لكبرائهم ، وعلمائهم ، وأشرافهم ، ومعتقديهم ، فإن فيه تأكيد المحبة ، وفي تركه جلب العداوة .

---

(١) الحديث مع اختلاف في اللفظ عن عقبة بن عامر أخرجه أبو داود (كتاب الأدب ، باب في الستر على المسلم) ٥/ ١٢٨ ، وأحمد في المسند ٢٨/ ٦١٧ ، والطبراني في الكبير ١٧/ ٨٨٣ ، والحاكم في المستدرك ـ والحديث فيه مختصراً ـ (كتاب الحدود) قال الذهبي : صحيح ٨/ ٢٨٩٨ .

(٢) الحديث عن معاوية أخرجه أبو داود(كتاب الأدب ، باب في قيام الرجل للرجل) ٥/ ٢٤٩ـ ٢٥٠ ، والترمذي (كتاب الأدب ، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن٥/ ٨٤ ، وأحمد في المسند ٢٨/ ٤٠ .

(٣) الحديث عن معاوية أخرجه أبو داود (كتاب الأدب ، باب في قيام الرجل للرجل) ٥/ ٢٤٩ـ ٢٥٠ ، والترمذي(كتاب الأدب ، باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن٥/ ٨٤ ، وأحمد في المسند ٢٨/ ٤٠ .

قال الطرسوسي[١] رحمه الله : لابأس بالقيام للرجال ، كما هو المعتاد في الأحوال ، فإن كان رياء كان حرامًا .

ومن الكبائر الواقعة في زماننا : عدم استبراء الجواري المشرية ، لما يترتب على وطئهن بلا استبراء من اختلاط المياه ، وضياع الأنساب ، فيجب [أي الاستبراء] ولو كان المشرى منه امرأة أو من مال صغير ، طردا للباب ، وتُكره الحيلة فيه .

ومن الكبائر : استخدام الحُرّ وجعله رقيقًا ، وذلك بأن يعتقه ويُنكر عتقه ، ويستخدمه كرهًا عليه . خرّج ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، قال : قال ﷺ : ثَلَاثَةٌ لَا تُقْبَلُ منهُمْ صَلَاةٌ ، مَنْ تَقَدَّمَ قَوْمًا وهُمْ لَهُ كَارِهُونَ ، وَرَجُلٌ أَتي الصَّلَاةَ دِبَارًا ـ أي بعد فواتها ـ ورجل اعْتَبَدَ مُحَرَّره[٢] .

﴿وَادْعُوهُ﴾[٣] ـ أي الله ـ ﴿خَوْفًا﴾ لقصور أعماركم ، ﴿وَطَمَعًا﴾ في إجابة دعائكم بما هو الخير لكم ، خصوصًا إذا طلبتم منه التوفيق إلى طاعته ، وحسن الختام ؛ لعله يجبكم تفضلًا ورحمة بكم ، فإنه أوعد الداعين بإجابة دعائهم ، فقال :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ﴾[٤] ، أي يا محمد ، ﴿عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ ، مطّلع على الأفعال ، والأقوال ، وما يكنّ في الصدور ، ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ، نزلت لما

---

(١) هو إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ، نجم الدين الحنفي ، الدمشقي . قاض ، مصنف ، له مؤلفات منها : الإشارات في ضبط المشكلات ، والإعلام في مصطلح الشهود والحكام ، والفتاوى الطرسوسية ، وذخيرة الناظر في الأشباه والنظائر ، وغيرها . مات سنة ٧٥٨هـ . انظر عنه : الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني١/ ٤٣ ؛ وكشف الظنون لحاجي خليفة ١/ ٩٧ .

(٢) الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص أخرجه أبو داود(كتاب الصلاة ، باب الرجل يؤم القوم وهم له كارهون) ١/ ٢٨٢ ، وابن ماجه(كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب من أم قومًا وهم له كارهون) ١/ ٣١٨ .

(٣) تتمة شرح آية ٥٦ من سورة الأعراف ، والتي بدأها ص ١٩٧ظ .

(٤) الآية رقم ١٨٦ من سورة البقرة ، وسوف يشرحها المؤلف أثناء شرحه للآية ٥٦ من سورة الأعراف .

قال إعرابي : يا رسول الله ، أقريب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه .

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ ، إذا دعوتهم إلى الإيمان والطّاعة كما أجبت دعاهم لمهماتهم ، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ ، يثبتوا ، ويدوموا على الإيمان والطّاعة ،﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُون﴾ ، يفوزون بالنّجاة .

﴿إِنَّ رَحْمَتَ الله قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١) ، أي المؤمنين .

إخواني ، شهركم شهر الحجة ما بقى منه إلا القليل ، وقد أذن في الرحيل ، فتداركوه/ [٢٠٠ظ] بالطاعة قبل ترحاله ، ليكون شاهداً لكم عند ربكم بصالح أعمالكم ، واعلموا أن الدُّنيا فانية ، وفناءوها بمرور الليالي والأيام ، ومُضِيِّ الشهور والأعوام ، فلا تكونوا غافلين كيلا تكونوا نادمين . فقد رؤي بعضهم بعد موته فسئُل عن أحوال الموتى ، فقال : ما عندنا أكثر من النَّدامة ، وما عندكم أكثر من الغفلة . إخواني ، بقية عمر المؤمن لا قيمة لها [إلا] تسبيحة فيما بقى من عمره ، أو ركعة ، أو سجدة ، أو صدقة ، أو طاعة من الطاعات تأتي في الصحيفة يوم القيامة ، وهى خير من الدُّنيا وما فيها ، وقد خسر من فرّط بقية غير متلافية ، وهو يسوف ولا يدري أن الموتِ ملاقيه .

في سنن الترمذي ، قال ﷺ : أعمارُ أُمّتي ما بين السِّتّين إلى السَّبعين ، وأقلُّهم من يجوزُ ذلك(٢)

يا غافلاً عن نفسه والعمر ينقرض ، يا مغرورا ببسط الأمل ، وقد كان قد قبض عباد الله . تفكروا في سلفكم قبل تلفكم ، وانظروا في أموركم قبل حلولكم في قبوركم ، وتأهبوا لرحيلكم قبل قرب تحويلكم ، أين الأقران ، أين الإخوان ، أين من

(١) جزء من الآية ٥٦ من سورة الأعراف .

(٢) الحديث عن أبي هريرة أخرجه الترمذي (كتاب الدعوات ، باب في دعاء النبي ﷺ) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ٥/ ٥١٧ ، وابن ماجه (كتاب الزهد ، باب الأمل والأجل) ٤/ ٧٠٨ .

كان زين المكان ، هتف به نذيره : يا أهل العرفان ، كل من عليها فان ، تقلبت والله بهم الأحوال ، ولعبت بهم أيدي الأيام والليالي ، وشُغلوا عن الأهل والأموال ، ونسيتهم أحبائهم بعد أيام قلائل ، وعانقوا التراب ، وفارقوا البيوت المعمّرة ، وكل قصر عال ، فلو أذن لصامتهم في المقال لقال : اللهم اجعلنا مهتدين بنور هداك ، مُعْرضين عمن سواك ، ذاكرين للمآل والمنتهى ، متفكرين في أعمال الخير ، عاملين بها .

وينبغي الدعاء في آخر يوم من العام ، فإن الشيطان يقول : تعبت عليه طول سنته ، فأُفسده في ساعته ، وهو [أي الدعاء] : اللهم ما عملت في هذه السنة مما نهيتني عنه ، ولم ترضه ، ولم تكتبه ، وحلمت عليّ بعد قدرتك على عقوبتي ، ودعوتني إلى التّوبة بعد جرأتي على معصيتك ، فإني أستغفرك منه ، وأتوب إليك ، وما عملت فيها من عمل ترضاه ، ووعدتني عليه الثّواب ، فأسألك أن تتقبله مني ، ولا تقطع رجائي منك يا كريم . يدعو به ثلاثًا . اللهم حقق رجاءنا فيك ، يا أكرم الأكرمين ، ويا أرحم الراحمين .

كان هذا آخر كتابة الجلد نهار الخميس اليوم الثالث والعشرون من ذي الحجة على يد جامعه إسماعيل بن اليازجي الواعظ ، والمدرس والإمام بجامع دمشق والشام . سنة أربعة عشر ومئة وألف . أناله الله مطلوبه ، وغفر بفضله ذُنوبه ، أحسن الله ختامنا .

الكشافات

كشاف الآيات القرآنية

آل عمران

كشاف الأحاديث والآثار

الحديث	الراوي
إن أصدق الحديث كتاب الله	ابن مسعود ، وجابر ١/ ٥٤٦ ، ٢/ ١٠٨
إن أعرابيا سأل النبي ﷺ عن الوضوء	عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ١/ ٣١٥
إن أعمال العباد ترفع يوم الإثنين	أسامة بن زيد ١/ ٤١٥
إن الأعمال عند الله سبع	ابن عمر ٢/ ٣٦٠
أن أفضل الأعمال الصلاة لوقتها	أم فروة ٢/ ٣٦٠
إن أكثر الناس شبعا في الدنيا	أبو جحيفة ٢/ ٤٧٢
إن أكلة الربا يُحشرون في صور الكلاب	غير منسوب ٢/ ٣٢٣
إن الالتفات هلكة	أنس ١/ ٣٥٨
إن الله إذا أحب عبدا دعا جبريل	أبو هريرة ١/ ٣٥٨
إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم	أنس ٢/ ٢٦٤
إن الله إذا استودع شيئا حفظه	ابن عمر ١/ ٢٠٣
إن الله أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار	أبو هريرة ١/ ٤٦٢
إن الله أوحى إلي أن توضعوا	عياض بن حمار ١/ ٣٥٢ ، ٢/ ٣٣٤
إن الله جعل السبت لموسي عيدا	جابر بن عبد الله ١/ ٥٣٥
إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق	ابن مسعود ١/ ٢٨٧ ، ٤٤٩
إن الله جميل يحب الجمال يحب أن يرى	أبو سعيد الخدري ٢/ ٣١١
إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم	ابن عمر ٢/ ٤٦٧
إن الله حيي ستير	يعلى بن أمية ١/ ٣٣١
إن الله حيي كريم يستحي أن يرفع	سلمان الفارسي ٢/ ٢٤٢
إن الله حيي يحب الحياء	يعلي بن أمية ١/ ٣٣١
إن الله خلق ملكًا يوم خلق السماوات	ابن عباس ٢/ ٢٠٤
إن الله خلقني من نور	أنس ٢/ ٤٦٣
إن الله رفيق يحب الرفق	عائشة أم المؤمنين ١/ ٢٨٩

الحديث	الراوي

الحديث	الراوي
جهد المقل	
سئل النبي (ﷺ) أي الصدقة أفضل قال	أنس ٢/ ٣٩١
صدقة في رمضان	
سئل النبي(ﷺ) أي الصدقة أفضل قال	حكيم بن حُزَام ١/ ٢٠٦
على ذي الرحم	
سئل النبي (ﷺ) أي العباد أفضل قال	أبو سعيد الخدري ١/ ٢٣٥
الذاكرون	
سئل النبي (ﷺ) أي العمل أحب إلي الله	ابن مسعود ٢/ ١٢٠
سئل النبي (ﷺ) أيكون المؤمن جبانًا	صفوان بن سُلَيم ١/ ٥٤٩
سُئِلَ النبي (ﷺ) عن أفضل الإيمان	معاذ بن أنس ٢/ ٢٧٨
سُئِلَ النبي (ﷺ) عن أكثر ما يُدْخِلُ الناس الجنة	أبو هريرة ١/ ٢٨٨
سئل النبي (ﷺ) عن الإيمان فقال الصبر	جابر بن عبد الله ٢/ ٧٥
سئل النبي (ﷺ) عن الخمر تُتخذ خلا	أنس ١/ ٥٣٧
سئل النبي (ﷺ) عن الرجل يجد البَلل	عائشة أم المؤمنين ١/ ٣٣٠
سئل النبي (ﷺ) عن الرجل يري أنه احتلم	عائشة أم المؤمنين ١/ ٣٣٠
سئل النبي (ﷺ) عن الشئ الذي لايَحل منعه	بُهَيسة عن أبيها ١/ ١٨٢
سئل النبي (ﷺ) عن صيام عاشوراء	أبو قتادة ١/ ٣٣٧
سئل النبي ﷺ عن صيام عرفة	أبو قتادة ١/ ١٦٥
سئل النبي ﷺ عن العمرة	جابر بن عبد الله ٢/ ٤٠٥
سئل النبي ﷺ عن الغُسْلِ من المحيض	عائشة أم المؤمنين ١/ ٣٣٠
سُئِلَ النبي ﷺ عن الغنى الذي لا تحل به المسئلة	سهل بن الحنظلية ١/ ١٨٧

الحديث	الراوي
يقول الله تعالى : أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما	أبو هريرة ١/ ٤٠٥
يقول الله تعالى : أنا جليس من ذكرني	محمد بن النضر ٢/ ٢٥٥
يقول الله تعالى : أنا الرب الودود	غير مسند ١/ ٨٠
يقول الله تعالي : أنا عند ظن عبدي بي	جابر بن عبد الله ٢/ ٢٣٦ ، ٢٤٠
يقول الله تعالي : أنا مع عبدي ما ذكرني	أبو هريرة ١/ ٢٣٤
يقول الله تعالي : أنظر إلي جوارح المؤمن من أمة محمد	غير مسند ١/ ٢٦٨
يقول الله تعالى : انظروا إلى عبد روحه عندي	أثر عن خالد بن معدان ١/ ٥٥٧
يقول الله تعالى : أين المتحابون بجلالي	أبو هريرة ١/ ٣٧٠
يقول الله تعالى : ثلاث من حفظهن فهو ولي حقا	الحسن ١/ ٢٤٣ - ٢٤٤
يقول الله تعالى : شهدت نفسي بنفسي	غير مسند ٢/ ٣٢٩
يقول الله تعالى : الشيب نوري	غير مسند ٢/ ٢٤٣
يقول الله تعالى : عبدي حرك يديك أُنزل عليك الرزق	أثر عن الوليد بن عمرو ١/ ٢٠٣
يقول الله تعالى : كذب من ادعى محبتي حتى إذا	غير مسند ١/ ٣٦٩
يقول الله تعالى : كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أُعرف	موضوع ١/ ٥١٥
يقول الله تعالي : لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل	أبو هريرة ١/ ٢٧٠

كشاف الأعلام

المصادر

آداب الحسن البصري وزهده ومواعظه	ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي ، أبو الفرج ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ
الآداب الشرعية والمنح المرعية	محمد بن مفلح ، المتوفى سنة٧٦٣هـ
الأثر في المصباح المضيء	ابن حديدة الأنصاري
أخبار الصلاة	عبدالغني بن عبدالواحد الجماعيلي ، أبو محمد المقدسي
الأحاديث في ذم الكلام وأهله	عبدالرحمن الرازي ، المتوفى سنة ٤٥٤هـ
إحياء علوم الدين	الغزالي ، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد ، حجة الإسلام المتوفى سنة ٥٠٥هـ ط دمشق
أخبار مكة	الأزرقي ، محمد بن عبدالله بن أحمد الغساني ، المكي ، المتوفى سنة ٢٥٠هـ
أخبار مكة	الفاكهي ، محمد بن إسحاق بن عباس ، أبو عبدالله
أدب الدنيا والدين	الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب البصري ، أبو الحسن الشافعي ، المتوفي سنة٤٥٠هـ . ط . دار المنهاج
إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد	زين الدين المليباري ، ابن عبدالله بن عبدالعزيز المعبري ٩٢٨هـ ، ط . دار الكتب العلمية
أسباب النزول	الواحدي ، علي بن أحمد بن محمد النيسابوري ، المتوفى سنة ٤٦٨هـ
الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة	القاري ، علي بن محمد بن سلطان الملا علي . ط . دار الكتب العلمية ، بيروت
الأشباه والنظائر على مذهب أبي حنيفة النعمان	ابن نجيم ، زين الدين ابن إبراهيم بن محمد المتوفى سنة ٩٧٠هـ

الإصابة في تمييز الصحابة	ابن حجر ، أحمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد الكناني العسقلاني الأصل ، المصري المتوفى سنة ٨٥٢هـ ، ط . مصطفى محمد ، مصر
الأصول الدينية في شرح الرسالة العلاوية	المدني ، الشيخ محمد بن سليمان ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت
إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين	البكري الدمياطي ، عثمان بن شطا ، أبو بكر ، المتوفى سنة ١٣١٠هـ
أعلام النبوة	الماوردي ، علي بن محمد بن حبيب البصري ، أبو الحسن ، المتوفى سنة ٤٥٠هـ
الأغاني	الأصفهاني ، علي بن الحسين ، المتوفى سنة ٣٥٦هـ
الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع	البجيرمي ، سليمان بن محمد بن عمر ، المصري ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت
إكمال المعلم شرح صحيح مسلم	القاضي عياض اليحصبي المتوفى سنة ٥٤٤هـ
الأم	الشافعي ، محمد بن إدريس ، أبو عبدالله ، المتوفى سنة ٢٠٤هـ
الأمالي الخميسية	الشجري ، يحيى بن الحسين ، ط عالم الكتب ، بيروت
الأمثال السائرة في شعر المتنبي	الصاحب بن عباد ، ط . مكتبة النهضة ، بغداد
أنس المنقطعين لعبادة رب العالمين	المعافى بن إسماعيل الموصلي
الإيضاح في علوم البلاغة	جلال الدين القزويني ، محمد بن عبدالرحمن ، المتوفى سنة ٧٣٩هـ
إيضاح المحصول في برهان الأصول	المازري ، محمد بن علي بن عمر ، المتوفى سنة٥٣٦هـ
إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون	البغدادي ، إسماعيل باشا بن محمد أمين ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ

الكتاب	المؤلف
بحار الأنوار	المجلسي ، محمد باقر بن محمد تقي ، أبو عبدالله الأصبهاني ، المتوفى سنة ١٠٣٧هـ ، ط . دار إحياء التراث ، بيروت
بحر الدموع	ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي ، أبو الفرج ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ
البحر الرائق شرح كنز الدقائق	ابن نجيم ، زين الدين ابن إبراهيم بن محمد ، المتوفى سنة ٩٧٠هـ
البحر الذخار في فضائل النبي المختار = جواهر البحار في فضائل النبي المختار	النبهاني ، يوسف بن إسماعيل
بدائع الفوائد	ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر ، أبوعبدالله ، المتوفى سنة ٧٥١هـ
البداية والنهاية	ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، عماد الدين ، أبو الفدا ، المتوفى سنة ٧٧٤هـ ، ط . دار التقوى ، مصر
البدر الطالع	الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد الصنعاني ، المتوفى سنة ١٢٥٠م
البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير	ابن الملقن ، عمر بن علي بن أحمد ، الأنصاري الأندلسي ، أبو حفص ، ٨٠٤هـ
بستان العارفين	السمرقندي ، نصر بن محمد الحنفي ، أبو الليث ، المتوفى سنة ٣٧٥هـ
بستان الفقراء ونزهة القراء	العماد ، صالح بن عبدالله
بستان الواعظين ورياض السامعين	ابن الجوزي ، عبدالرحمن علي ، أبوالفرج ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ
بلدان الخلافة الشرفية	كي لسترنج
بهجة المجالس	ابن عبد البر ، يوسف بن عبدالله بن محمد القرطبي ، المتوفى سنة٤٦٣هـ ، دار الكاتب العربي

بهجة النفوس والأسرار في تاريخ هجرة النبي المختار	عبدالله بن عبدالملك القرشي البكري القرطبي
تاج العروس	الزبيدي ، محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى
تاريخ الأدب العربي	كارل بروكلمان المتوفى ١٩٥٦م
تاريخ استخدام المصطلح	أسد رستم
تاريخ الإسلام	الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الدمشقي ، المتوفى سنة ٧٤٨هـ ط . دار المعارف العثمانية ، الهند
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي ، أبو بكر ، المتوفى ٤٦٣هـ مطبعة السعادة ، مصر
تاريخ دمشق	ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي . ط . المجمع العلمي العربي ، دمشق
تاريخ الطبري	الطبري ، محمد بن جرير ، أبو جعفر ، المتوفى سنة ٣١٠هـ ط . دار القلم ، بيروت
التبصرة	ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي ، أبو الفرج ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ
تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق	الزيلعي ، عثمان بن علي ، أبو علي ، ٧٤٣هـ
تجارب الأمم	ابن مسكويه ، أحمد بن محمد بن يعقوب ، أبو علي ، المتوفى سنة ٤٢١هـ ط . طهران
التحرير والتنوير	ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد . المتوفى سنة١٢٩٦هـ
تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي	الأحوذي ، محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري ١٣٥٣هـ
تذكرة الحفاظ	الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الدمشقي ، دار المعارف العثمانية ، الهند

الكتاب	المؤلف
تذكرة الموضوعات	الفتنى ، محمد طاهر بن علي الصديقي ، المتوفى سنة ٩٨٦هـ
الترغيب والترهيب	الأصبهاني إسماعيل بن محمد ، قوام السنة ، أبو محمد ، المتوفى سنة ٥٣٥هـ
الترغيب والترهيب	المنذري عبدالعظيم بن عبدالقوي ، أبو محمد المصري ، المتوفى سنة ٦٥٦هـ
تطريز رياض الصالحين	النجدي ، فيصل بن عبدالعزيز ، المتوفى ١٣٧٦هـ
التعرف في فضل حملة العلم الشريف	محمد بن عبدالرحمن الوصابي
التعريفات	الجرجاني ، علي بن محمد بن علي السيد الزين ، أبو الحسن ، ط الحلبي
التعظيم والمنة في أن أبوي رسول الله في الجنة	السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن ، أبوبكر ، المتوفى سنة ٩١١هـ
تفسير الآلوسي = روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني	الآلوسي ، السيد محمود بن عبدالله ، أبوالثناء . ط . دار إحياء التراث العربي ، بيروت
تفسير ابن برجان = تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب الحكيم	عبدالسلام بن عبدالرحمن بن محمد اللخمي الإشبيلي ، المتوفى سنة ٥٢٦هـ ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت
تفسير ابن رجب الحنبلي	عبدالرحمن بن شهاب الدين بن أحمد البغدادي ، المتوفى سنة ٧٩٥هـ ط . مكتبة الإيمان ، مصر
تفسير ابن كثير	إسماعيل بن عمر ، عماد الدين ، أبو الفدا ، المتوفي سنة ٧٧٤هـ
تفسير أبو السعود	محمد بن محمد بن مصطفى العمادي ،المتوفى سنة ٩٨٢هـ

تفسير البحر المحيط	الغرناطي ، محمد بن يوسف بن علي ، أبو حيان الأندلسي ، المتوفى سنة ٧٤٥هـ
تفسير البغوي= معالم التنزيل في تفسير القرآن	الحسن بن مسعود بن محمد بن الفراء ، أبو محمد ، المتوفى ٥١٦هـ ط . دار طيبة الرياض
تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل	عبدالله بن عمر ، الشافعي ، المتوفى ٦٨٥هـ
تفسير الثعالبي = الكشف والبيان في تفسير القرآن	أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ، المتوفى سنة ٤٢٧هـ
تفسير الرازي = ضياء القلوب في التفسير	سليم بن أيوب الرازي ، أبو الفتح ، المتوفى سنة ٤٤٧هـ
تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن	محمد بن جرير الطبري ، المتوفى سنة ٣٤١هـ ، ط . دار إحياء التراث العربي ، بيروت
تفسير القرطبي	محمد بن أحمد الأنصاري ، أبوعبدالله ، المتوفى سنة ٦٧١هـ ، دار الكتب المصرية
تفسير مقاتل	سليمان بن بشر بن مفاتل الأزدي ، المتوفى ١٥٠هـ
تكملة المعاجم العربية	دوزي ، رينهارت بيتر ، المتوفى سنة ١٣٠٠هـ
التمهيد	ابن عبدالبر ، يوسف بن عبدالله بن محمد القرطبي ، المتوفى سنة ٤٦٣هـ
تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين	السمرقندي ، نصر بن محمد الحنفي ، أبو الليث ، المتوفى ٣٧٥هـ ، ط . مكتبة الإيمان ، مصر
التنوير شرح الجامع الصغير	الصنعاني محمد بن إسماعيل الأمير ، المتوفى سنة ١١٨٢هـ
تهذيب الكمال في أسماء الرجال	المزي جمال الدين يوسف ، أبوالحجاج ، المتوفى ٧٤٢هـ

جامع الأحاديث	السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن ، المتوفى سنة ٩١١هـ ، ط . دار الفكر . مصر
جامع العلوم والحكم	ابن رجب الحنبلي - عبدالرحمن بن أحمد ، أبوالفرج ، المتوفى سنة ٧٩٥هـ
الجامع لمفردات الأدوية والأغذية	ابن البيطار- عبدالله بن أحمد المالقي ، أبو محمد ، المتوفى سنة ٦٤٦هـ
الجمع بين الصحيحين	الحميدي محمد بن فتوح بن عبدالله بن حميد الأزدي ، أبوعبدالله ، المتوفى سنة ٤٨٨هـ
الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح	ابن تيمية - أحمد بن عبدالحليم ، المتوفى ٧٢٨هـ
الجواهر في عقوبة أهل الكبائر	زين الدين المليباري - زين الدين بن عبدالعزيز المعبري ، المتوفى سنة ٩٢٨هـ ، ط . مكتبة القاهرة
الجواهر المضية في طبقات الحنفية	عبدالقادر بن أبي الوفا القرشي ، المتوفى ٧٧٥هـ
حادي الأرواح إلي بلاد الأفراح	ابن قيم الجوزية . محمد بن أبي بكر ، أبو عبدالله ، المتوفى سنة ٧٥١هـ
حاشية ابن عابدين = رد المحتار على الدر المختار	محمد علاء الدين بن محمد أمين بن عمر ، الدمشقي ، المتوفى سنة ١٢٥٢هـ
حاشية القونوي على تفسير البيضاوي	القونوي ، إسماعيل بن محمد بن مصطفى ، المتوفى سنة ١١٩٥هـ
حجة القراءات	أبو زرعة- عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة ، ط . مؤسسة الرسالة ، بيروت
حز الغلاصم في إفحام المخاصم	شيث بن إبراهيم بن حيدرة ، المتوفى ٥٩٨هـ
حفظ العمر	ابن الجوزي ، عبدالرحمن علي ، أبوالفرج ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء	أبونعيم ، أحمد بن علي الأصبهاني ، المتوفى سنة ٤٣٠هـ ، مطبعة السعادة ، مصر

الحوادث والبدع	الطرطوشي ، محمد بن الوليد بن محمدبن خلف القرشي الأندلسي ، المتوفى سنة ٥٢٠هـ
حياة الحيوان الكبرى	الدميري ، محمد بن موسى بن عيسى بن علي ، أبوالبقاء ، ط . الحلبي . مصر
خاتم النبيين	محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة
خلاصة الأثر في تراجم أعيان القرن الحادي عشر	محمد أمين الحموي الدمشقي
خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال	الخزرجي- أحمد بن عبدالله بن أبي الخير عبدالعليم الأنصاري ، ط . دار البشائر الإسلامية . بيروت
دائرة المعارف الإسلامية	ط . دار المعرفة ، بيروت
الدر المختار شرح تنوير الأبصار	الحصكفي ، محمد بن علي بن محمد ، المتوفى سنة ١٠٨٨هـ
الدر المنثور	السيوطي ، جلال الدين بن عبدالرحمن ، المتوفى سنة ٩١١هـ
الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة	ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد ، المتوفى سنة ٨٥٢هـ
درة الناصحين في الوعظ والإرشاد	عثمان بن حسن بن أحمد الخوبوي
الدولة الخوارزمية والمغول	حافظ أحمد حمدي ، ط . القاهرة ، ١٩٤٩م
ديوان ابن المعتز	عبدالله بن المعتز ، محيي الدين ، المتوفى سنة ٨٦١هـ ، ط . دار صادر ، بيروت
ديوان أبو العتاهية	إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني ، أبو إسحاق ، المتوفى سنة ٢١١هـ ، ط . بيروت
ديوان أبو نواس	الحسن بن هانئ بن عبدالأول بن الصباح ، أبو علي ، المتوفى سنة ١٩٦هـ

ديوان صالح بن عبدالقدوس	صالح بن عبد القدوس بن عبد الله الأزدي الجزامي ، أبو الفضل ، المتوفى سنة ١٦٧هـ ، ط . بيروت
ذم الهوى	ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي ، أبوالفرج ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ
الذيل على طبقات الحنابلة	ابن رجب الحنبلي ، عبدالرحمن بن أحمد ، أبو الفرج ، المتوفى سنة ٧٩٥هـ
الرد على المنطقين	ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم ، المتوفى سنة ٧٢٨هـ
رسالة تبيين العجب بما ورد في فضل رجب	ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد ، المتوفى سنة ٨٥٢هـ
الرسالة القشيرية	عبدالكريم القشيري ، أبو القاسم ، المتوفى ٤٦٥هـ
روح البيان في تفسير القرآن	الجلوتي ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي ، المتوفى سنة ١١٣٧هـ
الروض الأنف في شرح غريب السير	السهيلي ، عبدالرحمن بن عبدالله بن أحمد ، المتوفى سنة ٥٨١هـ
روضة الطالبين	النووي يحيى بن شرف ، المتوفى سنة ٦٧٦هـ
رياض الصالحين	النووي يحيى بن شرف ، المتوفى سنة ٦٧٦هـ
زاد المستنقع في اختصار المقنع	الحجاوي المقدسي ، موسى ابن أحمد ، المتوفى سنة ٩٦٨هـ
زاد المعاد	ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر ، أبوعبدالله ، المتوفى سنة ٧٥١هـ .
الزاهر في بيان ما يجتنب من الخبائث الصغائر والكبائر	القرطبي ، محمد بن أحمد الأنصاري ، أبو عبدالله ، المتوفى سنة ٦٧١هـ

الزهد	ابن المبارك ، عبدالله المرزوي ، المتوفى سنة ١٨١هـ
الزهد	أحمد بن حنبل ، المتوفى سنة ٢٤١هـ ، ط . دار الريان للتراث ، بيروت .
الزهر الفائح في ذكر من تنزه عن الذنوب والقبائح	ابن الجزري ، محمد بن محمد بن محمد ، المتوفى ٨٢٣هـ ، ط . دار الكتب العلمية ، مصر
زهر الكمام في قصة يوسف عليه السلام	سراج الدين عمر الأنصاري
الزواجر عن اقتراف الكبائر	الهيثمي ، أحمد بن محمد بن علي بن حجر السعدي المكي ، المتوفى سنة ٩٧٤هـ
سراج القلوب	الطرطوشي ، محمد بن الوليد بن محمد بن خلف ابن سليمان ، المتوفى سنة ٥٢٠هـ
سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة	الألباني ، محمد ناصر الدين ، المتوفى ١٩٩٩م
سلوة العارفين	الغزالي ، محمد بن محمد بن محمد ، المتوفى سنة ٥٠٥هـ
سنن ابن ماجه	محمد بن يزيد القزويني ، المتوفى سنة ٢٧٩هـ ، ط . دار المعرفة ، بيروت
سنن أبي داود	سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي ، المتوفى سنة ٢٧٥هـ ، ط . دار ابن حزم . مصر
سنن الترمذي	محمد بن عيسى بن سورة ، المتوفى سنة ٢٧٩هـ ، ط . دار الكتب العلمية
سنن الدارقطني	علي بن عمر ، المتوفى سنة ٣٨٥هـ ط . دار المحاسن ، مصر
سنن الدارمي	عبدالله بن عبدالرحمن ، المتوفى سنة ٢٥٥هـ ، ط . دار المعرفة ، بيروت
السنن الكبير	البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر ، المتوفى ٤٥٨هـ . ط . دار الكتب العلمية ، بيروت

سنن النسائي	أحمد بن علي بن شعيب بن علي ، المتوفى سنة ٣٠٣هـ ، ط . مكتبة المعارف ، الرياض
سير أعلام النبلاء	الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، المتوفى سنة ٧٤٨هـ ، ط . الرسالة ، بيروت
شذرات الذهب في أخبار من ذهب	ابن العماد ، عبد الحي الحنبلي ، أبو الفلاح ، المتوفى سنة ١٠٨٩هـ
شرح ديوان المتنبي	عبدالرحمن البرقوقي
شرح السنة	البغوي ، الحسن بن مسعود بن محمد الفراء المتوفى سنة ٥١٦هـ
شرح صحيح البخاري	السفيري ، محمد بن عمر بن أحمد ، الشافعي ، ٨٧٧هـ
شرح صحيح مسلم	النووي ، يحيى بن شرف ، المتوفى سنة ٦٧٦هـ
شرح العقيدة الواسطية	السلمي ، عبدالرحمن السلمي
شرح المواهب اللدنية بالمنح المحمدية	الزرقاني- محمد بن عبدالباقي بن يوسف أبو عبدالله ، المتوفى سنة ١١٢٢هـ . ط . دارالكتب العلمية ، بيروت
شرح موطأ مالك	الزرقاني ، عبدالباقي بن يوسف المصري المالكي ، المتوفى سنة ١٠٢٠هـ
شرح نهج البلاغة	ابن أبي الحديد ، عبدالحميد بن هبة الله بن محمد ابن الحسين
شعب الإيمان	البيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي ، أبو بكر ، المتوفى ٤٥٨هـ ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت
شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام	الفاسي محمد بن أحمد بن علي ، أبو الطيب الحسني ، المتوفى سنة ٨٣٢هـ ، ط . دار الكتب العلمية

الشمائل المحمدية	الترمذي ، محمد بن عيسى بن سورة ، المتوفى سنة ٢٧٩هـ
صحيح ابن حبان	محمد بن حبان بن أحمد ، المتوفى سنة ٣٥٤هـ ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت
صحيح ابن خذيمة	محمد بن إسحاق بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي ، المتوفى سنة ٣١١هـ . ط . دار التأصيل ، مصر
صحيح أبو عوانة	يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم بن زيد النيسابوري ، المتوفى ٢٣٠هـ
صحيح البخاري	محمد بن أبي الحسن إسماعيل ، المتوفى سنة ١٩٩٩م ، ط . دار ابن كثير ، بيروت
صحيح الترغيب والترهيب	الألباني ، محمد ناصر الدين ، المتوفى سنة ١٩٩٩م ، مكتبة المعارف ، ط . الرياض
صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، المتوفى سنة ٢٦١هـ ، ط . مؤسسة المختار ، مصر
صفة الصفوة	ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن أبي الحسن بن محمد ، أبو الفرج ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ ، ط . دائرة المعارف العثمانية ، الهند
ضعيف الترغيب والترهيب	الألباني ، محمد ناصر الألباني ، المتوفى سنة ١٩٩٩م ، مكتبة المعارف ، الرياض
الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع	السخاوي ، محمد بن عبدالرحمن ، المتوفى ٩٠٢هـ
طبقات الحنابلة	ابن أبي يعلي ، محمد بن الفراء ، أبوالحسن ، المتوفى سنة ٥٢٦هـ ، دار المعارف ، بيروت

طبقات الشافعية الكبرى	السبكي ، عبدالوهاب بن أبي الحسن علي بن عبدالكافي ، المتوفى سنة ٧٥٦هـ ، المطبعة الحسينية ، مصر
طبقات الصوفية	السلمي ، محمد بن الحسين بن محمد بن سراقة ، أبو عبدالرحمن ، المتوفى سنة ٤١٢هـ ، دار الكتاب العربي ، مصر
الطبقات الكبرى	ابن سعد ، محمد بن سعد بن منيع البصري ، المتوفى سنة ٢٣٠هـ ، ط . الخانكي ، مصر
عدة الصابرين	ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر ، أبو عبدالله ، المتوفى سنة ٧٥١هـ
العظمة	أبو الشيخ ، عبدالله بن محمد بن جعفر الأصبهاني ، المتوفى سنة ٣٦٩هـ
العقد الفريد	ابن عبدربه ، أحمد بن محمد بن حبيب بن سالم القرطبي ، أبو عمر ، المتوفى سنة ٣٢٨هـ
العلل المتناهية	ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن أبي ، أبو الفرج ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ .
عمل اليوم والليلة	ابن السني ، أحمد بن محمد بن إسحق بن إبراهيم الدينوري ، المتوفى سنة ٣٦٤هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت
العناية شرح الهداية	البابرتي ، محمد بن محمد بن محمد ، أكمل الدين ، المتوفى سنة ٧٨٦هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت
غاية النهاية في أسماء رجال القراءات	ابن الجزري ، محمد بن محمد بن محمد بن يوسف ، المتوفى سنة ٨٣٣هـ

غذاء الألباب شرح منظومة الآداب: السفاريني ، محمد بن أحمد بن سالم ، أبو العون ، المتوفى تقريبا ١١٨٨هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت

غرائب القرآن ورغائب الفرقان: النيسابوري ، الحسن بن محمد بن حسين القمي ، المتوفى سنة ٨٥٠هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت

غريب الحديث: ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم ، أبو محمد الدينوري ، المتوفى سنة ٢٧٦هـ

الغنية لطالبي طريق الحق: الجيلاني ، عبد القادربن موسى بن عبدالله الحسني ، المتوفى سنة ٥٦١هـ ، شركة القدس ،مصر

فتاوى الخليل على المذهب الشافعي: القادري ، محمد بن محمد بن شرف الدين ، المتوفى سنة ١١٤٧هـ

فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني ، المصري ، المتوفى سنة ٨٥٢هـ

فتح القدير: الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد الصنعاني ، المتوفى سنة١٢٥٠هـ ، ط . عالم الكتاب

الفتح المبين بشرح الأربعين: ابن حجر الهيثمي ، أحمد بن محمد الشافعي ، المتوفى سنة ٩٧٤هـ

فتح العزيز بشرح الوجيز: الرافعي ، عبدالكريم بن محمد القزويني ، المتوفى سنة ٦٢٣هـ .

فردوس الأخبار: الديلمي ، شيرويه بن شهدار الهمداني ، المتوفى سنة ٥٠٩هـ ، ط . دار الفكر ، بيروت

فرهنك فارس: محمد معين ، ط . طهران ، ٢٠٠١

فضائح الباطنية: الغزالي ، محمد بن محمد بن محمد ، المتوفى سنة ٥٠٥هـ .

فقه السنة	السيد سابق ، ط . دار التراث العربي ، مصر
الفقه على المذاهب الأربعة	الجزيري ، ط . المكتب الثقافي ، الأزهر ، مصر
فوات الوفيات	الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبدالرحمن ، المتوفى سنة ٧٦٤هـ ط . القاهرة
الفوائد المجموعة	الشوكاني ، محمد بن عل بن محمد الصنعاني ، المتوفى سنة ١٢٥٠هـ
فيض الباري على صحيح البخاري	أمالي محمد أنور شاه ، الهندي ، المتوفى سنة ١٣٥٣هـ
فيض القدير شرح الجامع الصغير	المناوي ، محمد عبدالرءوف بن تاج العارفين بن نور الدين علي بن زين العابدين بن الحدادي ، المتوفى سنة ١٠٣١هـ ، ط . مكتبة مصر .
القانون في الطب	ابن سينا
قصص الأنبياء	ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، أبو الفدا ، المتوفى سنة ٧٧٤هـ
قوت القلوب	أبو طالب المكي ، المتوفى سنة ٣٨٦هـ
القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع	السخاوي ، محمد بن عبدالرحمن ، المتوفى ٩٠٢هـ
الكامل في التاريخ	ابن الأثير ، علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري الموصلي ، المتوفى سنة ٦٣٠هـ ، دار صادر ، بيروت
الكبائر	الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، المتوفى سنة ٧٤٨هـ
كتاب اصطناع المعروف	ابن أبي الدنيا ، عبدالله بن محمد القرشي ، المتوفى سنة ٢٨٢ ، المكتبة العصرية ، بيروت
كتاب الأمالي	أبو علي القالي ، إسماعيل بن القاسم البغدادي ، ٣٥٦هـ ، دار الجيل ، بيروت

كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — ابن أبي الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ ، ط . المكتبة العصرية ، بيروت

كتاب الأولياء — ابن أبي الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ

كتاب التهجد وقيام الليل — ابن أبي الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ

كتاب التوابين — ابن قدامة المقدسي ، عبدالرحمن بن محمد بن أحمد ، أبو محمد ، المتوفى سنة ٦٨٢هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت

كتاب الثقات — ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد ، المتوفى سنة ٣٥٤هـ ، ط ، دار الكتب العلمية ، بيروت

كتاب الثواب — أبو الشيخ ، عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني ، المتوى سنة ٣٦٩هـ

كتاب حفظ اللسان — ابن أبي الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ

كتاب الحلم — ابن أبي الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ

كتاب الدعوات — الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي ، المتوفى سنة ٣٦٠هـ

كتاب ذم الدنيا — ابن أبي الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ

كتاب الرقة والبكاء — ابن أبي الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ

كتاب الشكر — ابن أبي الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ

كتاب الصبر — ابن أبي الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ

كتاب صفة النار — ابن أبي الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ

كتاب الصمت — ابن أبي الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ

كتاب قصر الأمل — ابن أبي الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ

كتاب المتمنين — ابن أبي الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ

كتاب مجابي الدعوة — ابن أبي الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ

كتاب مداراة الناس — ابن أبي الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ

الكتاب	المؤلف
كتاب مكارم الأخلاق	ابن أبي الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ
كتاب الورع	ابن أبي الدنيا ، المتوفى سنة ٢٨٢هـ
كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس	العجلوني ، إسماعيل بن محمد الجراحي ، المتوفى سنة ١١٦٢هـ ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون	حاجي خليفة ، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي ، المتوفى ١٠١٧هـ .
اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة	السيوطي ، عبدالرحمن بن الكمال أبي بكر جلال الدين ، المتوفى سنة ٩١١هـ
اللباب في تهذيب الأنساب	ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ابن عبدالكريم ، المتوفى سنة ٦٣٠هـ
لسان العرب	ابن منظور ، محمد بن جلال الدين ، أبو العزم مكرم ابن نجيب الدين ، المتوفى سنة ٧١١هـ
لطائف المعارف	ابن رجب الحنبلي ، عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد ، المتوفى سنة ٧٩٥هـ ، دار الكتب العلمية
لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح	عبد الحق بن سيف الدين البخاري ، المتوفى سنة ، ١٠٥٣هـ
مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن	ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي ، أبو الفرج ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ ، دار الراية ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت
المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية من صحيح البخاري	السفيري ، محمد بن عمر بن أحمد ، المتوفى سنة ٩٥٦هـ .
المجالس وجواهر العلم	أحمد بن مروان الدينوري ، المتوفى سنة ٣١٠هـ
مجاني الأدب في حدائق العرب	لويس شيخو اليسوعي

المجروحين — ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد ، المتوفى سنة ٣٥٤هـ

مجمع الأمثال — الميداني ، أحمد بن محمد ، أبو الفضل ، المتوفى سنة ٥١٨هـ

مجمع بحار الأنوار — محمد طاهر بن علي الصديقي ، المتوفى ٩٨٦هـ .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — الهيثمي ، نور الدين عل بن أبي بكر ، المتوفى سنة ٨٠٧هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت

مجموعة الرسائل الكبرى — ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم ، المتوفى سنة ٧٢٨هـ

المجموع — النووي ، يحيى بن شرف ، المتوفى سنة ٦٧٦هـ ، ط . دار الفكر العربي

المحبة لله سبحانه — إبراهيم بن عبدالله بن الجنيد الختلي ، المتوفى سنة ٢٧٠هـ

مختصر الإحياء — الغزالي ، محمد بن محمد بن محمد ، المتوفى سنة ٥٠٥هـ

المدهش — ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي ، أبو الفرج ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ ، دار القلم دمشق

مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح — الهروي ، ملا علي القاري علي بن محمد الهروي ، المتوفى سنة ١٠١٤هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت

المستدرك على الصحيحين — الحاكم ، محمد بن عبدالله النيسابوري ، أبو عبدالله ، المتوفى سنة٤٠٥هـ ، ط ، مكتبة نزار مكة المكرمة

المستطرف في كل فن مستظرف — الأبشيهي ، محمد بن أحمد الخطيب ، المتوفى سنة ٨٥٢هـ ، مصر ، ط . مصطفى الحلبي

مسند أبو داود الطياسي	سليمان بن داود بن الجارود ، المتوفى سنة ٢٠٤هـ ، ط . دار ابن حزم ، مصر
مسند أبو يعلي	أحمد بن علي بن المثنى التميمي ، المتوفى سنة ٣٠٧هـ ، ط . دار التأصيل . مصر
مسند أحمد = الموسوعة الحديثة	أحمد بن حنبل بن هلال ، أبوعبدالله ، المتوفى سنة ٢٤١هـ ، ط . مؤسسة الرسالة ،بيروت
مسند البزار = البحر الزخار	أحمد بن عمرو بن عبدالخالق العتكي ، المتوفى سنة ٢٩٢هـ ، ط . مكتبة العلوم ، المدنية المنورة
مسند حميد = المنتخب من مسند عبد بن حميد	عبد بن حميد بن نصر ، أبو محمد ، المتوفى سنة ٢٤٩هـ ، ط . عالم الكتب ، بيروت
مسند القضاعي	محمد بن سلامة بن جعفر بن علي ، المصري ، المتوفى سنة ٤٥٤هـ
مشكاة المصابيح	التبريزي ، محمد بن عبدالله الخطيب العمري ، المتوفى سنة ٧٤١هـ ، دار ابن حزم
المشيخة البغدادية	أبو طاهر السلفي الأصبهاني ، المتوفى سنة ٥٧٦هـ
مصابيح السنة	البغوي ، الحسن بن مسعود بن محمد الفراء ، المتوفى سنة ٥١٦هـ
مصنف ابن أبي شيبة	عبدالله بن محمد العبسي ، المتوفى سنة ٢٣٥هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت
مصنف عبدالرزاق	عبدالرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني ، المتوفى سنة ٨٢٧هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت
المطالب العالية	ابن حجر العسقلاني ، أحمد بن علي بن محمد ، المتوفى سنة ٨٥٢هـ

معالم السنن شرح أبي داود	الخطابي ، حميد بن محمد بن إبراهيم البستي ، المتوفى سنة ٣٨٨هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت
معترك الأقران في إعجاز القرآن	السيوطي ، جلال الدين بن عبدالرحمن ، المتوفى سنة ٩١١هـ
المعتمد في أصول الفقه	محمد بن علي بن الطيب ، أبو الحسن البصري ، المتوفى سنة ٤٣٦هـ
معجم أسماء الملابس	رجب عبدالجواد إبراهيم
معجم أسماء النبات	أحمد عيسى
معجم الأسماء الفارسية المعربة	شير
المعجم الأوسط	الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي ، المتوفى سنة ٣٦٠هـ ، ط . مكتبة المعارف ، الرياض
معجم البلدان	ياقوت الحموي ، ياقوت بن عبدالله ، أبو عبدالله ، المتوفى سنة٦٢٢هـ ، ط طهران
المعجم الرائد	جبران مسعود ، ط ، دارالعلم للملايين
المعجم العربي الأساسي	
معجم عطية في العامي والدخيل	رشيد عطية ، المتوفى سنة ١٣٧٥هـ ، ط . دار الكتب العلمية
معجم الفروق الدلالية في القرآن	محمد محمد داود ، ط . دار غريب ، مصر
المعجم الفلسفي	مراد وهبه
معجم القبائل العربية قديما وحديثا	عمر رضا كحالة ، المتوفى سنة١٤٠٨هـ
المعجم الكبير	الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي ، المتوفى سنة ٣٦٠هـ ، ط . الزهراء الحديثة ، الموصل
معجم لغة الشريعة	سعدي أبو حبيب

معجم القراءات القرآنية	إعداد أحمد مختار عمر وعبدالعال سالم
معجم متن اللغة العربية	أحمد رضا ط . مطبعة مصر
المعجم الوسيط	إعداد مجمع اللغة العربية ، مطبعة مصر
المعرب	الجواليقي ، موهوب بن أحمد بن محمد ، أبو منصور ، المتوفى سنة٥٣٩هـ
المغني	ابن قدامة المقدسي ، عبدالله بن أحمد بن محمد ، المتوفى سنة ٦٢٠هـ ، ط . مكتبة القاهرة
مفاتيح الجنان	الشيخ عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم القمي ، المتوفى سنة ١٣٥٩هـ
مفاتيح العلوم	الخوارزمي ، محمد بن موسى ، المتوفى سنة ٢٣٢هـ
مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة	السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن ، المتوفى سنة ٩١١هـ
المقاصد الحسنة	السخاوي ، محمد بن عبدالرحمن ، المتوفى سنة ٩٠٢هـ .
مكاشفة القلوب	الغزالي ، محمد بن محمد بن محمد ، المتوفى سنة ٥٠٥هـ ، دار المعرفة ، بيروت
مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب	ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي ، أبو الفرج ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ
المنتظم في تاريخ الملوك والأمم	ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي ، أبو الفرج ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ
المنجد	لويس معلوف اليسوعي
منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان	ابن جزلة ، يحيى بن عيسى البغدادي ، المتوفى سنة ٤٩٣هـ

المنهاج في شعب الإيمان	الحسين بن الحسين بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني ، المتوفى سنة ٤٠٣هـ
منهاج القاصدين	ابن قدامة المقدسي ، عبدالله بن أحمد بن محمد ، المتوفى سنة ٦٢٠
منهاج المسلم	الجزيري ، أبو بكر جابر الجزائري ، ط . دار السلام ، القاهرة
موارد الظمآن لدروس الزمان	عبدالعزيز بن محمد بن السليماني ، المتوفى سنة ١٤٢٢هـ .
المواعظ والأحاديث القدسية	الغزالي ، محمد بن محمد بن محمد ، المتوفى سنة ٥٠٥هـ
مواهب الجليل في شرح مختصر خليل	الطرابلسي ، محمد بن محمد بن عبدالرحمن المغربي ، المتوفى سنة ٩٥٤هـ
المواهب اللدنية بالمنح المحمدية	القسطلاني ، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبدالملك ، المصري ، المتوفى سنة ٩٢٣هـ
الموسوعة الشاملة	
الموسوعة اليمنية	
الموضوعات	ابن الجوزي ، عبدالرحمن بن علي ، أبو الفرج ، المتوفى سنة ٥٩٧هـ ط .دارالفكر ، مصر
موطأ مالك	مالك بن أنس ، المتوفى سنة١٧٩هـ
ميزان الاعتدال في نقد الرجال	الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ، المتوفى سنة ٧٤٨هـ
الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم	محمد بن عبدالله العربي المعافري المالكي ، المتوفى سنة ٥٤٣هـ
النجوم الزاهرة	ابن تغري بردي ، يوسف بن الأمير ، أبو المحاسن ، المتوفى سنة ٨٧٤هـ

نزهة المجالس ومنتخب النفائس عن أخبار الصالحين	الصفوري ، عبدالرحمن بن عبدالسلام ، المتوفى سنة ٨٩٤هـ ، ط . الكاستلية ، مصر
نزهة الناظرين في الأخبار والآثار المروية عن الأنبياء والصالحين	البابي الحلبي الشافعي عبدالملك بن علي الضرير ، المتوفى سنة ١٤٣٥هـ
نهاية الأرب	النويري ، محمد بن عبدالوهاب ، المتوفى ٧٣٣هـ
النهاية في غريب الحديث والأثر	ابن الأثير مجد الدين المبارك بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري ، المتوفى سنة ٦٠٦هـ
نهج البلاغة	الشريف الرضي ، علي بن حسين بن موسى ، المتوفى سنة ٤٣٦هـ
نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول ﷺ	الحكيم الترمذي ، محمد بن علي بن حسن بن بشير ، أبو عبدالله ، المتوفى سنة ٣٢٠هـ
الهداية إلى بلوغ النهاية	أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيراوني ، المتوفى سنة ٤٣٧هـ ، جامعة الشارقة
هدية العارفين	إسماعيل باشا البغدادي ، المتوفى سنة ١٣٣٩هـ
الوافي بالوفيات	الصفدي ، خليل بن أيبك عبدالله ، المتوفى سنة ٧٦٤ هـ
وفيات الأعيان	ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن أبي بكر ، أبو العباس ، المتوفى سنة ٦٨١هـ ، ط . دار صادر ، بيروت
ينابيع المودة لذوي القربى	القندوزي ، سليمان بن خواجه كلان إبراهيم الحسين البلخي ، المتوفى سنة ١٢٩٤هـ ، مؤسسة الأعلى ، بيروت

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة